شرح خطبة الزهراء عليها السلام

العلامة المجلسي
القاضي النعمان
الأنصاري التبريزي

تحقيق وإعداد
السيد باقر الكيشوان الموسوي

مؤسسة البلاغ
دار سلوني

شرح خطبة الزهراء عليها السلام

شرح خطبة الزهراء عليها السلام

تأليف

العلامة المجلسي ـ القاضي النعمان المغربي
الأنصاري التبريزي

تحقيق وإعداد

السيد باقر الكيشوان الموسوي

مؤسسة البلاغ
بيروت ـ لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الاول
ص.ب : ١١-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف : (٠٣/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس : ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com
E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

الإهداء

إلى حفيد الزهراء عليها السلام ... ونحن في أيام مولده المبارك الميمون ...

إلى القائم المهدي المنتظر عجل الله فرجه ...

أرفع هذا المجهود المتواضع وأضعه بين يديه ... راجيا منه التفضل برسم القبول ...

ولساني حالي يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[1]

---

(١) سورة يوسف: ٨٨

مقدمة

الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق أجمعين، محمّد بن عبد الله الصّادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، سيما بضعته الطاهرة التي حازت شرف لقب الأمومة لأبيها صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها صلاة طيبة زاكية نامية لا ينقطع أولها ولا ينتهي آخرها.

وبعد:

فإن مما تكل عنه ألسن فحول الفصحاء، وتقف دون بلوغ غايته أفكار فطاحل البلغاء، ويخشى عن خوض لجج بحار معانيه كل مصقع من المتكلمين والخطباء، هو ما خطبته الزهراء عليها السلام بعد غصب غاصبيها وظلم ظالميها، مما أقطعها صلى الله عليه وآله من أمر فدك، فألقت عليهم الحجة، وأبانت لهم المحجّة، وألقت إليهم معاذيرها يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، فما رعوها حقّها، ولا أصدقوها بيّنتها، بل أنكروا وراثتها، وأكذبوا شهادتها وهي ابنة الصادق الأمين، فصاروا إلى غضبها أقرب منهم إلى رضاها، وقد سمعوا أباها صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله ليرضى لرضا

فاطمة ويغضب لغضبها» ولكن ختم على قلوب القوم وأسماعهم، وغشي على أبصارهم وأفئدتهم، فلما رأت أن الأمر قد بلغ الزبى، وصار الحزام إلى الطبيين، خرجت إليهم داعية إلى حقها ، فأقرعت لهم العصا، وأبانت عما في قلوبهم من الخنا، فخطبتهم خطبتها الغرّاء، فلما رأت تقاعسهم عن نصرتها، وإحجامهم عن معاضدتها شكت أمرها وأمرهم إلى ربها، وجعلته الحكم بينهم وبينها.

ولما كانت خطبتهاعليها السلام مشتملة على مضامين عالية مما يستغلق فهم بعضه على ذوي الأفهام من جليل المعاني ودقائق الأفكار، كانت تراودني فكرة العثور على شرح يوضح تلك الألفاظ ويجلي تلك المعاني فكان أن عثرت على شرح لها في كتاب (البحار) للعلامة المجلسي رحمه الله، وما لبثت أن عثرت على شرحين آخرين أحدهما متقدم على شرح العلامة المجلسي وهو شرح القاضي النعمان المغربي في كتابه (دعائم الإسلام) والآخر متأخر عنه وهو شرح العلامة الأنصاري التبريزي في (اللمعة البيضاء) فرأيت أن ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، فشددت العزم وتوكلت على الله تعالى في ترتيب تلك الشروح حسب فقرات الخطبة المباركة متسلسلا في الشرح جملة جملة وزينت تلك الشروح بما ذكره العلامة المجلسي في (بحاره) من دفع الإشكالات الواردة على الخطبة الغرّاء وبيان عصمة الزهراءعليها السلام، فكان مجموع ذلك هذا الكتاب المستطاب، ولم يكن لنا فيه إلا الجمع والترتيب والتنظيم بما يسهل على القاريء الكريم استجلاء معاني مفردات الخطبة ومضامينها بيسر وسهولة، راجياً من المولى القدير قبول هذا العمل اليسير، وجعله من ذخائرنا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ

(١) المائدة: ٥٤

أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على من أشرقت به دياجير الظلمات محمّد وآله الطاهرين ما قامت الأرضين والسموات.

السيد باقر الكيشوان الموسويّ

سوريا السيد زينب عليها السلام

١١ شعبان المعظم ١٤٢٧ هـ

٢٥آب ٢٠٠٧ م

(١) الشعراء: ٨٨ - ٨٩

أسانيد الخطبة المباركة

قال العلامة المجلسي قدس سره:

اعلم أن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متضافرة.

١. قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الاخبار الواردة في فدك، حيث قال: الفصل الاول فيما ورد من الاخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم. وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك - وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الادب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته -. ثم قال: قال أبو بكر: حدثني محمد بن زكريا، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الحسن بن صالح قال: حدثني ابن خالات من بني هاشم عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: وقال جعفر بن محمد بن عمارة: حدثني ابي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه. قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي، عن

نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام. قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن زيد، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن. قالوا جميعا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر ـ وقد حشد الناس من المهاجرين والانصار ـ فضربت بينهم وبينها ريطة بيضاء، وقال بعضهم: قبطية، وقالوا: قبطية ـ بالكسر والضم ـ.. ثم أنّت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم، ثم قالت: أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم.. وذكر خطبة طويلة جدا ثم قالت في آخرها: فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به.. إلى آخر الخطبة، انتهى كلام ابن أبي الحديد.

٢. وقد أورد الخطبة علي بن عيسى الاربلي في كتاب كشف الغمة، قال: نقلتها من كتاب السقيفة تأليف أحمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور، قرئت عليه في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من عدة طرق: أن فاطمة عليها السلام لما بلغها إجماع أبي بكر.. إلى آخر الخطبة. وقد أشار إليها المسعودي في مروج الذهب. وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في الشافي، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عمران المرزباني، عن محمد بن أحمد الكاتب، عن أحمد بن عبيدالله النحوي، عن الزيادي، عن شرفي بن قطامي، عن محمد بن إسحاق، عن صالح

بن كيسان، عن عروة عن عائشة. قال المرزباني: وحدثني أحمد بن محمد المكي، عن محمد بن القاسم اليماني، قال: حدثنا ابن عائشة قالوا: لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة عليها السلام في لمة من حفدتها إلى أبي بكر.. وفي الرواية الاولى: قالت عائشة: لما سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها - ثم اتفقت الروايتان من هاهنا - ونساء قومها.. وساق الحديث نحو ما مر إلى قوله: افتتحت كلامها بالحمد لله عزوجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم قالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم... إلى آخرها. أقول: وسيأتي أسانيد اخرى سنوردها من كتاب أحمد بن أبي طاهر.

٣. وروى الصدوق رحمه الله بعض فقراتها المتعلقة بالعلل في علل الشرايع عن ابن المتوكل عن السعد آبادي، عن البرقي عن إسماعيل بن مهران عن أحمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت علي عليه السلام.

٤. قال: وأخبرنا علي بن حاتم عن محمد بن أسلم عن عبد الجليل الباقطاني عن الحسن بن موسى الخشاب عن عبد الله بن محمد العلوي عن رجال من أهل بيته عن زينب بنت علي عن فاطمة عليها السلام بمثله.

٥. وأخبرني علي بن حاتم عن ابن أبي عمير عن محمد بن عمارة عن محمد بن ابراهيم المصري عن هارون بن يحيى عن عبيدالله بن موسى العبسي عن حفص الاحمر عن زيد بن علي عن عمته زينب بن علي عن فاطمة عليها السلام، وزاد بعضهم على بعض في اللفظ.

أقول: قد أوردت ما رواه في المجلد الثالث، وإنما أوردت الاسانيد هنا ليعلم أنه روى هذه الخطبة بأسانيد جمة.

٦. وروى الشيخ المفيد الابيات المذكورة فيها بالسند المذكور في أوائل الباب.

٧. وروى السيد ابن طاوس رضي الله عنه في كتاب الطرائف موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة عن الشيخ أسعد بن شفروة في كتاب الفائق عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم أحمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني في كتاب المناقب قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن ابراهيم عن شرفي بن قطامي عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة.

٨. ورواها الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج مرسلا، ونحن نوردها بلفظه، ثم نشير إلى موضع التخالف بين الروايات في أثناء شرحها إن شاء الله تعالى.

شرح الخطبة المباركة

روى عبدالله بنُ الحسن عليه السلام بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام [1]

■ القاضي النعمان:

جملة ذلك أن معنى كلامها هذاعليها السلام ليس فيما منعت من فدك والعوالي خاصة، بل كان ذلك فيما تغلب فيه عليها من ذلك وعلي بعلها والأئمة من بعده بنوها من الامامة التي جعلهاعز وجل فيهم ونص بها رسول الله صلى الله عليه وآله فما قدمنا في هذا الكتاب ذكر جمل منه. وأرادت بذلك صلوات الله عليها ما قد ذكرته في كلامها من إقامة الحجة على الأمة، وإبلاغ المعذرة إليهم، وإيضاح الحق والبيان فيما فيها اهتضموه، وتغلب عليهم فيه واستأثر من حقهم به لئلّا يقولوا، كما قالوا: أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله سلموا ذلك طائعين، ولم يكن خروجها لما خرجت له وقالته من ذلك إلّا عن إذن عليعليه السلام إذ لا يجوز أن تخرج من بيتها لمثل هذا المقام، وأن تتكلم على رؤوس الناس بمثل هذا [من] المهاجرين والأنصار.

(١) الشيخ الطبرسي في كتاب (الاحتجاج) :

لَمّا أجْمَعَ أبو بكر

■ العلّامة المجلسي:

أجمع أبو بكر: أي احكم النية والعزيمة عليه.

■ الأنصاري التبريزي:

أجمع على الأمر أي أحكم النية والعزيمة عليه، قال: تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ أي عزموا على إلقائه فيها، و(أجمعوا أمركم) أي اعزموا عليه، وأصله على أمركم، وحقيقة معنى الجمع واضح، والاجتماع: طلب الجمع أي المجموعية، والإجماع جعل الأمر مجموعا.

[في معنى الإجماع] وإجماع القوم: جمعهم أنفسهم على شيء، وهو مستلزم للاتفاق وللعزم، فاستعمل تارة بمعنى الاتفاق، وأخرى بمعنى العزم حتى جعل كل منهما بحسب العرف من جهة كثرة الاستعمال معنى حقيقياً، والإجماع بالمعنى الاصطلاحي مأخوذ منه بمعنى الاتفاق، كما عرفه العامة بأنه اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ في عصر من الأعصار، على أمر من الأمور الدينية. وعرفه الخاصة بأنه الاتفاق الكاشف عن رأي المعصوم، أو قوله، أو فعله، أو تقريره الكاشف عن

رأيه أيضاً، والاتفاق المشتمل على المعصوم قولاً أو فعلاً أو تقريراً على الخلاف بين المتأخرين منهم والقدماء على طريق اللف والنشر المرتب، أو منه بمعنى العزم. كما أن ابن إدريس ادعى كون فطرة الزوجة الناشزة على زوجها، خلافاً للمشهور حيث لم يجعلوها عليه، واستدل على ذلك بأن إطلاقات كون فطرة الزوجة على زوجها أو عموماته دالة على وجوبها عليه مطلقاً أو عموماً، والعمل بالإطلاقات والعمومات الواردة من الكتاب والسنة واجب إجماعاً، فصارت المسألة إجماعية. وردَّه المحقق رحمه الله بأن الإجماع مأخوذ منه بمعنى العزم من قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ أي اعزموا، وما لم يُعلم العزم من جميع الأصحاب على المسألة بخصوصها لا تصير المسألة إجماعية، ولو أجمعوا على وجوب العمل بالإطلاقات والعمومات، إذ لا يلزم من الإجماع على العمل بها الإجماع على كل من مواردها بخصوصها. وهذا الطريق الذي مشيت من إرجاع الإجماع بمعنى الاتفاق والعزم إلى معنى الاجتماع، هو مذاقي في أكثر اللغات المشتركة التي لها معان متعددة بل في جميعها، حيث أدى نظري فيها إلى أن جميع المعاني المتعددة للفظة الواحدة راجع إلى معنى واحد هو المعنى الأصلي اللغوي، فانشعب منه تلك الفروعات مجازاً من جهة المناسبة والعلاقة، إلى أن صارت من جهة كثرة الاستعمال حقائق عرفية عامة.

مَنْعِ فاطمةَ عليها السلام فَدَكَ

المنع: خلاف الإعطاء ويستعمل بعن، يقال: منعت الرجل عن الشيء، واستعماله بعن إشارة إلى ما فيه من معنى التجاوز والتخلف، وقد يحذف لفظة (عن) فيوصل الفعل، كما في قوله هنا: «منع فاطمة فدك» والمفعول الأول هنا هو المفعول بلا واسطة وهو فاعل في المعنى، نظير المفعول الأول في أعطيت. ومنع الشخص لا يتصور إلّا بمنعه وهو فاعل مختار من الفعل الذي هو في اختياره أو ما هو بمنزلته، فمنع الرجل عن الشيء منعه عن التصرف فيه، والمراد في الخبر منع فاطمة عن التصرف في فدك. وقد مرّ بيان فدك وانه ينصرف ولا ينصرف، وعدم الانصراف من جهة العلمية والتأنيث باعتبار البلدة أو الأرض مثلاً، والانصراف باعتبار البلد أو المكان ونحوهما، وذلك إشارة إلى إجماعه على المنع أو إلى نفس المنع، والمراد على التقديرين أنه بلغها خبر ذلك أو أثره، إما بلسان الناس أو برجوع وكيلها في فدك إليها وإخباره لها بذلك.

وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها

■ العلّامة المجلسي:

أي عصبته وجمعته، يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً أي شدَّها وربطها.

■ التبريزي الأنصاري:

أي عصبته، يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً أي شدّها وربطها. وفي النهاية: اللوث الطيّ والجمع، يقال: لثت العمامة ألوثها لوثاً، ومنه حديث بعضهم: فحللت من عمامتي لوثاً أو لوثين أي لفة أو لفتين، وأصل اللوث التلطخ، استعمل في التعصب بالعمامة وإدارتها على الرأس، واللوث المشهور في مقام القتل هو التفاف القرائن المفيد للظن به.

و(الخمار) ـ بالكسر ـ المقنعة، سُمّيت بذلك لأن الرأس يُخمَّر بها أي يُغطَّى، وكل شيء غطيته فقد خمرته، والتخمير هو التغطية ومنه سمي الخمر خمراً لتغطيتها العقل، وقال ابن الأعرابي: سُمّيت بذلك لأنها تُركت فاختمرتْ أي تغيرت ريحها.

واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها

■ العلّامة المجلسي:

الجلباب ـ بالكسر ـ يطلق على الملحفة والرداء والازار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة تغطي بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها، والأول هنا أظهر.

■ الأنصاري التبريزي:

الجلباب ـ بالكسر ـ يطلق على الملحفة، والرداء، والإزار، والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة. تغطي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها، قيل: والأول هنا أظهر، والظاهر أنه كذلك. وفي النهاية في حديث علي عليه السلام: من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً، أي ليزهد في الدنيا وليصبر على الفقر والقلة، كني به عن الصبر لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن. وقيل: إنما كني بالجلباب عن اشتماله بالفقر أي فليلبس إزار الفقر، ويكون منه على حالة تعمُّه وتشمله، لأن الغنى من أحوال أهل الدنيا، ولا يتهيأ الجمع بين حب الدنيا وحب أهل البيت عليهم السلام.

وفي المجمع: الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها، وقيل: الجلباب الملحفة وكل ما يستر به من كساء أو غيره، وفي القاموس: الجلباب ـ كسرداب ـ القميص، ومعنى «يدنين عليهن من جلابيبهن «أي يرخينها عليهن، ويُغطِّين بها وجوههن وأعطافهن. وسرداب ـ بكسر السين ـ معرب السرداب ـ بفتحها ـ وهو البناء تحت الأرض سمي به لتبريده الماء، ونقل ضبط الجلباب كسنمار أيضاً، فيكون كسر الجيم واللام وتشديد الباء صحيحاً أيضاً. والاشتمال بالشيء جعله شاملاً ومحيطاً لنفسه، والاشتمال على الشيء بالعكس أي الإحاطة به، والمراد أنهاعَلَيْهَاٱلسَّلَامُ غطت رأسها وصدرها أولاً بالمقنعة، ثم لبست ملحفة تغطي جميع بدنها، فالتفّ ت بها، وهذا كناية عن غاية التستر وهي عادة النساء الخفرات إذا أردن الخروج من الدار إلى الخارج تحفظاً عن الأجانب.

وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها

■ العلّامة المجلسي:

اللُّمة - بضم اللام وتخفيف الميم - الجماعة، قال في النهاية: في حديث فاطمة عليها السلام أنها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته: أي في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: اللمة: المثل في السن والترب. وقال الجوهري: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو ممّا أخذت عينه كـ(سه) و(مذ) وأصلها فعلة من الملاءمة، وهي الموافقة. انتهى.

أقول: ويحتمل أن يكون بتشديد الميم. قال الفيروز آبادي: اللمة - بالضم - الصاحب والأصحاب في السفر والمونس للواحد والجمع. والحفدة - بالتحريك -: الأعوان والخدم.

■ الأنصاري التبريزي:

اللُّمة - بضم اللام وتخفيف الميم - الجماعة، قال في النهاية: في حديث فاطمة عليها السلام: إنها خرجت في لمة من نسائها، تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته، أي في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى

العشرة، وقيل: اللمة المثل في السن والترب. وقال الجوهري: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو ممّا أخذت عينه كـ(مذ) و(سه)، قالوا: أصلها منذ وسته، وقد يؤخذ لام سته فيقال: ست أو إست، بتعويض الهمزة المكسورة عن المحذوف. قال: وأصل لمة فعل من الملاءمة وهي الموافقة، ومنه حديث عمر: إن شابة زوجت شيخاً فقتلته، فقال عمر: أيها الناس لينكح الرجل لمته من النساء، ولتنكح المرأة لمتها من الرجال أي شكله وتربه. ومنه حديث علي عليه السلام: ألا وإن معاوية قاد لمة من الغواة أي جماعة، ومنه الحديث: لا تسافروا حتى تصيبوا لمة أي رفقة، انتهى. والهاء التي جيء بها عوضاً إما تاء التأنيث، سُمّيت هاء باعتبار حال الوقف، أو هي الهاء عوملت معاملة تاء التأنيث لشبهها بها في الوقوع في آخر الكلمة مع كون الصورة واحدة، كما أن لام شفه هو الهاء على قول لا الواو، فيبدل الهاء تاء لذلك. ويحتمل أن يكون لمة بتشديد الميم، قال الفيروز آبادي: اللمة - بالضم - الصاحب والأصحاب في السفر والمونس للواحد والجمع. وفي المجمع في مادة اللمم: في حديث فاطمة عليها السلام: خرجت في لمة من نسائها أي في جماعة منهن من غير حصر في عدد، وقيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، والهاء عوض عن الهمزة في وسطه، وهي فعلة من الملاءمة بمعنى الموافقة، انتهى.

ولا يخفى ما فيه من الخلط والشبهة، والظاهر أنّ اللمة إذا كانت بتشديد الميم فهي من الإلمام بمعنى النزول، أطلق على الجماعة النازلة كما يطلق اللمة على الخطرة والزورة والأتية بمعنى النزول والقرب. ومنه الخبر: إن للشيطان لمة وللملك لمة، وإن لابن آدم لمتان لمة من الملك ولمة من الشيطان، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالخير، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد هذا فليحمد

الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله. فيكون جميع المعاني الموجودة للمم راجعة إلى هذا المعنى. وفي نسخة كشف الغمة: «في لميمة» بصيغة التصغير، وهو يؤيد قراءة تشديد الميم بمعنى الجماعة، ويكون التصغير إما للتقليل أي في جماعة قليلة، أو للتكثير نظير التعظيم والتحقير.

و(الحفدة) ـ بالتحريك ـ الأعوان والخدم وقيل ولد الولد أيضاً، والمراد هنا الأول، والواحد حافد، وأصله من الحفد بمعنى السرعة، يقال: حفد البعير أو الظليم ـ من باب ضرب ـ حفداً وحفداناً إذا أسرع لإسراعهم في الخدمة. قال في النهاية: وفي حديث أم معبد: محفود محشود، المحفود الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته، يقال: حفدت وأحفدت فأنا حافد ومحفود. ومنه دعاء القنوت: «وإليك نسعى ونحفد «أي نسرع في العمل والخدمة، ومنه حديث عمر وذكر له عثمان للخلافة فقال: أخشى حفده أي إسراعه في مرضاة أقاربه، انتهى.

وفي عبارات السلف عند الدعاء لأحد: «حفد حاسده وحسد حافده «أي كان حاسده من الأعاظم المحفودين، وكان خادمه من المحسودين، والإتيان بلفظ (في) في قوله: «وأقبلت في لمة من حفدتها «دون أن يقول «مع لمة «إشارة إلى أنها كانت بينهن وهن مجتمعات حولها، محيطآت بها، والإضافة في حفدتها لأمية، وفي نساء قومها كذلك أيضاً، بناء على كون الإضافة لامية فيما كان المضاف بعض المضاف إليه، أو بمعنى (من) بناء على تعميم الإضافة بمعنى من على التبعيضية والتبيينية.

تَطأ ذُيُولَها

■ العلّامة المجلسي:

أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تعدد الثياب.

■ الأنصاري التبريزي:

أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عند المشي قدمها عليها. وجمع الذيل باعتبار الأجزاء، أو تعدد الذيول باعتبار الأطراف الأربعة، أو باعتبار تعدد الثياب، ويمكن أن يكون تطويل الذيول كناية عن التبختر، فإن العرب كانوا يطولون ذيولهم حتى كانت تنجرُّ على الأرض إظهاراً للهيمنة والشوكة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي نزِّهها عن الانسحاب على الأرض والتلطخ بالتراب ونحوه، ولذا فسر قوله تعالى ﴿فَطَهِّرْ﴾ بمعنى فقصِّر، ثم صار تطويل الذيول كناية عن مطلق التبختر. وفي نسخة كشف الغمة: «تجر أدراعها» ودرع المرأة قميصها والجمع أدراع، وهو مذكر مأخوذ من درع الحديد وهي مؤنثة في الأكثر، وجر الأدراع كناية عن كون أذيال قميصها طويلة ملاصقة للأرض مراداً به جرّها على الأرض، فيرجع إلى معنى تطأ ذيولها.

ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله صلى الله عليه و آله

■ العلّامة المجلسي:

في بعض النسخ: من مشي رسول الله ﷺ ، والخرم: الترك، والنقص والعدول، والمشية ـ بالكسر ـ الاسم من مشى يمشي مشياً، أي لم تنقص مشيها من مشيه ﷺ شيئاً كأنه هو بعينه، قال في النهاية: فيه ما خرمت من صلاة رسول الله.. شيئاً: أي ما تركت، ومنه الحديث: «لم أخرم منه حرفاً» أي لم أدع. والحشد ـ بالفتح وقد يحرك ـ: الجماعة. وفي الكشف: إن فاطمة عليها السلام لما بلغها إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وأقبلت في لميمة من حفدتها ونساء قومها، تجر أدراعها، وتطأ في ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ ...

■ الأنصاري التبريزي:

الخرم ـ بضم الخاء المعجمة، وسكون الراء المهملة ـ الترك والنقص والعدول. و(المشية) ـ بكسر الميم ـ الاسم من مشى يمشي مشياً، وبالفتح مصدر مثل مشى ومشية كرحم ورحمة، أي لم ينقص مشيها من مشي رسول الله ﷺ شيئاً كأنه هو بعينه تميل من جانب إلى جانب، وفي الأخبار: إن فاطمة عليها السلام كانت أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً

وخلقاً، وقولاً وفعلاً، وسكوناً وحركة. قال في النهاية: فيه ما خرمت من صلاة رسول الله ﷺ - من باب ضرب - أي ما تركت، ومنه الحديث «لم أخرم منه حرفاً» أي لم أدع. وأصل الخرم القطع والشق، وهو يستلزم النقص وترك شيء من المقطوع والعدول عن الحالة الأصلية، فاستعمل في هذه المعاني للمناسبة. والدخول في الشيء الحركة إلى داخله مع الانتهاء إليه، كما في نحو دخلت في المسجد لدلالة الفاء على الظرفية، واما الدخول على الشيء فهو الحركة إليه بلا دخول في جوفه، لكن إذا كان المفعول أي ذلك الشيء في داخل شيء آخر كالدار والبيت مثلاً، وأما الحركة إلى الشيء الذي هو في فضاء خارج فلا يقال حينئذٍ دخلت عليه، بل يقال وردت عليه إلّا أن يشبه بالمدخول عليه في الدار مثلاً، وبالجملة فلفظ على مع الدخول يشير إلى كون الداخل مستعلياً عليه، فإن الوارد عال بالنسبة إلى المورود عليه.

حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَغَيْرِهِمْ

■ القاضي النعمان:

الحشد: الجمع إذا دعوا فأتوا لما دعوا له. كان أبو بكر قد علم بمجيء فاطمة عليها السلام إليه، فجمع الناس لئلّا يعتابوا عليه رأياً إذ لم يكونوا بحضرته.

■ الأنصاري التبريزي:

الحشد ـ بالفتح وقد يحرك ـ الجماعة، وحشدت القوم ـ من باب قتل أو ضرب ـ إذا جمعتهم، يستعمل لازماً ومتعدياً، وفي الحديث: «ولما حشد الناس قام خطيباً» واحتشد القوم لفلان إذا اجتمعوا وتهيؤوا وتأهبوا، وجاء فلان حاشداً أي مستعداً متأهباً، ورجل محشود أي من كان الناس يسرعون إلى خدمته لأنه مطاع، وفي رواية الكشف: «وقد حشد المهاجرين والأنصار» أي جمعهم أبو بكر في المسجد. و(المهاجرون) الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وآله أو بعده من مكة إلى المدينة، أو من مكة إلى الحبشة، ومنها إلى المدينة، أو من بلاد الكفر مطلقاً إلى بلاد الإسلام، ويقال لكل من ترك موطنه الأصلي إنه مهاجر، وهو من الهجر بمعنى ضد الوصل من هجره هجراً ـ من باب قتل ـ أي قطعه أو

تركه أو رفضه، قال تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾. والمهاجرة من أرض إلى أخرى ترك الأولى للثانية، ويقال للثانية مهاجر ـ بضم الميم وفتح الجيم ـ أي محل الهجرة ودار الهجرة، والاسم الهجرة ـ بالكسر ـ فإن كانت قربة لله فهي الهجرة الشرعية، أو لا فهي الهجرة العرفية، والهجرة الشرعية المعروفة هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة. قال في النهاية: وفي الخبر: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وفي حديث آخر: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». والهجرة بوجه آخر أيضاً هجرتان، إحداهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ فكان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجره، وكان النبي ﷺ يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فلما فتحت مكة صارت دار الإسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة. والهجرة الثانية من هاجر إلى الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة السابقة، وهو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة» وهذا وجه الجمع بين الحديثين. وإذا أطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنهما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة، ومنه الحديث: «ستكون هجرة بعد الهجرة» والمهاجرون عند الإطلاق هم المهاجرون من أهل مكة إلى المدينة، ما لم ينضم إليه قرينة دالة على إرادة المهاجرين من غيرهم من سائر بلاد الكفر مطلقاً، أو من مكة إلى الحبشة. وابتداء الهجرة إنما وقع في السنة الخامسة والأربعين من سن النبي ﷺ، وهي السنة الخامسة من البعثة حيث هاجر المؤمنون، وهم يومئذٍ أحد عشر رجلاً وخمسة نسوة، من مكة إلى الحبشة من جهة ما

بنى عليه الكفار بالنسبة إليهم من الأذى والأذية، فالتجؤوا إلى أصحمة النجاشي ملك تلك البلاد، فاستراحوا في الحبشة. ثم قرع سمعهم إن الكفار صالحوا النبي المختار على ترك الأذية له ولمن تابعه فرجعوا إلى مكة، وكان الحال أنه لما نزلت سورة النجم كان النبي ﷺ يقرؤها في المسجد الحرام في الصلاة حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ فألقى الشيطان في أثناء صوت النبي ﷺ على آذان الكفار، لا إن الشيطان أجرى على لسانه ﷺ كما رواه العامة قوله: «تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجي «وسجد ﷺ في آخر السورة. فلما شاهد المنافقون هذه الحالة، وكان فيهم وليد بن مغيرة المخزومي، فرحوا بذلك وقالوا: إن محمداً يعظم آلهتنا، ويمدح أصنامنا، ويقر بشفاعة اللات والعزى، فلا نزاع لنا معه. فوصل من هذه الجهة شبهة المصالحة إلى آذان مهاجري الحبشة، ولما رجع النبي ﷺ من المسجد سمع من الناس هذه المقالة فحزن لذلك، فنزل جبرئيل تسلية له بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1]. فلما علم المنافقون بالكيفية عادوا إلى الأذية، وللآية تفاسير أُخر من الخاصة والعامة ليس هنا موضع تفصيلها، فلاحظها في مظانها. وبالجملة فبناء على التفسير المذكور لما رجع المهاجرون إلى مكة، وعلموا بالحال وما عليه الكفار هاجروا في تلك السنة ثانية الى الحبشة بأمر النبي ﷺ ، وهم حينئذٍ غير الأولاد الصغار ثمانون رجلاً وثمانية عشر مرأة. فبقوا هناك إلى أن هاجروا من الحبشة إلى المدينة سنة فتح خيبر وفدك، وفيهم حينئذٍ جعفر بن أبي طالب، وأم المؤمنين

(١) الحج: ٥٢

أم حبيبة، مع جمع من قبيلة أشعر من قبائل اليمن منهم أبو بردة الأشعري، وأبو موسى الأشعري، وإخوانهما في ستين نفراً وهم على زي أهل الحبشة، وثمانية من أهل الروم، وثمانين من قبيلة دوس منهم أبو هريرة، واسمه على المشهور عبد الشمس بن عامر، وسماه رسول الله ﷺ بعد الإسلام بعبد الله، وكان هو في الأصل راعي غنم، وكان له هرة كبيرة تصاحبه وتكون معه فكنى بأبي هريرة. وفي هذه السنة أيضاً هاجر خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، وعمرو بن العاص بعد قضاء العمرة إلى المدينة، وبالجملة فكل من هاجر من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فهو مهاجر، والأغلب في ذلك أهل مكة، والأغلب منهم قريش، فينصرف إطلاق المهاجرين إليهم إلّا مع القرينة. «والأنصار» جمع ناصر بمعنى المعاون والناصر، أو جمع نصير كشريف وأشراف، وفي سيرة الحلبي للسيد أحمد عاصم أنه جمع ناصر كصاحب وأصحاب. وهم أهل المدينة سموا بذلك لنصرتهم النبي ﷺ، أو لوعدهم إياه بالنصر حين آمن جماعة منهم بالنبي ﷺ في مكة، وذلك أنه ﷺ بعد البعثة كان يدعو الناس إلى الإسلام في موسم الحج في كل سنة إذا ورد فرق الأنام من الأطراف والأقطار إلى مكة للحج والعمرة. وكان ينادي لأهل الموسم في أيام الحج بقوله ﷺ: قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا، فآمن نفر يسير من أهل المدينة في السنة الحادية والخمسين من سنه ﷺ، ثم أسلم إثنا عشر منهم في السنة الثانية والخمسين، وبايعوه في العقبة أي عقبة المدنيين على النصرة والمعاونة، رئيسهم أسعد بن زرارة وهي البيعة الأولى في العقبة. وفي السنة الثالثة والخمسين أسلم منهم سبعون نفرا وامرأتان، وبايعوه أيضاً على النصر والمعاونة أولهم براء بن معرور، وقالوا له: لو هاجرت إلى المدينة وجئت الينا لنصرناك، ولو قاتلت

الروم والفرس، فهاجر ﷺ إليهم في السنة الرابعة والخمسين من الغار المشهور المسمى بغار الثور.

[كتاب تبع اليمن إلى النبي ﷺ]

وروي أن حمير بن دروع من تبابعة اليمن لما وصل إلى المدينة في أثناء فتحه البلاد، وليس معه حينئذٍ سوى جيشه الطمطام أربعة آلاف نفر من الحكماء العظام، رئيسهم حكيم ماهر مسمى بشامول، تأمل هؤلاء الحكماء أرض المدينة، وعلموا من الكتب السالفة أن هذا المكان هو مهاجر نبي آخر الزمان، فعزموا على التوطن في هذا المقام. فلما علم الملك بذلك من الحكماء الأعلام اختار منهم أربعمائة نفر، وبنى لكل منهم منزلاً في المدينة وأقامهم هناك، وبنى داراً عظيم البنيان عالي المكان لنبي آخر الزمان، وكتب لذلك كتابة فيها قوله: «إلى محمد بن عبد الله خاتم النبيين، ورسول رب عالمين من تبع بن دروع، أما بعد يا محمد فإني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل الله عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وبكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام والإيمان، وأنا قبلت ذلك فإن أدركتك فبها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة، ولا تنسني فإني من أمتك من الأولين، وتابعتك قبل مجيئك، وقبل أن يرسل الله إياك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم». ثم ختم الكتاب ونقش عليه قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ وسلم الكتاب إلى شامول، وأوصاه أن يوصله بيده أو بيد أولاده إلى الرسول ﷺ، حتى انتهى ذلك بعد أحد وعشرين بطناً إلى أبي أيوب الأنصاري ـ وكان من أولاد شامول ـ. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فأرسل أبو أيوب هذه الكتابة مع شخص معتمد مسمى بأبي ليلى إلى النبي ﷺ فوصل إليه في أثناء الطريق في قبيلة بني سليم،

فلما لقيه قال له النبي ﷺ: أنت أبو ليلى؟ قال: نعم، قال: ومعك كتاب من تبع الملك؟

قال: نعم، فتحير أبو ليلى من ذلك ولم يكن يعرفه، فقال: من أنت فإني لست أعرف في وجهك أثر السحر؟ فقال ﷺ: أنا محمد هات الكتاب فسلمه إليه، فلما فتحه قال ثلاثاً: مرحباً بالأخ الصالح. فلما وصل ﷺ المدينة نزل في دار أبي أيوب الأنصاري، وهي الدار التي بناها تبع الملك للنبي ﷺ، وسلمها أمانة إلى يد شامول جد أبي أيوب، وذكر أن الأنصار كلهم من نسل هؤلاء الحكماء الأربعمائة. وبالجملة يحمل إطلاق الأنصار على المؤمنين من أهل المدينة، والمهاجرين على من هاجر إليها من أهل مكة، وكان الأنصار والمهاجرون يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بآية «أولي الأرحام» أي قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[1].

(١) الأنفال: ٧٥

فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْمَجلِسُ. ثُمَّ أمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَما أمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها، فَقَالَتْ عليها السلام:

■ القاضي النعمان:

قوله: نيطت دونها ودون الناس ملاءة. نيطت: علقت، يقال منه: ناط الشيء ينوطه: إذا علقه. يقال منه: نطت القربة إذا علقتها. والنوط علق الشيء، وهو مصدر ناط، يقول: ناط الشيء بنوطه نوطاً إذا علّقه. والملاءة: الربطة، وهي مثل الرداء في العرض والطول. وقوله: أجهش القوم بالبكاء. يقال منه: أجهش نفسي، إذا نهضت إليه وهم بالبكاء. قال الطرماح: أجهش نفسي وقلت أَلَا لا تبعدوا. وقوله: حتى سكن نشيج القوم. يقال منه: نشج الباكي، ينشج إذا غصّ البكاء في حلقه ولما ينتحب. ومن ذلك نشيج الحمار، لأنه صوت في حلقه. ويقال منه: نشجت القدر: إذا غلت، والطعنة إذا سمع خروج الدم منها، صوت في داخلها.

■ العلّامة المجلسي:

حتى دخلت على أبي بكر ـ وقد حشد المهاجرين والأنصار ـ

فضرب بينهم بريطة بيضاء، وقيل قبطية... فأنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلاً حتى سكنوا من فورتهم...، ثم قالت عليها السلام: أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم.. فنيطت دونها ملاءة.. الملاءة ـ بالضم والمد ـ الريطة والازار، ونيطت بمعنى علقت أي ضربوا بينها عليها السلام وبين القوم ستراً وحجاباً، والريطة ـ بالفتح ـ الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفقين، أو هي كل ثوب لين رقيق. والقبطية ـ بالكسر ـ: ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر، وقد يضم لأنهم يغيرون في النسبة. والجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء، يقال: جهش إليه كمنع وأجهش. والارتجاج: الاضطراب. قوله: هنيئة.. أي صبرت زماناً قليلاً. والنشيج: صوت معه توجع وبكاء كما يردد الصبي بكاءه في صدره.. وهدأت ـ كمنعت ـ: أي سكنت. وفورة الشيء شدته، وفارت القدر أي جاشت.

■ الأنصاري التبريزي:

«نيطت»: بمعنى علقت من قولهم: ناط الشيء ينوطه نوطاً أي علقه، وهو من اللغات المشهورة واستعمالها في غاية الكثرة. قال الحريري: كلفت مذ ميطت عني التمائم، ونيطت بي العمائم، بأن أغشى معاني الأدب، وأنضي إليه ركاب الطلب لأعلق منه بما يكون زينة بين الأنام، ومزنة عند الأوام. وقال في السبعة العلوية:

يـنـاط عـلـيـهـا لـلـنـجـوم قـلائـد
ويـسـفـل عـنـهـا لـلـغـمـام أهـاضـيـب

ومنها نياط القلب ـ ككتاب ـ للعرق الغليظ الذي يعلق به القلب إلى

الوتين، وفعال شايع فيما يفعل به مثل نظام، وقوام، وعصام، ولباس، وكتاب، وإدام، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، ويقال للنياط النيط أيضاً، كما في ما نقل عن معاوية: (ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة إلّا وقد طعن في نيطه). وكل شيء علق في شيء فهو منوط، وموضع التعليق مناط، كما يقال: مناط المسألة كذا، وهل المراد من المناط هو النياط أم لا؟! والظاهر المغايرة، مثلاً إذا علقت قنديلا إلى سقف المسجد بعلاقة فأنت نائط، والقنديل منوط، والعلاقة نياط، والسقف مناط، وإذا قطعت النياط سقط المنوط، وانقطعت العلاقة بينه وبين المناط، فتأمل. و(دون) وهو عند بعضهم مقلوب الدنو ضد فوق، وهو تقصير عن الغاية، ويكون ظرفاً حينئذٍ يقال: هو دونه ضد فوقه، وبمعنى أمام يقال: مشى دونه أي أمامه، وبمعنى وراء يقال: هو دونه أي وراءه، فيكون من الأضداد، وبمعنى غير مثل هو دونه أي غيره. وفي الدعاء: «ليس دونه منتهى «أي ليس غيره منتهى تنتهي إليه الآمال، وقيل معناه: ليس لقربه نهاية، بناءً على إرادة القرب منه، بمعنى أن مراتب القرب منه لا نهاية لها، ويقال: شيء دون أي خسيس أو ردي، ومنه أنفق عليها نفقة دون. ويقال: شيء دون أي شريف، فيكون من الأضداد أيضاً حينئذً، ودونكه أي خذه، فيكون من باب أسماء الأفعال، ودونه خرط القتاد أي أقرب منه فيكون ظرفا، وأرجع بعضهم هذا إلى معنى التقريب عن الغاية. ودون النهر جماعة أي قبل أن يصل إليه، وهذا رجل من دون أي من حقير ساقط، قيل: ولا يقال (رجل دون) بدون من، وقال في الصحاح: الدون الحقير الخسيس أيضاً، واستشهد عليه بقوله:

إذا ما علا المرء رام العلى
ويقنع بالدون من كان دونا

ودونكه أي الزمه واحتفظ به فيكون إغراء، ولا يكون الجار الداخل على دون في بعض معانيه إلّا من ـ وهو الغالب ـ أو الباء، فيقال: من دونه أو بدونه. قال بعض المحققين: إن دون في الأصل بمعنى أدنى مكان من الشيء، يقال: هذا دون ذاك إذا كان أحط منه قليلاً، وإن تدوين الكتاب بمعنى جمعه مأخوذ منه لأن بعض ورقه يقرب من بعض. ويقال: دونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك، ثم اتسع واستعمل في الأحوال والرتب بنحو الاستعارة، وعلى ما ذكر قيل فالديوان مأخوذ منه، وأصله الدوان ـ بكسر الدال وتشديد الواو ـ قلب أحد الواوين ياء، وهو مصدر دون يدون دوانا مثل كذب يكذب كذابا، وقد يفتح الدال للتخفيف، ثم جعل الديوان اسماً للكتاب الذي يضبط أهل الجيش وأهل العطية، ومنه ديوان الأشعار لجمعها فيه على الترتيب أو بدونه، ويجمع على الدواوين، وقد يستعار الديوان لصحائف الأعمال.

ومنه الخبر: «إذا ماتت المرأة في النفاس لم ينشر لها ديوان يوم القيامة»، ومنه: «الدواوين ثلاثة» أي صحائف الأعمال، وهي ديوان النعم، وديوان الحسنات، وديوان السيئات، ويقال: إن عمر أول من دون الدواوين في العرب، أي أول من رتب الجرائد والدفاتر للعمال وغيرهم. ولم يشتق من لفظ دون فعل، فلا يبنى منه فعل التعجب أيضاً، فلا يقال: ما أدونه، وقيل: إن في اللغة فعلاً مشتقاً منه مثل دان يدون دوناً وأدانه وإدانة، والجائز هنا من معاني دون هو مثل ضد فوقه وأمامه والأقرب، والحاصل في الجميع أنه ضربت عندها ملاءة. و(الملاء) ـ بالضم والمد ـ الريطة والإزار، والواحد الملاءة، وفي حديث الاستسقاء: «فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين يطوي»، وفي المجمع: إنه كل ثوب لين رقيق، ومنه قولهم: فلان لبس العباء وترك الملاء. والمعنى أنهاعليها السلام لما

أتت إلى المسجد في القوم ضربوا بينها وبينهم حجاباً عظيماً تعظيماً لها، فجلست وراءه، وفي نسخة الكشف: «فضرب بينهم بريطة بيضاء وقيل قبطية، فأنّت.. «الخ. والريطة ـ بالفتح ـ الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين أي قطعتين، وفي حديث وصف علي عليه السلام في الجنة: «وعليه ريطتان ريطة من أرجوان النور، وريطة من كافور» ومثله في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله: «مرتدٍّ بريطتين» والجمع رياط ككلبة وكلاب. والقبطية ـ بالكسر ـ ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر، وقد يضم لأنهم يغيرون في النسب. وفي المجمع في الحديث: الفجر الصادق هو المعترض كالقباطي ـ بفتح القاف وتخفيف الموحدة قبل الألف وتشديد الياء بعد الطاء المهملة ـ ثياب بيض رقيقة تجلب من مصر، واحدها قبطي ـ بضم القاف ـ نسبة إلى قبط ـ بكسرها ـ وهم أهل مصر، والتغيير في النسبة هنا للاختصاص كما في الدهري نسبة إلى الدهر ـ بالفتح ـ. وهذا التغيير إنما اعتبر في الثياب فرقاً بين الإنسان وغيره، فأما في الناس فيبنى على اعتبار الأصل، فيقال: رجل قبطي ـ بالكسر ـ ومنه حديث من رد الله عليهم أعمالهم فجعلها هباء، قال عليه السلام: «أما والله كانت أعمالهم أشدَّ بياضاً من القباطي، ولكن إذا فتح لهم باب من الحرام دخلوا فيه» انتهى. وكذلك الأمر في النسبة إلى الدهر، حيث يطلق الدهري ـ بضم الدال ـ للإنسان الكبير في غاية الكبر، وبالفتح لمن اتخذ الدهر إلهاً ورباً، فيقال: فلان دهري مذهبا. قوله: (أنت) هو من أن الرجل من الوجع يئنّ ـ بالكسر ـ أنيناً وأناناً ـ بالضم ـ صوت. و(الجَهَش) ـ بالفتح ـ أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى امه وقد تهيأ للبكاء، يقال: جهش إليه كمنع وأجهش، وفي الحديث: «أصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله».

وعن القاموس: أجهش فلان بالبكاء: تهيأ له، فالمعنى أن القوم تهيؤوا لأجل فاطمةعَلَيْهَاالسَّلَامُ أو من جهة أنَّتها للبكاء. و(الارتجاج) الاضطراب، وعن القاموس: الرجوجة الاضطراب كالارتجاج. ورج الباب رجّاً شديداً أي زعزعه وحركه، وارتج البحر اضطرب، وارتج الظلام التبس، وفي الخبر: «من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له «أي حين تضطرب أمواجه، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾[1] قيل: أي يدق بعضها على بعض. وفي الحديث: «إن القلب ليترجج فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد على الإيمان فيستقر «والمراد من ارتجاج المجلس ارتجاج أهله، كما أن المراد من ارتجاج البحر ارتجاج مائه. و(الإمهال) الإنظار، والاسم منه المهلة، ومهلته كأمهلته: أنظرته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾[2]«وأمهلهم رويداً». و(هنية) قال في المجمع: وفي حديث الميت: (يوضع دون قبره هنية ليأخذ أهبته، لأن للقبر هيبة)، وهنية ـ بضم الهاء، وفتح النون، وتشديد الياء المثناة التحتانية ـ الزمان اليسير، ومنه مكث هنية، وفي بعض النسخ: «هنيهة «بثلاث هاءات، وهو أيضاً صحيح وفصيح، وأما هنيئة فغير صواب. وفي المصباح: إن الأصل فيها (هن) ولامها محذوفة، وفي لغة هي هاء فيصغر على هنيهة، ومنه يقال: مكث هنيهة أي ساعة لطيفة دقيقة والمراد القلة. وفي لغة هي واو وأصله هنو، فيصغر على هنيوة فتصير هنية، والهمزة كما صرحوا به مع أن الاستعمال بالهمزة لعلة أكثر، والمراد من الفقرة أنهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ أمهلت القوم عن كلامها هنية أي صبرت زماناً قليلاً عن الكلام وسكتت. و(النشيج) صوت معه توجع وبكاء كما يردد الصبي بكاءه في صدره، وفي حديث وفاة

(١) الواقعة: ٤

(٢) المزمل: ١١

النبي ﷺ: «فنشج الناس يبكون». قال في النهاية: ومنه حديث عمر: إنه قرأ سورة [يوسف] في الصلاة فبكى حتى سمع نشيجه خلف الصفوف، ومنه حديثه الآخر: فنشج حتى اختلفت أضلاعه. وفي المجمع: ومنه أقبل الشيخ ينتحب بنشيج. وفي المصباح: نشج الباكي نشيجاً إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. و(هدأ) هدءاً وهدوءاً ـ من باب منع ـ أي سكن عن الحركة، واهدئ فلان ممّا كان أي أسكن عن الحركات التي كان عليها كناية عن الموت، وأهدأه: سكته، يقال: أهدأت الصبي إذا جعلت تضرب بكفك عليه وتسكنه لينام. و(الفورة) من فارت القدر تفور فورا فورانا جاشت، والاسم الفورة، أو هي مصدر أيضاً بمعنى الجيش والغليان.

قال في المصباح: قولهم والشفعة على الفور من هذا أي على الوقت الحاضر الذي لا تأخير فيه، ثم استعمل في الحالة التي لا بط ء فيها، يقال: جاء فلان في حاجته ثم رجع من فوره، أي من حركته التي وصل فيها ولم يسكن بعدها، وحقيقته أن يصل ما بعد المجيء بما قبله من غير لبث، وفار الماء يفور إذا نبع وجرى وكأنه جاش من الأرض وغلا. و(الافتتاح) بالشيء الابتداء به، وافتتاح الكلام بحمد الله جعله ابتداء، وسيجيء معنى الحمد والثناء والصلاة، والبواقي واضحة إلّا أن البكاء ممدوداً أو مقصوراً، قيل: كلاهما بمعنى واحد وهو البكاء المطلق، وقيل: هو بالقصر البكاء بلا صوت، وبالمد البكاء معه بناء على أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، ولا يبعد أن يكونا من باب (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا)، وهو باب واسع يدخل فيه أمور كثيرة. والظاهر من كلام الراوي هنا أنهاعليها السلام حمدت الله أولاً وأثنت عليه، وصلت على رسوله بنحو الإجمال، فشرع القوم حينئذٍ في البكاء مرة ثانية بعد

أن بكوا أولاً عندما جلست وأنَّت، وحينئذٍ سكتتعليها السلام لبكاء القوم وعدم سماعهم كلامها، فأمهلتهم ريثما سكنوا عن بكائهم وسكتوا، فعادتعليها السلام حينئذٍ في كلامها.

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عَدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لاِسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لاِتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها.

■ العلّامة المجلسي:

قولها صلوات الله عليها: بما قدم.. أي بنعم أعطاها العباد قبل أن يستحقوها، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم الإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء، فيكون تأسيساً. والسبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء جمع ألى ـ بالفتح والقصر وقد يكسر الهمزة ـ. وأسدى وأولى وأعطى بمعنى واحد.

قولها: والاها.. أي تابعها، بإعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل. وجم الشيء أي كثر، والجم: الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدي والتجاوز. قولهاعليها السلام: ونأى عن الجزاء أمدها.. الأمد ـ بالتحريك ـ: الغاية المنتهى، أي بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد أما الأمد المفروض، إذ لا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقي لكل حدّ من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها، وقد

مرّ في كثير من الخطب بهذا المعنى. وقال في النهاية في حديث الحجاج: «قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر»، أراد أنه ولد لسنتين من خلافته، وللإنسان أمدان، مولده وموته. انتهى. وإذا حمل عليه يكون أبلغ، ويحتمل ـ على بعد ـ أن يقرأ بكسر الميم، قال الفيروز آبادي: الأمد: المملوء من خير وشر، والسفينة المشحونة. وتفاوت عن الإدراك أبدها.. التفاوت: البعد، والابد: الدهر والدايم والقديم الأزلي، وبعده عن الإدراك لعدم الانتهاء. وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها.. يقال: ندبه للامر وإليه فانتدب.. أي دعاه فأجاب، واللام في قولها: لاتصالها.. لتعليل الندب.. أي رغبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر لتكون نعمة متصلة لهم غير منقطعة عنهم، وجعل اللام الأولى للتعليل والثانية للصلة بعيد، وفي بعض النسخ: لافضالها، فيحتمل تعلقه بالشكر. واستحمد إلى الخلائق بإجزالها.. أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: اجزلت له من العطاء.. أي أكثرت، وإجزال النعم كأنه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم، وعلى التقديرين: التعدية بالى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه، وهذه التعدية في الحمد شائعة بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله، قيل: أي أحمده معك، وقيل: أي أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها، ويحتمل أن يكون استحمد بمعنى تحمد، يقال: فلان يتحمد علي.. أي يمتن، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد. وثنى بالندب إلى أمثالها.. أي بعد أن أكمل لهم النعم الدنيوية ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأخروية أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية، ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف، وهو انعام على المحسن إليه وعلى المحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للعوارض والمثوبات الدنيوية والأخروية.

■ الأنصاري التبريزي:

(الحمد) هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري بقصد التعظيم والتبجيل للممدوح، سواء كان على النعمة أو غيرها، والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام أي الإتيان به من جهة إحسانه سواء كان ذلك ذكراً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان، وعليه قول القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يداً ولساناً والضمير المحجَّبا

فالحمد أعم من جهة المتعلق وأخص من جهة المورد، والشكر بالعكس فبينهما عموم من وجه، وفي الحديث: «الحمد رأس الشكر «ووجهه ان ذكر النعمة باللسان، والثناء به على المنعم بالنعمة أدل على مكانها من الاعتقاد، لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح والأعمال من الاحتمال بخلاف عمل اللسان، هو الذكر الجلي المفصح عن كل خفي، المنبئ عن الضمائر والمنهى عن اسرار السرائر. وفي النهاية: إن الحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته. وفي المصباح: حمدته على صفاته الجميلة، وأفعاله الاختيارية التي ليست خلقية، كما يقال: حمدته على شجاعته، وحمدته على إحسانه أي أثنيت عليه، ومن هنا كان الحمد غير الشكر، لأنه يستعمل للصفة في الشخص وفيه معنى التعجب، ويكون فيه معنى التعظيم للممدوح وخضوع المادح، كقول المبتلى: (الحمد لله) إذ ليس هنا شيء من نعم الدنيا ليكون في مقابله إحسان يصل إلى الحامد، وأما الشكر فلا يكون إلّا في مقابلة الصنيع، فلا يقال: شكرته على شجاعته، انتهى.

و(الثناء) اسم من أثنيت على زيد بالألف أي مدحته، واستعماله في الذكر الجميل أكثر من القبيح، وفي مشارق الأنوار للهروي: أنه ورد في الخبر «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، وأنتم شهداء الله في الأرض». قال في مطالع الأنوار ـ شرح الكتاب المزبور ـ: فإن قلت: الثناء بتقديم المثلثة على النون إنما يستعمل في الخير، والنثاء بتقديم النون على المثلثة يستعمل في الشر، فكيف وقع في الحديث استعمال الثناء في الشر؟ قلت: ليجانس استعماله في الخير، وفيه رمز أيضاً إلى أن في ذلك خيراً أيضاً، لأنه ربما يصير سبب التوجه إلى الطاعة للسامعين، ويكون موجباً للتوبة والإقدام عليها وفيه خير كثير، وقيل: الثناء بتقديم المثلثة يستعمل فيهما، وبتقديم النون لا يستعمل إلّا في الشر، انتهى. وأما المدح فهو الثناء الحسن، ومدحه وامتدحه بمعنى وكذا المدحة ـ بكسر الميم ـ، ومدحته من باب نفع أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية، ولهذا كان المدح أعم من الحمد فيقال: مدحت اللؤلؤ لصفاته، ولا يقال: حمدته. و(الإنعام) بالشيء على أحد إعطاؤه له، وأصل النعمة ينبئ عن معنى النعومة واللين والسهولة، فتطلق لكل ما فيه جهة وسعة واستراحة للإنسان وهو يتنعم به مطلقاً، فتطلق على الأمن، والصحة، والمال، والدِّين، والمعرفة وغير ذلك من الفيوض الدنيوية والأخروية، ويجمع النعمة على النعم. و(ما) في (على ما أنعم) إما مصدرية أي على إنعامه، أو موصولة بحذف العائد أي على ما أنعم به، وعلى قياسه قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (على ما ألهم) أي على إلهامه أو على ما ألهمه، وبما قدم أي بتقديمه أو بما قدمه، وعلى الموصولية يكون قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: «من عموم نعم» بياناً للموصولة، ويجوز بدل الموصولة جعلها نكرة موصوفة، والعموم

على كون (من) بيانية على أحد الوجهين بمعنى العام. و(السبوغ) بمعنى السابغ و(التمام) بمعنى التام، عبر بالمصدر دلالة على المبالغة مثل زيد عدل، وعلى المصدرية يجعل (من) تبعيضية أو تعليلية، والمراد ممّا أنعم به النعم الظاهرية كالحياة والصحة ونحوهما لظهور النعمة في النعم الظاهرية، والمراد ممّا ألهم النعم الباطنية كالعلم والمعرفة وغيرهما. ويؤيده الإتيان بلفظ الشكر الحاصل بعمل القلب أيضاً، بملاحظة مناسبة الشكر والمشكور عليه مع دلالة لفظ الإلهام على كونها من الأمور القلبية، والمراد ممّا قدمه هو النعم المقدمة على النعمتين المتقدمتين، وهي نعم الاستعدادات والقابليات بقرينة الإشعار الموجود في التعبير بلفظ التقديم. أو المراد ممّا قدم خصوص نعم أعطاها الله العباد قبل أن يستحقوها، والمراد بالتقديم الإيجاد والتفضل بلا ملاحظة معنى الابتداء، وحينئذٍ يكون (من عموم نعم) ناظراً إلى ما أنعم، و(سبوغ آلاء) إلى ما ألهم، و(تمام منن) إلى ما قدم على طريق اللف والنشر المرتب، ويحتمل المشوش، وأن يجعل كل فقرة عاماً لكل وناظراً إلى كل، والموصولات حينئذٍ متغايرة في المعنى أو متحدة وكذا البيانات، فيحصل صور كثيرة. والتكرار الحاصل في بعض الصور في المبين والبيان أو كليهما إفادة للتأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] مبالغة في إبداء نعم الله وإظهارها ليكون ذلك ثناء آخر من باب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]. والحمد لله إخبار عند الفراء، قال: وفيه إضمار كأنه قال: احمدوه وقولوا: الحمد لله، والأظهر أن يقال: إنه جملة إخبارية في الأصل، ثم استعمل في معنى الانشاء، فإن المتبادر

---

(١) فاطر: ٣٥

(٢) الضحى: ١١

من قول هذه الجملة ـ أي الحمدلله ـ إنشاء الحمد لله، واستعمال الجمل الخبرية في مورد الانشاء كثير في الجملة، إما فعلية ما ضوية مثل صيغ العقود والأدعية نظير: بعت، وأنكحت، وأيدك الله، ورحمك الله، أو فعلية استقبالية مثل: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، أو اسمية مثل: الحمد لله وله الشكر ونحو ذلك. والإضمار خلاف الأصل مع أن التبادر العرفي يحكم بكون الجملة إنشائية، كما تقول بعد حصول النعمة: (الحمد لله) بقصد أن تحمده، ثم إنهم قالوا: إن العبد إذا حمد الله فقد ظفر بأربعة أشياء: قضى حق الله، وأدى شكر النعمة الماضية، وتقرب من استحقاق ثواب الله، واستحق المزيد من نعمائه. و(الإلهام) هو الإلقاء في الروع، يقال: ألهمه الله خيراً أي لقنه، و(فألهمها فجورها وتقواها) أي بينها. والإلهام قسم من الوحي، وهو والإيحاء الإعلام في خفاء، فيستعمل كل منهما بمعنى الإلقاء في الروع لكونه نوعاً من الإعلام في خفاء، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[1] أي ألهمها وقذف في قلوبها، وعلمها على وجه لا سبيل لأحد على الوقوف عليه، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[2] فإنه أيضاً وحي إليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[3]. ثم غلب الوحي والإيحاء بمعنى الإلهام فيما يلقى إلى الأنبياء بواسطة الملك، والإلهام فيما يلقى مطلقاً بلا وساطته، فيكون الإلهام أعم من الوحي، فالوحي مخصوص بالأنبياء والإلهام أعم منهم ومن الأولياء. و(العموم) في الأصل الكثرة، ويتولد منه معنى الشمول والإحاطة، وهو هاهنا إما بمعناه الأصلي أو الاستيلادي،

---

(١) النحل: ٦٨

(٢) القصص: ٧

(٣) الأنعام: ١٢١

بلا تأويل ومع تأويله بمعنى الوصف. و(الابتداء) بالشيء الافتتاح به، وهو كناية عن إيجاده أول حالة فيشمل معنى الاختراع، وهو بمعنى الإيجاد لا من شيء كما قيل. و(الإبداع) وهو الإيجاد بلا علة، وقيل: الإبداع والاختراع كلاهما بمعنى واحد، قال الجوهري: أبدعت الشيء اخترعته، وقال الزمخشري: أبدع الله الأشياء ابتدعها من غير سبب. ويؤيد الفرق ما رواه الصدوق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد: «الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداء بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلة فلا يصح الإبتداع «ولكن في هذه الخطبة ـ كما سيجئ عن قريب ـ: «ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمثلها». ويظهر من هذا أن الإبداع بمعنى الإيجاد لا من شيء فينعكس الفرق، لكن الظاهر عند الإطلاق هو الفرق على النحو المذكور في خبر التوحيد، وجواز استعمال كل في كل عند التقييد، والوارد في الخطبة من هذا القبيل، ويمكن أن يقال: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. وفي الدعاء: «يا مبتدئ بالنعم قبل استحقاقها» إما بمعنى المبدع أو المخترع، أو بمعناه الأصلي الذي هو مطلق الابتداء، ويقال: ابتدأه بمعنى أوجده وأنشأه بلا مثال، والمبدئ للشيء هو الذي أنشأه واخترعه ابتداء من غير سابق مثال أيضاً، فيكون هو بمعنى المنشئ أيضاً على وجه كالمبتدئ، وقد يقال: اخترع وابتدع وابتدأ وأبدأ وأنشأ كلها بمعنى أوجد وأحدث مطلقاً. والبادي في أسماء الله تعالى اما بمعنى الأول أو الظاهر أو المبدي، والسبوغ من سبغ الثوب سبوغاً تم وكمل، وسبغت الدرع وكل شيء إذا طال من فوق إلى أسفل. ونعمة سابغة أي كاملة طويلة، وسبغت النعمة اتسعت وأسبغها الله تعالى وأكملها، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ

ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] وبمعنى الشمول أيضاً استلزاماً واستيلاداً، وقوله: «يا سابغ النعم، يا دافع النقم» أي تام النعم أو كاملها أو شاملها. (والآلاء) النعم أيضاً، واحدها (آلى) بالقصر والفتح وقد تكسر الهمزة، وفي الغريب: واحدها (ألى) بالحركات الثلاث، قيل: وبسكون اللام أيضاً وهي مطلق النعمة، وقيل: الآلاء هي النعم الباطنية، والنعم هي الظاهرية وقد يعكس الأمر فيهما، والظاهر أنّهما من باب إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. وفي الحديث: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، قيل: أي في نعمه الباطنية، ويجوز إرادة الظاهرية، بل الأعم أيضاً، والظاهر أن المراد في الحديث من الآلاء هو الموجودات مطلقاً، أي تفكروا في موجوداته تعالى وفي آثار صنعه، ولا تفكروا في ذات الله فإن التفكر في ذات الله لا يزيد إلّا تحيراً كما في خبر آخر. و(الإسداء) بمعنى الإعطاء، يقال: أسداه كأولاه وأعطاه لفظاً ومعنى، من سدى الثوب ـ كحصى ـ وهو ما امتد طويلاً من خيوطه مقابل اللحمة، يقال: أسديته معروفاً وأسديت إليه أي أعطيته، وفي الخبر: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه». و(التمام) الكمال من تم يتم من باب ضرب، قال:

إذا تم أمر دنا نقصه
توقع زوالا إذا قيل تم

وتم الشيء تماماً ـ بالفتح ـ وأتمه غيره وتممه واستتمه بمعنى، قيل: والاسم من الإتمام أيضاً التمام ـ بالفتح ـ وولد الولد لتمام الحمل ـ بالفتح والكسر ـ بمعنى، وألقت المرأة الولد لغير تمام بالوجهين، وكذا قمر تمام وتمام إذا تمَّ ليلة البدر، وليل التمام ـ مكسورة لا غيره ـ وهو أطول ليلة في السنة، قال الشاعر:

(١) لقمان: ٢٠

فبت أكابد ليل التمام   والقلب من خشية مقشعر

ويقال: بدر تمّ بالإضافة وبدونها مع تثليث التاء والكسر، ويقال: مضى لِتَمّ خمس أي عند تمامها. و(المنن) جمع المنة - بالكسر - بمعنى النعمة، والمنان هو المنعم المعطي من المن بمعنى العطاء والإحسان لا المنة، وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئاً منة واعتد به، وأصله أيضاً من المن بمعنى الإحسان، فالمراد من المنان العاد لمننه بأني فعلت لك كذا وكذا، وهو من قباح الأوصاف وشيمة الأراذل لا الأشراف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[2]. ومن بلاغة الزمخشري: «طعم الآلاء أحلى من المن، وهو أمر من الآلاء عند المن «أراد بالمن الأول المن المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[3] وبالثاني تعديد النعم، وهو محمود من الله مذموم من العبد مطلقاً، وبالآلاء الأول: النعم، وبالثاني: الشجر المر. و(والاها) أي تابعها بإعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل من الموالاة في الأشياء، أي المتابعة بينها بأن يتبع بعضها بعضاً، ومنه الموالاة في أعضاء الوضوء أي في غسلها، فيكون والاها بمعنى والى فيها، أو هو متعد أي أتبع بعضها بعضاً. أو أن والاها بمعنى باشرها أي باشر إعطاءها، وأصله من الولى بمعنى القرب، ومنه انشعب معنى المتابعة والمحبة والنصرة والسيادة وغير ذلك من الفروعات الكثيرة. (وجمّ) الشيء أي كثر، والجمُّ الكثير صفة أو مصدر بمعنى الفاعل، قال

---

(١) المدثر: ٦

(٢) البقرة: ٢٦٤

(٣) الأعراف: ١٦٠

تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1] أي كثيراً، ويقال: جاء القوم جماً غفيراً والجماء الغفير أي مجتمعين كثيرين، والجماء الغفير: الجماعة من الناس أيضاً. وورد في الخبر جمّ الغفير، بحذف اللام من الجم وإضافته إلى الغفير، نظير صلاة الأولى، ومسجد الجامع، وأصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة، والغفير من الغفر وهو التغطية والستر، ومنه الغفور أي الساتر للذنوب كناية عن العفو، فاستعمل الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة كأن الجماعة الكثيرة ساترون لوجه الأرض من جهة الكثرة. وفي نحو (جاؤوا الجماء الغفير) قيل: النصب على المصدر كطُرّاً وقاطبةً، وهي أسماء وضعت موضع المصدر، والمشهور انها منصوبة على الحالية أي مجتمعين، وأنها أي الجماء الغفير معرفة لفظاً ونكرة معنى مثل وَحدَك بمعنى منفرداً، وتأنيث الجماء باعتبار الجماعة، وعدم تغير الغفير لكونه على وزن المصدر فعومل معاملته، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2] لكونه على وزن صهيل ونهيق. وفي المصباح: جمّ الشيء جما من باب ضرب كثر [فهو جمّ تسمية بالمصدر، ومال] جم أي كثير، وجاؤوا الجمّاء أي بجملتهم، وظاهره أيضاً الحالية، وتعدية جم بعن لتضمين معنى التعدي والتجاوز. و(الإحصاء) العد والحفظ، والمحصي من أسماء الله تعالى بمعنى الذي أحصى كل شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل، وفي الحديث: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة). قيل: أي من أحصاها علماً بها دخل الجنة، وقيل: أي حفظها على قلبه، وقيل: أراد من استخرجها من كتاب الله وأحاديث رسوله، لأن

---

(١) الفجر: ٢٠

(٢) التحريم: ٤

النبي ﷺ لم يعدها مجتمعة، وقيل: من أطاق العمل بها مثل من يعلم أنه بصير، فيكف لسانه وسمعه عمّا لا يجوز له، وكذلك في الأسماء. وقيل: أراد مَنْ أخطرَ بباله عند ذكرها معناها، وتفكر في مدلولها، معظماً لمسماها، ومقدساً لذاته تعالى، ومعتبراً بمعانيها، ومتدبراً راغباً فيها وراهباً، وبالجملة ففي كل اسم يجريه على لسانه يخطر بباله الوصف الدال عليه، بانياً على العمل بمفاده ومضمونه. وفي خبر آخر: (لا أحصي ثناء عليك) أي لا أحصي نعمك والثناء بها عليك، ولا أبلغ الواجب فيه، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[1] هو أيضاً من أحصى الشيء إذا عده كله، أي أحصى ما كان وما يكون منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة من فتنة، أو زلزلة، أو خسف، أو أمة أهلكت أو تهلك فيما بقي، وكم من إمام عادل وجائر يعرفه باسمه ونسبه، ويموت موتاً أو يقتل قتلاً إلى غير ذلك. و(نأى) عنه أي بعد، وقوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[2] أي تباعد عن ذكر الله من النأي بمعنى البعد. و(الجزاء) اسم من جازاه إذا كافاه من أجزءني الشيء أي كفاني، ومجرده جزى بمعنى كفى أيضاً، وجزاء العمل عوضه وما يترتب عليه لأنه بدله وهو عوض لازم له كاف عنه. و(الأمد) ـ بالتحريك ـ الغاية والمنتهى أي بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد إمّا الأمد المفروض إذ لا أمد لها حقيقة، أو الأمد الحقيقي لكل حد من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداءها أي نهايتها من الطرف الأول، وورد بهذا المعنى في الموارد الكثيرة. قال في النهاية: في حديث الحجاج قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين من خلافته،

---

(١) الجن: ٢٨

(٢) فصلت: ٥١، الإسراء: ٨٣

وللإنسان أمدان مولده وموته، انتهى. وإذا حمل عليه كان الكلام أبلغ وأفصح كما لا يخفى، وفي المجمع: الأمد هو نهاية البلوغ وجمعه آماد، يقال: بلغ أمده أي غايته، وعن الراغب: الأمد والأبد متقاربان لكن الأبد عبارة عن مدة الزمان التي ليس لها حد محدود ولا يتقيد، فلا يقال: أبد كذا، والأمد مدة مجهولة إذا أطلق وقد ينحصر ويقيد، نحو أن يقال: أمد كذا، والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية، ولذلك قال بعضهم: المدى والغاية متقاربان في قوله تعالى: ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾[1] أي مسافة واسعة، وفي حديث وصفه تعالى: (لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه)، وقيل: أي لا أول، وفي الدعاء: (جعلت له أمداً محدوداً) أي منتهى إليه. ويحتمل على بعد أن يقرأ الأمد في الخطبة بكسر الميم، قال الفيروز آبادي: الآمد المملوء من خير وشر، والسفينة المشحونة. و(التفاوت) البعد وأصله من الفوت، و﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[2] أي إضطراب واختلاف، وتفاوت الشيئان تفاوتاً ـ قيل بحركات الواو والضم أكثر ـ أي تباعد ما بينهما، وفات الأمر فوتاً أي انقضى وقت فعله، وفاتت الصلاة خرج وقتها، وفاته الشيء فوتاً وفواتاً أعوزه، وفاته فلان بذراع سبقه بها. و(الأبد) الدهر ويقال الدهر الطويل الذي ليس بمحدود، قال الرماني: فإذا قلت: لا أكلمه أبداً، فالأبد من لدن تكلمته إلى آخر عمرك، ويقال: أبد أبيد كما يقال: دهر داهر، ويقال: أبد الأبيد وأبد الآبدين كما يقال: دهر الداهرين وعوض العائضين، والأبد أيضاً الدائم. وفي حديث الحج قال له سراقة بن مالك: أرأيت متعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ قال ﷺ: لا بل لأبد الأبد، أي هذه لآخر

(١) آل عمران: ٣٠

(٢) الملك: ٣

الدهر والتأبيد، ومنه: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً أي مخلداً إلى آخر الدهر - واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وافعله أبداً أي دائماً. ويطلق الأبد على القديم الأزلي الذي لا نهاية له من الطرف الأول، والقديم الأبدي الذي لا نهاية له من الطرف الآخر كالأبدي نظير الأوحد والأوحدي، وبعدها عن الإدراك لعدم انتهائها، إذ لو كان لها انتهاء تعلق بها الإدراك بخلاف مالاً نهاية له. و(ندبه) للأمر وإليه فانتدب أي دعاه فأجاب فهو نادب وذاك مندوب، والأمر مندوب إليه، والاسم الندبة كغرفة، ويقال: إنتدبه للأمر بمعنى ندبه أيضاً فهو يتعدى ولا يتعدى، وانتدب الله لمن خرج في سبيله أي أجابه إلى غفرانه، أو ضمن، أو تكفل، أو سارع بثوابه. والندب - بالتحريك - كالخطر لفظاً ومعنى وهو عوض الإجابة، فالمندوب الشرعي بمعنى المندوب إليه لكن حذفت الصلة لفهم المعنى كما يقال: المشترك بمعنى المشترك فيه، والظرف المستقر بمعنى المستقر فيه على وجه. ومن الندب المذكور ندب الميت بمعنى بكى عليه وعد محاسنه، كأن النادب يذكر محاسنه ويدعو الناس إلى البكاء عليه، وفي الخبر: «كل نادبة كاذبة إلّا نادبة سعد «وندبته بعثته أيضاً تفرعاً من معنى الدعوة. و(الاستزادة) طلب الزيادة والضمير للنعمة، واللام في قولهاعليها السلام: «لاستزادتها «بمعنى إلى، أي دعاهم إلى استزادتها أي إلى أن يطلبوا زيادة نعمه بأن يكون طلبهم لها بسبب الشكر الموجب للمزيد، واللام في اتصالها لتعليل الندب أي رغبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر لتكون نعمه متصلة لهم غير منقطعة عنهم، ويحتمل أن يجعل اللام الأولى للتعليل والثانية للصلة متعلقة بالشكر، أي بأن يشكروا على اتصال نعم الله ليحصل لهم الزيادة أيضاً. ويؤيده ما في بعض النسخ من قولهاعليها السلام: «لإفضالها» بدل لاتصالها، لتعلق اللام

حينئذٍ بالشكر البتة، وبالجملة فالفقرة المذكورة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(1). و(الخلائق) جمع الخليقة بمعنى الطبيعة والجبلة المطبوع عليها الشيء، ويكنى بها عن مطلق المخلوق، وفي حديث الخوارج «هم شر الخلق والخليقة» قال بعض الشارحين: الخلق الناس والخليقة البهائم، وقيل: هما بمعنى ويريد بهما جميع الخلائق، يقال: هم خلق الله وخليقة الله، ولا يخفى أن أصل الخلق في اللغة التقدير، يقال: خلقت الأديم للسقاء أي قدرت له، وخلق الرجل القول افتراه. وفي تفسير النعماني عن الصادق عليه السلام، عن علي عليه السلام أنه سئل عن الخلق فقال: هو على ثلاثة أوجه، فمنه خلق الاختراع كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(2) وخلق الاستحالة مثل قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾(3) و﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾(4) وخلق التقدير كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾(5) والمراد التقدير المحض. وقال الصدوق في التوحيد: اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى خلق التقدير أن الله عالم بمقاديرها. وقال أيضاً في الكتاب المذكور في معنى الخالق: إن الخلق في اللغة تقديرك الشيء، وإن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، وخلق عيسى من الطين كهيئة الطير هو خلق تقدير أيضاً، ومكون الطير وخالقه في الحقيقة هو الله تعالى. وقال بعض الأعلام: قد يظن أن الخالق البارئ المصور في أسماء الله تعالى

(1) إبراهيم: ٧

(2) الفرقان: ٥٩

(3) الزمر: ٦

(4) غافر: ٦٧

(5) المائدة: ١١٠

ألفاظ مترادفة، وان الكل يرجع إلى معنى الخلق والاختراع، وليس كذلك بل كلما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره أولاً، وإيجاده على وفق التقدير ثانياً، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً، فالله تعالى خالق من حيث هو، مقدر وبارئ من حيث هو، مخترع وموجد ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1] بمعنى أحسن المقدرين والمصورين. أو أن الخالق قد يطلق بمعنى الأعم، وهو ما يشمل لمعنى الموجد ولمعنى مظهر الخلق، إذا كان ذلك المظهر فاعلاً مختاراً، فيشمل الله تعالى وسائر الخلق، فقيل بهذا الاعتبار أحسن الخالقين نظير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[2]. وذكر الصدوق في التوحيد أنه دخل عبد الكريم بن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال: أليس تزعم أن الله خالق كل شيء؟ فقال الصادق عليه السلام: بلى، فقال: وأنا أخلق، فقال له: وكيف تخلق؟ قال: احدث في الموضع ثم ألبث عنه فيصير دوابا فأكون أنا الذي خلقتها، فقال عليه السلام: أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه؟ قال له: بلى، قال: فتعرف الذكر منها من الأناث، وتعرف كم عمرها؟ فسكت. ويظهر ممّا ذكر أن الخالق في أسماء الله تعالى من الخلق بمعنى الانشاء بلا مادة ولا مثال ولا سبب ولا علة، وأنه يستلزم أموراً ثلاثة: التقدير، ثم الانشاء على وفقه بلا تغيير ولا تبديل، ثم العلم بما يؤدي إليه خلقه، ونحو هذا هو التقدير الكامل. وهذا الخلق مخصوص لله تعالى، ولا خالق بهذا المعنى إلّا الله، وهل من خالق غير الله، ولا مؤثر في الوجود إلّا الله، وهو خالق النور والظلمة، والخير والشر، والرحمة والغضب، والنجاة

---

(١) المؤمنون: ١٤

(٢) الجمعة: ١١

والعطب، والأنبياء والشياطين، والسعادة والشقاوة. وورد في الأخبار الكثيرة أيضاً في الكافي وغيره ما حاصله أن خالق الخير والشر هو الله، وأنه تعالى أجرى الخير بيد من أحبه، وأجرى الشر بيد من أبغضه، وأن من قال إن الشيطان خلق الشر فقد أشركه مع الله في سلطانه، وقال تعالى في القرآن المجيد بعد ذكر الحسنة والسيئة: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[1]. ومن أوّل الأحاديث المذكورة بأن المراد من خلق الخير والشر هو خلق الخير والشر بخلق التقدير لا خلق التكوين، وأن معنى خلق التقدير أنه منقوش في اللوح المحفوظ، وأن خلق التكوين وهو وجود الخير والشر في الخارج من فعلنا، فلم يفقه الحديث بل ضل ضلالاً بعيداً، ولم يفرق بين الخلق والفعل، وأشرك العبد مع الله، بل صار حاله أشد من الثنوية، فإنهم جعلوا الشيطان خالق الشر وحده، وهذا أشرك معه تعالى جميع العباد، وأضاف الخير أيضاً إلى الشر، فجعل الأفعال الخيرية أيضاً مخلوقة لغير الله سبحانه مع أن الخالق غير الفاعل، والعبد مظهر الفعل باختيار، وخالق الفعل ومخرجه من العدم إلى الوجود هو الله سبحانه، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، له الملك وله الحمد وإليه ترجعون، لا إله إلّا الله، ولا مؤثر في الوجود إلّا الله، ولا معنى لنسبة خلق التكوين في الأفعال إلى عباد الله. نعم الله تعالى خالق كل شيء بالخلق التقديري أيضاً في كل المراتب، وله التقدير الكامل فيما اشتمل على القيود الثلاثة المذكورة، وله التقدير في الجملة مع قطع النظر عن الأول والآخر فيما كان له مادة سابقة، وبلحاظ التقدير الأخير ورد قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

(١) النساء: ٧٨

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1]. فالخالق لأفعال العباد أيضاً في الحقيقة هو الله سبحانه، ولا يلزم من ذلك أن يكون هو الفاعل لها، فإن الفاعل غير الجاعل، إذ الفاعل للفعل هو المظهر المختار، والجاعل هو الموجد باختيار هذا المظهر المختار له، فالعبد يختار المشي إلى المسجد أو الخمار، والله يخلقه بذلك الاختيار، فيكون العبد فاعلاً لا جاعلاً، والله تعالى خالقاً لا فاعلاً، وليس في الأخبار ما ينافي ما ذكرنا بل كلها منطبقة على ما قررنا. وقد بسطنا الكلام في المقام في كتاب (الأصول المهمة) الذي صنفناه في أصول الدين، ومن أراد التفصيل فليراجع ثمة حتى يتبدل شكه باليقين. و(الإجزال) من الجزيل بمعنى العظيم، يقال: عطاء جزل وجزيل، وأجزلت لهم في العطاء أي أكثرت، وأجزلهم نصيباً أي أكثرهم وأوفرهم، وأجزل الله عليهم العطاء أي وسّعه. وأصل الجزل من جزل الحطب جزالة أي عظم وغلظ، ثم استعير للعطاء الكثير والأمر الخطير، ومنه الجزل للعاقل الكريم والجزيل للشيء الأفضل الحسن للاشتمال على العظم الصوري أو المعنوي، ورأي جزيل أي حسن، ويجيء بمعنى التام الكامل أيضاً، وقال في النهاية: وكلام جزل أي قوي شديد. وقولها عليها السلام: (واستحمد إلى الخلائق بإجزالها) أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، أو أن إجزال النعم كأنه طلب الحمد منهم، وعلى التقديرين التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه، وهذه التعدية في الحمد شائعة، ويجوز أن يكون استحمد بمعنى تحمَّد، يقال: فلان يتحمد علي أي يمتنُّ علي، فيكون إلى بمعنى على وهو بعيد. وفي الأخبار: أمّا بعد، فإني أحمد إليك الله، أو أحمد الله إليك، أي منهياً حمدي أو موجهاً له إليك، وفي المجمع: إن إلى هنا

(١) المؤمنون: ١٤

بمعنى مع، أي أحمد معك وأحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياه، وهو قد أخذ هذين المعنيين من النهاية. و(الثناء) بالكسر والمد أن يفعل الشيء مرتين، وقيل بالكسر والقصر الأمر يعاد مرتين، ومنه التثنية للاثنين، والأثناء جمع الثني بالكسر فالسكون بمعنى العطف، فالأثناء بمعنى أوساط أعطاف الثوب وهي معاطيفه وتضاعيفه.

وفي حديث عوف بن مالك أنه سأل النبي ﷺ عن الإمارة فقال ﷺ: أولها ملامة، وثناؤها ندامة، وثلاثها عذاب يوم القيامة، أي ثانيها وثالثها. وثنيت الشيء ثنياً ـ من باب رمى ـ إذا عطفته ورددته، وثنيته عن مراده إذا صرفته عنه، قال في المصباح: ومنه الاستثناء لصرف العامل عن تناول المستثنى، فيكون حقيقة في المتصل والمنفصل، وقيل: بمعنى الإخراج، وفيه يتصور الصرف الحقيقي فيكون حقيقة في المتصل وحده، وهذا كله بحسب معناه اللغوي، وإلّا فالاستثناء في الاصطلاح حقيقة فيهما، وهو الواقع بعد أداته مطلقاً. وثنيته ـ من باب رمى ـ إذا صرت معه ثانياً، والثاني اسم فاعل منه كالثالث من قولهم: ثلاثة، أي صار ثالثاً له، قال المتنبي:

أثالث فإنا أيها الطلل
نبكي وترزم تحتنا الإبل

وثناه كرماه إذا منعه ودفعه، قال في العلوية:

مارمت بعدك بالمدائن صبوة
إلا ثنى الثاني هواك الأول

وثنيته ـ بالتفعيل ـ جعلته اثنين، وثنى في الخطبة يجوز أن يكون بالتخفيف والتشديد، أي بعد أن أكمل الله لهم النعم الدنيوية

ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأخروية، أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية. ويجوز أن يكون المراد من الندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف، وهو إحسان على المحسن إليه والمحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيوية والأخروية. و(الأمثال) جمع المثل - بالكسر - بمعنى المشابه والمماثل، وفي حديث علي عليه السلام في قصة ذي القرنين: (وفيكم مثله) أي شبهه ونظيره، وهو بفتحتين بمعنى الصفة مثل ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾[1] أي صفة بمعنى بين، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[2] أي الوصف الأعلى، و﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3] أي صفتها. وبمعنى الصورة مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4] وبمعنى العبرة العجيبة أيضاً تشبيهاً بالمثل السائر، وهو ما شبه مضربه بمورده وكأنه صفته أو صورته، وهو المسمى بالاستعارة التمثيلية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5] و﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾[6]. وبمعنى المثل أيضاً كالمثيل بمعنى الشبه والنظير، يقال: هو مثله أي شبيهه، وبمعنى الدليل والحجة يقال: أقام له مثلاً أي حجة ودليلاً، وبمعنى الحديث يقال: بسط له مثلاً أي حديثاً، وقيل: المثل والمثل كلاهما بمعنى واحد، وقيل: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ويجمع كلاهما على الأمثال، مثل جمل وأجمال، وحمل وأحمال، وأما الأمثلة فهي جمع مثال كألبسة ولباس.

---

(١) إبراهيم: ٢٤

(٢) النحل: ٦٠

(٣) الرعد: ٣٥

(٤) يونس: ٢٤

(٥) الزخرف: ٥٩

(٦) الزخرف: ٥٦

وفي حديث كميل بن زياد عن علي عليه السلام: يا كميل مات خزان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. قال بعض الشارحين: الأمثال جمع مثل ـ بالتحريك ـ وهو في الأصل بمعنى النظير، ثم استعمل في القول السائر الممثل الذي له شأن وغرابة، وهذا هو المراد بقوله عليه السلام: (وأمثالهم في القلوب موجودة) أي حكمهم ومواعظهم محفوظة عند أهلها، يعملون بها ويهتدون بمنارها. ويجوز أن يكون المراد أن صورهم محفوظة في قلوب الناس لأنهم يذكرونهم أبداً، ويتصورونهم دائماً من جهة تذكرة علومهم وحكمهم ومصنفاتهم ومؤلفاتهم، ويؤيدهم مقابلة الأمثال بالأعيان، وذكر الشيء يوجب تصوره وحفظ صورته أبداً في القلب والبال.

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته
ما فاته وفضول العيش أشغال

ثمَّ إنَّ في بعض النسخ بدل قولها عليها السلام (على ما ألهم) بما ألهم، وبدل (ابتدأها) أتبعها، وبدل (أسداها) أنشأها، وبدل (تمام منن أولاها) وإحسان منن أولاها، وبدل (الجزاء) المجازاة، وبدل (أمدها) مزيدها، وبدل (ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها) قولها: واستتب الشكر بفضائلها واستخذاء الخلق بإنزالها، وبدل (ثنى بالندب) أمر بالندب، والاستباب للأمر التهيؤ له، والاستخذاء التذليل أي ذلل الخلق بإنزال نعمه عليهم، فجعلهم تحت نعمه مغمورين، فذلت أعناقهم لها خاضعين.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها،

■ العلاّمة المجلسي:

كلمة جعل الإخلاص تأويلها: المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لان من أيقن بأنه الخالق والمدبر، وبأنه لا شريك له في الالهية فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الأمور إلى غيره. وضمن القلوب موصولها.. هذه الفقرة تحتمل وجوهاً:

الأول: أن الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك ممّا يؤول إلى التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب ممّا أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، أو بما

فطرهم عليه من التوحيد.

الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها، وصريح مغزاها، وهو المراد بالموصول.

الرابع: أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب، أي لم يلزم القلوب إلّا ما يمكنها الوصول إليه من تأويل تلك الكلمة الطيبة، والدقايق المستنبطة منها أو مطلقها، ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأول، بل مطلقاً. وأنار في الفكر معقولها: أي أوضح في الأذهان ما يتعلق من تلك الكلمة بالتفكر في الدلائل والبراهين، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أو الفكر - بصيغة الجمع - أي أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول، وهذا يؤيد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة. والممتنع من الأبصار رؤيته،. يمكن أن يقرأ الأبصار - بصيغة الجمع والمصدر -، والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التام. ومن الألسن صفته: الظاهر أن الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير أي بيان صفته. ولا من شيء: أي مادة. وبلا احتذاء أمثلة امتثلها: احتذى مثاله اقتدى به وامتثلها.. أي تبعها[1].

■ الأنصاري التبريزي:

الشهادة تجيء بمعنى الحضور والمعاينة، يقال: شهده متعدياً بنفسه

---

(١) أقول: عبارة «و لم يتعد عنها ...» غير موجودة في نسخ الخطبة الشريفة التي نقلها المجلسي(رحمه الله) ولعلها مقاربة لما في الخطبة من العبارة التي فيها، وقال(رحمه الله) في شرحها: ولم يتعد عنها.. أي لم يخلقها على وفق صنع غيره. والله أعلم. السيد باقر الموسوي.

أي حضره وعاينه، ومنه الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، و﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾[1]. وقال في البصائر: الشهود والشهادة حضور مع المعاينة والمشاهدة، سواء كان بالبصر أو البصيرة، والثاني يرجع إلى معنى العلم، قال: والأولى أن يستعمل في الحضور المجرد (الشهود)، وفي الحضور مع المشاهدة (الشهادة)، وإن الشهادة قد تطلق على القول الصادر من العلم الحاصل بالبصر أو البصيرة، ويقال: شهد فلان على كذا متعدياً بعلى أي اطلع عليه وعاينه، ومنه المشاهدة بمعنى المعاينة، وهو أعم من الحضور لجواز الاطلاع من بعد بدون صفة الحضور. قال في المصباح: وبناء الخلف والسلف في مقام أداء الشهادة أنهم يقولون: أشهد، دون غيره ممّا يدل على تحقيق الشيء مثل أعلم وأيقن، والظاهر أنه مبتن على أمر تعبدي لكونه موافقاً للكتاب والسنة أيضاً، ولعل السر فيه أنه اشترط في الأداء ما يبنى على المشاهدة وهي الاطلاع على الشيء عياناً، وأما الإتيان بلفظ المضارع دون الماضي نحو شهدت لأنه موضوع للإخبار عن المضي، فيحتمل أن يكون المتكلم به غير مخبر في الحال، فقيل: أشهد دلالة على الإخبار الحال، وأن حكم الماضي مستمر إلى الحال. ويقال: شهد كذا متعدياً بنفسه أيضاً إذا علمه، كما نقل ذلك عن القاموس في تفسير (أشهد أن لا إله إلّا الله) وفي تفسير: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]، ويقال: شهد له بكذا متعدياً بالباء بمعنى أدى عنده من الشهادة، ويرجع هذا المعنى إلى معنى أخبر عن يقين حاصل بالحضور أو بالمشاهدة ولهذا يتعدى بالباء، وفي النهاية: الشهادة في الأصل الإخبار عمّا شاهده وعاينه. وزاد بعضهم في هذا المعنى وقال: هي الإخبار عن

---

(١) البقرة: ١٨٥

(٢) آل عمران: ١٨

مشاهدة أو ما يقوم مقام المشاهدة، وقد يقال: شهد بكذا بمعنى نقل الخبر به أي أخبر به عن يقين وعلم كما ذكره في المسالك، وهذا أعم من الحاصل بالحضور وبالمعاينة وغيرهما، وفي الصحاح: الشهادة خبر قاطع، منه شهد الرجل على كذا، ولا يخفى أن الظاهر في هذا المعنى أن يقول بكذا. ويجيء بمعنى أخبر مطلقاً، قال في المجمع: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾[1]، وبمعنى أعلم وبين أيضاً مثل أشهد أن لا إله إلّا الله، وشهد الله أنه لا إله إلّا هو، وبمعنى حلف كما في الصحاح والمجمع والمصباح، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[2] الآية، وأشهد بالله أنه فعل كذا أي أحلف به، وبمعنى كتب أو قضى أو قال، كما قيل بهذه المعاني في آية شهد الله أيضاً، وذكر بعضهم أن معنى قال لشهد إنما هو لغة قيس غيلان. والشهيد من أسماء الله تعالى هو الذي لا يغيب عليه شيء، قيل: إذا اعتبر فيه العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا اضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد. وفي حديث صلاة الفجر: إنها مشهودة محضورة أي تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، هذه صاعدة وهذه نازلة، إشارة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[3] فإن المراد من قرآن الفجر صلاة الصبح، كما في الخبر الصادقي عليه السلام، وفي المجمع: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي يشهده المسلمون، يسمعون القرآن فيكثر الثواب. والشهيد

---

(١) يوسف: ٨١

(٢) المنافقون: ١

(٣) الإسراء: ٧٨

من قتل في معركة القتال بيد الكفار بين يدي المعصوم عليه السلام في جهاد سائغ، سمي بذلك لأن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة، أو لأن ملائكة الرحمة تشهده بالرحمة، أو تشهد غسله وتجهيزه، أو نقله إلى الجنة، أو لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، أو لأنه قام بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، أو لأنه ممن يشهد يوم القيامة مع النبي صلى الله عليه وآله على الأمم الخالية، على طبق قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]. أو لشهوده عالم الملكوت، أو لسقوطه على الشاهدة أي على وجه الأرض، أو لأنه حي في الحقيقة وكأنه شاهد حاضر لم يمت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2] فعيل بمعنى مفعول أو فاعل على اختلاف في التأويل. واستشهد الرجل بالبناء للمفعول من قتل شهيداً على نحو ما ذكر، ويجوز على بعض الوجوه المذكورة في الشهيد قراءته على بناء الفاعل أيضاً، فيجوز قوله عليه السلام في الزيارة: «وجعلنا من التابعين لك، والمستشهدين بين يديك» بفتح الهاء وكسرها كما وقع مختلفا أيضاً في النسخ، فيكون على الفتح بمعنى الشهيد بمعنى المفعول، وعلى الكسر بمعنى الشهيد بمعنى الفاعل على بعض تلك المعاني، أو بمعنى طالب الشهادة. وبالجملة فإذا عرفت ما ذكرنا من الوجوه المختلفة في معنى الشهادة، عرفت المراد من قول أشهد أن لا إله إلَّا الله وشهد الله أنه لا إله إلَّا هو، وأنه يجري في نحوه وجوه متعددة من جهة المعاني السابقة، مثل معنى أعلم وأخبر أو أقول وغيرها، والشهادة حينئذٍ متعدية، أو لازمة بتقدير حرف الباء أو غيرها.

---

(١) البقرة: ١٤٣

(٢) آل عمران: ١٦٩

وأما كلمة التوحيد ففي تحقيق معناها عرض عريض لا يليق بسطه بالمقام، وحاصل معناه الدال على التوحيد الإجمالي واضح عند الخواص والعوام. ولفظ (وحده) قال: معرف في معنى النكرة أي منفرداً عن غيره ومتوحداً، و(لا شريك له) حال بعد حال، وكلاهما حال عن لفظ الجلالة لكونه في موضع المفعول من جهة استلزام (إلا) معنى أستثني، والحال الأول دال على ثبوت الصفات الكمالية له تعالى لدلالة اللفظ على أنفراده وتمايزه عن غيره، أي متوحدا في الصفات الكمالية لا نظير له في شيء من ذلك البتة، والحال الثاني دال على نفي جهات النقيصة وسلبها عنها، وبعبارة أخرى: الفقرة الأولى مشتملة على إثبات الصفات الثبوتية، والثانية على سلب الصفات السلبية. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: «كلمة جعل الإخلاص تأويلها» المراد بالكلمة هنا هو قول أشهد أنّ لا إله إلَّا الله، أو هو نفس كلمة التوحيد أعني لا إله إلَّا الله. والكلمة في اللغة هي اللفظة الواحدة الموضوعة لمعنى سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً، ثم تستعمل في الجملة المركبة من الكلمات المتعددة باعتبار جعلها بهيئتها التركيبية شيئاً واحداً كأنها كلمة واحدة، ولهذا يطلق بالكلمة على كل قطعة من الكلام، وعلى كل قضية، وعلى البيت، وعلى تمام القصيدة أيضاً. ومنه كلمة الإخلاص لقول (لا إله إلَّا الله) وكذا كلمة التوحيد له، ثم يتسع فيها وتستعمل في كل معنى وعين من الكائنات ـ كما يتضح ممّا سيذكر ـ تشبيهاً لتأليف الموجودات على تأليف الكتاب من الحروف والكلمات، بل يقال لا تشبيه وإنما الكتاب في الحقيقة كتابان: تدويني وتكويني، ولكل منهما كلام، وجملات، وحروف، وكلمات، وسور، وآيات، وإعراب، وحركات، وسكنات. ولذا قيل في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[1] إن المراد بتلك الكلمة الإمامة كما في الرواية، وأن المراد أن الله تعالى جعلها في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، وقيل: إن إبراهيم عليه السلام جعل كلمة التوحيد التي تكلم بها كلمة باقية في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله سبحانه ويدعو إلى توحيده، وأطلق على عيسى عليه السلام كلمة الله لأنه كلمة من كتاب الله التكويني. وقال الجوهري: سمي بذلك للانتفاع به في الدين كما انتفع بكلامه تعالى على نحو ما يقال: سيف الله وأسد الله، وقيل: لأنه وجد بأمر الله من دون أب فشابه البدعيات في الوجود بقول كن. وكلمة التقوى قيل: هي الإيمان، وقيل: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، وقيل: بسم الله الرحمن الرحيم، وكلمة ربك العليا هي دعوته إلى الإسلام، أفمن حق عليه كلمة العذاب هي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]. وقوله عليه السلام: اتقوا الله في النساء وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، قيل: الأمانة هنا قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[3] والكلمة إذنه في النكاح أو العقد الذي قرره الله تعالى في الشريعة. وقوله عليه السلام: «وأسألك بكلمتك التي غلبت كل شيء» قيل: يحتمل أن تكون هي القوة والقدرة، وأن تكون الحجج والبراهين الواضحة، وقوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾[4] أي بحججه. وسبحان الله عدد كلماته أي عدد أوصافه إذ هي لا تنحصر في عدد، قيل: ويحتمل أن يريد عدد الأذكار، أو عدد الأجور على ذلك،

(١) الزخرف: ٢٨

(٢) هود: ١١٩

(٣) البقرة: ٢٢٩

(٤) الشورى: ٢٤

والكلم الطيب هو قول المؤمن: «لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله وخليفة رسول الله». وأعوذ بكلمات الله التامات، قيل: هي أسماؤه الحسنى وكتبه المنزلة، وقيل: علمه أو كلامه مطلقاً، أو القرآن خاصة، أو الاسم الأعظم فإنه اثنان وسبعون كلمة، وكل منها كلمة تامة، أو المراد بالكلمات التامات محمد وآل محمد الهداة. والكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم، وفي عرف النحاة اسم لما تركب من مسند إليه، وهو اسم جنس يقع على القليل والكثير، وليس هو عبارة عن فعل المتكلم، وربما جعل كذلك مثل عجبت من كلامك زيداً، وقيل: هو حينئذٍ مصدر كلّم يكلّم، كسلام مصدر سلَّم يسلِّم على وجه. وقد يطلق الكلام على المعاني النفسانية، وهل هو حقيقة فيها أو مجاز؟ قيل: أصحهما الثاني وهو المشهور، وقيل الأول. قال في المصباح: وقول الرافعي: «وينقسم الكلام إلى مفيد وغير مفيد «لم يرد به الكلام الاصطلاحي فإنه لا يطلق إلّا على المفيد، وإنما أراد اللفظ، وأما ما في كلمات بعض المصنفين من أنه يطلق على غير المفيد أيضاً، ولذا يقال هذا كلام لا يفيد فغير معروف وتأويله ظاهر. ثم قال: والكلام في الحقيقة هو المعنى القائم بالنفس لأنه يقال: في نفسي كلام، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾(1)، وقال الآمدي وجماعة: وليس المراد من إطلاق لفظ الكلام إلّا المعنى القائم بالنفس، وهو ما يجده الإنسان في نفسه إذا أمر غيره أو نهاه أو أخبره أو استخبره، وهذه المعاني هي التي تدل عليها العبارات وينبه عليها بالإشارات، كقوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

---

(1) المجادلة: ٨

ومن جعله حقيقة في اللسان فإطلاق اصطلاحي ولا مشاحة فيه، انتهى. أقول: وللكلام في تحقيق معنى التكلم والكلام بالنسبة إلى الله سبحانه، وإن كلامه تعالى حادث أو قديم، عرض عريض لا يليق بالمقام، وقد بسطنا القول فيه في شرحنا على القوانين من أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه. و(خلص) الشيء خلوصاً ـ من باب قعد ـ أي صار خالصاً صافياً، كما يقال: خلص الماء من الكدر أي صفا، وبهذه المناسبة يستعمل الخلاص في معنى السلامة والنجاة أيضاً. والإخلاص جعل الشيء خالصاً عن شوب الغير، وإخلاص الدين في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(1) أن لا يكون فيه شوب النظر إلى الغير برياء أو سمعة أو غيرهما، وذلك إنما يكون بتمحيض العمل للقربة، ولذا استدلوا بالآية على لزوم نية القربة في العبادة. فالمراد بالإخلاص في الخطبة جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من أيقن بأنه الخالق المدبر، وأنه لا شريك له في الألوهية، فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الأمور إلى سواه، ولا يتعدى ممّا أمره مولاه ونهاه. وأصل التأويل إرجاع الكلام وصرفه عن وجهه أي عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه، مأخوذ من آل يؤول إذا رجع، ومنه الموئل بمعنى المرجع، فثم يطلق على نفس ذلك المعنى ويقال له المؤول أيضاً بمعنى المؤول إليه، وقد يقال: المؤول عليه، فالكلام مؤول، والمعنى الخفي مؤول إليه، والظاهر مؤول منه. والتنزيل مقابل التأويل، وهو المعنى الظاهري، نزل الكلام عليه وصدر من مصدره إليه، فيقال مثلاً: قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ

(1) غافر: 14

﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾[1] إن تنزيله معناه الظاهري الذي هو الخطاب لموسى بن عمران عليه السلام بالإقبال وعدم الخوف من عصاه التي كانت تهتز كأنها جان، وتأويله الخطاب للقلب بأن لا يخاف من قوته الوهمية التي هي عصاه إذا أخذها بالقوة العقلية، وهي الآلة الدافعة لفساد النفس من البدن. وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2] أن تنزيله هو معناه الظاهري الذي هو الخطاب لموسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون مصر، وتأويله هو الخطاب لموسى العقل أن يذهب إلى فرعون النفس الطاغية في أرض مصر البدن، وهكذا. ومدلول الكلام مطلقاً اما نص أو ظاهر أو مجمل أو مؤول، فالنص ما لا يحتمل الخلاف، والظاهر ما يحتمله احتمالاً مرجوحاً، والمجمل ما تساوى فيه الطرفان، والمؤول المرجوح، والقدر المشترك بين الأولين - وهو مطلق الراجح - هو المحكم، والمشترك بين الأخيرين - وهو غير الراجح - هو المتشابه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[3] وهذه الأقسام الأربعة للكلام في وزان الأقسام الأربعة للإدراك أي العلم والظن والشك والوهم. ولما كان التأويل على معنى المؤول هو باطن الكلام وسر المرام، استعير لفظ التأويل لباطن الشيء وحقيقته، فالمراد من كون الإخلاص تأويل كلمة التوحيد، ان باطنها وحقيقتها الإخلاص بمعنى كون تلك صادرة وناشئة عن ماهية الإخلاص الموجود في الباطن، ومشتملة عليها كأنها حقيقتها. وكلمة منصوبة على الحال من مفعول أشهد، أي اخبر بقول لا إله إلّا الله، أو أعلمه، أو

(١) القصص: ٣١

(٢) طه: ٢٤

(٣) آل عمران: ٧

أقوله، والحال أنها في حال نطقي بها كلمة صادرة عن وجه الإخلاص، ويجوز التمييزية وكونها مفعولاً مطلقاً. ولفظ جعل مبني على المفعول، والإخلاص نائب فاعله، وجعل الإخلاص تأويلها إنما يكون بأمرين: استعداد القائل، وإفاضة الله سبحانه له، ولذا أتى بصيغة المجهول إشارة إلى أن الفاعل مجهول الحال، ولو قرئ معلوماً فهو وإن صح أيضاً إلّا أنه يوهم الاستقلال، فيتولد منه الجبر. والإتيان بصيغة الماضي للإشارة إلى تحققه، وانه أمر سابق في قدر الله من حيث الاستعداد والقابلية الملازمة لوجود أصل المادة في ابتداء الخلقة، ويجوز قراءته معلوماً أيضاً وإسناده إلى الله تعالى بواسطة الضمير، إشارة إلى أن الأمر بيد الله، وأن لا مؤثر في الوجود إلّا الله، وإن كان للعبد أيضاً مدخلية في الجملة ومداخلة في العمل، ولو من جهة الاختيار والقابلية. قولها عليها السلام: «وضمن القلوب موصولها» ضمن الشيء - بالكسر - طيه، وضمنه ضمانا - بالفتح من باب علم -: كفله كأنه جعله في ضمن نفسه، ويتعدى بالتضعيف فيقال: ضمنته المال أي ألزمته إياه بمعنى جعلته محتويا عليه فتضمنه أي فاشتمل عليه واحتوى، وتضمن الكتاب كذا أي حواه ودلَّ عليه.

والمضمن من البيت ما لا يتم معناه إلّا بالذي يليه، كأن معناه جعل في ضمن البيت الآخر، فالصفة بحال المتعلق أي مضمن المعنى في غيره، إلّا أن يجعل البيت عبارة عن معناه باعتبار الحكاية. والقلوب جمع القلب، وهو على ما ذكره الجوهري وغيره هو الفؤاد، قال: وقد يعبر به عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[1] أي عقل. وفي الخبر: ما قلبك معك أي عقلك،

(١) ق: ٣٧

و﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾[1] قيل: لأن ذلك لا يعقل أن يكون الجملة الواحدة متصفة بكونها مريدة وكارهة لشيء واحد في حالة واحدة، إذا أراد بأحدهما وكره بالآخر. وقيل: القلب أخص من الفؤاد، أي الفؤاد يطلق على العقل وعلى شيء آخر هو القلب، وفي الحديث: «قلب الإنسان مضغة من جسده»، وفيه أيضاً: القلب ما فيه إيمان ولا كفر، وفيه: القلب أمير الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه. وفيه: القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجى، وقلب منكوس وهو قلب المشرك، وقلب مطبوع وهو قلب المنافق، وقلب أزهر أجرد وهو قلب المؤمن فيه كهيئة السراج، إن أعطاه الله شكر وإن ابتلاه صبر. وعن بعض أهل التحقيق: إن القلب يطلق على معنيين: أحدهما اللحم الصنوبري المتشكل المستودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه، وهذا المعنى من القلب موجود في البهائم بل في الميت أيضاً. الثاني لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب تعلق، وتلك اللطيفة هي المعبر عنها بالقلب تارة، وبالنفس أخرى، وبالروح أخرى، وبالإنسان أيضاً، وهو المدرك العالم العارف، وهو المخاطب والمطالب والمعاقب، وله علاقة مع القلب الجسداني، وقد تحير أكثر الخلائق في إدراك وجه علاقته، وإن تعلقه يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، أو الأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلق المتمكن بالمكان وشبه ذلك، انتهى. وقال بعض المحققين: القلب هو شيء غير الفؤاد والعقل والروح والنفس، وإنه برزخ بين الروح والنفس، أو النفس والبدن، وإن الفؤاد

---

(١) الأحزاب: ٤

هو الطرف الأعلى من العقل، وقيل غير ذلك، وكل ذلك مستند إلى اختلاف الاصطلاحات وتغاير الاعتبارات، وملاحظة بعض المراتب وعدمها، ويمكن الجمع بين جميع الأقوال باعتبار الحيثيات. ثم قد يطلق القلب بمعنى الخالص، لأن قلب الإنسان خالصه ولبه، فيقال: هذا قلبه أي خالصه وخلاصته، وبه فسر قوله عليه السلام: (يس قلب القرآن) وقيل في توجيه الخبر غير ذلك أيضاً. ثم إن أصل القلب كما قيل من قولهم: قلبت الشيء قلباً - من باب ضرب - حولته عن وجهه، وبالتضعيف للمبالغة في معنى المجرد، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾[1]. ومنه كلام مقلوب أي مصروف عن وجهه، وقلبت الرداء: حولته وجعلت أعلاه أسفله أو قلبته ظهرا لبطن، سمى القلب بذلك لانقلابه في الأمور وتقلبه آنا فآنا باختلاف الأحوال وتبدل الكيفيات، كما ورد في الخبر: «إن القلب كريشة في فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت». وهو كناية عن عدم استقراره في حال من الحالات، وهو على نحو الإجمال واضح معلوم الحال، وتفصيله موجب للإطناب والإملال، وفي خبر آخر عن النبي صلى الله عليه وآله: «القلب بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلبه كيف شاء، ثم قال صلى الله عليه وآله: اللهم مصرِّف القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك». وفي خبر آخر: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وفي الأدعية أيضاً: «يا مقلب القلوب والأبصار، يا مدبر الليل والنهار... إلخ». وفي كون القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن وجوه من البيان، قيل: هو تمثيل عن سرعة تقلبه، وتيسر تصريف القلوب عليه تعالى ظاهر كما يقولون: هذا الشيء في خنصري وبنصري وفي يدي وقبضتي، كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره بلا مشقة. وقيل: لا يبعد أن يشتمل على القلب جسمان

---

(١) التوبة: ٤٨

على شكل الإصبعين يحركه الله بهما، فشبها بالأصابع واضيفا إلى الله تعالى لأنه تعالى جعلهما كذلك، وقيل: المراد بالإصبعين النعمتان، نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقيل: المراد هو البطش والقدرة أي أن القلب معقود بمشيئة الله، وتخصيص الأصابع كناية عن إجراء القدرة والبطش لأنه باليد والأصابع إجراؤهما، وقيل: المراد إصبعا غضبه ورحمته أي قهره ولطفه.

وقيل غير ذلك. والموصول اسم مفعول من الوصل، يقال: وصلت إليه أصل وصولاً أي اتصلت به، ووصلني الخبر أي بلغني، ووصلت المرأة شعرها بشعر غيرها، ووصلت الشيء بغيره وصلاً، ومنه وصل الثوب بالخيط، وقد تكرر في الخبر ذكر صلة الرحم في مقابلة قطع الرحم، وكان الواصل لذي القرابة بالإحسان قد وصل ما بينه وبينه بإحكام علاقة القرابة فلم تنقطع. وأصل الرحم ككتف هو ما يشتمل على ماء الرجل من المرأة، ويكون فيه الولد وهو المشيمة، ولما كان أغلب القرابات منتهية إليه أطلق الرحم كثيراً على نفس القرابة، فصلة الرحم بمعنى صلة القرابة تشبيهاً لها بالعلاقة. فإذا عرفت ذلك فاعلم ان معنى الكلمة متصل بالكلمة لأنه فيها كاللب في القشر، ولذا يفهم المعنى منها ويتبادر من حاقها كأنه مندرج فيها، بل في الحقيقة يوجد اتصال بينه وبينها، فيكون موصول الكلمة معناها الذي تعلقت به، وحينئذٍ يكون المراد من الفقرة أن الله تعالى جعل معنى كلمة التوحيد من جهة الاعتقاد به مندرجة في ضمن القلوب بالكلية إلى جعل جميع القلوب مشتملة على معناها، ومحتوية على مغزاها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وهي الفطرة التوحيدية الإسلامية، كما

(١) الروم: ٣٠

قال ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة ـ أي على فطرة الإسلام ـ ثم أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. وهذا هوالأوجه في معنى الفقرة من الأوجه المحتملة التي من جملتها أن معناها أن الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك ممّا يؤول إلى التوحيد. ومنها أن يكون المعنى أنه جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب، بما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ومنها أنه لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقائق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان لظاهر معناها وصريح مفادها، وهو المراد بالموصول. ومنها أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب، أي لم يلزم القلوب إلّا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة، والدقائق المستنبطة منها أو مطلقاً، قيل: ولولا التفكيك لكان هذا أحسن الوجوه بعد الوجه الأول بل مطلقاً. قولهاعليها السلام: «وأنار في التفكر معقولها» الإنارة الإضاءة، يقال: أنار ينير إنارة أي أضاء فهو منير من النور، وهو الظاهر في نفسه المظهر لغيره بمعنى الضياء على ما ذكره الجوهري، فيكون بينهما حينئذٍ تساو من حيث المعنى، وأضاء يتعدى ولا يتعدى فيكون أنار أيضاً كذلك، وكذلك أشرق. وقيل: النور هو ما كان بالعرض والتبعية، والضياء ما كان بالذات والأصالة، فيكون حينئذٍ بينهما المباينة، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[1] لاكتساب ضوئه كسائر الكواكب من نور الشمس، ويحتمل أن يكون الضياء هو الفرد القوي من النور، فيكون بينهما عموم مطلق ولعله الأظهر، والظاهر أنّهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

(١) يونس: ٥

والنار أيضاً مشتقة من تلك المادة بمناسبة الإنارة، وأصل النار أيضاً واوي بدليل تصغيرها على نويرة، وجمع النور أنوار، وجمع النار نيران أصله نوران، والمنارة ـ بفتح الميم ـ التي يؤذن عليها، والتي يوضع عليها السراج والمشعل ونحوهما لإضاءة الأطراف، والمناسبة واضحة. ثم يطلق النور لكل ما كان سبباً للهداية مثل التوفيق، كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(1) أي من لم يجعل الله له نورا من توفيقه وهو في ظلمة الجهالة، ومثل إمام الحق في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾(2) أي إماماً تأتمون به، وقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾(3) قال عليه السلام: النور والله الأئمّة، هم الذين ينورون قلوب المؤمنين. ومثل القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(4) أي القرآن، والعلم في قوله عليه السلام: ليس العلم بكثرة التعلم والتعليم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء، إلى غير ذلك وقد مرَّ تفصيل متعلق بلفظ النور في تفسير آية النور. والتفكر من الفكر ـ بالكسر ـ وهي في اللغة التأمل، اسم مصدر للفكر ـ بالفتح ـ، وأفكر في الشيء وفكَّر وتفكَّر بمعنى، على ما ذكره الجوهري. وهو في العرف حركة النفس بالقوة التي آلتها مقدم الدورة الواقعة في البطن الأوسط من الدماغ مطلقاً، أي سواء كان من المطلوب إلى المبادي أو بالعكس، وهو المراد من قولهم: الفكر هو انتقال النفس في المعاني انتقالاً بالقصد، وهذه الحركة تسمى في المعقولات فكراً وفي المحسوسات تخيلاً، فهي قوة واحدة

(1) النور: ٤٠

(2) الحديد: ٢٨

(3) التغابن: ٨

(4) النساء: ١٧٤

تسمى مفكرة ومتفكرة باعتبار، ومخيلة ومتخيلة باعتبار، والتضعيف للمبالغة لا للتعدي. وذكر المحققون من أهل المعقول: ان الحواس والمشاعر الإنسانية عشرة، خمسة منها الحواس الظاهرية وهي: السامعة، والباصرة، والشامة، والذائقة، واللامسة، وخمسة منها الحواس الباطنية وهي: الحافظة، والواهمة، والمفكرة، والمخيلة، والحس المشترك. وفي دماغ الإنسان بطون ثلاثة، لكل منها مقدم ومؤخر، ففي مقدم البطن المقدم من سمت الجبهة الحس المشترك، وهي القوة التي يتأدى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة فتدركها، وهي الحاكمة بين المحسوسات الظاهرة كما يحكم بأن هذا الأصفر، هذا الحلو، والمراد بالصورة هنا ما يمكن إدراكه بإحدى الحواس الظاهرة. وفي مؤخر المقدم المخيلة ويقال لها الخيال أيضاً ـ بالفتح ـ وهي قوة تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد غيبتها عن الحس المشترك، وفي مؤخر الأوسط القوة الوهمية ويقال لها الواهمة أيضاً، وهي القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن يتأدى إليها من طرق الحواس كإدراك العداوة والصداقة من زيد، وكإدراك الشاة معنى من الذئب. وفي مقدم الأوسط بين الواهمة والمخيلة العقل، وهي القوة العاقلة المدركة للكليات، ولها قوة التركيب والتفصيل بين الصور المأخوذة من الحس المشترك، والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض، وهي دائماً لا تسكن نوماً ولا يقظة، وليس من شأنها أن يكون عملها منظماً منتظماً، بل النفس تستعملها على أي نظام تريد، فإن استعملتها بواسطة القوة الوهمية فهي المتخيلة، وإن استعملتها بواسطة القوة العاقلة وحدها أو مع القوة الوهمية فهي المفكرة، فللمتخيلة اعتباران كما ظهر ممّا مرّ. وفي مقدم المؤخر الحافظة، وهي قوة تحفظ بها المركبات التي ركبتها

المفكرة من الصور الخيالية، والمعاني الجزئية الوهمية وسلمتها إليها، فهي خزينة المركبات وخازنة القوة العقلية، والأنسب أن يترتب الحواس الباطنية من الطرف الأسفل إلى الأعلى أي من مقدم الرأس إلى مؤخره بترتيب آخر، وهو اعتبار الحس المشترك أولاً، ثم الخيال، ثم الواهمة، ثم الحافظة، ثم العاقلة، وإن صح الترتيب الأول أيضاً بوجه آخر. وفي بعض النسخ الفكر ـ بالكسر ـ، وفي بعضها الفكر ـ كعنب ـ جمع الفكرة بمعنى الفكر كسدرة وسدر. والمعقول مصدر من قولك عقلت الشيء ـ من باب ضرب ـ عقلاً ومعقولاً أي منعته وحجزته ونهيته عن الضياع، فيرجع في بعض المقامات إلى معنى الحفظ، ومنه العقال لما يعقل به البعير لمنعه إياه عن السير والحركة، قال ﷺ: اعقل بعيرك وتوكل على الله.

ومنه أيضاً العقل للإنسان لمنعه له عن الارتكاب بالمهالك والاقتحام في المسالك، والمعقول كما جاء مصدراً جاء بمعنى المفعول أيضاً أي المدرك بالعقل، وقد يقال لمطلق المدرك بالحواس الباطنية، من عقله إذا أدركه وحفظه وتصوره، وعقلت عن فلان غرمت عنه جنايته، وعقلت له دم فلان إذا تركت القود للدية، فليفرق في الاستعمالات بين عقلته، وعقلت عنه، وعقلت له. وفي الخبر: «لا تعقل العاقلة عمداً ولا عبداً ولا صلحاً ولا اعترافاً»، قال أبو حنيفة: هو أن يجني العبد على حر، وقال ابن أبي ليلى: هو أن يجني الحر على عبد، وصوَّبه الأصمعي وقال: لو كان المعنى على ما قال أبو حنيفة لكان الكلام لا تعقل العاقلة عن عبد ولا يعقل عبداً، وقال: كلمت أبا يوسف القاضي في ذلك بحضرة الرشيد، فلم يفرق بين عقلته وعقلت عنه حتى فهمته. قال في النهاية في معنى الحديث: أي إن كل جناية عمد فهي من مال الجاني خاصة،

يلزم العاقلة منها شيء، وكذا ما اصطلحوا عليه من الجنايات في الخطأ، وكذا إذا اعترف الجاني بالجناية من غير بينة تقوم عليه، وإن ادعى أنه خطأ لا يقبل منه ولا تلزم بها العاقلة، وأما العبد فهي أن يجني على حر فليس على عاقلة مولاه شيء من جناية عبده، وإنما جنايته في رقبته، وهو مذهب أبي حنيفة. وقيل: هو أن يجني حر على عبد، فليس على عاقلة الجاني شيء إنما جنايته في ماله خاصة، وهو قول ابن أبي ليلى، وهو موافق لكلام العرب، إذ لو كان المعنى على الأول لكان الكلام: (لا تعقل العاقلة على عبد) ولم يكن (لا تعقل عبداً) واختاره الأصمعي وأبو عبيد. ثم إن العقل في الإنسان هو أحد الجواهر الخمسة، وعرف بأنه جوهر مجرد نوراني يتعلق بالبدن تعلق تدبير وتصرف. وقالوا: إن الممكن إما أن يكون موجوداً في الموضوع أي المحل المتقوم بنفسه وهو العرض، أولاً سواء لم يحل أصلاً أو يحل لكن لا في الموضوع وهو الجوهر، وهو إما مفارق عن المادة أي المحل المتقوم بالحال في ذاته وفعله وهو العقل، أو مفارق في ذاته دون فعله وهو النفس، أو مقارن، فإما أن يكون محلاً لجوهر آخر وهو المادة، أو حالاً في جوهر وهو الصورة، أو ما يتركب منهما وهو الجسم. وعن علي عليه السلام: العقل ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان، قيل: فعقل معاوية؟ قال عليه السلام: إنما هي نكراء وشيطنة وليس بعقل. وللعقل معان مستنبطة من الأخبار متجاوزة على عشرين وجهاً ليس هنا مقام بسطها، وقال بعض أهل المعرفة: إن القوى العقلية أربعة، منها القوة التي يفارق بها الإنسان البهائم، وهي القوة الغريزية التي يستعد بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية، فكما ان الحيوان تهيئ الجسم للحركات الاختيارية، والإدراكات الحسية، فكذلك القوة الغريزية تهيئ الإنسان للعلوم النظرية، والصناعات الفكرية. ومنها

قوة عواقب الأمور، فتقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة، وتتحمل المكروه العاجل لسلامة الآجل، فإذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلاً، من حيث أن إقدامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، والقوة الأولى بالطبع والأخيرة بالاكتساب. وإلى ذلك أشار علي عليه السلام بقوله:

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضَوْءُ العين ممنوع

قيل: والمطبوع هو المراد بقوله تعالى خطاباً له: «ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك» والمسموع هو المراد بقوله عليه السلام: «ما كسب الإنسان شيئاً أفضل من العقل». ومنها قوتان اخريان، إحداهما ما يحصل بها العلم بان الاثنين أكثر من الواحد، والشخص الواحد لا يكون في مكانين، فيقال له التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس الفطرية، والأخرى التي يحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الأحوال، فمن اتصف بها يقال إنه عاقل في العادة، والأولى منها حاصلة بالطبع، والأخرى بالاكتساب كالأوليين، انتهى. وهذه عقول أربعة مشهورة، وترتيبها على ما ذكره بعضهم: العقل الهيولاني كما في الطفل، ويقال العقل بالقوة، والعقل المنفعل وهو الأول من الأوليين، ثم العقل بالملكة وهو الأول من الأخريين، ثم العقل المستفاد وهو الثاني من الأخريين، ثم العقل الفعال وهو الثاني من الأوليين، وزاد بعضهم العقل بالفعل قبل العقل الفعال،

فجعلها خمسة، وزاد بعضهم بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله عقلا سادسا وهو العقل الكلي. وأول دخول العقل في الإنسان عند ابتداء إنشاء روحه وهو جنين، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل البلوغ، وقيل: ابتداء دخوله عند البلوغ وتكميله عند أربعين، والظاهر أن كليهما صحيح، والأول من القوة والثاني من ابتداء الفعل بالمعنى الأعم إلى زمان الكمال. وبالجملة فإطلاق العقل بالنسبة إلى كل أحد ينصرف إلى النوع الكامل من عقوله، وفي الحديث: «إذا تم العقل نقص الكلام»، قيل: وذلك لضبط العقل إياه. وفيه: «نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل» فإنه لا فائدة فيه. وفيه: «ليس بين الإيمان والكفر إلّا قلة العقل». وفيه: «العقل غطاء ستير» أي ساتر للعيوب. وفي حديث علي عليه السلام: «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج» إلى غير ذلك ممّا ورد في فضله. ثم إن معقول كلمة التوحيد هو المعنى الذي يتعقل منها، ولمعناها نور واضح، وبرهان لائح في الأذهان عند التفكر فيه، إذ لكل حق حقيقة، ولكل صواب نور، فالمعنى أن الله تعالى قد جعل لمعنى هذه الكلمة في عالم التفكر المتعلق به نوراً به يتنور القلب، ويتضح سبيل الحق لما هو ظاهر من مطابقة معناها للواقع مع جبلة القلوب على التوحيد من حيث فطرتها. أو يقال: إن الله تعالى أوضح في الأذهان ما يتعقل من تلك الكلمة بالتفكر في الدلائل والبراهين الساطعة، ويجوز أن يجعل المعقول مصدراً أي: إن تعقلها منير للقلوب، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أيضاً مراداً بمعقولها ما يتعقله القلوب من تلك الكلمة. وفي ذكر التفكر مع المعقول إشارة لطيفة إلى كون القوة العاقلة هي المفكرة، وإشارة أيضاً إلى كلية المدركات هنا لما أشير إليه من أن المدرك بالعقل هو الكليات، ولكن تفصيل المسألة يحتاج إلى بسط من الكلام لا يليق به المقام. قولها عليها السلام: «الممتنع من

الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته». الممتنع من الامتناع مشتقاً من المنع بمعنى الإباء، وهو المراد من تفسيره بخلاف الإعطاء كما فعله بعض أهل اللغة، ومنعته من كذا فامتنع أي قبل المنع، ويقال: امتنع عن الشيء أي كفَّ عنه، وهو أيضاً مستند إلى مانع من كراهة القلب أو غير ذلك، وهو المانع الباطني إذ المانع أعم منه ومن الظاهري. والممتنع في الاصطلاح كل ما كان عدمه ضرورياً ووجوده ليس بضروري، وهو مقابل للواجب الذي وجوده ضروري دون عدمه، وللممكن الخاص الذي ليس شيء من عدمه ووجوده بضروري. وكل من هذه الثلاثة من أفراد الممكن العام الذي يسلب فيه الضرورة عن الطرف المخالف للحكم، مثلاً إذا قيل: زيد موجود بالإمكان العام أي عدمه ليس بضروري، فإن كان وجوده ضرورياً فواجب أولاً فممكن بالإمكان الخاص، وإذا قيل: زيد ليس بموجود بالإمكان العام معناه أنه ليس وجوده بضروري، فإن كان عدمه ضرورياً فممتنع وإلّا فممكن خاص أيضاً، فيتولد من مثال الإيجاب الواجب والممكن الخاص، ومن السلب الممتنع والممكن الخاص. ثم الممتنع على أقسام ثلاثة، لأنه إما ممتنع بالذات، كشريك الباري، واجتماع المتناقضين أو المتضادين في محل واحد وآن واحد ونحو ذلك، أو بالغير وهذا إما ليس بالاختيار كطيران الإنسان في الهواء، فإن امتناعه لم يحصل باختياره في ظاهر الاعتبار، أو هو من جهة سوء الاختيار كمن دخل باختياره في المكان المغصوب، فهو مكلف بالخروج وعدم الخروج، لأن كلّاً منهما منهي عنه من جهة التصرف في المغصوب، وهذا ممتنع لكنه حصل بسوء اختيار الشخص. والمذكور في الخطبة هو الممتنع الذاتي، إذ امتناع رؤيته تعالى بالأبصار ليس بعرضي من جهة المانع الخارجي، بل هو ذاتي أصلي. والأبصار جمع بصر

كسبب وأسباب، قيل: وهو النور الذي تدرك به العين المبصرات، وقد يطلق البصر على نفس العين المبصرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1] على ما قيل، ويمكن إرادة المعنى الأول أيضاً، واختلف في إدراك البصر انه بخروج الشعاع أو بالانطباع، والحق عندي اعتبار كليهما أي خروج الشعاع أولاً والانطباع بوساطته ثانياً. ويقال: أبصرته برؤية العين إبصاراً، يتعدى بنفسه ولا يتعدى، فيقال: أبصر إليه أي نظر، ويقال: بصرته به ـ بالتضعيف ـ بمعنى جعلته بصيراً به. قال علي عليه السلام في نهج البلاغة في وصف الدنيا: «فمن أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته». وبصرت بالشيء ـ بالضم، والكسر لغة ـ بصراً ـ بفتحتين ـ: علمت به فأنا بصير به، يتعدى بالباء في اللغة الفصيحة وقد يتعدى بنفسه، وهو ذو بصر وبصيرة أي علم وخبرة، كذا ذكره في المصباح وهذا صحيح، وبه فسر قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾[2] أي علمت على وجه.

ولكن استعمل البصر بمعنى الإبصار أيضاً، فيكون بصر به بمعنى أبصره أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3] أي نظرت إليه ورأته على وجه، وكذا الآية السابقة على وجه، فالقياس يقتضي مجيء كل من البصر والبصيرة بمعنى الإبصار العيني والعلم القلبي، إلّا أنه أغلب استعمال البصر في رؤية العين والبصيرة في رؤية القلب، أو الأول في نور العين والثاني في نور القلب.

(١) الملك: ٤

(٢) طه: ٩٦

(٣) القصص: ١١

وقد يجئ كل بمعنى كل، مثل: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[1] أي أيد من الإحسان وبصائر في الدين، و﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2] أي الأوهام، و﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾[3] أي الحجج والبينات، فيكونان من باب إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. ويجمع البصر على الأبصار كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[4]، والبصيرة على البصائر كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾[5] أي سبب البصائر وهي البينات والدلائل، وأما قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[6] فإنه بمعنى بصير على معنى الفاعل، فالتاء للمبالغة أو صفة باعتبار نفس الإنسان، أو أن البصيرة اسم أو مصدر حمل على الإنسان من باب المبالغة، أو بإضمار مضاف أي هو ذو بصيرة. ويطلق البصير على من أدرك بالعين وبالقلب، وبمعنى مطلق المدرك، ومنه البصير في أسماء الله بمعنى العالم كالسميع أيضاً، إلّا أن ظاهر معناه هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لكن من غير جارحة، فالبصر في حقه تعالى عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات. وفي الحديث: «سميناه بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك»، ويمكن أن يقرأ الأبصار في الخطبة بالكسر مصدر أبصر - كالفتح - جمع بصر. والرؤية: النظر، وهي رؤية بالعين ويتعدى إلى مفعول واحد، ورؤية بالقلب بمعنى العلم ويتعدى إلى مفعولين، والمراد

(١) ص: ٤٥
(٢) الأنعام: ١٠٣
(٣) الأنعام: ١٠٤
(٤) الحشر: ٢
(٥) الأنعام: ١٠٤
(٦) القيامة: ١٤

هنا الأول بقرينة الإبصار. والمراد من الفقرة ان الله تعالى لا يدرك بالحواس الظاهرة مطلقاً، وذكر رؤية الأبصار لأن المتعلق بإدراك الشخص في مقام معرفته أولاً بالوجه المناسب هو الرؤية بالعين، مع أن هذا رد لمن ادعى الرؤية في الله سبحانه، مضافاً إلى أن الشيء الموجود الخارجي لا يدرك منه بالحواس الظاهرة إلّا أعراضه الطارئة، كالصوت بالسمع، واللون بالبصر، والرائحة بالشم، والطعم بالذوق، واللين باللمس، والأظهر منها في النظر هو الإدراك بالبصر. والمراد من إدراك الشيء الخارجي بالحواس، إدراك وجوده في الخارج بواسطة إدراك تلك الأمور العارضة، وكل ما يدرك بالبصر لا يلزم أن يكون مدركاً بغيره بخلاف العكس، لأن كلّ ما يدرك بغير البصر يدرك بالبصر البتة، فمدرك البصر أعم، كذا قيل وفيه نظر. والأكمل الأشيع الأوضح من إدراك الحواس هو الإدراك البصري، ولذا خص بالذكر كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[1]، وفسر الأبصار في الآية بالأوهام أيضاً كما قد يعبر عنها بالأنظار. وهذا إشارة إلى قول علي عليه السلام في حديث ذعلب اليماني: ويلك لا تدركه الأبصار بمشاهدة العيان، وإنما يدركه القلوب بحقائق الإيمان. وفي حديث هشام بن الحكم في إثبات الصانع: إن الأشياء لا تدرك إلّا بأمرين، الحواس والقلب، والحواس إدراكها على ثلاثة معانٍ: إدراك بالمداخلة، وإدراك بالمماسة، وإدراك بلا مداخلة ولا مماسة، فاما الإدراك الذي بالمداخلة فالأصوات والمشام والطعوم، واما الإدراك بالمماسة فمعرفة الأشكال من التربيع والتثليث، ومعرفة اللين والخشن، والحر والبرد. واما الإدراك بلا مماسة ولا مداخلة فالبصر، فإنه يدرك الأشياء بلا مماسة ولا مداخلة في حيز غيره ولا في حيزه، ولإدراك البصر

(١) الأنعام: ١٠٣

سبيل وسبب، فسبيله الهواء وسببه الضياء، فإذا كان السبيل متصلاً بينه وبين المرئي والسبب قائما، أدرك ما يلاقي من الأمور والأشخاص، فإذا حمل البصر على ما لا سبيل له في إنفاذه لم يدركه. وأما القلب فإنما سلطانه على الهواء، فهو يدرك جميع ما في الهواء، فلا ينبغي للعاقل أن يحمل قلبه على ما ليس موجوداً في الهواء من أمر التوحيد، فإنه إن فعل ذلك لم يتوهم إلّا ما في الهواء موجود، كما قلناه في البصر، تعالى الله عن ذلك كله. واللسان العضو المخصوص، قال في المصباح: هو يذكر ويؤنث، فمن ذكر جمعه على ألسنة، ومن أنث جمعه على ألسن، قاعدة كلية حيث قالوا: فعيل أو فعال ـ بالتثليث ـ إذا كان مؤنثاً، جمع على أَفْعُل نحو يمين وأيْمُن، ولسان وألسُن، وإن كان مذكراً جمع على أفعِلة كرغيف وأرغِفة، ولسان وألسِنة. قال أبو حاتم: والتذكير في اللسان أكثر، وهو في القرآن كله مذكر، وأما اللسان بمعنى اللغة كاللِّسن ـ بكسر اللام ـ فهو مؤنث، وقد يعتبر معنى اللفظ فيذكِّر فيقال: لسانه فصيح كما يقال فصيحة، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، وفي الخبر قال: «يبين الألسن ولا تبينه الألسن». ولسن لسناً ـ كتعب تعباً ـ: فصح فهو لسِن كخشِن، وأفعل التفضيل منه ألسن، ويحتمل أن يقرأ كذلك في الخطبة. والصفة اسم أو مصدر كالوصف من قولهم: وصفه وصفاً وصفة ـ من باب وعد ـ نعته بما فيه، والتاء في الصفة بدل من الواو كما في عدة، ويقال: الصفة إنما هي بالحال المنتقلة، والنعت بما كان في خلْق أو خلُق. وفي نهج البلاغة: «ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود» أي لعظمته أو لفيوضاته، أو لآثار صفاته التي هي عين ذاته، أو لصفة أفعاله، أو لحقيقته وذاته، وفيه: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» أي المعاني الزائدة كما يقول الأشاعرة «لشهادة كل صفة

أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه» أي أثبت له قريناً واجب الوجود. وفي الحديث: «فمن وصف الله سبحانه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله». قال بعض الشارحين: المراد من الوصف هنا أيضاً القول بان له صفة زائدة ومعنى زائد، ومن قال بان لله صفة زائدة فقد ميزه بصفة، ومن ميزه فقد قال بالتعدد، ومن قال بالتعدد فقد أبطل أزله. ومن كلام علي عليه السلام في إثبات الصانع: «ليست له صفة تنال، ولا حد يضرب له الأمثال» فنفى عليه السلام بهذه العبارة أقاويل المشبهة حيث شبهوه بالبلور والسبيكة وغير ذلك ممّا يكتنفه العرض، والعمق، والطول، والاستواء، وسائر أنحاء العوارض الطارئة الخارجية والذهنية. ومن أوصافه تعالى انه ليس مختلف الذات بأن يكون مركباً من الأجزاء، ولا مختلف الصفات بأن يكون له صفات زائدة على ذاته، أو ممّا ثبت له صفات الذات وصفات الفعل، والفرق بينهما أن كل صفة من صفاته تعالى توجد في حقه دون نقيضها كالعلم والقدرة ونحوهما، فهي من صفات الذات، وكل صفة توجد فيه تعالى مع نقيضها فهي من صفات الفعل كالإرادة والمشيَّة. وفرق آخر هو أن كل صفة من صفاته تعالى تتعلق بها قدرته وإرادته فهي من صفات الفعل، وكل صفة ليست كذلك فهي من صفات الذات، فالصفة الزائدة للذات منفية مطلقاً، كما أشير إليه في الروايات، ولم يبق حينئذٍ إلَّا صفة الذات مع كونها عينه لا زائدة عليه، وصفة الفعل مع كونها غيره، وهما حاصلتان لله سبحانه إلّا أن صفة الذات لا تنالها الألسن، لأنها هي الذات البحت البات الذي لا اسم له ولا رسم له. وأما صفة الفعل فلا تدرك ولا توصف أيضاً إلّا بالرسم والأثر لا بالحقيقة، مع أن الألسن لا تنال الرسم بتمامه، وإنما تحد الأدوات أنفسها وتشير

الآلات إلى نظائرها. والأوهام جمع الوهم، وهو القوة الوهمية التي مرّت إليها الإشارة، وهي تدرك المعاني الجزئية وبمعنى العقل أيضاً، إذ عمل كل قوة إنما يكون لتأييده وتشديده، والعقل يدرك المعاني الكلية، والله سبحانه ليس من جنس المعاني لا كلية ولا جزئية، قال عليه السلام: كلما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم، مردود إليكم. ولما كان الوهم بمعنى القوة الوهمية، يحصل منه الغلط كثيراً لابتنائه على الأمور الاعتبارية غالباً، أطلق الوهم ـ بالتحريك ـ على معنى الغلط والسهو أيضاً، يقال: وهم في الحساب يوهم وهما مثل غلط غلطاً ـ لفظاً ومعنى ـ أي سها، ووهم إلى الشيء يهم ـ من باب وعد ـ سبق إليه مع إرادة غيره، ووهمت وهما وقع في خلدي، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، وقد يستعمل في المهموز لازماً، وأوهم في الحساب مائة أي أسقط، ومنه أوهمت في الكلام أو الكتاب إذا أسقطت منه شيئاً. والكيفية حال الشيء وصفته من الكيف الذي يستفهم بها عن حال الشيء وصفته، وتستعمل مصدراً أيضاً وهو الأصل لمكان الياء والتاء، ويطلق الكيفية في الاصطلاح على الهيئة القارة التي لا تقتضي قسمة ولا نسبة لذاته، قيل: والهيئة والعرض متقارباً المفهوم، إلّا أن العرض يقال باعتبار عروضه، والهيئة باعتبار حصوله. ثم الكيفية إن اختصت بذوات الأنفس فتسمى كيفية نفسانية، وحينئذٍ إن كانت راسخة في موضوعها تسمى ملكة وإلّا فتسمى حالاً، فالملكة كيفية راسخة في النفس، والحال كيفية غير راسخة. وبالجملة فالكيفية عرض غير قابل للقسمة، بخلاف الكم فإنه عرض يقبل القسمة لذاته كالعدد والزمان ويقال له الكمية أيضاً، وأصلها كم الذي يستفهم به عن المقدار، وكل من الكم والكيف من الأعراض التسعة المشهورة التي تطلق عليها ـ مع إضافة الجوهر

- المقولات العشر، وهي: الجوهر، والكم، والكيف، ومتى، وأين، والملك، والوضع، والفعل، والانفعال، والإضافة، وكلها مجتمعة في قوله:

زيـــد طـــويـــل أســـــود بـــن مـــالـــك
فـــي داره بـــالأمـــس كـــان متكي
فـــي يـــده ســـيـــف لـــواه فـــالـــتـــوى
فـــهـــذه عـــشـــر مـــقـــولات ســـوى

ويقال للهيئة المجتمعة من الأعراض التسعة: الشكل، والصورة، ومدلول الفقرة انه يمتنع على الأوهام كيفيته تعالى، أي أن القوى الوهمية والعقلية كلها عاجزة عن إدراك كيفيته تعالى، وهذا يوهم ان لله تعالى كيفية ولكن لا تدركها العقول والأوهام، وليس ذلك بمراد البتة إذ ليس لله كيفية وإلّا لكان محل العوارض الحادثة الكونية، فيلزم فيه التركيب والحدوث، بل المراد نفي أصل الكيفية من باب السالبة بانتفاء الموضوع، أي لا كيفية له تعالى حتى تدرك. ويمكن أن يكون إطلاق الكيفية على سبيل الفرض، أي لو فرض له تعالى كيفية أيضاً كانت بحيث لا تدركها العقول، وكيف وليست له كيفية وهو تعالى كيف الكيف، كما أنه لا أين له تعالى وهو أين الأين، أو يفرض ان لله تعالى أيضاً في نفسه كيفية لكن لا كالكيفيات، والمنفي إنما هي الكيفية الخلقية لا الخالقية، كما يقال: إنه تعالى شيء لا كالأشياء، وجوهر لا كالجواهر. أو المراد هو الكيفية الموجودة للعناوين العالية، والمبادي البادية التي هي الهادية إليه والدالة عليه، كما ورد: إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا، وإنما خلق قلوباً اختارها لنفسه، وجعل أسفها أسفه،

في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾(1)، فيقال: إنه تعالى خلق لنفسه عناوين هي مظاهره، فجعل صفتها صفته، وكيفيتها كيفيته، فتأمل. قولهاعليها السلام: «ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها». ابتدع الأشياء أي أحدثها، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾(2) أي أحدثوها من عند أنفسهم، فيكون ابتدعها بمعنى أبدعها، فيكون ابتدع مبالغة أبدع، وقد مرّ معنى الإبداع والفرق بينه وبين الاختراع، والابتداء، والإبداء، والانشاء، فراجع. والأشياء جمع الشيء، والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه، قال المفسرون: وهو أعم عام يجري على الجسم والعرض والقديم والحادث، تقول: شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات، وعلى المعدوم والمحال. قالوا: إن قلت: كيف قيل إنه تعالى على كل شيء قدير، وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر؟ قلنا: مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا، فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها، فكأنه قال: إنه على كل شيء مستقيم مستقدر قدير. وقال في مجمع البيان: الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، قال سيبويه: وهو أول الأسماء وأعمها وأبهمها، يقع على الموجود والمعدوم، وقيل: إنه لا يقع إلّا على الموجود، والصحيح الأول وهو مذهب المحققين من المتكلمين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(3)، والشيء المحدث بعد الوجود خارج عن المقدورية، فالقدرة عليه في حال عدمه، وعلى هذه المسألة يدور أكثر مسائل التوحيد، انتهى. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا

(1) الزخرف: ٥٥

(2) الحديد: ٢٧

(3) البقرة: ٢٠

يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴾[1] قال الصادق عليه السلام: أي لا مقدرا ولا مكونا، فإن المقدور هو الممكن وهو أعم من المكون، وقيل: معناه لا مقدراً في اللوح المحفوظ ولا مكوناً مخلوقاً في الأرض. ومادة الشيء من المشية ولعله مخفف الشي، كما يقال: ميت وبين في ميت وبين، وهين ولين في هين ولين، وهو فعيل بمعنى المفعول أي المشاء. وقولنا: الأشياء جمع شيء ينحل إلى وجهين، أحدهما أنه أفعال كما قال الكسائي، كما يقال: قول وأقوال، وهذا مبني على أن الأشياء، شيء مستقل بنفسه، والثاني أنه أفعاء كما قال الفراء وأصله أفعلاء، كما يقال: صديق وأصدقاء وبين وأبيناء، ثم خفف بخلاف اللام للثقل، وهذا مبني على أن الشيء مخفف شيئ. وهنا قول ثالث وهو لسيبويه، وهو أن أشياء لفعاء، وأصلها شيئاء على صحراء، فقلبت الهمزة التي هي اللام قلبا مكانيا كراهة اجتماع ألف بين همزتين فجيء به قبل الفاء. ورجح بعضهم قول سبيويه لئلّا يلزم منع الصرف بلا سبب، فإن أشياء غير منصرف على المشهور، ولا وجه له على القولين الأولين، فلإشكال الأمر في أشياء قال بعضهم في المقام بعد النقض والإبرام، إيهاماً لما في أمره من الإشكال والإبهام: ان الأولي فيها إجمال الكلام كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[2].

وقولها عليها السلام: «لا من شيء كان قبلها «أي لا من شيء آخر أي لا من مادة، ولم تقل (من لا شيء) حتى لا يتوهم أن لا شيء - وهو العدم - مادة الأشياء، لأن من تدخل على المادة، فقدم النفي على من إفادة أن كونها من مادة منفي، بل ابتدائها إنما هو بلا مادة. والاحتذاء بشخص

---

(١) مريم: ٦٧

(٢) المائدة: ١٠١

بمعنى الاقتداء به في الأمور، والمساواة معه بالإتيان بمثل ما أتى به من الحذو في قولهم: حذوت النعل بالنعل حذواً وحِذاءً ـ بالكسر ـ قدرتها بها وقطعتها على مثالها وقدرها، وفي الخبر: لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة. وفي خبر آخر: حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، أي تعملون مثل أعمالهم كما تقطع إحدى النعلين على قدر النعل الأخرى، وكما تقدر القذة بالقذة، وهي ريش السهم. وفي خبر آخر: يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل..، ويكون كل من الحذو والحذاء اسماً أيضاً، يقال: رفع يديه حذو أذنيه وحذاء أذنيه، ومنه المحاذاة بمعنى الموازاة والمساواة. والحذاء للنعل ـ بالكسر ـ مصدراً بمعنى المفعول، وكذا الحذاء لما يطأ عليه البعير من خفه والفرس من حافره، والحذاء اسم للإسكاف وهو من يعمل الحذاء، وبالجملة فيقال: احتذى مثاله أي اقتدى به واتبعه في فعله، والاقتداء أن يعمل الشخص مثل عمل الآخر. والمثال: الصورة كما مرَّ، والجمع أمثلة، وامتثلها أي أخذها مثالاً وعنواناً أي تبعها، والمراد أنه تبع صاحبها في فعلها، ومنه امتثل الأمر أي أطاعه، كأنه أخذه صورة وعنواناً في يده فعمل على طبقه، وكذا امتثل به بتضمين معنى أذعن، وفي بعض النسخ أمثلها من باب الأفعال أي صورها بأن أنشأ صورها أولاً ثم خلق على مثالها. ويظهر من الفقرة ان الانشاء هو الإيجاد بلا مثال، والإبداع هو الإيجاد بلا مادة، وقد مرّ تحقيق الكلام في المرحلة، والحاصل في معنى الفقرة أن الله تعالى أنشأ الأشياء بلا مادة سابقة، ولا اتباع صورة قبلها موجودة سواء كانت الصورة من صنع نفسه أو صنع غيره.

كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوِينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ.

■ العلّامة المجلسي:

تنبيهاً على طاعته: لأن ذوي العقول يتنبهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم بها واجب، أو أن خالقها مستحق للعبادة، أو بأن من قدر عليها يقدر على الاعادة والانتقام. وتعبداً لبريته: أي خلق البرية ليتعبدهم، أو خلق الأشياء ليتعبد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه. وإعزازاً لدعوته: أي خلق الأشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء إليه بالاستدلال بها. وذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته: الذود والذياد ـ بالذال المعجمة ـ: السوق والطرد والدفع والإبعاد. وحشت الصيد أحوشه إذا جئتَه من حواليه لتصرفه إلى الحبالة. ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنة.

■ الأنصاري التبريزي:

التكوين: الإيجاد من قولهم: كوّن الله الشيء فكان أي أوجده، أو هو

بمعنى التصوير من قولهم: كون الله الولد فتكوّن أي صوّره فتصوّر، فلا مطاوعة على الأول لعدم وجود شيء هناك أولاً بالمرة لا مادة ولا صورة، كما قيل في مقام إثبات أن القابلية والاستعداد في كل شيء أيضاً من فيض الله سبحانه.

بخلاف الثاني إذ المطاوعة فيه واضحة، ويمكن المطاوعة في الأول أيضاً باعتبار ما يأتي إليه الإشارة. وقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1] قيل: معناه أحدثْ فيُحْدث، قال في الكشاف: وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول، ثم قال: وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه، فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل، ولا يمتنع، ولا يتوقف، ولا يكون منه الإباء، انتهى. وكذا في تفسير الصافي بأدنى تغيير في العبارة، ثم نقل عن العيون، عن الرضا عليه السلام: إنَّ (كُنْ) منه تعالى صنع وما يكون به المصنوع، قال: وفي نهج البلاغة: إنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، قال عليه السلام: يقول ولا يلفظ، ويريد ولا يضمر، وقال: يريد بلا همة. وفي مجمع البيان: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ التقدير أن يكونه فيكون، فعبر عن هذا المعنى بكن لأنه أبلغ فيما يراد وليس هنا قول، وقيل: إن المعنى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول من أجله كن فيكون، فعبر عن هذا المعنى بكن، وقيل: إن هذا إنما هو في التحويل، نحو قوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2] و﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[3] وما أشبه ذلك.

أقول: ويمكن أن يكون هناك قول ومخاطب، وذلك إما بأن يقال

---

(١) البقرة: ١١٧

(٢) البقرة: ٦٥

(٣) الإسراء: ٥٠

إن لكل شيء إمكاناً مخصوصاً به لتفاوت الإمكانات بالأشرفية وغير الأشرفية، فيمكن أن يخاطب الله تعالى إمكان كل شيء بقوله: «كن» أي صر كوناً، أو أن في لوح الإمكان صوراً علمية غير متناهية، ولكل شيء يدخل في الوجود في أي زمن كان صورة مخصوصة به هناك، فيمكن أن يخاطب الله تلك الصورة عند خلقه بقوله: (كن، فيكون) ويشير إلى هذا ما روي عن النبي ﷺ: إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نور الوجود، فتكوَّنوا فظهروا. فيكون الخلق هنا بمعنى التصوير والتقدير، ويجعل الإمكان لكون الصلوح المجرد عن الوجود ظلمة ساترة لكل موجود، فالتكوين يحصل بإخراج الشيء عن ظلمة العدم من جهة إفاضة نور الوجود، فيكون ويتحقق حينئذٍ الأمر والمخاطب في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ويستغني عن التكلفات التي ارتكبها الأكثرون في هذا المقام الذي هو من مزالِّ الأقدام. والمكان هو موضع كون الشيء، وكون الشيء هو حدوثه ووقوعه، وهو بهذا المعنى تام لا يحتاج إلى الخبر، تقول: كان الأمر كذا، وأنا أعرفه مذ كان. قال الجوهري: وتقول: كان كوناً وكينونة أيضاً تشبيهاً بالحيدودة والطيرورة من ذوات الياء، ولم يجئ من الواو على هذا إلّا أحرف: كينونة، وهيعوعة، وديمومة، وقيدودة، والأصل في كَيّنونة كَيْنونة ـ بتشديد الياء ـ فحذفوا إحدى اليائين كما حذفوها من هين وميت، ولولا ذلك لقالوا: كونونة. والقدرة مصدر من قولك: قدرت على الشيء قدرة ـ من باب ضرب ـ إذا قويت عليه وتمكنت منه، وهي تستعمل اسم مصدر أيضاً، والفاعل قدير وقادر وفي الأول دلالة على المبالغة، والشيء مقدور عليه. وأصل القدرة هو أن الفاعل إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهي بالنسبة إلى طرفي الفعل

---

(١) البقرة: ١١٧

وعدمه متساوية، وإلّا لكان وجوباً أو امتناعاً، والغالب تعليقها على المعدوم الممكن، بل قيل: إنها لا تتعلق بالموجود أصلاً، لأن القدرة على الشيء أنه إن شاء فعله أي أحدثه والا فلا، والشيء لو تعلق به القدرة بعد الوجود لزم تحصيل الحاصل، ولذا قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] أي على كل شيء معدوم ممكن الوجود. والحق إن القدرة كما تتعلق بالمعدوم الممكن باعتبار إبقائه على عدمه، أو إخراجه من العدم إلى الوجود كما هو الغالب، فكذا تتعلق على الموجود الممكن باعتبار إبقائه على حال وجوده أو إخراجه من الوجود إلى العدم. واما اعتبار كونه ممكناً فلأن الإرادة التي لا تفعل القدرة، ولا تؤثر إلّا بها لا تتعلق بالمستحيل إلّا للعجز عنه، بل لعدم قابلية نفس المستحيل للوجود، فإن الشيء إذا كان له قابلية الوجود ولم تتعلق القدرة به فهو عجز، لأن العجز عدم القدرة على ما من شأنه القدرة عليه، نظير العمى فإنه عدم البصر عمّا من شأنه البصر، فكما لا يطلق على الجدار أنه أعمى، فكذا لا يطلق على المستحيل أنه معجوز عنه، فإنه ليس بموضوع للقدرة والعجز، كما أن الموجود قبل وجوده ليس بموضوع للجبر والاختيار. وفي حديث هشام بن الحكم مع عبد الله أبي شاكر الديصاني، عن الصادق عليه السلام وقد سأله: إن الله قادر أن يدخل الدنيا كلها بالبيضة، لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة، فأجابه بما حاصله عدم امتناع ذلك في القدرة ممثلاً باجتماع الدنيا كلها في إنسان العين، حيث إنه إذا نظر إلى الدنيا رأى السماء، والهواء، والأرض، والجبال، والبراري، والقفار، والصحاري، والأشجار، والأنهار، والظلم، والأنوار، مع أنه بقدر الحمصة، فإنسان العين لم يكبّر والدنيا لم تصغّر. قيل: وكأنه جواب

(١) البقرة: ٢٠

إقناعي يقنع به السائل ويسكت، ويكتفي به ويرتضيه، وإلّا فما ذكره من الأمور المستحيلة الممتنعة في ذاتها، الممتنعة الوجود في الخارج في جميع حالاتها. والتحقيق ما أجاب به علي عليه السلام حين سئل عن ذلك وقال: إن الله تعالى لا يوصف بالعجز، ولكن الذي سألتني عنه لا يجوز - أو لا يكون - ومن أقدر ممن يلطف الدنيا ويعظم البيضة. ولما كان يحصل من فعل القادر للأمر المقدور عليه صورة وحالة فيه، أطلق القدر - بالتحريك - على تلك الحالة، فيكون اسماً كما يكون مصدراً أيضاً نظير المقدور - بالفتح فالسكون -، والتقدير جعل قدر وقدر للشيء، وفي الخبر: إن الله تعالى قدر التقادير، ودبر التدابير. والقدر - بالتحريك - ما قدره الله أيضاً، وهو أخو القضاء، وكل منهما من جملة المراتب الستة اللازمة في تكوين كل مكون كما سيذكر، وفي الخبر: سئل عن القدر فقال عليه السلام: طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه. وفي مسألة القضاء والقدر أبحاث مفصلة لا تليق بالمقام، مع أن سد باب البحث عنهما بالمرة أولى للخواص والعوام. قولها عليها السلام: «وذرأها بمشيته...». الذرء: الخلق من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾[1] من باب منع أي خلقكم ويذرأكم أي يخلقكم، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[2] أي خلقناهم لجهنم أي على أن مصيرهم إلى جهنم بسوء اختيارهم، وهم الذين علم الله أن لا لطف لهم، وفي الخبر: هم ذرء النار، أي خلقوا لها. والذرية - مثلثة - اسم لنسل الإنسان مطلقاً من ذكر وأنثى كالأولاد وأولاد الأولاد، وأصلها الهمزة لأنها فعولة من ذرأ الله الخلق أي خلقهم، وقيل: أصلها ذرورة فعلولة من

(١) الملك: ٢٤

(٢) الأعراف: ١٧٩

الذر بمعنى التفريق، لأن الله تعالى ذرهم في الأرض أي فرقهم، ولثقل التضعيف أبدلوا الراء الأخيرة ياء، ثم أعلَّ البنية فصارت ذرية، ويمكن أن يكون اشتقاقها من الذر بمعنى النمل، أو مفرد ذرات الشمس، أو الذر بمعنى النقطة، أو الجزء الغير المتجزي. والمشية مصدر قولك: شاء يشاء، وأصلها مشيئة - بالهمزة - وهي المرتبة الثانية من المراتب الستة اللازمة في تكوين كل شيء كما أشير إليه آنفا، وهي: العلم، والمشية، والإرادة، والقدر، والقضاء، والإمضاء التي سُمّيت بستة أيام في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ على وجه من وجوه المعاني في الآية الشريفة. وأصل المشية هو تأكد العلم والإرادة تأكد المشية، ولا يكون شيء من الأشياء إلّا بهذه، وقد تطلق المشية على الإرادة، وفي الخبر: «خلق الله الأشياء بالمشية والمشية بنفسها» أي بلا واسطة أخرى غير نفسها، والظاهر أنّ المراد من المشية فيه هو الإرادة، والأولى فيهما أن يجعلاه من باب إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. وفي الخبر في التوحيد وغيره: إن لله تعالى إرادتين ومشيتين، إرادة حتم وإرادة عزم، وكذلك المشية، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وشاء أن يأكلا، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت إرادتهما مشية الله، وأمر إبراهيم أن يذبح إسماعيل ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشية إبراهيم مشيته تعالى. وفيه أيضاً: أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل. والحتم أن يعطي الله الشيء ويريد منه بقدر اقتضاء قابليته واستعداده، والعزم أن يحكم فيه لقدرته المطلقة بلا لحاظ الاستعداد والقابلية، ويمكن العكس كما قيل به أيضاً. والظاهر عندي

هو الأصل لا العكس، وعلى ذلك يبتنى توجيه الأجل الحتمي والأجل المعلق، وإن كان المعلق أيضاً يرجع في الحقيقة إلى الحتمي كما هو الحق المحقق. والحاجة: الاحتياج، يقال: حاج الرجل يحوج إذا احتاج، وكذلك أحوج فهو محوج، قال في المصباح: وقياس جمعه بالواو والنون لأنه صفة، والناس يقولون: محاويج مثل مفاطير ومفاليس، وبعضهم ينكره ويقول: هو غير مسموع، ويستعمل أحوج متعدياً أيضاً، يقال: أحوجه الله إلى كذا. والحاجة كما تستعمل مصدراً تستعمل اسم مصدر، كما أنها تستعمل اسماً أيضاً بمعنى الشيء المحتاج إليه، وبمعنى مطلق المقصود لما فيه من جهة الحاجة، وتكرر في الحديث: «من لم يفعل كذا فليس لله فيه حاجة»، والحاجة فيه مصدر أو اسم مصدر، وهو كناية عن التخلي عنه، وعدم الالتفات إليه بالرأفة والرحمة. وجمع الحاجة حاج وحاجات وحوج وحوائج على غير قياس كأنه جمع حائجة، وكان الأصمعي ينكره ويقول هو مولد، قيل: وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلّا فهو كثير في كلام العرب. والحوجاء أيضاً الحاجة، يقال: مالي فيك حوجاء ولا لوجاء، قال ابن السكيت: كلَّمتُه فما ردّ عليّ حوجاء ولا لوجاء، وهذا كقولهم: فما رد علي سوداء ولا بيضاء، أي كلمة قبيحة ولا حسنة. والفائدة: الزيادة تحصل للشخص، وهي اسم فاعل من قولك: فادت له فائدة فيداً ـ من باب باع ـ إذا حصلت وزادت، وأفدته مالاً: أعطيته، وأفدت منه مالاً: أخذته بمعنى استفدت، قيل: وكرهوا أن يقال: أفاد بمعنى استفاد، وإن كان بعض العرب يقول:

ناقته ترمل في النقال

مهلك مال ومفيد مال هذا

ولكن الظاهر أنّ المعنى مهلك مال على صاحبه ومفيد مال له،

فالمفيد هنا متعدٍّ لا لازم بمعنى مستفيد. والتصوير: إنشاء الصورة أي إحداث الشكل والهيئة، وتصوير الشيء تمثيله، والتصاوير التماثيل، وفي الخبر: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة». وهو إما لكون عملها مضاهياً لخلق الله، أو لأن حفظ الصورة في البيت تشبه بعبدة الأصنام، أو المراد من الصورة صورة ما كانوا يعبدون من دون الله، أو لاحتمال أداء حفظ الصورة إلى عبادة الصور، أو لكونه موجباً للاشتغال عن ذكر الله تعالى ونحو ذلك. وحديث (إن الله خلق آدم على صورته) معروف، وله توجيهات مشهورة في مجمع البحرين وأنوار السيد الجزائري وغيرهما، وقد استوفينا ما يحتمل في معناه بما لا مزيد عليه في كتابنا المسمى بـ«الأصول المهمة» حتى أنهيناها إلى ما يقرب من عشرين وجهاً. وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة، كقولهم: صورة الأمر كذا أي صفته، ومنه صورة المسألة كذا أي صفتها، وليس ذلك بمراد هنا، وتصورت الشيء مثلت صورته وشكله في الذهن، والمصوِّر من أسماء الله تعالى، وهو الذي صور صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة، يتميز بها الأشياء بعضها عن بعض على اختلافها وكثرتها. وقد يراد من التصوير الخلق والإيجاد انتقالاً من اللازم إلى الملزوم، ويمكن أن يكون المراد من التصوير هنا هذا المعنى، أي إيجاد المادة مع الصورة، كما يمكن أن يراد أصل المعنى أي إحداث نفس الصورة بعد خلق المواد المطلقة أولاً ثم تقييدها بالصور المقيدة. والتبيين بمعنى الإظهار من بان يبين بياناً إذا ظهر واتضح، ومنه سلطان بين أي واضح، ومنه البيان أيضاً لما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، كما يطلق على المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير. و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[1] قيل: أي فصل ما بين الأشياء، أو المنطق الفصيح، أو المراد من الإنسان آدم عليه السلام، والبيان هي اللغات المختلفة، أو أسماء كل شيء، أو الإنسان محمد صلى الله عليه وآله، والبيان ما كان وما يكون. والبيان: الفصاحة واللسن، وفلان أبين من فلان أي أفصح، وفي الحديث: «إن من البيان لسحراً» أو «إن من الشعر لحكمة»، وتبين الشيء إذا ظهر وتجلى، وأبان الشيء إبانة وبينة تبييناً أظهره، والتبيان جعل الشيء مبيناً بالحجة كالتبيين، وهو بالكسر من المصادر الشاذة. قال الجوهري: لأن المصادر من هذا الوزن إنما تجيء على وزن التفعال ـ بفتح التاء ـ كالتكرار والتذكار، ولم يجئ بالكسر إلّا حرفان هما التبيان والتلقاء. وقد يجيء أبان وبين بمعنى بان وتبين، قال تعالى: ﴿لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2] أي واضح بيّن، أو هو بمعنى مظهر العداوة، و﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[3] أي واضح بيّن، ﴿أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[4] أي واضح، (قد بين الصبح لذي عينين) أي تبين، وأصله من قول علي عليه السلام في آخر خبر اشتراء شريح القاضي ولداً بالكوفة حيث قال عليه السلام:

قـد بـيـن الـحـق لـذي عينين
إن الـرحـيـل أحـد الـيـومـيـن
تـزودوا مـن صـالـح الأعـمـال
وقـربـوا الآمـال بـالآجـال

(١) الرحمن: ١ - ٤
(٢) يس: ٦٠
(٣) الأعراف: ١٠٧
(٤) النساء: ١٩

ونظير أبان الأمر وأبانه استبان الأمر واستبانه، ومن هذه المادة البَيْن للفراق والفصل بين الشيئين بالبعد الظاهري، وأما المعنوي فبالواو، يقال: بَيْنَ الأمرين بون بعيد، ووقع البين بين الحبيبين. والحكمة: وضع كل شيء في موضعه المناسب له، وهو ينشأ من العلم ونحوه، ولذا قد تطلق على العلم، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] أي العلم، ويوفق للعمل أيضاً، وفسر بالقرآن والفقه أيضاً والمراد علمهما، قيل: أو المراد فهم المعاني المانع عن الجهل، أو معرفة الإمام وطاعة الله، أو صلاح أمور الآخرة والدنيا من المعارف والعلوم. وقيل: الحكمة هي العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعارة من حكمة اللجام بمناسبة المنع عن الإفراط والتفريط، ويحتمل كون الاشتقاق بالعكس بأن تكون كلمة اللجام مأخوذة من الحكمة. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[2] أي الفهم والعقل، وفلان صاحب حكمة إذا كان متقنا للامور، والحكمة علم الشريعة أيضاً، و«إن من الشعر لحكمة «أي كلاما نافعا كالمواعظ والأمثال. وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] قيل: الحكمة النبوة، والموعظة الحسنة القرآن، والمجادلة هو الاستدلال بالقواعد الميزانية. وقيل: المراد بالحكمة المقالة المحكمة الصحيحة، الموضحة للحق، المزيحة للشبهة، وهذا للخواص، والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة، والعبر النافعة التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتنفعهم فيها، وهذا للعوام، والمجادلة بالتي هي أحسن أي المجادلة بالطريقة

---

(١) البقرة: ٢٦٩

(٢) لقمان: ١٢

(٣) النحل: ١٢٥

التي هي أحسن طرق المجادلة، وهذا للمعاندين والجاحدين، وقيل: الحكمة بيان كيفية الوجود، وان حكمة وضع الأشياء تقتضي مدبراً كذا وكذا. والموعظة الحسنة مثل قولك للكفار والملحدين: إن كان الأمر كما تقولون من عدم البعث والنشر فنحن وأنتم سواء، وإن كان كما نقول فقد نجونا وهلكتم. والحاصل إراءة سبيل الاحتياط، والأمر بسلوكه، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال الصادق عليه السلام: هي مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] في جواب من قال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾. وبغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً، فيورد عليك باطلاً فلا ترده بحجة قد نصبها الله، ولكن تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لا تدري كيف المخلص منه، فيقوى حينئذٍ اعتقاد المبطل ويضعف اعتقاد ضعفاء أهل الحق. وقيل: المراد بدليل الحكمة الدليل الذوقي العياني، ومنشؤه الفؤاد الذي هو أعلى مشاعر الإنسان، والموعظة الحسنة تعلم الطريقة وتهذيب الأخلاق ومنشؤه العقل، ودليل المجادلة هو الأدلة الظاهرية العلمية ومنشؤها النفس. والحكيم من أسماء الله تعالى فَعِيل من الحكمة، أو هو بمعنى المحكم من الأحكام لأنه يحكم الأشياء ويتقنها بجعلها في موضعها للعلم بأوضاعها وحالاتها، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم. والحكمة أيضاً معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة العملية ما لها تعلق بالعمل كالطب، والحكمة العلمية مالها تعلق بالعلم، كالعلم بأحوال أصول الموجودات الثمانية: الواجب، والعقل، والنفس، والهيولى، والصورة، والجسم، والمادة، ورسموا الحكمة العلمية أيضاً بأنه العلم بأحوال أعيان

---

(١) يس: ٧٩

الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية على مقتضى القوانين العقلية. وأما علم الكلام فهو ذلك لكن بمقتضى القوانين الشرعية، ولذا رسم بأنه العلم الباحث عن أحوال المبدأ والمعاد على نهج قانون الإسلام. والحكماء المشهورون السابقون ـ على ما قال شيخنا البهائي رَحِمَهُ اللهُ ـ أحد عشر حكيماً، ومنهم انتشر أهل العلم، وهم أساطين الحكمة، أفلاطون في الإلهيات، أبرخس بطليموس في الرصد والهيئة، والمجسطي بقراط وجالينوس وذو مقرط في الطب، أرخميدس وإقليدس وبلينوس في الرياضي، وإرسطا طاليس في الطبيعي والمنطق، سقراط وفيثاغورس في الأخلاق. قولهاعَلَيْهَا السَّلَامُ: «وتنبيهاً على طاعته، وإظهارا لقدرته». التنبيه من نَبِهَ للأمر نبهاً ـ من باب تعب ـ ونبه من نومه نبها، ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: أنبهته من نومه ونبهته فانتبه، ونبهته على الشيء أوقفته عليه. والفقرة إشارة إلى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا» جعل غفلتهم عن الحي القيوم نوماً أو بمنزلة النوم، فهم عن طاعة ربهم نائمون، وعن عبادة إلههم ساهون، وعن ذكره تعالى غافلون، وبمعرفته جاهلون، فإذا رأوا آيات الله سبحانه انتبهوا عن نومة الذهول، وتيقظوا عن رقدة الغفلة، فإن ذوي العقول والحجى يتنبهون بمشاهدة مصنوعاته تعالى على أن شكر خالقها والمنعم بها واجب، وأداء فرض حقه فرض لازم، وقرض لازب. أو أن خالقها وصانعها مستحق للطاعة والعبادة، أو أن من قدر عليها قدر على الانتقام والإعادة ونحو ذلك من الأمور اللازمة التي ينبغي التنبه لها، والاستيقاظ إليها لتحصيل المعرفة، والعبادة، والعلم، والزهادة، والرغبة، والرهبة، والرجاء، والخشية. والطاعة من قولهم: أطاعه إطاعة أي انقاد له، وأطاعه طوعاً ـ من باب قال ـ لغة، ويعديه بعضهم بالحرف فيقول: طاع له،

ونقل من باب باع وخاف أيضاً، والطاعة اسم منه. وفي الخبر: (لا طاعة في معصية الله) يريد طاعة ولاة الأمر إذا أمروا بما فيه معصية كالقتل والقطع، أو المراد أن الطاعة لا تسلم لصاحبها ولا تخلص إذا كانت مشوبة بالمعصية، وإنما تصح الطاعة مع اجتناب المعاصي، والأول أشبه لما في خبر آخر: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق). وفلان طوع يديك أي منقاد لك كأنه مصدر بمعنى الفاعل، وفرس طوع العنان إذا كان سلساً، ولسانه لا يطوع بكذا طوعاً أي لا يتابعه، والتطوع بالشيء التبرع به، والفاعل من أطاع: مطيع، ومن طاع: طائع، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[1] أي سهلت أو شجعت ونحو ذلك، ولا يكون الطاعة إلّا عن أمر، كما لا يكون الجواب إلّا عن قول. والتعبد من قولهم تعبده واستعبده أي جعله كالعبد أو اتخذه عبداً، وكلاهما هنا صحيح، ويقال: عبده إذا أطاعه، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾[2] و﴿لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، وفي الخبر: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده). وأصل العبد خلاف الحر مشتق من العبادة، أو العبادة مأخوذة منه، وهي بمعنى غاية الخضوع والتذلل، وهي لا تحسن إلّا لله الذي هو مولى جميع النعم صغيرة أو كبيرة، فهو حقيق لغاية الشكر، والإطلاق في عابد الوثن ونحوه مجازي بملاحظة التشبه الصوري. والفقرة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] أي لأجل العبادة المستلزمة للمعرفة أيضاً، إذ لا معنى للعبادة بدون المعرفة، ولذا

(١) المائدة: ٣٠

(٢) سبأ: ٤١

(٣) يس: ٦٠

(٤) الذاريات: ٥٦

فسر قوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ بنحو ليعرفون أيضاً، إذ الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وتبعيدهم عن العقاب، ولا يحصل ذلك إلّا بأداء العبادات، وسلوك طريق القربات. والتعبّد التنسك أيضاً، ومنه قوله عليه السلام: (سجدت لك تعبداً ورقاً) والتعبّد الدوام على العبادة، ومنه العابد المتعبد للعابد الدائم على العبادة، ولا يصح هذا المعنى هنا إلّا على القول بأن المفعول لأجله يجوز أن يكون فعلاً لغير فاعل الفعل المعلل به، كما ذكره نجم الأئمّة واستشهد عليه بقول علي عليه السلام في نهج البلاغة في إبليس: (فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماما للبلية، وإنجازا للعدة)، ويمكن تأويله بحيث لا يستلزم التفكيك بين فقرات الخطبة. وقال المحقق الطوسي في الأخلاق الناصرية: عبادة الله تعالى ثلاثة أنواع: الأول ما يجب على الأبدان كالعبادات البدنية، الثاني ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحة في أصول المعرفة، الثالث ما يجب عند مشاركة الناس في المدن، وهي المعاملات، وتأدية الأمانات، ونصح البعض لبعض بضروب المعاونات. لكن الحق أن يقال: الأول العبادة البدنية بالعمل بالفروع الشرعية، الثاني العبادة النفسية بتهذيب الأخلاق والاتصاف بالصفات المرضية، والثالث العبادة العقلية بتهذيب العلم وتحصيل المعرفة في الاعتقادات الدينية الأصولية، ويقال للعلوم المتكفلة لأبحاثها: علم الشريعة، وعلم الطريقة، وعلم الحقيقة على طريق اللف والنشر المرتب، فتأمل. وفي الخبر: إن حقيقة العبودية ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً كالعبد، بل يرى المال مال الله يضعه حيث أمره الله، وأن لا يدبر العبد لنفسه تدبيراً بل يرى تدبيره بيد الله، وأن يجعل جملة اشتغاله فيما أمر الله ونهاه عنه، فعلى الأول يهون عليه الإنفاق، وعلى الثاني تهون عليه مصائب الدنيا،

وعلى الثالث لا يتفرغ عنه إلى المراء والمباهاة. وإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا ومصائبها، ولا يطلبها تفاخراً وتكاثراً، ولا يطلب عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلة، فهذا أول درجات المتقين. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(1) السورة، قيل: أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال، ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي إلهي الذي أعبده اليوم وفي هذه الحال، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أي فيما بعد اليوم، ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ بعد اليوم من الأوقات المستقبلة. قال الزجاج: نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفيما يستقبل، وكذا عبادة الله بالنسبة. وفي الحديث: سئل أبو جعفر الأحول عن مثل هذا القول وتكراره مرة بعد مرة، فلم يكن جواب عند أبي جعفر الأحول في ذلك بشيء حتى دخل المدينة، فسأل أبا عبد الله عليه السلام فقال: كان سبب نزولها وتكرارها أن قريشاً أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. فأجابهم الله تعالى بمثل ما قالوا، فقال فيما قالوا تعبد آلهتنا سنة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وفيما قالوا نعبد إلهك سنة: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وهكذا الفقرتان الأخيرتان، فرجع الأحول إلى أبي شاكر فأخبره بذلك، فقال أبو شاكر نافياً لكون هذا الكلام من الأحول: حملته الإبل من الحجاز. وفي حديث هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام: إذا قلت ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فقل: ولكني أعبد الله مخلصاً له ديني، فإذا فرغت منها فقل: ديني

---

(1) الكافرون: ١ - ٦

الإسلام ـ ثلاثاً ـ. والبرية: الخلق بمعنى الخليقة، ومنه إطلاق خير البرية على النبي وآله أي خير الخلق والخليقة، وكذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[1] وعن ابن عباس: أنها نزلت في علي عليه السلام وأهل بيته. وفي الخبر عن علي عليه السلام قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري، فقال صلى الله عليه وآله: يا علي ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[2] هم شيعتك، وموعدي وموعدك الحوض إذا جمعت الأمم للحساب يدعون غُراً محجلين. وأصل البرية من قولهم: برأ الله الأشياء أي خلقها فهو بارئها وخالقها، وأصلها بريئة فعيلة بمعنى مفعولة، ويجمع على البراياء والبريات، وقال الجوهري: وقد تركت العرب همزتها أي قلبها ياء وأدغمت، وفي قول الفراء: إن أخذت البرية من البري بمعنى التراب لخلق آدم منه، فأصلها غير الهمز. وفي حديث علي بن الحسين عليه السلام: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد عدد الثرى، والورى، والبرى» أي التراب. وفي المجمع: هو الله الخالق البارئ المصور، قيل: الخالق المقدر لما يوجده، والبارئ المميز بعضهم عن بعض بالأشكال المختلفة، والمصور الممثل، ثم قال: والبارئ اسم من أسمائه تعالى، وفسر بالذي خلق الخلق من غير مثال، وعن بعض هو الذي خلقها من غير مادة، فعلى هذا يجوز أن يكون البرية بمعنى المخلوق من غير مثال ولا مادة أيضاً. قولها عليها السلام: «إعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته». الإعزاز: الإكرام أو التقوية، أو جعل الشيء عزيزاً غالباً، من العز بمعنى الكرامة بعد الذلة، أو القوة بعد الضعف، أو بمعنى الغلبة بعد المغلوبية، يقال: عز

---

(١) البينة: ٧

(٢) البينة: ٧

الشيء يعز عزاً ـ من باب ضرب ـ إذا كرم أو قوى أو غلب، وأعزه الله إعزازاً أي أكرمه أو قواه أو غلبه. وقوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[1] يخفف ويشدد أي قوّينا وشددنا، وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[2] أي شديد عليه يغلب صبره. والاسم: العزة بمعنى الغلبة والقوة والكرامة أيضاً، وعن الشيء أيضاً إذا قل بحيث لا يكاد يوجد فهو عزيز الوجود، وأصله من المعنى السابق أيضاً، فإن الشيء كلما قل صار ذا عزة وكرامة، وإليه يشير قولهم: (كل شيء إذا كثر رخص إلّا العقل، فإنه إذا كثر غلا) وعز علي كذا ـ من باب تعب ـ أي اشتد علي كذا. ومنه قول الحسين عليه السلام يوم الطف للقاسم بن الحسن حين وقف على رأسه بعد الشهادة: (يا ابن أخي يعز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك). ومن أسمائه تعالى العزيز أي الغالب القوي الذي لا يغلب، قيل: والعزيز في لغة العرب الملك، والمعز أي الذي يهب العز لمن يشاء من عباده، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾[3]. والدعوة مصدر دعا يدعو دعاء ودعوة، وتطلق على ما يدعى به، وفي الدعاء: (اللهم ربَّ الدعوة التامة) أي النافعة أو الكاملة التي لا نقص فيها، أو المباركة الكثيرة الخير والبركة، والمراد بها أصول المعرفة التي دعا الله الناس إليها، وهي تستتبع الدعوة الفروعية أيضاً، أو المراد بالدعوة أعم من الأصولية والفروعية التي دعا الله إليها بلسان الأنبياء، فهم يستدلون عليها بخلق الأشياء، ويشتمل على كلها كلمة الإسلام وكلمة التوحيد، كما هو

---

(١) يس: ١٤

(٢) التوبة: ١٢٨

(٣) آل عمران: ٢٦

واضح عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وفي الحديث: (أنا دعوة إبراهيم) قيل: هي قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[1] وفي الخبر انها قوله عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[2] وفيه دعوة سليمان قوله عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾[3]. وفي الخبر: (رب أعوذ بك من دعوة الظلم) أي من الظلم لأنه يترتب عليه دعوة المظلوم، وليس بينها وبين الله تعالى حجاب. وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[4] عن أبي ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ما كان صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها، وكان فيها: أيها الملك المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة مظلوم، فإني لا أردها وإن كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيما صنع الله عزوجل إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجماع للقلوب، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإن من حسب كلامه من عمله قلَّ كلامه إلّا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرمة لمعاش، أو تزود لمعاد، أو تلذذ في غير محرم. قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال صلى الله عليه وآله: كانت عبرا كلها، مثل: عجبت لمن أيقن

(١) إبراهيم: ٤٠

(٢) البقرة: ١٢٩

(٣) ص: ٣٥

(٤) الأعلى: ١٨ - ١٩

بالموت كيف يفرح، ولمن أيقن بالنار كيف يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب، ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل. قلت: فهل في أيدينا ممّا أنزل الله عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا أبا ذر إقرأ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾(١) إلى آخر السورة، انتهى. وما نقل من صحف موسى روي بأدنى تغيير في تفسير الكنز المذكور في قوله تعالى في قصة موسى مع الخضر: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾(٢) حيث روي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذا الكنز، فقال: أما إنه ما كان ذهباً ولا فضة، وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلّا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنه، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلّا الله. وعن الرضا عليه السلام: كان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل من الله أن لا يتهم الله في قضائه، ولا يستبطئه في رزقه، وفيه روايات أخر أيضاً. وعن الصادق عليه السلام: إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإن الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة. وعنه عليه السلام أيضاً: لما أقام العالم الجدار أوحى الله إلى موسى: إني مجازي الأبناء بسعي الآباء إن خيراً فخير وإن شراً فشر، لا تزنوا فتزني نساؤكم، من وطأ فراش مسلم وطئ فراشه، كما تدين تدان. ولا يخفى أن في مجازاة الأبناء بسعي الآباء خيراً وشراً إشكالاً مشهوراً في الألسنة، وله وجوه دفع مشهورة، مثل رضاء

---

(١) الأعلى: ١٤

(٢) الكهف: ٨٢

الخلف بفعل السلف، أو لجعل ذلك عبرة للناس مع جزاء الأبناء بمثوبة لائقة في الآخرة لئلّا يكون ظلماً في حقهم، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، أو لكون الأبناء في أصلاب الآباء حين كانوا، فأثر فيهم أفعالهم خيراً وشراً أو نحو ذلك، وليس المقام مقام تفصيل تلك المسألة. والدعاء في أصل اللغة هي الدعوة المطلقة بطلب شيء من المدعو بأي نحو كان، كدعوة النبي ﷺ أمته إلى الإسلام ونحو ذلك، ثم جعل في العرف بمعنى الطلب القولي أو المطلق الصادر من السافل بالنسبة إلى العالي، كالأمر من العالي أو المستعلي، والسؤال من المساوي، فالطلب الحتمي الصادر من الله تعالى بالنسبة إلينا أمر، ومنا بالنسبة إليه تعالى دعاء، ومنا إلى أمثالنا في الشأن والمنزلة ـ ولو دنيوية صورية ـ سؤال. والثواب: الجزاء في الخير والشر إلّا أنه غلب استعماله في الخير، وهو المراد هنا، وقوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾(١) أي ثواب الله خير ممّا هم فيه، وقوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾(٢) أي جوزوا بفعلهم. والثواب في اصطلاح أهل الكلام هو النفع المستحق المقارن للتعظيم والإجلال، والمثابة: المنزل من ثاب إليه، لأن أهله يرجعون إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾(٣) أي مرجعاً ومجتمعاً، وفي حديث أم سلمة قالت لعائشة: إن عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال، أي لا يعاد إلى استوائه، من أثاب يثوب إذا رجع. والتثويب في الصلاة هو قول العامة في أذان الصبح: (الصلاة خير من النوم) بعد قولهم: (حي على الصلاة) كأنه رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة، فإن المؤذن إذا قال: (حي

---

(١) البقرة: ١٠٣

(٢) المطففين: ٣٦

(٣) البقرة: ١٢٥

على الصلاة) فقد دعاهم إليها، فإذا قال بعده: (الصلاة خير من النوم) فقد رجع إلى كلام معناه طلب المبادرة إلى الصلاة. وقيل: هو من التثويب بمعنى الدعوة، وأصله أن يجيء الرجل مستصرخاً فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر، فسمى الدعاء تثويباً لذلك فكل داع مثوِّب، وقيل: بل المثوب هو الداعي الذي يردد صوته. وقوله: (إذ الداعي المثوب قال يالا) يحتمل كلا الوجهين، والأخير أولى لأن الإفادة خير من الإعادة، والأصل في الكلام التأسيس، وهو أولى من التأكيد، والتثويب أيضاً قول المحدث: الصلاة الصلاة، أو قامت قامت. وما روي من أن النداء والتثويب في الإقامة من السنة فقد قيل فيه: ينبغي أن يراد بالتثويب هنا تكرار الشهادتين والتكبير - كما ذكره ابن إدريس - لا التثويب المشهور، واما ما روي عنه عليه السلام وقد سئل عن التثويب فقال: ما نعرفه، فمعناه إنكار مشروعيته لا عدم معرفته. والعقاب: العقوبة، وهي جزاء الشر من العقب ككتف، وهي مؤخر القدم لأنه يجيء بعقب العمل، وأصله لمطلق الشيء المتأخر، لكن غلب في جزاء عمل الشر قبال الثواب، وعاقبة كل شيء آخره، والعاقبة: الولد والآخرة أيضاً، وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ في قراءة. ولا خير فيما لا عاقبة له أي من الأعمال الصالحة، وعواقب الأمور أمور تترتب عليها وتؤول إليها، وفي الحديث: (السيد والعاقب) فالعاقب من يخلف السيد بعده، وقول النبي صلى الله عليه وآله: (أنا العاقب) أي آخر الأنبياء، وكل من خلف بعد شيء فهو عاقب. والمعصية مصدر من عصى يعصي عصيانا إذا خالف الأمر - على وزن محمدة - فهو عاص، والجمع عصاة، والاسم العصيان، وعصى العبد مولاه إذا خالف وتجاوز

أمره. و﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(1) أي خالف أمره الإرشادي لا التكليفي، أو خالف أمره بالأولى، فلا يلزم عليه حينئذٍ معصية منافية بالعصمة، أو هو بملاحظة أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي فعل فعلاً لو كان صادراً من المقربين لكان معصية بالنسبة إليهم، أو انه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من المقربين فهذا الفعل الصادر منه عُدَّ معصية بالنسبة إليه، وإن لم يكن معصية بالنسبة إلى من دونه. قولهاعَلَيْهَا السَّلَامُ: «وذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته». الذيادة ـ بالذال المعجمة ـ من قولهم: ذاد الراعي إبله من الماء أو المرعى يذودها ذوداً وذياداً منعها وطردها، والذائد: الحامي الدافع، قال الشاعر:

أنـــا الـــحـــامـــي الـــذمـــار وإنـــمـــا
يـــدافـــع عـــن أحسابهم أنـــا أو مثلي

وفي الحديث في وصف الأئمةعَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «القادة الهداة، والذادة الحماة»، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ﴾(2) أي تطردان وتكفان غنمهما، وأكثر ما يستعمل الذود في الغنم والإبل، وربما يستعمل في غيرهما أيضاً. والنقمة من نقمه نقماً إذا كرهه غاية الإكراه، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾(3) أي تكرهون أو تنكرون وتعيبون، وهذه الأمور متلازمة. وانتقم منه أي عاقبه، والاسم منه النقمة وهي الأخذ بالعقوبة، والجمع نقمات ونقم ككلمة وكلمات وكلم، قال الجوهري: وإن شئت سكنت القاف ونقلت حركتها إلى النون وقلت: نقمة، والجمع نقم كنعمة ونعم. ونقمت على الرجل ـ من باب ضرب ـ فأنا ناقم إذا

---

(1) طه: 121

(2) القصص: 23

(3) المائدة: 59

عتبت عليه، والمنتقم هو المبالغ في العقوبة لمن يشاء من نقم إذا بلغت به الكراهة إلى حد السخط. والحياشة مصدر من قولك حشت الصيد إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، وكذا أحشت الصيد وأحوشته، ومنه حشت الإبل جمعتها، والمراد بها هنا جمع الناس وسوقهم إلى الجنة، ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنة، كالصيد النفور الذي يجمع بنحو الحياشة. ومن هذه المادة على سبيل القلب المكاني أو من مادة الحشو، حاشية كل شيء بمعنى طرفه وناحيته، وحاشية النسب الأعمام لإحاطتهم عليه كما يطلق العصبة ـ بالتحريك جمع عاصب، ككفرة وكافر ـ على الأولاد والأقرباء من طرف الأب لإحاطتهم به من الأطراف، فالأب جانب، والابن جانب، والأخ جانب، والعم جانب، وهو من التعصب أي شد العصابة، أو من العصبة مشتقاً من العصب ـ بفتحتين ـ وهي من أطناب المفاصل، ومنه حاشية الرجل لأصحابه وأهل مودته. والجنة ـ بالفتح ـ البستان من النخل أو الشجر أو كليهما مطلقاً، وأصلها من الجن بمعنى الستر، كأنها لتكاثفها والتفاف أغصانها سُمّيت بالجنة التي هي بناء المرة من هذه المادة، كأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها، من جنّه أوجنَّ عليه الليل إذا ستره. ومادة الجيم مع النون المشددة دالة على معنى الستر مطلقاً كالجن لاستتارهم عن الأعين، والجنون لاستتار العقل به، والمجنة والجنة لاستتار الإنسان تحتها في الحرب والمعركة، والجنين لاستتاره في بطن الأم، والجنان للقلب لاستتاره في الصدر. والمراد بالجنة جنة البرزخ والآخرة، وكل منهما جنات ثمانية: جنة الفردوس، والجنة العالية، وجنة النعيم، وجنة عدن، وجنة دار السلام، وجنة دار الخلد، وجنة المأوى، وجنة دار المقام، ولكل منها حظيرة هي كالظل لها إلّا جنة عدن فلا

ظل لها فالحظائر سبعة. وفي الحديث: إن جنان الحظائر يسكنها ثلاث طوائف من الخلائق: مؤمنو الجن، وأولاد الزنا من المؤمنين، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن، كما ورد أن ولد الزنا لا ينجب إلى سبعة أبطن، والمجانين الذين لم يجر عليهم التكليف الظاهر، ولم يكن لهم من أقربائهم شفعاء ليلحقوا بهم، وجنة الدنيا هي جنة البرزخ يأوي إليها أرواح المؤمنين إلى أن ينفخ في الصور، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1] إذ ليس في جنان الآخرة بكرة وعشي. وسئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم عليه السلام أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟

فقال عليه السلام: كانت من جنان الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة لم يدخل فيها إبليس وما خرج منها آدم أبداً. واختلف في أن جنة الآخرة مخلوقة الآن أم لا، والأكثر ومنهم المحقق الطوسي في التجريد على القول بوجودها الآن، وعليه شواهد من الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] وفي الأخبار تصريح بخلقها، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل جنة الآخرة، ورأى نار الآخرة لما عرج به إلى السماء.

---

(١) مريم: ٦٢

(٢) آل عمران: ١٣٣

وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه و آله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ.

■ **العلّامة المجلسي:**

قبل أن اجتبله: الجبل: الخلق، يقال: جبلهم الله: أي خلقهم، وجبله على الشيء: أي طبعه عليه، ولعل المعنى أنه تعالى سماه لأنبيائه قبل أن يخلقه، ولعل زيادة البناء للمبالغة تنبيهاً على أنه خلق عظيم، وفي بعض النسخ ـ بالحاء المهملة ـ يقال: احتبل الصيد: أي اخذه بالحبالة، فيكون المراد به الخلق أو البعث مجازاً، وفي بعضها: قبل أن اجتباه: أي اصطفاه بالبعثة، وكل منها لا يخلو من تكلف. وبستر الأهاويل مصونة: لعل المراد بالستر ستر العدم أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه، ويحتمل أن يكون المراد أنها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي إنما تلحقها بعد الوجود، وقيل: التعبير من قبيل التعبير عن درجات

العدم بالظلمات. بمائل الأمور ـ على صيغة الجمع ـ: أي عواقبها، وفي بعض النسخ بصيغة المفرد. ومعرفة بمواقع المقدور: أي لمعرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأمور الممكنة المقدورة وأمكنتها، ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور: المقدر، بل هو أظهر. إتماماً لأمره: أي للحكمة التي خلق الأشياء لأجلها. والإضافة في مقادير حتمه من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة.. أي مقاديره المحتومة.

■ الأنصاري التبريزي:

(محمد) من جملة أسماء نبينا ﷺ مشتق من الحمد، والتضعيف للمبالغة، وهو بمعنى كثير الخصال المحمودة، قيل: لم يسم به أحد قبل نبينا ﷺ ، ألهم الله أهله أن يسموه به. وفي الروضة أنه سُمّي به نبينا ﷺ إلهاما من الله تعالى، وتفاؤلاً بأنه يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة، وقد قيل لجده عبد المطلب ـ وقد سماه في سابع يوم ولادته لموت أبيه قبلها ـ: لم سُمّيت ابنك محمداً وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ فقال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض، وقد حقق الله رجاءه. وورد أن اسمه ﷺ في الأرض محمد، وفي السماء أحمد، وفي الإنجيل فارقليطا بمعنى الفارق بين الحق والباطل، كما أن اسم علي عليه السلام فيه إيليا، وقيل إن اسم نبينا ﷺ في الإنجيل هو أحمد، ولعله إشتباه من قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1]. وذكر ابن الأعرابي: ان لله تعالى ألف اسم وللنبي ألف اسم، ومن أحسنها محمد ومحمود وأحمد. والعبد: قد أشير إلى معناه فيما مر. و(عبد الله) من أشرف ألقاب النبي ﷺ وأعلاها، وهو ﷺ مظهر العبودية الكاملة

(١) الصف: ٦

التي هي جوهرة كنهها الربوبية، وهي أعلى مرتبة من الرسالة والنبوة، ولذا قدم ذكر العبد في الشهادة هنا وفي تشهد الصلاة وسائر الموارد الكثيرة. وخص ذكره ﷺ في آية الإسراء، وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1] إذ المعراج على النحو المفصل المشهور المشتمل على أعاجيب كثيرة تحير منها العقول، من جملتها السير في دقيقة واحدة في جميع العوالم الكونية الجسمانية، والروحانية، والعقلانية، والدنيا، والبرزخ، والآخرة، ومراتب النهار والجنة مع التفاصيل الواقعة في كل مرحلة لا يخفى لمن تأمل في الأخبار المعراجية، لا يمكن صدوره إلّا بجهة ربانية مضمرة في كنه العبودية الكاملة. و(الرسول) فعول بمعنى المفعول من المزيد أي المرسل إلى الغير، وسُمّي بعض الأنبياء رسولاً لكونه مرسلاً من جانب الله تعالى إلى الغير برسالة الشريعة، سواء كان ذلك الغير هو أهل بيته، أو أهل بلده، أو قومه، أو قوماً مخصوصاً، أو جميع الناس، ويقال للأخيرين أولو العزم أيضاً إذا لم تكن شرائعهم مبتدئة، وهم في الأنبياء خمسة كما نظم:

أولــو الـعـزم خمس شرفوا بمحمد
عــلـى كـلـهـم صـلـى الإلـــه وسلم

فـنـوح بـن ملك والخليل بـن تـارح
وموسى بن عمران وعيسى بن مريم

ومعنى العزم كونه ناسخاً لشريعة من قبله، ومؤسساً لشرع آخر لجميع من عاصره من بعده. و(النبي) بالتشديد فعيل إما من النبوة بمعنى الرفعة، ومنه ما قيل: لا تصلوا على النبي أي على المكان المرتفع، أو من النبأ

(١) الإسراء: ١

بمعنى الخبر مع قلب الهمزة ياء أو بدونه، فهو بمعنى المرتفع على غيره، أو بمعنى المخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى الفاعل من المزيد، كالسميع بمعنى المسمع أو المستمع أيضاً. والنبي في الاصطلاح هو إنسان أُوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بذلك فرسول أيضاً، وقيل: النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة بشر، أعم من أن يكون له شريعة كعيسى أو لا كيحيى عليه السلام، وكون الشريعة له أعم من أن تكون شريعة مبتدئة كشريعة آدم، أو ناسخة في الجملة بالنسبة إلى الأزمنة والأشخاص كشريعة غير محمد صلى الله عليه وآله من أولي العزم، أو مطلقاً كشريعة محمد صلى الله عليه وآله. وقيل: النبي هو الذي يرى في المنام، ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يعاين الملك أيضاً، ولذا قيل هو الذي يأتيه جبرئيل قبلا ويكلمه، وقيل: النبي مخصوص بنوع الإنسان، والرسول قد يكون من الملائكة أيضاً لقوله تعالى: ﴿رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[1]. وقيل بالتساوي بينهما لظاهر ما روي في الكافي عن الصادق عليه السلام انه قال: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فمنهم نبي منبئ في نفسه لما يرى في المنام من الأمور الصادقة، فيخبر بها ولا يعدو غيرها، ومنهم من يرى في المنام ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد من جانب الله سبحانه، وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم عليه السلام على لوط. ومنهم نبي يرى في المنام ويسمع الصوت، ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كيونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[2] أي ثلاثين ألفاً وعليه إمام. ومنهم من يرى في منامه،

(١) فاطر: ١

(٢) الصافات: ١٤٧

ويسمع الصوت، ويعاين في اليقظة، وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] ومن عبد وثناً لا يكون إماماً. ومن الطبقة الأخيرة نبينا صلى الله عليه وآله حيث قال: إني قد يوحى إلي في المنام، وقد أسمع صلصلة الجرس، أو مثل وقوع السلسلة في الطست، وقد أرى جبرئيل بصورة دحية الكلبي أو غيره، وقد رأيته مرة وقد ملأ ما بين المشرق والمغرب. وبالجملة النبي أدون مرتبة من الرسول إذ الرسولية أخص من النبوة، وهي مستلزمة للفضيلة وعلو الرتبة، وكل رسول نبي على المشهور دون عكس القضية. وأصل النبوة عبارة عن اتصال روح القدس بروح إنسان لشدة نورية طينته وقربه من المبدأ الفياض، وهو الملك المؤيد المسدد، وبهذا الاتصال يحصل له المعصومية عن المعصية، والخطأ، والغفلة، والعثار، والزلة في الأمور الدنيوية، والأخروية، والعرفية، والشرعية ـ الأصولية والفروعية ـ. ويطلق على بيان النبي صلى الله عليه وآله الدعوة، وعلى ما ظهر بها ومنها الشريعة، وإذا أضيفت الشريعة إلى النبي صلى الله عليه وآله أطلق عليها القانون والناموس أيضاً، كما يطلق عليها الطريقة والملة أيضاً، وإذا أضيفت إلى الله تعالى سُمّيت بالدين فيقال: دين الله للشريعة التي قررها النبي صلى الله عليه وآله، ويطلق على قبولها الإسلام والإيمان. والأنبياء على ما ورد في الأخبار مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، أو بحذف الأربعة، والأول هو المشهور، والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد أصحاب القائم عليه السلام، وعدد أصحاب بدر، ومنهم أولو العزم الخمسة. و(الاختيار) من الخير وهو خلاف الشر، ومنه جزاه الله خيراً، وقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾

---

(١) البقرة: ١٢٤

قال المفسرون: الاختيار إرادة ما هو خير، يقال: خُيّر بين أمرين فاختار أحدهما، والخيرة ـ بكسر الخاء ـ اسم من الاختيار كالفدية من الافتداء، والخيرة ـ بفتح الياء ـ كذلك كالطيرة من التطير. ويقال أيضاً: محمد ﷺ خيرة الله من خلقه ـ بفتح الياء وسكونه بمعنى المفعول ـ أي مختاره، وأسأل الله برحمته خيرة في عافية أي شيئاً مختاراً مع عافية العاقبة. وفي النهاية: يقال خار الله لك أي أعطاك ما هو خير لك، والخيرة ـ بسكون الياء ـ الاسم منه، فإما بالفتح فهي الاسم من قولك: اختاره الله، ومحمد ﷺ خيرة الله من خلقه، يقال بالفتح والسكون. والاستخارة طلب الخيرة في الشيء، وهي إستفعال منه تقول: استخر الله يخر لك، ومنه دعاء الاستخارة: «اللهم خر لي» أي إختر لي أصلح الأمرين واجعل لي الخير فيه. والاختيار خلاف الاضطرار خيراً وشرّاً، أو هو في الخير واستعماله في الشر بملاحظة ان اختياره لا يكون إلّا بعد فرضه خيراً ولو بحسب الصورة. و(الانتجاب) من نجب ـ بالضم ـ نجابة، يقال: إنتجبه أي استخلصه، وأصله من النجب ـ بالتحريك ـ لحاء الشجر، وبالتسكين مصدر قولك: نجبت الشجرة أنجبها ـ من باب قتل وضرب ـ إذا أخذت قشر ساقها، فاستعمل منه النجابة لخلوص الطينة من الرذائل الخلقية، يقال: فلان نجيب أي فاضل كريم سخي، ونجب فلان إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه، فالانتجاب بمعنى الاختيار والاصطفاء من بين النوع لامتيازه عن سائر أفراده بالفضائل الكاملة. و(الاجتبال) من جبله الله على كذا ـ من باب قتل ـ واجتبله أيضاً للمبالغة أي فطره عليه، وفي الدعاء: «أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه» مجهولاً من المجرد، وكذا من التضعيف أيضاً للمبالغة. ومنه الجبلة ـ بكسرتين وتشديد الّلام ـ بمعنى الطبيعة والخليقة، وشئ جبلي أي طبيعي ذاتي،

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(١) و﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾(٢) أي خلقاً كثيراً، والحاصل من قولهاعليها السلام: (قبل أن اجتبله) أي قبل أن فطره وخلقه. و(اصطفاه) من قولهم: صفا يصفو صفواً وصفاءً ـ بالمد ـ إذا خلص من الكدر فهو صاف، وصفيته من القذر تصفية أزلته عنه، وأصفيته آثرته، وأصفيته الود أخلصته، والصفي والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه. وصفو الشيء ـ بالفتح ـ خالصه، والصفوة ـ بالفتح والكسر ـ مثله، وهو خيار الشيء وخلاصته وما صفا منه، ومنه: السلام على آدم صفوة الله، وما ورد أن محمداً صلى الله عليه وآله صفوة الله. وفي المصباح: أن الصفوة تروى بتثليث الصاد، وبالجملة فيكون اصطفاه بمعنى اختاره، والحاصل أن الله تعالى قد اختار نبينا صلى الله عليه وآله من بين خلقه، واصطفاه على خليقته، فهو النبي المصطفى، والأمين الأوفى في الدنيا والأخرى. و(الابتعاث) من البعث وبمعناه بزيادة المبالغة، يقال: بعثت رسولاً وابتعثته أي أرسلته، ويقال في مطاوعته: انبعث، مثل كسرته فانكسر، كما في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾(٣) أي مضى لشأنه ذاهباً لقضاء وطره ببعث القوم إياه، أو ببعث نفسه له، وكل شيء ينبعث بنفسه فالفعل يتعدى إليه بنفسه كما ذكر، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدى إليه بالباء، فيقال: بعثت به. وأوجز الفارابي فقال: بعثه أهبه وبعث به وجهه، وفي حديث علي عليه السلام يصف النبي صلى الله عليه وآله: «شهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة» أي مبعوثك الذي بعثته إلى الخلق أي أرسلته، فعيل بمعنى

(١) الشعراء: ١٨٤

(٢) يس: ٦٢

(٣) الشمس: ١٢

مفعول. ومنه قوله ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً» ويستعمل البعث بمعنى الإثارة أيضاً، مثل: بعث الله الموتى من قبورهم أي أثارهم وأخرجهم، والحالة البعثة ـ بالكسر ـ، والمرة بالفتح. وفي حديث حذيفة: «إن للفتنة بعثات وتهيجات «وفي الحديث: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني «أي أيقظاني من نومي، وهو أيضاً راجع بالاعتبار إلى المعنى السابق. و(الغيب) في الأصل مصدر من قولك: غاب الشيء عني غيبا وغيبة وغيابا وغيبوبة إذا ستر وخفي، ثم يطلق الغيب على كل ما غاب عنك مصدراً بمعنى الفاعل، ومنه الغيبة ـ بالكسر والفتح ـ أيضاً للتكلم في غياب الإنسان وخلفه بما يغمه لو سمعه من الأمور الصادقة في حقه، وإن كان ذلك الأمر كذباً فهو بهتان في حقه. وفي حديث وصايا النبي ﷺ إلى أبي ذر: يا أبا ذر إياك والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، قال: قلت: جعلت فداك وما الغيبة؟ قال ﷺ: أن تذكر أخاك في غيابه بما يكره لو سمعه، قلت: فإن كان فيه ذاك الذي ذكرته به؟ قال ﷺ: ذلك هو الغيبة، وإلّا فهو بهتان وهو أشد من الغيبة، قلت: وما وجه أشدية الغيبة من الزنا؟ قال: لأن الزنا يغفر بالتوبة، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها. وكل شيء غيَّب عنك شيئاً فهو غيابة، ومنه غيابة الجب ـ بفتح الغين ـ أي قعره، والغيابة ما غاب عن أعين الناظرين أيضاً. وفي النهاية: قد تكرر ذكر علم الغيب، والإيمان بالغيب في الحديث، وهو كلما غاب عن العيون سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل. وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[1] قيل: يعني بالله لأنه لا يرى، وقيل: بما غاب عن أمر الآخرة وإن كان محصلاً في القلوب، انتهى. ولا يخفى أن لفظ الغيب أطلق في الاستعمالات العرفية على أمور كثيرة، والوجه فيه

(١) البقرة: ٣

أن الغيب ـ كما أشير إليه ـ هو ما غاب وستر عن الإدراك الظاهري أو الباطني، وهو من الأمور النسبية، فما وراء الجدار غيب بالنسبة إلى من لا يعلم ما ورائه، وشهادة بالنسبة إلى من كان وراءه ورآه أو علمه أي شاهده بالعين الظاهرية أو العين الباطنية. وما في هذه البلدة غيب بالنسبة إلى من لا يعلم أوضاعها وحالاتها، وشهادة بالنسبة إلى من يشاهد الوقائع الحادثة فيها وهكذا، فيكون الغيوب بالنسبة إلى الأشخاص مختلفة متفاوتة، وكذلك الشهادة، فالأمر القلبي بالنسبة إلى الجاهل به غيب، وبالنسبة إلى العالم به شهادة، وكذا كل من الأمور الدنيوية، والبرزخية، والأخروية، والأرضية، والسماوية، والجن، والملائكة، والنار، والجنة. والله تعالى هو الغيب المطلق، وهو غيب الغيوب الذي لا يدركه أحد بالمرة، والشيء في حال عدمه غيب كما أنه في حال وجوده شهادة، والعدم بمنزلة الستر على الشيء والكن الحاجب له، فيكون العدم عالم الغيب باعتبار والوجود عالم الشهادة، كما أن ما وراء الجدار غيب وما دونه الشهادة. وكل مكان لا تعلم ما فيه ولا تشاهده فهو عالم الغيب باعتبار، والمكان المشاهد فيه الشيء في نظرك عالم الشهادة، والبرزخ عالم الغيب لأهل الدنيا، والدنيا عالم الشهادة، وكذلك الآخرة بالنسبة إلى أهل البرزخ، وهكذا حال جميع العوالم الإلهية، فتكثر حينئذٍ وتختلف العوالم الغيبية والشهودية، وهو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم بمعنى عالم كل غيب وشهادة بخلاف غيره. و(المكنونة) من الكن بمعنى السترة، واحد الأكنان في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾[1] ومنه كُنُّ الرجل بمعنى بيته ومنزله لاكتنانه فيه، وفي المقامات الحريرية: (بيني وبين كني ليل وأمسى وطريق طامس)

(١) النحل: ٨١

والأكنة جمع كنان بمعنى الغطاء كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[1] أي أغطية، ومنه كنانة لجعبة السهام لاستتارها فيها، وكننت الشيء سترته وصنته من الشمس وأكننته في نفسي، قال أبو زيد: كننته وأكننته في الكن والنفس جميعاً بمعنى، فهو مكنون ومُكَنّ. وبيض مكنون أي مصون عن اللمس، ونحوه كتاب مكنون أي محفوظ ومستور عن الخلق، وكون الخلائق بالغيب مكنونة كناية عن كونها معدومة، وسيظهر لك وجه هذه الكناية. و(الستر) بالكسر واحد الستور والإستار، والسترة ـ بالضم ـ ما يستتر به كالغرفة، وكذلك الستارة ـ بالكسر والتخفيف ـ وفعالة وزن مشهور لما يفعل به كاللفافة والكناية والعمامة والستارة وغيرها، وقد يحذف التاء كاللباس والكتاب والستار، ونظيرها فعالة ـ بالضم ـ لما يفعل كالجعالة والقمامة والكناسة، وروي الجعالة ونحوها بكسر الجيم أيضاً، وقيل في كل ما هو كذلك بالتثليث، والإستارة أيضاً بالهمزة المكسورة كالستارة. قال في النهاية: وفيه أيما رجل أغلق بابه على امرأته، وأرخى [دونها] إستارة فقد تم صداقها، الإستارة من الستر كالستارة، وهي كالإعظامة في العظامة، قيل: لم تستعمل إلّا في الحديث، ولو رويت إستاره ـ جمع ستر مضافاً إلى الضمير ـ لكان حسناً. والستر ـ بالفتح ـ مصدر ستره يستره ستراً ـ من باب قتل ـ إذا غطاه، فهو ساتر وذاك مستور، ومنه قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[2] أي حجاباً على حجاب كأن أحدهما مستور بالآخر كناية عن كثافة الحجاب، لأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، وقيل: هو مفعول جاء بمعنى الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ

(١) الأنعام: ٢٥
(٢) الإسراء: ٤٥

﴿وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾[1] أي آتياً. قال بعضهم: جاء المفعول بمعنى الفاعل في الكتاب العزيز في ثلاثة مواضع: قوله: ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾[2] و﴿وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾[3] و﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾[4] وبالعكس كذلك، وهي قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[5] و﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾[6] و﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[7]، ومن غير الكتاب: سر كاتم، ومكان عامر، وليل قائم، ونهار صائم، واورد على الحصرين بقوله تعالى: ﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾[8] بمعنى حاجرا، و﴿حَرَمًا ءَامِنٗا﴾[9] بمعنى مأموناً. والحق عندي أن يكون مستوراً في الآية بمعنى المفعول لا على نحو ما ذكر، بل بمعنى كونه مستوراً عن أعين الناس لعدم كونه من الحجب الجسمانية، و﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾[10] بمعنى كونه مرغوباً فيه، و﴿مَأۡتِيّٗا﴾ بمعنى المفعول من أتيت الأمر بمعنى فعلته، و﴿مَّحۡجُورٗا﴾ بمعنى محجور به، كما يقال: المشترك بمعنى المشترك فيه، والمستقر بمعنى المستقر فيه بحذف الصلة. وإن اسم الفاعل في جميع ما ذكر في معناه الأصلي أيضاً لكن ما باب النسبة، وهو باب واسع ذكره الصرفيون، ومنهم ابن حاجب في الشافية، بمعنى ذي

---

(١) مريم: ٦١

(٢) الإسراء: ٤٥

(٣) مريم: ٦١

(٤) الإسراء: ٦٣

(٥) هود: ٤٣

(٦) الطارق: ٦

(٧) الحاقة: ٢١

(٨) الفرقان: ٢٢

(٩) القصص: ٥٧

(١٠) الإسراء: ٦٣

كذا وذات كذا، فيكون عاصم بمعنى ذي عصمة، ودافق بمعنى ذي الدفق، وراضية بمعنى ذات الرضا، وهكذا البواقي نظير لابن، وتامر، ودارع، وعاشق، وضامر ونحو ذلك، فيكون جامداً يستوي فيه المذكر والمؤنث، ومنه الحائض والطالق على أحسن الوجوه الثلاثة التي مرّت إليها الإشارة. و(الأهاويل) جمع أهوال جمع هول بمعنى الخوف والأمر الشديد من هاله الشيء يهوله هولا أفزعه، فهو هائل وذاك مهول، وفي الحديث: «المال رزق هائل» ومكان مهيل أي مخوف. وهذه الفقرة أيضاً كناية عن كون الأشياء معدومة، بتقريب فرض أن ظلمات العدم كانت أموراً موحشة مفزعة لمن رام أن يدخلها، ويطلع على الأشياء التي كانت فيها، فصارت محفوظة عن وصول الأيدي إليها بما دونها من الظلمات الحاجبة الموحشة المفزعة، والإضافة في ستر الأهاويل بيانية بمعنى من، أو ظرفية بمعنى في، مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[1]. وقال بعض الفضلاء في معنى الفقرة: لعل المراد بالستر ستر الإعدام، أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه. ويحتمل أن يكون المراد أنها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي لإنما تلحقها بعد الوجود، وقيل: التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالستور وبالظلمات. و(نهاية) الشيء ما ينتهي إليه وهي غايته أي أقصاه وآخره، ونهاية الدار حدودها وهي أقاصيها وأواخرها، وانتهى الأمر أي بلغ النهاية، وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[2] قيل: معناه إذا انتهى الكلام إليه فانتهوا، وتكلموا فيما دون

---

(١) سبأ: ٣٣

(٢) النجم: ٤٢

العرش ولا تكلموا فوقه، فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم، وله معانٍ أخر يعرفها أهلها. وسدرة المنتهى أي سدرة ينتهى بالوصول إليها، ولا يتجاوزها علم الخلائق من البر والملائكة، ولا يتجاوزها أحد من الملائكة والرسل، مفتعل من النهاية بمعنى الغاية. وأصل النهاية من النهى، إذ غاية الشيء لا يبلغ إليها غالباً، فكأنها منهي عنها، ونهاية العدم أبعد مراتبه المفروضة، وكون الأشياء مقرونة بنهاية العدم كونها أبعد من الوجود في الغاية، وان بينها وبين الوجود غاية النهاية، وهذه أيضاً كناية بليغة عن كونها معدومة. قولهاعليها السلام: «علماً من الله بمائل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور». المائل فاعل من مال عن الطريق يميل ميلاً أي حاد عنه وانحرف، والمائل الأمر الغير المستقيم، والمراد أن الله تعالى سمَّى نبيه أي قرر خلقته، وعينه باسمه ورسمه لهداية خلقه لعلمه بعدم استقامة أمور خلقه بدونه، وانهم يضلون الطريق بدون الاستضاءة بنوره. وفي بعض النسخ: (بمال الأمور) بمعنى المرجع أي كان الله يعلم ما يرجع إليه أمور الخلق من الانحراف عن الجادة المستقيمة، وسلوك طريق الغواية والضلالة، فسماه على نحو ما مرّت إليه الإشارة ليكون مرجعاً للأمة بل جميع الخليقة في أمورهم الدنيوية والأخروية، وقرئ بمآئل الأمور جمع المآل بمعنى عواقبها، وهو أيضاً راجع إلى السابق إلّا أن فيه إشارة إلى أن لكل أمر مرجعاً بخصوصه بملاحظة حال نفسه، فيتعدد المرجع بتعدد الأمر. و(الأمور) جمع الأمر، والأمر في اللغة يستعمل اسماً ومصدراً، أما الأمر الاسمي وهو المراد هنا فيستعمل بمعنى الفعل والحال والشأن ونحو ذلك، مثل قولهعليه السلام: (إن أمرنا صعب مستصعب) أي شأننا، وقال

تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾[1] أي فعلنا، وقولهم: أمورهم مشوشة أي حالاتهم، ويجمع هذا على أمور. وأما الأمر المصدري فهو بمعنى الطلب الحتمي المفيد للوجوب، يقال: أمرته بكذا أي طلبته منه طلباً حتمياً، فأنا آمر وذاك مأمور، ومدخول الباء مأمور به، وهو في العرف بمعنى طلب فعل بالقول أو مطلقاً من العالي أو المستعلي أو العالي المستعلي، ويطلق الأمر على نفس ذلك القول. وفي الاصطلاح اسم لهيئة أَفْعُل وما ضاهاه، ويجمع الأمر في تلك المعاني الأخيرة على أوامر، وهو ليس بصحيح من حيث القياس، إذ القياس في جمع فعل الصحيح الوسط فعول وأفعل كفلس وفلوس وأفلس، وإنما الفواعل جمع فاعلة وفاعل إذا لم يكن وصفاً للمذكر العاقل، فقيل حينئذٍ في وجه جمعه على كذا إنه جمع كذا على غير قياس، فرقاً بينه وبين الأمر بمعنى الفعل ونحوه. قيل: إن الأمر بمعنى الآمرة لأن الامرة أيضاً كالأمر مصدر، كما ذكروا في كتب اللغة، كالعافية والكاذبة والباقية ونحوها على وجه، فجمع الأمر جمع الآمرة لكونهما بمعنى واحد. وقيل: إن الأمر مأمور به ثم حول المفعول إلى فاعل، كما قيل: أمر عارف وأصله معروف، وعيشة راضية والأصل مرضية إلى غير ذلك، ثم جمع فاعل على فواعل فأوامر جمع مأمور، ذكره في المصباح. وقيل: إن الأمر لما كان سبباً لانبعاث المأمور فكان كأنه آمر فجمع على أوامر، وتجري تلك الوجوه في النواهي أيضاً. وبالجملة فقد يقال في الأمر: أمرة، مثل قولهم: لك علي أمرة مطاعة أي أمرة اطيعك فيها، وهي المرة الواحدة من الأمر، ولا يقال إمرة ـ بالكسر ـ وإنما الإمرة ـ بالكسر ـ من الولاية كالإمارة ـ بكسر الهمزة ـ وإما الأمارة ـ بالفتح ـ فهي بمعنى العلامة فهي مثلها لفظاً ومعنىً. والأمير

(١) القمر: ٥٠

هو ذو الأمر، وهو دال على الاستمرار والمبالغة باعتبار عموم متعلقه في الجملة أي متعلق حكمه، ولهذا كان الأمير غير الآمر، إذ قد يكون واحد من الرعية آمراً بالنسبة إلى غلامه مثلاً، فلا يطلق عليه أنه أمير إلّا مجازاً، والتأمير تولية الإمارة، يقال: أمير مؤمر، وائتمر الأمر أي امتثله. وفي الدعاء: «فهي بمشيتك [أي الأشياء بمشيتك] دون قولك مؤتمرة» أي عند قولك، أولاً حاجة إلى القول بل هي مؤتمرة بمجرد مشيتك، وكذا الكلام في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وبإرادتك دون نهيك منزجرة». والمؤامرة المشاورة من مادة الأمر، كأن أحد المؤامرين يطلب من الآخر الأمر بما يراه مصلحة، وكذا الاستيمار والائتمار، وأمرهم الله فامروا أي كثرهم فكثروا، ومنه على وجه قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾(1) ويمكن أخذه من الأمر بالمعنى السابق المشهور على سبيل اعتبار المجاز أو الكناية. قيل: وليس من الأمر بنفس المعنى المذكور، وإلّا فإن الله تعالى لا يأمر بالفسق والعصيان، وإنما يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. وقيل: يصح الأمر بالمعنى المذكور هنا لكن باعتبار معنى الأمر الحتمي لا العزمي بحسب اقتضاء القابليات، واستعداد الماهيات، أو المراد من الأمر عدم النهي على سبيل العزم والقهر، وذلك بتخلية السبيل التي تسمى بالخذلان المقابل للتوفيق، فإن إطلاق الأمر على مثله مشهور، وان السفيه إذا لم ينه مأمور، أو المراد تهيئة الأسباب المؤدية إلى الفسق لكن لا قهراً وجبراً بل بسوء اختيارهم، أو المراد: إنا أمرناهم بالطاعة فترتب عليه أنهم فسقوا، ونحو ذلك. قال في النهاية: وفي حديث أبي سفيان: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي كثر أو ارتفع شأنه، يعني

(1) الإسراء: ١٦

النبي ﷺ ، انتهى. وفي خبر آخر منه: لقد عظم ملك ابن أبي كبشة. وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة، وكان أبو كبشة رجلاً من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى، فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأوثان شبهوه به. وقيل: هو نسبة إلى جد النبي ﷺ لأمه أي هو كنية جده لأمه وهب بن عبد مناف، فأرادوا أنه ﷺ نزع إليه في الشبه والصورة، وقيل: أبو كبشة كنية زوج مرضعته حليمة السعدية، أو كنية أخي زوجها. وبالجملة فكانوا يطلقون على النبي ﷺ ابن أبي كبشة، وربما كانوا يقولون ابن كبشة مرخماً من ابن أبي كبشة، أو مراداً بكبشة جده عبد المطلب لكونه رئيس القوم في مكة، وكان له عظمة ونباهة وهيبة وجلالة.

قال أبو بكر في أبياته المشهورة الدالة على عدم اعتقاده باطناً بصدق دعوة النبي ﷺ ، والمصرحة عن نفاقه وكفره، حيث كان يشرب الخمر في أثناء رمضان تاركاً لصومه، فنهته امرأته عن ذلك، فقال في جملة أبيات أنشأها:

ذريني أصطبح يا أم بكر
فإن الموت نقب عن هشام
ونفث عن أبيك وكان قرما
شديد البأس في شرب المدام
يخبرنا ابن كبشة أن سنحيى
وكيف حياة أشلاء رمام
ألا هل مبلغ الرحمان عني
بأني تارك شهر الصيام

وتـــارك كـــل مـــا أوحـــى إلـيـنـا
محـمـد مـن زخـاريـف الـكـلام
فـقـل لله يـمـنـعـنـي شـرابـي
وقـل لله يـمـنـعـنـي طـعـامـي
ولـكـن الـحـكـيـم رأى حـمـيـراً
فـألـجـمـهـا فـتـاهـت فـي الـلـجـام

أنشد ديك الجن هذه الأبيات لأبي بكر في إثبات كفره عند المتوكل الخليفة، كما أنشد بعض أبيات أخر أيضاً ممّا يدل كل جملة منها على كفر قائلها، من عمر ومعاوية ويزيد وغير ذلك، والقصة طويلة. وأم بكر كنية زوجة أبي بكر بمناسبة كنية نفسه بأبي بكر، وكان كنيته الأصلية في الجاهلية أبو الفصيل، فلما أسلم ظاهراً كناه رسول الله ﷺ بأبي بكر، وأصل اسمه عبد الله بن عثمان، وعثمان هو اسم أبي قحافة كنية أبي أبي بكر، وعليه يترتب ما نقل عن النبي ﷺ أنه قال: آه من يوم تظلم فيه الأعين العين، مراداً بالأعين الخلفاء الثلاثة، لأن أول اسم كل واحد منهم حرف العين، والمراد من العين المظلومة هو علي عليه السلام. والإحاطة من قولهم: أحاط به علمه، وحاط به علماً أي أدرك جميع ما يدرك منه، وأحدق به من جميع جهاته، أو عرفه ظاهراً أو باطناً مبالغة في العلم والإدراك. وأصلها من حاطه يحوطه حوطاً وحيطة وحياطة أي كلأه ورعاه، وحاط الجدار على البيت أي دار عليه فهو حائط، ويطلق الحائط على البستان أيضاً لذلك، وكذلك حوّط تحويطاً للمبالغة، ومنه الاحتياط. وفي حديث علي عليه السلام لكميل: (أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت)، والإحاطة القدرة الكاملة أيضاً، وبمعنى الحفظ والحماية، ومنه: (اللهم اجعلنا في حياطتك). والمحيط من أسماء الله تعالى مشتق

من الإحاطة المذكورة العلمية، ويجوز أن يكون بمعنى القادر المطلق أو الحافظ الحامي لخلقه. والحوادث جمع الحادثة بمعنى الواقعة والملمة، لحدوثها بعد أن لم تكن، من الحديث بمعنى الجديد خلاف القديم، من قولهم: حدث الأمر حدوثاً أي تجدد ـ من باب قتل ـ فهو حادث وحديث، ومنه قوله ﷺ لعائشة: لولا قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة، وجعلت لها بابين على ما كان في عهد إبراهيم. والحِدثان ـ بكسر الحاء ـ بالمعنى المذكور أيضاً أي الحوادث، ومن هذه المادة إطلاق الحديث على الخبر لحدوثه جديداً، وجمعه على أحاديث على غير قياس، قال الفراء: ونرى أنها جمع الأحدوثة كالأعاجيب والأضاحيك ونحوهما، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾[1] أي عفينا آثارهم فلم يبق بين الناس إلّا أخبارهم يحدثون بها. وحوادث الدهور: الحادثات الواقعة في الأزمنة، وكل زمان دهر من الدهور، وقد مرّ معنى الدهر، وفي كل دهر حوادث مختصة به، ويدخل في تلك الحوادث انقلابات أوضاع الخلق في حيرتهم وضلالتهم الموجبة لبعث رسول إليهم يتلو آيات الله عليهم. والمعرفة من عرفته عرفة وعرفاناً ـ بالكسر ـ قال في المصباح: علمته بحاسة من الحواس الخمس، والمعرفة اسم منه، ويتعدى بالتثقيل فيقال: عرفته به فعرفه ـ من باب ضرب ـ فهو عارف وعريف. والعريف: النقيب أيضاً، وهو دون الرئيس، وهو القيم بأمور القبيلة، والجمع عرفاء، ومنه الخبر: (العرفاء في النار) من عرف عرافة من باب شرف، وإذا أردت أنه عمل بذلك قلت: عرف فلان علينا سنين من باب نصر، ومن هذه المادة التعريف بمعنى الإعلام وإنشاد الضالة ونحو ذلك، كتعريف المحدودات ونحوها. وفي الخبر:

(١) سبأ: ١٩

(من عرف الله كل لسانه) من عرفت الشيء - من باب ضرب - أي أدركته، قيل: والمعرفة قد يراد بها العلم بالجزئيات المدركة بالحواس الخمسة، كما يقال: عرفت الشيء إذا علمته بإحدى الحواس الخمس، وقد يراد بها إدراك الجزئي والبسيط المجرد من الإدراك المذكور، كما يقال: عرفت الله دون علمته، لأن العلم مفسر بمعان مختلفة لا يخلو شيء منها من اعتبار إدراك الصورة. وقد يراد بها الإدراك المسبوق بالعدم، وقد يطلق على الإدراك الأخير من الإدراكين إذا تخلل بينهما عدم، كما لو عرفت الشيء ثم ذهلت عنه ثم أدركته ثانياً، وباعتبار المعنيين الأخيرين والمعنى الأول لا يقال: الله عارف، بل يقال عالم من العلم بمعنى الحكم بالشيء إيجاباً وسلباً، أو بمعنى إدراك الصورة، أو الصورة الحاصلة، أو غير ذلك. وكل ذلك بالنسبة إلى الله إنما يتصور في ملكه لا نفسه، بالعلم الحادث لا القديم، فإن علمه القديم هو ذاته العالية عن المقامات الماضية، والمراد من معرفة الله كما قيل الاطلاع على نعوته وصفاته الجلالية بقدر الطاقة البشرية، وأما الاطلاع على الذات المقدسة فمما لا مطمع فيه لأحد. قال سلطان المحققين الطوسي رحمه الله: إن مراتب المعرفة بالله تعرف بملاحظة مراتب معرفة النار مثلاً، فإن لمعرفتها مراتب أدناها معرفة من سمع ان في الوجود شيئاً يعدم كل شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه، ويسمى ذلك الموجود ناراً. ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المقلدين الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجة، وأعلى منها مرتبة معرفة من وصل إليه دخان النار، وعلم انه لابد له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان. ونظير هذه المعرفة في معرفة الله معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع، وأعلى منها مرتبة معرفة من أحس بالنار بسبب

مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنت قلوبهم بالله، وتيقنوا أن الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه. وأعلى منها مرتبة معرفة من احترق بالنار بكليته، وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها، والوقوف عليها بمنّه وكرمه، انتهى. وفي الخبر عن علي عليه السلام: (لا آخذ بقول عراف ولا قائف) والعراف مثل المنجم والكاهن يستدل على معرفة المسروق والضالة بكلام أو فعل، وقيل: العراف يخبر عن الماضي والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل معاً. ومعروف الكرخي من أصحاب الصادق عليه السلام، ومن حديثه أنه قال له: أوصني يا ابن رسول الله، قال عليه السلام: قلل معارفك، قال: ثم أوصني يا ابن رسول الله، قال عليه السلام: أنكر من عرفت منهم. والمعروف هو الخير لكونه معروفاً عند أهل الله بخلاف المنكر، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل المقام، وفي الخبر: (إن المعروف بقدر المعرفة) أي ليعط النعمة والإحسان للشخص بقدر معرفته، كما أن الله لا يجازي بعمل الخير من الإنسان إلّا بقدر معرفته. قال في النهاية: قد تكرر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف أيضاً النصفة، وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه. ومنه الحديث: أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، أي من بذل معروفه

للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة، وقيل: أراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم، شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة. وروى عن ابن عباس في معناه قال: يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جملة، فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة، فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس في الدنيا والآخرة.

والموقع: محل وقوع الشيء وزمانه، والمراد من المقدور الأمور المقدورة، مفرد في معنى الجمع باعتبار اللام الموصولة، التي يستوي فيها المفرد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث معنى وضميراً، واللام للجنس باعتبار معنى الثبوت المبعد لها عن الموصولية، والجنس يقع على القليل والكثير، أو للاستغراق، وعلى أي تقدير ففيه معنى الجمعية بملاحظة جمعية لفظ المواقع، مع أن معرفته تعالى لا تنحصر بمواقع شيء واحد مقدور، بل هو تعالى يعرف مواقع جميع الأمور المقدورة فيضع كل شيء في موضعه بمقتضى الحكمة، أو المراد معرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأمور الممكنة المقدورة. ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾(1) بل هو أظهر من حيث المعنى وإن كان بعيداً لفظاً.

قولهاعليها السلام: «إتماماً لأمره... إلخ». أي إتماماً للحكمة التي خلق الأشياء لأجلها، وهي تحصيل المعرفة والعبادة، والفوز بدرجات الجنة والفيوض الأخروية. والعزم: هو تأكد الإرادة، وأصله بمعنى الجزم والجد والاجتهاد والقوة والصبر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ

(1) الأحزاب: ٣٨

ٱلرُّسُلِ﴾[1] مراداً بهم أولو العزم بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي الذي مرّت إليه الإشارة، أي المراد بالعزم هنا الصبر لا كون النبي ﷺ صاحب عزم وشريعة ناسخة لشريعة من تقدمه. قيل: وأولو العزم هنا ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقد الولد وذهاب البصر، ويوسف في البئر والسجن، وأيوب على الضر، وفي القاموس: هم نوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، ومحمد ﷺ. وقيل: سموا أولي العزم لأنه تعالى عهد إليهم في محمد ﷺ والأوصياء من بعده والقائم وسيرته، فأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك، أو لأنهم بعثوا إلى مشارق الأرض ومغاربها، وجنها وإنسها، أو لكونهم أولي الجد والثبات والصبر، وبعض هذه الوجوه من باب الاشتباه بين المعنى اللغوي والاصطلاحي. وفي الخبر: (عرفت الله بفسخ العزائم، ونقض الهمم أو حل العقود) أي نظرت في أحوال نفسي واني ربما أعزم وأعقد قلبي على أمر، ثم ينحل العقد من غير تجدد موجب لذلك، فأعلم بهذا النظر من هذين الأمرين أن هذا من مقلب القلوب والأبصار، ومدبِّر الليل والنهار أي بيده تعالى أزمتها، وكلها مسخرة في يمينه برمتها، فنحو هذا هو الطريق إلى معرفته تعالى. وفي الخبر: (لا خير في عزم بغير حزم، فإن القوة إذا لم يكن معها حذر أورطت صاحبها)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[2] أي رأياً معزوماً عليه، من عزمتُ عزماً وعزيمة إذا أردت فعلاً وقطعت عليه، وعن الباقر عليه السلام قال: عهد الله إليه في محمد والأئمّة من بعده فترك، ولم يكن له عزم أنهم هكذا.

(١) الأحقاف: ٣٥

(٢) طه: ١١٥

وفي الحديث: (الزكاة عزمة من عزمات الله) أي حق من حقوقه فهو واجب من واجباته، عزم عليها فهي بمعنى المعزوم عليها، وكذلك العزيمة فعيلة بمعنى مفعولة، كما في حديث ابن مسعود: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه. وسور العزائم هي السور التي فيها السجدات الواجبة، وهي أربعة مشهورة، وقد يقال العزيمة لنفس السورة، والعزيمة في الأصل هنا كانت أولاً اسماً لنفس السجدة الواجبة بقراءة آيتها، ثم أطلقت على الآية بعلاقة المسببية والسببية، ثم استعملت من الآية بعد غلبتها فيها في تمام السورة بعلاقة الجزئية والكلية. وقد تكون العزيمة مصدراً بمعنى العزم ـ كما أشير إليه فيما مرّ ـ على وزن مهيلة، فإن نحو ذلك وارد في أوزان المصدر أيضاً، والمعنى المصدري هو المراد منها في الخطبة. والمراد من الحكم هنا هو المعنى المصدري أيضاً، أو اسم المصدر أو المحكوم به، ومعنى الحكم هو القضاء وأصله المنع على ما ذكر في المصباح، يقال: حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه، فلم يقدر على الخروج من ذلك، وحكمت بين القوم فصلت بينهم. والمراد من حكم الله هنا ما حكم به من أمر السعادة، والشقاوة، والهداية، والضلالة، والدنيا، والآخرة ونحو ذلك ولو بحسب الاستعدادات الجبلية، والقابليات الأصلية. والإنفاذ: إفعال من نفذ السهم من الرمية إذا خرقها وخرج منها إلى ورائها، ونفذت الكتاب إلى فلان وأنفذته أي أرسلته إليه، والتنفيذ مثله، ورجل نافذ في أمره أي ماض جار، وأمره نافذ أي مطاع. قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[1]. المعنى: أيها الثقلان إن استطعتم أن تهربوا من قضائي، وتخرجوا من

(١) الرحمن: ٣٣

أرضي وسمائي، فاهربوا وافعلوا، ثم قال: لا تقدرون على النفاذ من نواحيها وأقطارها إلّا بسلطان أي بقهر وقوة وغلبة، وأنى لكم ذلك، وبالجملة المراد من الإنفاذ هنا الإجراء والإمضاء. والحتم هو احكام الأمر، وبمعنى القضاء، وحتمت عليه الشيء حتماً أوجبته وجوباً لا يمكن إسقاطه، والحتم الأمر المحتوم أيضاً، والإضافة في (مقادير حتمه) على ما قال الفاضل المجلسي، هي من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة أي مقاديره المحتومة، وهذا بناء على جعل الحتم بمعنى المحتوم، ومستعملاً في معنى الجمع لكونه مصدراً في الصورة. ويجوز أن تجعل لامية أي المقادير التي لحتمه، بمعنى كونها صادرة عن حتمه، وجعل المقادير مستندة إلى الحتم بمعنى الوجوب والثبوت: إن صدور هذه المقدرات إنما هو بمقتضى القابليات والاستعدادات، فتكون حينئذٍ اختيارية لا قهرية واجبارية، لتكون من باب العزم الرافع للعقاب، والحتم الدافع للحساب والكتاب.

فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ.

■ العلّامة المجلسي:

قولها عليها السلام: عكفاً على نيرانها: تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها، يقال: عكف على الشيء ـ كضرب ونصر ـ أي أقبل عليه مواظباً ولازمه فهو عاكف، ويجمع على عكف ـ بضم العين وفتح الكاف المشددة ـ كما هو الغالب في فاعل الصفة نحو شهد وغيب. والنيران: جمع نار، وهو قياس مطرد في جمع الأجوف، نحو: تيجان وجيران. ومنكرة لله مع عرفانها.. لكون معرفته تعالى فطرية، أو لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده سبحانه. والضمير (في ظلمها) راجع إلى الأمم، والضميران التاليان له يمكن إرجاعهما إليها والى القلوب والأبصار. والظلم ـ بضم الظاء وفتح اللام ـ جمع ظلمة استعيرت هنا للجهالة. البهم جمع بهمة ـ بالضم ـ وهي مشكلات الأمور. وجلوت الأمر: أوضحته وكشفته. والغمم جمع غمة يقال امر غمة أي مبهم ملتبس، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ

﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾[1]، قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق، وتقول: غممت الشيء: إذا غطيته وسترته. والعماية: الغواية واللجاج، ذكره الفيروز آبادي.

■ الأنصاري التبريزي:

(الأمم) جمع أمة كغرف وغرفة، وهي هنا بمعنى الجماعة كما فسر في اللغة أيضاً بذلك، قال الأخفش: هي في اللفظ مفرد وفي المعنى جمع. وجاءت الأمة في الكتاب العزيز على وجوه، بمعنى الجماعة مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[2] أي جماعة، وهي أصل المعنى من جهة ان المتخلف عنها يؤمها، فهي مأمومة يؤمها ويقصدها كل من تخلف عنها وانفرد منها فيتبعها، أو أن الأمة بمعنى الفاعل أي الجماعة التابعة لرئيسها، ومنه إطلاق الأمة على أتباع كل نبي، وإن كان في عصره ولم يتبعه فليس من امته. وبمعنى رجل جامع للخير يقتدى به، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾[3] وفي حديث قس بن ساعدة (إنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة). قال في النهاية: الأمة الرجل المتفرد بدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾[4]. وبمعنى الدين والطريقة، لأنه جماعة من الأحكام متبعة مقصودة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[5] وبمعنى حين وزمان أي قطعة مشتملة على أجزاء منه، مثل قوله تعالى:

---

(١) يونس: ٧١

(٢) القصص: ٢٣

(٣) النحل: ١٢٠

(٤) النحل: ١٢٠

(٥) الزخرف: ٢٢

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[1]. وبمعنى الجيل من الناس والحيوان، وكل جنس منهما، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[2] ومنه الخبر: «لولا أن الكلاب أمة تسبح الله لأمرت بقتلها»، والأمة جميع الناس أيضاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾[3] أي جماعة واحدة قبل بعث الأنبياء فاختلفوا بعده. وفي كتاب الملل والنحل: إن الضابط في تقسيم الأمم أن نقول: من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية، ومنهم من يقول بالمعقول والمحسوس ولا يقول بالحدود والأحكام، وهم الفلاسفة الدهرية، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشريعة والإسلام، وهم الصابئية، ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة وإسلام ولا يقول بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله، وهم المجوس واليهود والنصارى، ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون، انتهى. وبالجملة المراد بالأمم هنا الفرق أي الجماعات المتفرقة. و(الفرق) جمع فرقة كنعم ونعمة، وهي الجماعة المنفصلة من الناس وغيرهم، والمراد منها هنا معنى الوصف أي المتفرقة، لاستلزام الفرقة الفصل والتفرقة، والمراد أن النبي صلى الله عليه وآله لما انبعث بأمر الله حين ابتعثه رأى الأمم أي جماعات الناس متفرقة في أديانها، كل أمة متَّبعة لهواها، آخذة ديناً مغايراً لدين من سواها.

قولها عليها السلام: «عكفاً على نيرانها... إلخ» تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها لكونه من الفرق الواضحة البطلان. وعكف على الشيء عكوفاً

(١) هود: ٨

(٢) الأنعام: ٣٨

(٣) يونس: ١٩

ـ كضرب ونصر ـ أي لازمه، وأقبل عليه مواظباً له فهو عاكف، ويجمع على عكوف كشاهد وشهود، وعادل وعدول، وعلى عكف ـ بضم العين وفتح الكاف المشددة، كما وقع في الفقرة ـ وهو الغالب في جمع فاعل الصفة نحو شُهّد وغُيّب. ومن هذه المادة وهذا المعنى الاعتكاف الشرعي، وهو اللبث في المسجد الجامع ثلاثة أيام فصاعداً للعبادة على النهج المقرر في الشريعة، بمعنى قبول العكوف أي الملازمة في المسجد فهو معتكف، ويقال له العاكف أيضاً أي العاكف على المسجد والملازم له، والعاكف على العبادة أو العاكف على حال نفسه. قيل: هو من عكفت الشيء حبسته أو منعته، والاعتكاف افتعال منه لأنه حبس للنفس، ومنع لها عن التصرفات العادية، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾(١) أي محبوساً، و﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾(٢) أي المقيم والطارئ. والنيران: جمع نار، وهو قياس مطرد في جمع الأجوف نحو تيجان ونيران، وقد مرّ معنى النار وما يتعلق به. والأوثان: جمع وثن بمعنى الصنم، وهو المصنوع من خشب أو حجر أو غيرهما بدون إضافة الصورة المجردة أو معها، وقيل: الصنم هو المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب، والوثن هو المتَّخذ من حجر أو خشب ونحوهما، فالصورة لا تسمى صنماً ولا وثناً. وقال ابن فارس: الصنم ما يتخذ من خشب أو نحاس أو فضة، والوثن من غيرها، وقيل: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة ونحوهما على صورة الآدمي وغيره، يعمل وينصب ويعبد، والصنم الصورة بلا جثة. وفي المغرب: الوثن ماله جثة من خشب أو حجر أو فضة أو جوهر ينحت، فالصنم

(١) الفتح: ٢٥

(٢) الحج: ٢٥

حينئذٍ عينه أو أخص أو أعم أو مباين. وقيل: إنهما بمعنى واحد مطلقاً، والظاهر أنّهما إذا اجتمعا افترقا ببعض الفروق، وإذا افترقا اجتمعا على معنى من المعاني، وجمع الوثن أوثان ووثن كأسد وآساد واسد، وهو من وثن إذا ثبت ودام لاثباتها في بيوتها للعبادة لها، وفي الحديث في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[1] قال: اللعب بالشطرنج والنرد وسائر أنواع القمار. والإنكار في الأصل عدم المعرفة، وليس بمراد هنا لقولهاعليها السلام: (مع عرفانها) بل المراد من الإنكار هنا لازمه وهو الجحود، يقال: أنكرته إنكارا خلاف عرفته، وأنكره إذا جحده، ويتفرع منه قولهم: أنكرت عليه فعله بمعنى عتبت عليه، فتكون الفقرة من باب ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[2]. ويجوز أن يكون المراد حصول المعرفة لهم بالله سبحانه من حيث فطرتهم، فإن معرفته تعالى فطرية، أو أن ذلك لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده تعالى، أو أن المراد من معرفتها وعرفانها كونها أهل معرفة في أنفسها بالأمور لا بالله سبحانه، أي أنهم لم يعرفوا الله وهم أهل المعرفة في أنفسهم مع أن الله سبحانه في غاية الظهور، وهو نور كل نور، ومبدأ كل ظهور.

فوا عجبا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

وهذا كالتوبيخ لهم في انهم اتبعوا هوى أنفسهم، فأعمى أبصارهم وأغشى أنظارهم، فلم يعرفوا خالقهم ومدبرهم لما وقعوا في تيه

(١) الحج: ٣٠

(٢) النحل: ٨٣

الضلالة، وظلمة الغواية والجهالة مع كونهم في أنفسهم أهل العلم والمعرفة. ويُطلق المنكَر ـ بفتح الكاف ـ على القبيح أي الحرام لعدم معروفيته بين أهل الشرع والإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]. والمنكر وقع في الخبر كثيراً بمعنى ضد المعروف الذي أشير إليه أي ما قبحه الشارع وحرمه، والمعروف الذي يذكر في مقابله هو الفعل الحسن المشتمل على رجحان فيختص بالواجب والمندوب، فيخرج المباح والمكروه عن الطرفين وإن كانا داخلين في الحسن على وجه، ويمكن إدخال المكروه في المنكر فيخرج المباح أو يدخل في المعروف أيضاً. والنكير: المنكر والإنكار أيضاً بكل معنى أشير إليه، ومنكر ونكير اسما الملكين المشهورين، وقد أنكر بعض أهل الإسلام تسميتهما بذلك وقالوا: المنكر هو ما يصدر من الكافر والمتلجلج عند سؤالهما، والنكير ما يصدر عنهما من التفريع له، فليس للمؤمن منكر ونكير عند هؤلاء، والأحاديث الصحيحة المتضافرة صريحة في خلافهم. وربما كانت التسمية لأدنى ملابسة، وذلك لصدور النكير والمنكر عنهما على غير المؤمن عند المسألة، أو أن وجه التسمية أنهما يظهران للكافر بهيئة منكرة، فأحدهما المنكر وهو الأكبر، والآخر النكير بمعنى المنكور وهو الأصغر. والنكرة ـ بالتحريك ـ الاسم من الإنكار كالنفقة من الإنفاق، ومنه الحديث: (أوحى الله إلى داود عليه السلام إني قد غفرت ذنبك، وجعلت عار ذنبك على بني إسرائيل، فقال: كيف يا رب وأنت لا تظلم؟ قال: إنهم لم يعاجلوك بالنكرة)، والنكرة ـ بكسر الكاف ـ ككلمة مع وجوهها المعروفة خلاف المعرفة المعنوية واللفظية. والمناكرة: المحاربة، وفي حديث أبي سفيان قال: (إن محمداً

(١) العنكبوت: ٤٥

لم يناكر أحداً قط إلّا كانت معه الأهوال) أي لم يحارب، لأن كل واحد من المتحاربين يناكر الآخر أي يداهنه ويخادعه، والأهوال المخاوف والشدائد، وهذا كقوله ﷺ: (نصرت بالرعب). ولما كانت المخادعة مستلزمة للمناكرة أطلق المناكرة على المخادعة، فيطلق بذلك النكراء والنكرة على الدهاء والشيطنة، كما قال علي عليه السلام: العقل ما عبد به الرحمان واكتسب به الجنان، قيل: وعقل معاوية؟ قال عليه السلام: ليس ذلك بعقل وإنما هي نكراء وشيطنة، فيقال: ما أنكره أي ما أدهاه. والفقرة الأولى من هذه الفقرات المبينة لاختلاف الفرق في أديانها إشارة إلى عبدة النار، والثانية إلى عبدة الأصنام، والثالثة جامعة بينهما، ومثبتة لصفة الإنكار لهما مع إثبات العرفان فيهما مبالغة في الإنكار عليهما، أو أن الثالثة إشارة إلى فرقة أخرى وهي الملاحدة النافية للصانع، أو الدهريون أو الطبيعيون، وإن قيل إنه لا نافي للصانع بالمرة، وإنما الخلاف في موضوع المسألة، وان النافي بالمرة يقول أيضاً بأن الله هو الدهر والطبيعة. وأما عبدة النار فكان أسلافهم يعبدون النار لكونها جرماً مضيئاً نورانياً هو مظهر نورية الله تعالى، والدنيا والآخرة قائمتان بجهة النورية وجودية وغير وجودية، والله تعالى نور والملائكة أنوار، وكذلك الأنبياء والأولياء والصديقون والشهداء والأخيار والأبرار دون الأشرار والفجار، فالنار وجه ظاهر من وجوه الله تعالى، فعبدوها بلحاظ انها وجه الله ومظهر بعض آثاره الكاملة. واستشهد بعض المتأخرين منهم بما روى عنه عليه السلام أنه لما سئل عن وجه الله كيف هو وأين هو وما هو؟ فأمر عليه السلام بنار فأوقدت واشتعلت، فقال عليه السلام للسائل: أين وجه هذه الشعلة؟ قال السائل: كل طرف منها وجه لها، فقال عليه السلام: فكذلك الله تعالى، فكل شيء وجه له تعالى، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ

ٱللَّهِ﴾. واستشعروا من تمثيله عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنار الإشارة إلى أنها أقرب الأشياء إلى الله تعالى في عالم المظهرية، فخصوها بالتوجه إليه تعالى بها دون سائر الأشياء، ثم سرى الوهم والخيال في الجهلة الضلال فجعلوها إلهاً مستقلاً، فغفلوا عن المبدأ تعالى، وقيل غير ذلك. وأما عبدة الأصنام فقيل: إنه كان جماعة من سلفهم ظنوا أن الكواكب المنيرة صور وقوالب للملائكة المقربين وغير المقربين، العاكفين في جناب الله سبحانه، وأنهم مقربون عند الله وشفعاء الخليقة في جناب الله تعالى في أمور الدنيا والآخرة، فصوروا صور الكواكب السبعة وقالوا لها الهياكل النورية، وجعلوها في بيوت العبادة. فهيكل القمر في بيت، وهيكل العطارد في بيت وهكذا، وزينوا تلك البيوت، وكانوا يدخلون تلك البيوت للعبادة ويخرجون، ثم تجاوز الأمر بحكم التسويلات الشيطانية إلى نحت أصنام أُخر من صور الكواكب الاخر وغير ذلك، فجعلوها في بيوت الأصنام وعبدوها استرضاء لأرباب الصور المذكورة ليشفعوا لهم عند الله سبحانه، ولهذا قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[1] ثم توهم المتأخرون منهم أنها آلهة حقيقة، وتعدوا بعد ذلك إلى صور الحيوانات وغير ذلك. وقيل: إن قوماً من السلف كانوا يتأسفون لموت آبائهم، وامهاتهم، وأولادهم، وإخوانهم، وأقربائهم، وأصدقائهم، فتمثل لهم الشيطان وقال لهم: صوروا صور موتاكم فضعوها في بعض بيوتكم، فإذا اشتقتم إليهم فزوروهم في بيوتكم، ففعلوا كذلك، ثم لما مات السلف واستخلف الخلف، أوقع الشيطان في بالهم أن آباءهم كانوا يعبدون تلك الصور المنحوتة المعمولة لأنها آلهتهم أو صور آلهتهم، فسرى الوهم فضلوا عن السبيل فهم لا يهتدون، وفي بيداء الغي يعمهون.

(١) الزمر: ٣

وقيل: إن جماعة من الأمم السالفة صوروا علماءهم وزهادهم، وجعلوها في حياتهم وبعد وفاتهم في بيوتهم، يزورون تلك الصور تعظيماً لشأن أربابها، وتقرباً إلى الله سبحانه بتعظيمها، فلما مضى السلف ولم يعرف الخلف جهة ما كان يفعل آباؤهم وأجدادهم، فخيل الشيطان إليهم أنهم ما كانوا يفعلون كذلك إلّا أنهم آلهتهم أو صور آلهتهم، فآل الأمر إلى ما آل، فتاهوا في بيداء الضلال، وقيل غير ذلك ممّا أوجب وقوعهم في ظلمات المهالك. قولهاعليها السلام: «فأنار الله بمحمد صلى الله عليه وآله ظُلَمها... إلخ». الظلم ـ بضم الظاء وفتح اللام ـ جمع الظلمة كغرف وغرفة، وضمير ظلمها للفرق والأمم، وإنارة الظلمة إزالتها بالنور. ولما كانت الظلمة هي ظلمة شبهات الجهل والضلالة الثابتة فيهم المحيطة عليهم، كان النور هو نور المعرفة والهداية الذي أتى به النبي صلى الله عليه وآله بإظهار أحكام الشريعة القويمة، ودعوة الناس إلى تلك الطريقة المستقيمة، فأزال عنهم تلك الظلمة، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1]. والمراد كما في الأخبار موت الجهل والغواية، وحياة العلم والمعرفة، ونور الدين والهداية، وظلمات الغي والجهالة، وليس المراد إزالتها عن جميعهم، وإلّا لم يبق في الخلق ضال كافر بالمرة، بل المراد إزالتها عمن كان قابلاً للهداية، أو المراد إزالتها عن الجميع إزالة قوية شأنية لا فعلية، بأن أزال الشبهات وأتى بالدلائل الواضحات والآيات البينات، فهلك من هلك عن بينة، وحيي من حيي عن بينة، ولعل لهذا المعنى الأخير مقربات من فقرات الخطبة الشريفة، كما لا يخفى لمن تأمل فيها. والظلمة والظل متقاربان لفظاً ومعنى، وظلمة الليل ظل الأرض الحادث بغروب الشمس

(١) الأنعام: ١٢٢

وكونها تحت الأرض، وظلمة البطن ظل الجسم المحيط به، وظلمة البيت ظل الجدران والسقف المحيطة به وهكذا. والظلمات المعنوية ظل الكثافات الدنيوية، والكدورات الجسمانية والنفسانية وهكذا، فإن إشراق نور الأزل إنما يكون من جهة عالم الباطن، فيقع في عالم الظاهر من جهة كدوراته الحاجبة ظل الجهالة والغواية ونحو ذلك، فتأمل في ذلك فإنه نكتة دقيقة لا يدركها إلّا البصر الحديد، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[2]. ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[3] فليس لهم أن يفقهوه. وسمّي الظلم خلاف العدل ظلماً لأنه ظلمة حادثة من غروب شمس العقل وقمر العدل، بل العقل والعدل متقاربان لفظاً ومعنى بقول فصل ليس بالهزل. والأصل في الظلم لغةً وعرفاً هو وضع الشيء في غير موضعه، ومنه قولهم: من استرعى الذئب على الغنم فقد ظلم، وبعكسه العدل الصوري والمعنوي، فتفضيل المفضول على الفاضل - كما فعله العامة - ظلم وخيم، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، فالذين ظلموا آل محمد غافلون جاهلون حائرون، وفي بيداء الضلالة تائهون سائرون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[4]. والمظلمة - بفتح الميم وكسر اللام - اسم لما يطلبه المظلوم عند الظالم كالظلامة بالضم، وفي الخبر: (الظلم ظلمات يوم القيامة).

وفيه: إن الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر وهو الشرك بالله، وظلم لا يترك

---

(١) ق: ٢٢

(٢) الأنعام: ٢٥

(٣) البقرة: ٧

(٤) الشعراء: ٢٢٧

وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، وظلم مغفور لا يطلب وهو ظلم العبد نفسه عند فعل بعض المنهيات، يعني الصغيرة من الزلات، وهذه كلها ظلمات. والظالم أيضاً من يتعدى حدود الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] لكونه لم يضع الشيء موضعه فوقع في ظلمات الجهل عن الشريعة، وزال عنه نور الطريقة وضياء الحقيقة، وبالجملة الظلمة خلاف النور. وقوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾[2] هي ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾[3] قال المفسرون: هذا تشبيه بأن أعمال الكفار في خلوها عن نور الحق وظلمتها لبطلانها، كظلمات متراكمة هي ظلمة الموج وظلمة البحر وظلمة السحاب. وروي في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾ أنه عليه السلام قال: هي الأول وصاحبه، ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾: الثالث ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ﴾: الثاني ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾: معاوية وفتن بني أمية، إذا أخرج المؤمن يده في ظلمة فتنهم لم يكد يراها. وقوله تعالى في يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[4] أي ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر، أو ظلمة حوت التقم الحوت الأول، وفي الدعاء: (جاعل الظلمات والنور) أي الليل والنهار، والجنة والنار، والأخيار والأشرار، والفجار والأبرار ونحو ذلك. والظلام قيل: مطلق الظلمة، وقيل: ظلمة أول الليل وكذا الظلماء، أو هي بمعنى الظلمة مطلقاً، ويقال: أظلم

(١) البقرة: ٢٢٩
(٢) الزمر: ٦
(٣) النور: ٤٠
(٤) الأنبياء: ٨٧

الليل أي أقبل بظلامه، وأظلم القوم أي دخلوا في الظلام. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: «وكشف عن القلوب بهمها». الضمير يجوز أن يرجع إلى الأمم مطابقاً للضمير في ظلمها، ويجوز أن يرجع ضمير بهمها إلى القلوب وكلاهما صحيحان، وفي ضمير غممها أيضاً وجهان بالنسبة إلى الرجوع إلى الأمم والأبصار. والبهم جمع بهمة ـ بالضم ـ كغرف وغرفة، وظلم وظلمة، وهي مشكلات الأمور ومبهماتها، وهذه المادة تنبئ عن معنى الإغلاق والستر والإخفاء وعدم البيان، يقال: استبهم الخبر واستغلق واستعجم بمعنى، وأبهمته إبهاماً إذا لم تبينه، وأبهمت الباب أغلقته، وأمر مبهم أي لا مأتى له، وفارس بهمة ـ كغرفة ـ أي لا يُدرى من أين يؤتى لشدة بأسه. والبهيمة الحيوان الذي لا يفهم صوته وما يقوله، والأسماء المبهمة هي أسماء الإشارة عند النحاة على ما ذكر الجوهري، لعدم البيان الصريح فيها، والمبهمات الثلاثة هي أسماء الإشارة، والموصولات، والمضمرات لوجود الإبهام فيها جملة. ومعنى الفقرة أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كشف عن قلوب الأمم مشكلات أمور تلك الأمم، أو مشكلات أمور قلوبهم، واللام في القلوب عوض عن المضاف إليه، والإضافة على الأول لامية وعلى الثاني ظرفية. والمراد من المشكلات مشكلات التوحيد وسائر أصول المعرفة والعبادة وفروعهما، بل كل ما يتعلق بالأمور الدنيوية والأخروية، وكشفها عبارة عن تبيينها ببيانات النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وإزالتها به، أي انه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أزال إشكالات الأمور الدنيوية والدينية فاتضح به لهم حقيقة كل مسألة، وأقيل عنهم به زلة كل معصية، وعثرة كل مزلقة في كل مرحلة بقدر الاستعداد والقابلية في كل مورد معضلة. و(جلوت) الأمر كشفته وأوضحته من الجلاء بمعنى الكشف والإيضاح، فهو منجل، قال الشاعر:

وســــــتــري إذا انــجــلــى الــغــبــار
أفـــرســـــــــــــــــــتــحــتــك أم حــمــار

والتفعيل من هذه المادة يستعمل للمبالغة، يقال: جليته تجلية بمعنى جلوته جلاء، قيل: والمجرد يستعمل لازماً مثل جلى الغبار بمعنى إنجلى، ومنه الجلي مقابل الخفي، ومتعدياً مثل جلا الأمور أي كشفها، ومنه على وجه قوله:

أنـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الـثـنـايـا
مـتـى أضـــع الـعـمـامـة تعرفوني

أي أنا ابن رجل جلا الأمور وكشفها. وفي الحديث: (السواك مجلاة للبصر) أي آلة لتقوية البصر، وكشف لما يغطيه، وفي حديث النبي ﷺ: (فجلى الله لي بيت المقدس) بتشديد اللام وتخفيفها أي كشفه، فيجوز الوجهان في الفقرة الشريفة أيضاً، وجلا فلان عن الوطن أي انكشف وزال عنه إلى مكان آخر. و(الغمم) جمع غمة كظلم وظلمة، يقال: أمر غمة أي مبهم ملتبس، قال تعالى: ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾[1]. قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق وتقول: غممت الشيء إذا غطيته وسترته، قيل في معنى الآية أي لا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستوراً عليكم، وليكن مشهوراً مكشوفاً تجاهرونني فيه. والغمة أيضاً السترة من غمه يغمه ستره، ومنه الحديث: (لا غمة في فرائض الله) أي لا تستروها ولكن تجاهروا فيها، وبمعنى الكربة أيضاً لأنها أي الكربة تستر القلب، أو سروره، أو حلمه، ويقال: هو في غمة أي حيرة. والمغموم: المهموم المكروب، والغمام: السحاب لأنه يستر وجه

(١) يونس: ٧١

السماء، والأغم من ليس لرأسه نزعة، لكون الشعر ساتراً لجميع أطراف رأسه إلى الجبينين والجبهة، وهو دليل البلادة، واغتم فلان هو افتعل من الغم، وغمَّ علينا الهلال إذا حال دون رؤيته غيم. وروي (عماها) بدل غممها هنا، وهو عدم البصر عمّا من شأنه البصر، وهو أنسب بالنسبة إلى الأبصار، وإن لم يناسب سجع الكلام في المضمار. وهذه الفقرات الثلاث ناظرة إلى الفقرات الثلاث الأول باللف والنشر المرتب، فإنارة الظلم ناظرة إلى العكوف على النيران، وفيه إشارة إلى أن ذلك وإن كان في الظاهر عكوفاً على النيران المنيرة، إلّا أنه كان عكوفاً على الظلمات المعنوية، وملازمة لظلمة الضلالة، فأنار النبي ﷺ تلك الظلم. وكشف البهم عن القلوب ناظر إلى عبادة الأوثان، فإن تلك العبادة لا تكون إلّا بالشبهات الوهمية، والاعتقادات الباطلة. وجلاء الغمم عن الأبصار ناظر إلى إنكارهم لله سبحانه مع العرفان، فإن ذلك لا يكون إلّا من جهة تغطيته الأبصار بغشاوة الأكدار حتى لا تعرف هي من كانت تعرفه، إذ المراد بالإبصار هنا هو الأبصار بالبصيرة الباطنية المعنوية. قولهاعليها السلام: «وقام في الناس بالهداية». أي أقام أمر الهداية، يقال: قام بكذا أي أقامه على أن الباء للتعدية، أو قام مصاحباً له أو بسببه، ويستلزم ذلك إقامته، فالنبي ﷺ أقام الهداية أي نصب أعلامها للناس ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، أي ظلمات بر الشريعة وبحر الطريقة والحقيقة. وقولهم: قام فلان بكذا في الاستعمال، بعكس ما يقال في معنى القوام أنه ما يقوم به الشيء كما لا يخفى، فإن معنى قام فلان بالأمر أنه أقامه أي جاء معطياً حقوقه، كما في قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] و﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى

(١) المائدة: ٥٥

﴿النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]. ويقال للقوم: القوم لقيامهم بأمور عيالهم وصغارهم، ولذا قيل: القوم هو الرجال دون النساء، كما قال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري
أقوم آل حصن أم نساء؟

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[2] وربما دخل فيهم النساء والصغار على سبيل التبع لا الأصالة. و(الإنقاذ) التخليص والإنجاء من أنقذت الغريق إنقاذاً أخلصته، فنقذ هو من باب تعب، ومنه (يا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى) وأنقذه واستنقذه بمعنى. و(الغواية) بفتح الغين من غوى يغوي غيّاً وغواية ـ من باب ضرب ـ إذا تاه وظل وانهمك في الجهل فهو غاو، والجمع غواة، وأغواه إغواء أي أضله وأوقعه في الجهل والضلالة فهو مغو، والغي: الضلال والانهماك في الباطل والخيبة، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3] أي ضلالاً وخيبة، أو ضلالاً عن طريق الجنة. والغوي: الضال، ويطلق على من كانت ضلالته في الغاية، بحيث يحمل الناس على الغواية أي خلاف الرشد، وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[4] أي ما انحرف عن جادة الرشد فيما يقوله، إذ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[5]. وفي حديث الإسراء: (لو أخذت

(١) النساء: ٣٤
(٢) الحجرات: ١١
(٣) مريم: ٥٩
(٤) النجم: ٢
(٥) النجم: ٣ - ٤

الخمر لغوت أمتك) أي ضلت، وفي الحديث: (سيكون عليكم أئمّة إن أطعتموهم غويتم). والفقرة من جهة ذكر الإنقاذ المتعلق بالغواية، إشارة إلى أن الغواية والضلالة كالبحر العميق الذي يغرق ويهلك فيه من وقع فيه. و(التبصير) جعل الشخص صاحب البصيرة والبصر الصوري والمعنوي. و(العماية) بفتح العين هي الغواية واللجاج، وأصل العمى فقد البصر وذهابه، ويستعار للقلب كناية عن الضلالة والغي والعماية وعدم الاهتداء، فهو عم وأعمى القلب. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[1] أي من كان في الدنيا أعمى القلب عن الحق فلا يرى في الآخرة طريق النجاة. وعمي الخبر: خفي كأنه لم يهتد إلى سبيل الظهور، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾[2] وأعميته إعماء: أخفيته، والعماء ـ بالفتح والمد ـ السحاب، و(من) في قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (من العماية) بمعنى عن، متعلق بقولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (بصرهم) بتضمين معنى الإنجاء والتخليص ونحو ذلك. والفقرات الثلاث ناظرة إلى الفقرات السابقة أيضاً باللف والنشر المرتب، فالقيام بالهداية ناظرة إلى إنارة الظلم، والإنقاذ من الغواية إلى كشف البهم عن القلوب، والتبصير عن العماية إلى جلاء الغمم عن الأبصار، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: «وهداهم إلى الدين القويم... إلخ». الهداية قيل: هي الدلالة الموصلة إلى المطلوب، وقيل: هي إراءة الطريق الموصلة إليه، والأول يستلزم الوصول إلى المطلوب بخلاف الثاني، والأول منقوض بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾[3] والثاني بقوله

(١) الإسراء: ٧٢

(٢) القصص: ٦٦

(٣) فصلت: ١٧

تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾(١) مع أن شأن النبي ﷺ إراءة الطريق. ونقل عن ظاهر حاشية التفتازاني على الكشاف: ان الهداية لفظ مشترك بين المعنيين فلا نقض، ومحصل كلامه فيها ان الهداية تتعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(٢) وتارة باللام نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٣) وتارة بـ(إلى) نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤). فمعناه على الاستعمال الأول هو الإيصال، وعلى الأخيرين الإراءة، لكن ينتقض الأول أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾(٥) و﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٦) إلى غير ذلك. والثاني بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٧)، مع أن معنى الهداية هنا بالنسبة إلى الله هي الدلالة الموصلة المختصة بمن أدركه التوفيق، وإلّا فالله تعالى يهدي كل أحد إلى صراط مستقيم. والحق جواز استعمال كل في كل إلّا أن الغالب استعمال المتعدي بلا واسطة في الدلالة الموصلة للمناسبة اللفظية، والمتعدي بالحرف في الإراءة، مع كون الغالب في الإراءة من قرب هو التعدية باللام، ومن بعد التعدية بـ(إلى). والمعنى أن النبي ﷺ قام بالهداية، وهدى الناس إلى الطريقة الحقة من بعد، لكون الحال حالة صدر الإسلام، والناس معتكفون حينئذٍ

(١) القصص: ٥٦

(٢) الفاتحة: ٦

(٣) الإسراء: ٩

(٤) البقرة: ٢١٣

(٥) فصلت: ١٧

(٦) الإنسان: ٣

(٧) القصص: ٥٦

عن عبادة الأصنام، بل هم فرق مختلفون تائهون في بيداء الضلالة، هائمون في حيرة الجهالة، فلم تكن الهداية في أول الحالة إلّا بحيث كأنهم كانوا ينادون من مكان بعيد، فناداهم إلى الدين القويم الذي لا عوج له، ودعاهم كذلك إلى الطريقة المستقيمة التي من سلكها وصل إلى الحقيقة، والمراد من الدين الشريعة، وقد مرّ الى تفصيل معناه اللغوي الإشارة فيما مر.

و(الصراط المستقيم) ـ بالصاد وهي اللغة الفصيحة ـ هو الطريق المستوي عن الاعوجاج، والسراط والزراط لغتان في الصراط. وذكروا على سبيل القاعدة الكلية أنه إذا وقعت في الكلمة بعد السين بمرتبة أو أكثر حرف من حروف حطقخ (أي الحاء، والطاء، والقاف، والخاء) جاز في السين تبديلها الصاد والزاء وبالعكس، نحو سراط وصراط، وسلح وصلح، وبساق وبصاق، ويجوز الزاء في الجميع. قيل: وسرطت الشيء ـ بالكسر ـ أسرط من باب علم: بلعته، وسمّي الطريق صراطا لغياب السالك فيه بالذهاب كأنه بلعه، والمراد بالصراط الكتاب العزيز، أو الدين الحق الذي لا يقبل الله من العباد غيره، وإنما سمي الدين صراطاً لأنه يؤدي من يسلكه إلى الجنة، كما أن الصراط يؤدي من يسلكه إلى مقصده. وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[1] قال: يقول: أرشدنا إلى الطريق المستقيم أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ لدينك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك. أو المراد به الإسلام، أو النبي صلى الله عليه وآله، أو الأئمّة عليهم السلام، ولكل منها شاهد من الأخبار أو غير ذلك، والأولى حمل الآية على العموم

(١) الفاتحة: ٦

حتى يدخل فيه جميع ذلك، لأن كل ما أمر الله بالإقرار به أو اتباعه من العدل والتوحيد وولاية من أوجب الله وغير ذلك كله داخل في الصراط المستقيم. وعن علي عليه السلام: الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة. وعن الصادق عليه السلام: هي الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنم. وعنه عليه السلام: (الصراط أمير المؤمنين عليه السلام، وفي رواية أخرى أنه معرفة الإمام عليه السلام، وفي أخرى: (نحن الصراط المستقيم). وفي الخبر في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(1) لا تقصدوا الهداية إلى الصراط فإنكم هديتم إليه، بل اقصدوا ثبتنا على الصراط المستقيم. وعن علي عليه السلام: يعني أَدِمْ لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا. وقيل: معناه اهدنا الصراط المستقيم باطناً كما هديتنا إليه ظاهراً، أو اهدنا كل آن فيما يأتي من الآنات إلى الصراط المستقيم، كما هديتنا فيما سبق منها، بناء على أن هداية كل آن غير هداية الآن الآخر، أو المراد: كما هديتنا في الزمان الماضي اهدنا في الزمان المستقبل، أو كما هديتنا إليه في الدنيا اهدنا إليه في الآخرة. أو كما هديتنا إليه في الجملة اهدنا إليه على وجه الكمال، أو كما هديتنا إليه علماً فاهدنا إليه عملاً، أو كما هديتنا إليه قولا اهدنا إليه فعلاً واعتقاداً، أو كما هديتنا إليه علماً وعملاً أجزنا جزاءه خيراً بتخليصه عن الرياء والسمعة مثلاً، أو كما هديتنا إلى

(1) الفاتحة: 6

صراط الشريعة اهدنا إلى صراط الطريقة والحقيقة.

وقال بعض الأفاضل: في معنى اهدنا وجوه، مثل أن يكون معناه ثبتنا على الدين، لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم إلّا أن الإنسان قد يزل، وترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبته على دينه، ويديمه عليه، أو أن المراد زيادة الهدى بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾(١) وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يأكل: كل. أو المراد من الهداية هي الثواب، لقوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾(٢) فصار معناه اهدنا إلى طريق الجنة ثوابا، ويؤيده قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾(٣). أو المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي، ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلاً، كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾(٤) أو إن الدعاء عبادة وفيه إظهار الانقطاع إلى الله سبحانه. وأما إنه ما معنى مسألة ذلك وقد فعله الله، فقيل: إنه قد يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا، وهذا كما ترى تعبدنا بتكرار التسبيح والتحميد، والإقرار لربنا بالتوحيد، وإن كنا معتقدين لجميع ذلك، ويجوز أن يكون الله يعلم أن الأشياء الكثيرة تكون أصلح لنا إذا سألناه، وإذا لم نسأله لا تكون مصلحة، ويجوز أن يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب، لأن إدامته ليست بواجبة بل هو تفضل محض، فجاز أن يرغب فيه بالدعاء، انتهى ملخصاً. وبعض هذه الوجوه المذكورة داخل فيما ذكرنا. ثم إن أكثر الوجوه التي مرّت

---

(١) محمد: ١٧

(٢) يونس: ٩

(٣) الأعراف: ٤٣

(٤) الأنبياء: ١١٢

إليها الإشارة مع بعض وجوه أخر تجري في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾(1). أي كما أخرجهم يثبتهم على هذا الإخراج، ومثله الكلام في يخرجونهم، أو يخرجهم في كل آن عمّا يأتي كما في ما مضى من الآنات، أي كما أخرجهم في الماضي يخرجهم في الآتي، أو كما أخرجهم في الدنيا يخرجهم في الآخرة، أو كما أخرجهم ظاهراً يخرجهم باطناً، أو كما أخرجهم قولاً يخرجهم فعلاً أو اعتقاداً، أو كما أخرجهم علماً يخرجهم عملاً، أو يخرج المؤمن من ظلمة الدنيا إلى نور البرزخ والآخرة، والكافر من نور الدنيا إلى ظلمة البرزخ والآخرة، فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، أو يخرج المؤمن من ظلمة الجهل والذنوب إلى نور الهدى والمغفرة، والكافر من نور الفطرة إلى ظلمة فساد استعداد الطبيعة والطينة، أو يخرج المؤمن من ظلمات الذنوب كما في الخبر إلى نور التوبة بولايتهم كل إمام عادل، والمنافق من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر لتوليهم كل إمام جائر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار. قال الراوي: قلت للصادق عليه السلام: أليس الله عنى بهذا الكفار؟ قال عليه السلام: وأي نور للكافر وهو كافر فاخرج منه إلى الظلمات. والإخراج في كل من المؤمن والكافر يقتضي إما أن يكون المؤمن في الظلمة فيخرج إلى النور، والكافر بالعكس، أو يكون في كل منهما جهتان جهة نور وجهة ظلمة، والمراد في بعض الوجوه الأول كما ظهر صحته ممّا مر، وفي بعضها الثاني، وذلك لأن لكل شيء جهتين: جهة من ربه، وجهة من نفسه، والأولى نور والثانية ظلمة، أو جهة وجود وماهية، والوجود نور والماهية ظلمة. أو فيه جهة عقلانية وجهة نفسانية،

(1) البقرة: ٢٥٧

أو جهة قدرة على الخير، وجهة قدرة على الشر، أو جهة ملكية وجهة شيطانية، أو جهة توحيد وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وجهة إشراك وهي جهة المخالفة، أو جهة نور وجهة ظلمة شأناً لا فعلاً.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإِيثارٍ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأَبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ وأمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

■ العلّامة المجلسي:

واختيار: أي من الله له ما هو خير له، أو باختيار منه ﷺ ورضى وكذا الإيثار، والأول أظهر فيهما. بمحمد ﷺ عن تعب هذه الدار.. لعل الظرف متعلق بالإيثار بتضمين معنى الضنة أو نحوها، وفي بعض النسخ: محمد ـ بدون الباء ـ فتكون الجملة استينافية أو مؤكدة للفقرة السابقة، أو حالية بتقدير الواو، وفي بعض كتب المناقب القديمة: فمحمد ﷺ، وهو أظهر، وفي رواية كشف الغمة: رغبته بمحمد ﷺ عن تعب هذه الدار، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: بأبي ﷺ عزت هذه الدار.. وهو أظهر، ولعل المراد بالدار: دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة، وعلى التقادير لا يخلو من تكلف.

■ الأنصاري التبريزي:

(قبضت) الشيء قبضاً ـ من باب ضرب ـ أخذته، ولعل منه قولهم:

قبضه الله بمعنى أماته أي قبض روحه وأخذها من جسمه، فصار بمعنى أماته فهو مقبوض أي مميت مقبوض الروح. وهذا المعنى هو المراد من الفقرة، بل أصل القبض خلاف البسط، فمعنى الأخذ أيضاً متفرع منه وهكذا معنى الإمساك، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾[1] أي يمسكونها عن الصدقة والخير، والتضييق في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾[2] أي يضيق على قوم ويوسع على قوم. وفي الخبر: (ما من قبض ولا بسط إلّا ولله فيه مشية وابتلاء) قيل: المراد من القبض والبسط الألم والفرح سواء كان بطريق ظلم أحد أم لا، وهو في قبضته أي ملكه، فإن الملك مقبوض بالقبض المعنوي. والقبضة ـ بفتح القاف وضمها أيضاً ـ مل ء الكف من الشيء مقبوضاً عليه الأصابع بجميع الكف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[3] أي ملأت ملء كفي من تراب موطئ فرس جبرئيل المسمى بحيزوم، قيل: والضم مقدم على الفتح، وقيل: بالضم اسم بمعنى المقبوض كالغرفة بمعنى المغروف، وبالفتح المرة. والقابض من أسماء الله تعالى، وهو الذي يمسك الرزق وغيره عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات، والباسط خلاف القابض، ويحسن القرآن أي المقارنة في الذكر بين هذين الاسمين، فيقال: القابض الباسط، وكذا كل اسمين متقابلين يردان موردهما أو لا، مثل الخافض والرافع، والمعز والمذل، والضار والنافع، فإن ذلك أنبأ عن القدرة، وأدل على الحكمة. وقولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (إليه) متعلق بفعل مضمن في قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (قبضه الله)،

---

(١) التوبة: ٦٧

(٢) البقرة: ٢٤٥

(٣) طه: ٩٦

وضمير إليه راجع إلى الله تعالى، أي رافعاً أو جاذباً أو داعياً له إليه أي إلى قرب جنانه، أو إلى رضوانه ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(١) ونحو هذا التضمين شائع في هذه المادة. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾(٢) يريد به الظل المنبسط، ومعنى قبضه إليه كذلك انه تعالى ينسخه بوجود الشمس قبضاً يسيراً، أي على مهل أي شيئاً بعد شيء، وفي ذلك منافع غير محصورة، ولو قبضه إليه دفعة واحدة لتعطل أكثر منافع الناس الحاصلة بالظل والشمس جميعاً. و(الرأفة) أشد الرحمة ـ كما قال أبو زيد ـ من رؤفت بالرجل ـ من باب كرم ومنع وضرب ـ رأفة فهو رؤوف، قيل: والرأفة أرق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع مع الكراهة أيضاً للمصلحة، والرؤوف من أسمائه تعالى بمعنى الرحيم لعباده، العطوف عليهم بألطافه. و(الاختيار) قد مرّ إلى معناه الإشارة فيما مرّ. و(الرغبة) مصدر واسم مصدر من رغبت في الشيء ـ من باب علم ـ إذا أردته وحرصت عليه، وكذا رغبته متعدياً بنفسه، واما رغبت عنه فبمعنى كرهته أو لم ترده وزهدت فيه، فالرغبة في الشيء خلاف الرغبة عنه. والظاهر أنّ المعنى في الاستعمال الثاني أيضاً راجع إلى الأول لكونه بمعنى الرغبة في شيء آخر مائلاً عن الأول أو معرضاً عنه، وبالجملة فالمعنى عند ذكر الصلة واضح، وعند حذفها يتوقف على تقديرها، فيتعين بالصلة المقدرة المحذوفة من جهة القرائن، ولو لم يظهر هناك قرينة للصلة صار اللفظ مجملاً. والقرينة في الفقرة قائمة على تقدير فيه، وقد يستعمل لفظ إليه بدل فيه أي مائلاً إليه، كما في الدعاء: (اللهم

(١) آل عمران: ٥٥

(٢) الفرقان: ٤٦

إليك رغب الراغبون) فقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾[1] بمعنى من يزهد فيه ولم يرده، أو بمعنى من يعرض عنه ويكرهه. وفي الخبر: (لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلّا وجبت له الجنة) فالرغبة هي السؤال والطلب، والرهبة هي الخوف والخشية، وفي الدعاء: (رغبة ورهبة إليك) أعمل لفظ الرغبة وحدها وإلّا لقيل: (رغبة إليك ورهبة منك) والرغبة في الدعاء كما وردت به الرواية: أن تستقبل ببطن كفيك إلى السماء وتستقبل بها وجهك. وصلاة الرغائب أي صلاة ما يرغب فيها من المثوبات العظيمة، وهي التي تصلى في أول جمعة من رجب، جمع رغيبة بمعنى المرغوبة، وموصوفها المثوبة المحذوفة أو الفائدة ونحوها، ومنه ما في خبر آخر: (لا تدع ركعتي الفجر فإن فيهما الرغائب) أي ما يرغب فيه من المثوبات العظيمة. وليلة الرغائب بناء على ما أشير إليه هي ليلة يوم يصلى فيه صلاة الرغائب، ويجوز أن يجعل اسم الرغائب، فهذه الليلة من جهة انها أول ليلة جمعة من الشهور المباركة الثلاثة، ففي هذه الليلة تجري رغائب الله وفوائده وعطاياه على العباد. و(الإيثار) من آثرته ـ بالمد ـ على فلان أي فضلته عليه، وفي الكتاب المجيد: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾[2] أي فضلك، و﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[3] أي يقدمون غيرهم على أنفسهم، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[4] أي تقدمونها وتفضلونها على الآخرة. واستأثر بالشيء استبد به مشتق من الأثر بمعنى العلامة، أو الخبر من أثر الخبر أثراً ـ من باب ذكر ـ أي ذكره فهو

---

(١) البقرة: ١٣٠

(٢) يوسف: ٩١

(٣) الحشر: ٩

(٤) الأعلى: ١٦

مأثور، وفلان يستأثر على أصحابه أي يختار لنفسه أخلاقاً وأفعالاً حسنة. والمأثرة ـ كمكرمة وزناً ـ بمعناها، لأنها تؤثر أي تذكر أو تعلم وتعرف، ومنه مآثر العرب أي مكارمها ومفاخرها التي تؤثر عنها أي تروى وتذكر وتعرف، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[1] أي فضيلة تؤثر عن الأولين وتستند إليهم، أو علم مأثور، وأثرت في الأرض تأثيراً علمتها بالمشي فحصل منه في الأرض أثر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾[2] أي من أثر حافر فرسه. وفي الحديث: (من سره أن يبسط الله في رزقه، وينسأ في أثره فليصل رحمه) قيل: الأثر الأجل سمى به لأنه يتبع العمر، قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإنه إن مات لا يرى لأقدامه تأثير في الأرض لعدم المشي، فلا يبقى له أثر حينئذ. قال في النهاية: ومنه قوله عليه السلام للذي مرّ بين يديه وهو في الصلاة: (قطع صلاتنا قطع الله أثره) دعا عليه بالزمانة لأنه إذا زمن انقطع مشيه فانقطع أثره، ويحتمل الحمل على الدعاء بموته ولعله بعيد. قولها عليها السلام: (قبض رأفة) مفعول مطلق، أي كان قبض الله له صلى الله عليه وآله إليه قبض رأفة، مثل ضربت ضرب الأمير، أي كان هذا القبض على وجه الرأفة على النبي صلى الله عليه وآله ليخلصه عن تعب الحياة الدنيوية، ويريحه من شدائد هذه النشأة الدنية. وقولها عليها السلام: (واختيار) أي قبض اختيار من الله له ما هو خير له، كما قال تعالى:

(١) الأحقاف: ٤

(٢) طه: ٩٦

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] و﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2]، أو المراد أن هذا القبض باختيار منه ﷺ، ورضا منه بلا كره وإجبار، وكذلك الكلام في إجراء وجهي الاختيار بالنسبة إلى الرغبة والإيثار. و(التعب) مصدر قولك: تعب فلان تعبا ـ من باب علم ـ إذا أعيى وكلّ، والمراد منه المشقة والزحمة. و(الدار) معروفة، وهي المحوطة المشتملة على البيوت، وفسرت بالمنازل المسكونة، سُمّيت بالدار لإحاطة الجدار ودوره حول بيوتها، وتجمع على أدؤر، تهمز واوه ولا تهمز، وآدر بالقلب المكاني ثم القلب الذاتي، والأصل أدور، وديار، ودور، وتطلق الدار على المحلة أيضاً، ومنه الحديث: (ما بقيت دار إلّا وقد بني فيها مسجد). قيل: والأصل في إطلاق الدور المواضع، وقد تطلق على القبيلة مجازاً إذا اجتمعت في محلة، ومنه قوله ﷺ: (ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟ دور بني النجار)، وأما إطلاقها على الدنيا أو الآخرة فهو حقيقة عرفية ثانوية. وفي اصطلاح أهل المعرفة حقيقة أولية لكون المعاني الموضوع لها عامة عندهم، فللدنيا حائط محيط لما فيها من البيوت وكذلك الآخرة، والدار قد يضاف إلى الدنيا والآخرة فتكون بالإضافة البيانية، وقد توصف بهما بناء على اعتبار وصفّيتهما الأصلية، فيقال: الدار الدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب من دنا يدنو دنوا إذا قرب، أو بمعنى الأحقر والأذل من الدون بمعنى الخسيس. والآخرة فاعلة بمعنى المتأخرة مثل دار العقبى، والدار العقبى مؤنث أعقب بمعنى المتأخر أيضاً، ويجوز على الإضافة جعل المضاف إليه مصدراً سيما في دار العقبى على وزن الرجعى والبشرى، ودار الله هي الآخرة، أو حضرة قدسه، أو الجنة، فإن الله هو

---

(١) الضحى: ٤

(٢) الأعلى: ١٧

السلام والجنة دار السلام. والدارة أخص من الدار، ودارة الوجه ما يحيط به من جوانبه، والدارة هالة القمر تشبيهاً بالدار المحيطة على البيت، ويقال: ما بها دوري ولا ديار أي أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[1] أي أحداً، وهي فيعال من درت وأصله ديوار فاعل، والدواري: الدهر يدور بالإنسان أحوالاً. والداري العطار وهو منسوب إلى دارين فرضة بالبحرين، فيها سوق كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند، ويجوز أن يعتبر نسبته إلى دار الصين الذي يجاء منه بالأدوية المعطرة مثل القرنفل ونحو ذلك، ومنه الدارصين من العقاقير المعروفة، وفي الحديث: (مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحذك من عطره علقك من ريحه). والداري رب النعم لأنه مقيم في داره، والدائرة: الهزيمة يقال: (عليهم دائرة السوء)، وقيل: الدائرة الدولة بالنصر والغلبة، أو بمعنى ما يسوء الشخص من دوائر الدهر والزمان أي صروفه التي تدور وتحيط بالإنسان مرة بخير ومرة بشر. ودير النصارى معبد زهادهم، أصله الواو والجمع أديار، والديراني صاحب الدير، وأصل جميع ذلك من دار يدور إذا طاف وأحاط وكذا استدار يستدير على الشيء وإليه إذا طاف حوله، وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه. وبالجملة فدار القرار هي الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[2] إذ لا انتقال منها إلى دار أخرى بعدها، وليس وراء عبادان قرية، بخلاف دار الدنيا فإنها دار فناء وزوال ودثور واضمحلال. وفي بعض النسخ: (بمحمد عن تعب هذه الدار) فيكون الظرف متعلقاً بالإيثار بتضمين معنى الضنة ونحوها، وفي بعض النسخ: (محمد في راحة عن تعب هذه الدار) بدون

(١) نوح: ٢٦

(٢) غافر: ٣٩

الفاء والباء، فالجملة استينافية أو مؤكدة للفقرة السابقة، أو حالية بتقدير الواو. وفي رواية كشف الغمة: (رغبة بمحمد عن تعب هذه الدار)، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: (بأبي عزت هذه الدار) والمراد بالدار حينئذٍ دار القرار، وفي بعض النسخ: (فمحمد عن تعب هذه الدار في راحة في الدار الآخرة). و(الراحة) والروح من الاستراحة عن التعب، وهي زوال الاعياء والكلال، وبمعنى السعة أيضاً، والمراح والمستراح محل الاستراحة، وأراحه إراحة وروحه ترويحاً جعله مستريحاً، ومنه قولهم: إن الأرواح تكل كما تكل الأبدان فروحوها بالحكمة. وفي شرح المجلسي الأول المولى محمد تقي على الفقيه، رواه بعنوان الخبر عن علي عليه السلام بقوله: وروي عن علي أمير المؤمنين (إن الأرواح تكل كما تكل الأبدان فروحوها بالحكمة الجديدة) وفسر الحكمة الجديدة بمثل كلمات المولوي الرومي، والحكيم السنائي وأضرابهما من طائفة العرفاء. وفي الدعاء: (أسألك الروح والراحة عند الموت) كلاهما بمعنى الاستراحة، وقيل: الروح الرحمة أو نسيم الريح، وأصل المادة من راح يروح إذا ذهب وجاء أي تحرك، فاشتق منه الروح ـ بضم الراء ـ والريح ونحو ذلك، ثم توسع فاستعمل في معنى الاستراحة ونحوه لكون الروح والريح سبباً لذلك. قولها عليها السلام: (موضوعا عنه أعباء الأوزار... الخ). الوضع هو من قولك: وضعت الدين عنه بمعنى أسقطته، ويتفرع عليه قولهم: وضعت الشيء من يدي أو بين يديه تركته وألقيته، والمصدر الوضع والموضوع مثل المعقول. والموضع ـ بكسر الضاد ـ، والمفعول موضوع والموضع المكان أيضاً. وفي الخبر: (إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم) أي تفرشها لتكون تحت أقدامه إذا مشى، وهو متفرع من المعنى السابق، وقيل: هو بمعنى التواضع تعظيماً لحقه، وقيل: أراد بوضع الأجنحة

نزولهم عند مجالس العلم وتركهم الطيران، وقيل: أراد به إظلالهم بها، ومنه الحديث الآخر: (تظلهم الطير بأجنحتها). ثم قيل: إن المراد بالملائكة العموم، وقيل: الكرام الكاتبون، وقيل: ويحتمل صنعهم هذا وفعلهم كذلك في الدنيا، ويحتمل في الآخرة، ويحتمل في الدارين جميعاً. والأعباء جمع العب ء كالحمل والثقل لفظاً ومعنى، وقيل: هو الحمل الثقيل، وحملت أعباء القوم أي أثقالهم من دين أو غيره، قال:

الحامل العبء الثقيل عن الـ
ـجاني بغير يد ولا شكر

ويطلق العب ء على عدل المتاع أيضاً، وأصل كل ذلك من عبأت الطيب عبأ ـ بفتح العين ـ إذا هيأته وصنعته وخلطته، وكذلك عبأت المتاع عبأ هيأته، وعبأت الجيش تعبئة، و﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾(١) أي ما يبالي، فإن الشيء المهيأ ثقيل يعبأ به ويعتنى بشأنه. والأوزار جمع وزر كحبر بمعنى الثقل، فيكون الأوزار بمعنى الأثقال، فالإضافة في الفقرة بيانية، ويجوز المغايرة الاعتبارية، والمراد هنا الأثقال الدنيوية والتكلفات والمشقات الواردة عليه من جهة إرشاد الأمة، ومقاسات الحروب والشدائد، والمجاهدات الدينية، ويطلق الوزر على الإثم أيضاً لثقله، وكذا السلاح وآلات الحرب، قال الشاعر:

وأعددت للحرب أوزارها
رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(٢) أي أثقالها، والمراد وضع أهل الحرب أسلحتهم حتى لا يبقى إلّا مسلم أو مسالم، أو المراد وضع

(١) الفرقان: ٧٧

(٢) محمد: ٤

شدائدها بإسكاتها وطرحها وتركها أي حتى ينقضي أمر الحرب ويخف أثقالها. والوزر: الملجأ لعظمه في العيون، والوزير: الموازر لأنه يحمل عن الملك وزره أي ثقله أي ثقل أموره، أو لأن الأمير أي الملك يلتجئ إلى رأيه وتدبيره فهو ملجأ له، و﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] أي لا تؤخذ بذنب نفس أخرى، ولا تحمل حمل أخرى، ويقال: وزر ـ بالبناء للمفعول ـ من الإثم فهو موزور، وفي الحديث: (ارجعن مأجورات غير مأزورات) أي غير آثمات، والأصل موزورات فهمزوا للازدواج فلو افرد رجع إلى أصله. و(المحفوف) مفعول من حف به إذا أطاف به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[2] أي مطيفين به مستديرين عليه، وكونه ﷺ محفوفاً بالملائكة أنهم أحاطوا به من كل جانب، وقاموا في خدمته وتوقيره وتعظيم شأنه، والانقياد لأمره ونهيه. وفي الخبر: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات) وفي بعض النسخ في الفقرة: (قد حف بالملائكة الأبرار) وهو أدل على التحقق، وحفت المرأة وجهها بالشعر أو من الشعر أي زينته أو نقحته، وحفتهم الحاجة تحفهم إذا كانوا محاويج، والحفيف دوي جري الفرس والريح ونحو ذلك، وكل هذه الفروع مأخوذة من معنى الإحاطة. و(الأبرار) جمع بر ـ بفتح الباء ـ صفة مشبهة أو مخفف بار، تقول: بررت بوالدي من باب علم برا ـ بكسر الباء ـ خلاف العقوق فأنا بر به، والجمع أبرار كما ذكروا، وأما جمع البار بالمعنى المذكور وبمعنى خلاف الفاجر فهو البررة، ومؤنث البر (برة)، يقال: الأم برَّة بولدها أي عطوف، وفلان يبر خالقه أي يطيعه. وبر فلان في يمينه صدق، وبر حجه بصيغة المعلوم

---

(١) الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧، النجم: ٣٨

(٢) الزمر: ٧٥

اللازم أو المجهول، وبر الله حجه براً أي قبله فصار مقبولاً، والبر ـ بالكسر ـ يطلق على الخير والفضل والتقى، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1] ومعناه قريب من قول الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي الناس وهو عليل

و(الرضوان) بكسر الراء وضمها لغة قيس وتميم بمعنى الرضا، والمرضاة مثله، ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي ومرتضى، وكذا رضيت به وعنه وفي لغة الحجاز عليه أيضاً، ويقال: رضيت به بمعنى اخترته لأن الرضا بالشيء يستلزم اختياره. وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ﴾[2] قيل: الرضوان من الله ضد السخط، وقيل: هو المدح على الطاعة والثناء والرضا مثله، فرضى الله ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه من حال إلى حال، لأن ذلك من صفات المخلوقين، ورضوان الرب يمكن أن يراد به رضا الرب عن العبد على نحو ما ذكر، وأن يراد به العكس، وكلاهما كما في قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بل هما متلازمان مثل قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3]. وفي الحديث: (الصلاة رضوان الله) أو (أول الوقت رضوان الله) أي سبب رضوانه، ورضوان خادم الجنان إذ بيده جزاء رضوان الله، وفي الحديث: (سبحان الله رضا نفسه) أي ما يقع منه موقع الرضا، أو ما يرضاه لنفسه، وفي الدعاء: (وخذ لنفسك رضاء من نفسي) أي اجعل نفسي راضية بكل ما يرد عليها منك، كما في الدعاء الآخر: (اجعل نفسي

---

(١) البقرة: ٤٤

(٢) المائدة: ١٦

(٣) المائدة: ٥٤

مطمئنة إلى لقائك، راضية بقدرك وقضائك). وفي الدعاء أيضاً: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، ومعافاتك من عقوبتك) قيل: بدأ بالرضا لأنه من صفات الذات بخلاف المعافاة فإنها من صفات الأفعال، ولأن المعافاة إنما تترتب على الرضا وتحصل به، وقول الفقهاء: (يشهد على رضاها) أي على إذنها، جعلوا الإذن رضى لدلالته عليه، و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[1] أي مرضية، أو ذات الرضا بها، أو أن الإسناد مجازي. و(الرب) يطلق على الله تبارك وتعالى معرفا بالألف واللام، ومضافاً إلى الأرباب، والناس، والخلق، والسماوات، والأرضين ونحو ذلك، نحو رب الأرباب، ورب الناس، ورب الخلق والسماوات والأرضين، ويطلق مضافاً إلى شيء مخصوص جزئي على مالك الشيء الذي لا يعقل، فيقال: رب الدين، ورب المال. وقد يستعمل بمعنى السيد مضافاً إلى العاقل مثل رب العبد والغلام ونحوهما، مثل قوله تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[2] وربما جاء باللام عوضاً عن الإضافة المخصوصة بمعنى السيد، ومنع بعضهم أن يقال: هذا رب العبد وهو ضعيف، وقد يطلق مضافاً بمعنى الصاحب والمربي والمدبر والمتمم والمنعم ونحو ذلك. والربانيون: الكاملون في العلم والعمل، قال أبو عباس أحمد بن يحيى: إنما قيل للفقهاء الربانيون لأنهم يربون العلم أي يقومونه، وفي الكشاف: الرباني شديد التمسك بدين الله وطاعته، وفي القاموس: المتأله العارف بالله وقال الطبرسي: هو الذي يرب أمر الناس بتدبيره وإصلاحه. وأصل المادة من رب الأمر ربا إذا أصلحه بتدبيره، ورباه تربية أصله رببه فأبدل الباء الأخير ياء لأن المضاعف يلحقه الإبدال والحذف، مثل

---

(١) القارعة: ٧، الحاقة: ٢١.

(٢) يوسف: ٤١

أمليته إملاء في أمللته املالاً، فيقال: ربّه رباً، وربّبه تربيباً، ورباه تربية، كلها بمعنى. و(الغفار) مبالغة الغفور، ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. والحاصل أنهما من المغفرة، وهي العفو عن الذنب وأصلها من الغفر بمعنى الستر، يقال: غفره ـ من باب ضرب ـ غفراً وغفرانا ستره، والاسم المغفرة وتستعمل مصدراً أيضاً. وغفرت المتاع جعلته في الإناء، فأطلق على العفو عن الذنب كأن الغافر يستره، كما يقال له العفو أيضاً بمعنى المحو في الأصل، فيقال: غفر الله ذنبه وعفاه، ومنه الغفير للجمّ الكثير والجمع الزائد لسترهم وجه الأرض بكثرتهم وزيادتهم، والغفير بمعنى الزائد من الولد والمال، والمغفر لما يجعل على الرأس من آلة الحديد المعروفة لستره الرأس ونحو ذلك، وقولهم: والصبغ أغفر للوسخ أي أستر. و(المجاورة) من الجار، وهو من قرب ببيته من بيتك متصلاً أو غير متصل بالقدر المعروف عرفاً أي إلى أربعين ذراعاً، أو أربعين دارا ونحو ذلك على الخلاف المعروف بحسب العرف والشرع من حيث بيان العرف، ولما كان الجار في حفظ الجار الآخر لقربه منه إذا كان قوياً وهو يحفظه، أو أن الظالم لا يقصده من جهة الخوف منه، أطلق الجار على المجير، والمستجير، والناصر، والمستنصر، والشريك، والزوج، والزوجة ونحو ذلك من المعاني المناسبة والملائمة. ومجاورة الملك كناية عن الكون في حفظه وذماره، أو القرب منه أي من رضوانه وثوابه ونعمه وألطافه. وفي الحديث: (عليكم بحسن الجوار فإن حسن الجوار يعمر الدار)، قيل: ليس حسن الجوار كف الأذى فقط بل تحمل الأذى منه أيضاً، ومن جملة حسن الجوار ابتداؤه بالسلام، وعيادته في المرض، وتعزيته في المصيبة، وتهنيته في الفرح، والصفح عن زلاته، وعدم التطلع على

عوراته، وترك مضايقته فيما يحتاج إليه من وضع جذوعه على جدارك، وتسلط ميزابه على دارك. وفي الخبر: (أحسنوا جوار النعم) وتفسيره كما جاءت به الرواية: الشكر لمن أنعم بها عليك، وأداء حقوقها. والجارة: الضرة، قيل لها جارة استكراها للفظ الضرة المشعر بكون كل منهما طالبا لضرر الآخر، أو لكون كل منهما موجباً له، ويطلق الجارة على المرأة المجاورة القريبة مكاناً في محل الجوار المعروف، ومن أمثال العرب: إياك أعني واسمعي يا جارة. قيل: أول من قال ذلك هو سهل بن ساعد الفزاري، وذلك انه خرج فمر ببعض أحياءطي فسأل عن سيد الحي، فقيل: هو حارثة بن سلام الطائي، فأم رحله فلم يصبه شاهداً، فقالت له أخته: انزل في الرحب والسعة، فنزل فأكرمته وألطفته، ثم خرجت من خباء إلى خباء، فرآها أجمل أهل زمانها فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بفناء الخباء وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد:

يا أخت خير البدو والحضارة
كيف ترين في فتى فزارة
أصبح يهوى حرة معطارة
إياك أعني واسمعي يا جارة

فلما سمعت قوله علمت أنه إياها يعني فضرب مثلا. ومنه قوله ﷺ: (نزل القرآن على لغة اياك أعني واسمعي يا جارة) أي القرآن خوطب به النبي ﷺ لكن المراد به الأمة، مثل ما عاتب الله به نبيه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[1] فإنه عنى بذلك غيره كما جاءت به الرواية. وكذا قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

(١) الإسراء: ٧٤

عَمَلُكَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] على وجه من الوجوه، إلى غير ذلك. وفي الدعاء: (يا من يجير ولا يجار عليه) أي ينقذ من هرب إليه ولا ينقذ من أحد هرب منه، وكلاهما من الإجارة بمعنى الإنقاذ. وجار الله من يجاور بمكة، إذ فيها بيت الله سبحانه، ويقال أيضاً لمن كان ملازما لذكر الله فهو باعتبار المعنى جار الله أيضاً، وقد يطلق لمن جاور المسجد أيضاً فإنه أيضاً بيت الله، قال الجوهري: ويقال جاورته مجاورة وجواراً ـ بالكسر والضم، والكسر أفصح ـ صرت جاراً له. و(الملك) صفة مشبهة من قولهم: ملك فلان على الناس أمرهم ـ من باب ضرب ـ إذا تولى ذلك فهو ملك ـ بكسر اللام ـ، والاسم منه الملك ـ بضم الميم ـ بمعنى التسلط. وأصله من ملكت العجين ملكاً ـ بفتح الميم ـ إذا شددته وقويته، ومنه ملاك الأمر ـ بكسر الميم وفتحه ـ قوامه وصلاحه أو ما يقوم به ويصلح، كما يقال: ملاك الجسد القلب، وملاك الدين الورع. وملكت الشيء ملكاً ـ بفتح الميم ـ من باب ضرب أي تملكته فأنا مالك والشيء مملوك وملك ـ بالكسر فالسكون ـ، قال في الصحاح: وهذا الشيء ملك يميني أي مملوكها ـ بالفتح والكسر، والفتح أفصح، ـ قيل: والاسم منه الملك ـ بالكسر والضم أيضاً ـ، وبعضهم يجعل الملك ـ بكسر الميم وفتحها ـ لغتين في المصدر. والملكوت ـ كرهبوت ـ: العزة والسلطان والمملكة هي الموضع للسلطنة، ويقال: الجبروت فوق الملكوت كما أن الملكوت فوق الملك، ويقال: لفلان ملكوة العراق ـ كترقوة ـ أي ملكها وعزها، وبيده تعالى ملكوت كل شيء فهو مليك وملك أي ذو الملك العظيم،

(١) الزمر: ٦٥

(٢) الفتح: ١ – ٢

والعزة القوية التي لا يدفعها شيء، وهذا بخلاف المالك لأنه يصدق بدون الملك العظيم، وبدون العزة القوية أيضاً. والظاهر من الاستعمالات أن الملك ـ بتثليث الميم ـ يكون مصدراً واسم مصدر، وبمعنى المفعول أي المملوك مطلقاً، لكن الغالب في المصدرية فتح الميم، وفي معنى المملوك مطلقاً كسر الميم، وفي اسم المصدر ضم الميم مع غلبته فيما كان مع عظمته عزة وقدرة وغلبة وسلطنة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[1] بضم الميم. وقال الشيخ أبو علي: مالك الملك أي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكونه، فهذا ملك عام، واما الملكان الآخران في الآية فخاصتان. وفي المجمع: الملك ـ بالضم ـ المملكة وقيل السلطنة، وهي الاستيلاء مع ضبط وتمكن من التصرف، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[2] عن الصادق عليه السلام: جعل الله تعالى ملك سليمان في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجن والإنس والطير والوحش وأطاعوه، ويبعث الله رياحاً تحمل الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والطير والإنس والدواب والخيل، فتمر بها في الهواء إلى موضع يريده سليمان. وكان يصلي الغداة بالشام والظهر بفارس، وكان إذا دخل الخلاء دفع خاتمه إلى بعض من يخدمه، فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ منه الخاتم فلبسه، فخرت عليه الشياطين والجن والإنس والطير والوحش، فلما خاف الشيطان أن يفطنوا به ألقى الخاتم في البحر، فبعث الله سمكة فالتقمته. ثم إن سليمان خرج في طلب الخاتم، فهرب ومر على ساحل البحر تائباً إلى الله تعالى، فمر بصياد يصيد السمك فقال له: أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً، فقال: نعم، فلما اصطاد

---

(١) آل عمران: ٢٦

(٢) البقرة: ١٠٢

دفع إلى سليمان سمكة، فأخذها فشق بطنها فوجد الخاتم في بطنها، فلبسه فخرت عليه الشياطين والوحش ورجع إلى مكانه، فطلب ذلك الشيطان وجنوده الذين كانوا معه فقتلهم، وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخرة، فهم محبوسون إلى يوم القيامة. و(الجبار) فعال من الجبر، وهو أن تغني الرجل أو تصلح عظمه من كسر، وجبرت العظم فجبر أي أصلحته فانجبر، يُستعمل لازماً ومتعدياً، ويقال: جبرت اليد أي وضعت عليها الجبيرة، وهي عظام توضع على الموضع العليل من الجسد ينجبر بها. وجبرت اليتيم أعطيته، ويقال: جبر الله فلاناً فاجتبر أي سد مفاقره، فالجبار يرجع إلى المبالغة في معنى قولهعليه السلام: (يا جابر العظم الكسير) أي المصلح لجميع نقائص أمور خلقه، كما قال في النهاية: في حديث عليعليه السلام: (وجبار القلوب على فطراتها) هو من جبر العظم المكسور، كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به شقياً أو سعيداً، قال القتيبي: لم أجعله من أجبرت لأن أفعل لا يقال فيه فعّال. ويقال: أجبرته على الأمر أي أكرهته عليه بمعنى حملته عليه قهراً وغلبة فهو مجبر، وهو لغة عامة العرب، فالجبار لا يكون مبالغة من هذا الباب لأنه مزيد، وكان على هذا المعنى أن يطلق عليه تعالى المجبر لا الجبار. ولو فرض تصحيحه بحذف الزوائد نظير ما قيل في نحو قولهم: طوحته الطوائح، إن الطائح فاعل من طوَّحَتْه أو أطاحته بحذف الزوائد بمعنى المطوح والمطيح، أو بملاحظة ما نقل من استعمال جبرته بمعنى أجبرته في لغة بني تميم وبعض أهل الحجاز، كما حكاه الأزهري عنهما وابن القطاع عن بني تميم. وإن الأزهري نقل أيضاً عن ابن دريد في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة: إن ممّا تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت جبرت الرجل على الشيء وأجبرته

عليه، وفي بعض التفاسير أنه نقل له الفراء أيضاً. وقال في النهاية في رد قول القتيبي المذكور على ما مرّ من جعل الجبار من جبر العظم لا الإجبار بمعنى القهر، معللاً بأن أفعل لا يقال فيه فعال، قلت: يكون من اللغة الأخرى، يقال: جبرت وأجبرت بمعنى قهرت، إلى أن قال: وجبروت فعلوت من الجبر بمعنى القهر. فنقول: معنى الجبار حينئذٍ أن الله تعالى أكره الناس على حمل التكاليف الشرعية والكونية، لا أنه أجبرهم على ارتكاب كل واحد من تلك التكاليف، وإنما قبل كل أحد ما قبل منها بحسن اختياره أو بسوء اختياره من الطاعة والمعصية، فليس هناك جبر رافع للقدرة وموجب للاضطرار بالضرورة، فليس هناك شبهة الإجبار، وإنما الأمر مطلقاً مع الطوع والاختيار. أو يقال: إن الجبر إنما هو في التكوينيات لا التشريعيات، فإخراج الأشياء من العدم إلى الوجود أي إيجادها بعد أن كانت معدومة، فإنما هو على سبيل الجبر لا الاختيار إذ لا اختيار للمعدوم بالمرة.

وبعد إيجادها فهي مختارة في مراتب استعداداتها وقابلياتها. بل يقال: لا جبر مع هذه الحالة أيضاً، إذ مورد الجبر هو أن يكون للشيء استعداد واقتضاء فتمنعه عن ذلك الإقتضاء، فإذا لم يكن شيء ولا اقتضاء فلا جبر لا محالة، كما أن العمى عدم البصر فإذا لم يكن هناك إنسان له اقتضاء البصر واستعداده فلا يصدق العمى لعدم البصر هناك، مثلاً لا يقال للجدار إنه أعمى لعدم قابلية فيه للبصر حتى يكون عدمه عمى. وهكذا فيما نحن فيه، فايجاد الموجود إجبار لا إكراه، واما بالنسبة إلى ما بعد ذلك فاختيار لكن هو أيضاً لما كان على طبق أصل الفطرة فيجوز أن يقال انه إضطرار لا اختيار ولا إجبار. وبعد هذه كلها إذا عرفت جهات المسألة علمت انه لا مؤثر في الوجود إلّا الله سبحانه، مع أن لجميع الموجودات

حركة اختيارية لا محالة، إذ لا يكون الخاتمة إلّا على طبق الفاتحة، كما قيل: (إلهي إن الكل يخافون من آخر الأمر وعبد الله يخاف من الأول)، ولكن ليس هذا جبرا رافعا للتكليف، ومبطلاً للثواب والعقاب كما هو المذهب السخيف.

قال في المصباح: والجبر خلاف القدر، وهو القول بأن الله تعالى يجبر عباده على فعل المعاصي، وهو فاسد وتعرف أدلته من علم الكلام، بل هو قضاء الله على عباده بما أراد وقوعه منهم، وهو الجبار لأنه تعالى يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم في خلقه ما يشاء. وقيل: الجبار المتكبر، وفي الحديث: (لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم) أو لأنه يجبر الخلق ويقهرهم على بعض الأمور التي ليس لهم فيها اختيار، ولا على تغييرها اقتدار، أو الجبار هو العظيم الشأن في الملك والسلطان، أو المتعظم المتجبر الذي لا يكترث للأمر. وفي النهاية: الجبار معناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر أو نهي، وقيل هو العالي فوق خلقه، ومنه نخلة جبارة أي العظيمة التي تفوت منها يد المتناول أو الطويلة كذلك، وفي الحديث في امرأة: (دعوها فإنها جبارة) أي متكبرة عالية عاتية، ومنه الحديث في ذكر النار: (حتى يضع الجبار فيها قدمه). والمشهور في تأويله أن المراد بالجبار هنا هو الله تعالى، ويشهد له قوله في الحديث الآخر: (حتى يضع رب العزة فيها قدمه)، والمراد بالقدم أهل النار الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه، كما أن المؤمنين قدمه أيضاً الذين قدمهم للجنة. وقيل: أريد بالجبار هنا المتمرد العاتي، ويشهد له قوله عليه السلام في الحديث الآخر: (إن النار قالت: وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين)، وفي الحديث: (كثافة جلد الكافر في النار أربعون ذراعاً بذراع الجبار)

أراد به ها هنا الطويل، وقيل: يراد من الجبار هنا الملك، كما قد يقال بذراع الملك كناية عن العظم، وقال القتيبي: وأحسبه ملكاً من ملوك الأعاجم كان تام الذراع. وبالجملة فالجبر خلاف القدر هو الجبر الباطل الذي هو القول بأن الله تعالى يجبر عباده على فعل المعاصي، ومنه الحديث: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، سئل ما الأمر بين الأمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك كنت أنت الذي أمرته بالمعصية). وينسب إلى الجبر بالمعنى المذكور فيقال: جبري، وقوم جبرية ـ بسكون الباء ـ على لفظه، وإذا قيل جبرية وقدرية جاز فتح الباء للازدواج، ويسمى الجبرية ـ بإسكان الباء ـ في عرف أهل الكلام بالمجبرة، لأنهم يؤخرون أمر الله ويرتكبون الكبائر، كذا قيل. قال في المجمع: والمفهوم من كلام الأئمّة عليهم السلام أن المراد من الجبرية الأشاعرة، ومن القدرية المعتزلة القائلون بالتفويض، وفي الحديث ذكر القدرية وهم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أن كل عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيته. وفي شرح المواقف: قيل: القدرية هم المعتزلة لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم، وفي الحديث: (لا يدخل الجنة قدري) وهو الذي يقول: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس، وفي الخبر: (القدرية مجوس هذه الأمة) وقد يطلق القدرية على الجبرية لإسنادهم الأفعال إلى قدر الله وقضائه بنحو الجبر بلا اختيار للعبد.

قولها عليها السلام: «صلى الله على أبي نبيه وأمينه على الوحي وصفيه... إلخ».

(الصلاة) في اللغة على المشهور بمعنى الدعاء، كما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ

لَّهُمْ﴾[1] أي ادع لهم، ومنه سمى الصلاة واحدة الصلوات المفروضة بالمعنى الشرعي لكونها نوعاً من الدعاء. وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[2] يحتمل أن كون المصلى فيه مأخوذاً من الصلاة بالمعنى اللغوي أي محل الدعاء، أو بالمعنى الشرعي أي محل الصلاة المقررة في الشريعة، والحق المشهور في أصل وضع الصلاة الشرعية واشتقاقها هو ما ذكر. وإن قيل: إن اشتقاقها من الصلو وهو العظم الذي عليه الإليان، لأن المصلي يحرك صلوه في الركوع والسجود، أو هو باعتبار حال ائتمامه لأنه يجعل رأسه على صلوى السابق أي الإمام أو مأموم آخر مثله، تشبيهاً للمصلي التابع للمجلي من أفراس الرهان العشرة. أو أنها اسم مصدر من صليت بمعنى أزلت الصلا وهو الاحتراق بالنار بجعل التفعيل للإزالة، لأنها توجب دفع عذاب الآخرة، أو هو من صليت العود بالنار إذا لينته، لأن المصلي يلين بالخشوع، أو من الوصل كما قيل وورد في بعض الأخبار، لأنها اتصال وارتباط بين العبد وبين الله سبحانه، فإن كل ذلك خلاف الظاهر بحسب المتعارف بين أهل الظاهر، والخبر حجة تعبداً وسره عند أهله إن لم يكن فيه ضعف سنداً ودلالة. وتجيء الصلاة بمعنى الرحمة أيضاً كقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[3] أي ترحم، وبمعنى البركة أيضاً كالآية، وقولهم: (اللهم صلِّ على محمد وآل محمد) أي ارحمهم وبارك عليهم، وبمعنى التعظيم والاعتناء بإظهار الشرف ورفع الشأن. فلا يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) التوبة: ١٠٣

(٢) البقرة: ١٢٥

(٣) البقرة: ١٥٧

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[1] من باب استعمال اللفظ في المعنيين أو في مجازي عام، بل في معنى واحد حقيقي وهو التعظيم بإظهار الشرف والشأن، ومن هنا قيل إن تشريف الله تعالى محمداً ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[2] أبلغ من تشريف آدم بالسجود. فيجري هذا المعنى في قولهم: (اللهم صلِّ على محمد وآل محمد) أيضاً، فيكون هو بمعنى ارحمهم وبارك عليهم أي أنزل رحمتك وبركاتك عليهم، وعظمهم بما يظهر به شرف شأنه، فيؤول حاصله إلى قولنا: اللهم أعطهم وألطف عليهم في الدنيا بإعلاء ذكرهم، وإظهار دعوتهم، وإبقاء شريعتهم، وفي الآخرة بتشفيعهم في الأمة، وتضعيف الأجر والمثوبة مضافاً إلى إنزال رحمتك وبركاتك عليهم في الدنيا والآخرة، والله يصلي عليهم أي ينزل رحمته إليهم. وصلاة الملائكة بمعنى الرحمة أيضاً، وذلك بدعائهم للنبي ﷺ أيضاً كدعائنا له، فإن الدعاء أيضاً رحمة، فيمكن أن يكون معنى الدعاء متفرعاً من معنى الرحمة. فقول بعض من أهل الأدب: إن الصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الإنسان الدعاء أي طلب الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار أي طلب المغفرة، لا وجه له. وتطلق الصلاة على الدين أيضاً إما لأنه أيضاً رحمة، أو لأن الصلاة الشرعية أعظم أركان الدين فأطلقت عليه، ومنه قوله تعالى في شعيب حكاية عن قومه: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾[3] أي دينك، وقيل: المراد به نفس الصلاة الشرعية، فإن شعيباً كان كثير الصلاة فقالوا له ذلك. وفي الدعاء: (اللهم صلِّ على محمد وآل

---

(١) الأحزاب: ٥٦

(٢) الأحزاب: ٥٦

(٣) هود: ٨٧

محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم) قيل: ليس التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل، بل لبيان حال من لا يعرف عند عامة الناس بمن هو معروف مشهور عندهم، وإن كان الأول بالنسبة إلى الآخر أكمل في الحقيقة. وقيل: هو في أصل الصلاة لا في قدرها، وقيل: معناه إجعل لمحمد ﷺ صلاة بمقدار الصلاة لإبراهيم وآله، وفي آل إبراهيم خلائق لا يحصون من الأنبياء والأولياء، وليس في آله نبي، فطلب إلحاق جملة فيها نبي واحد بما فيه أنبياء. واختلف في وجوب الصلاة على محمد ﷺ في الصلاة، فذهب أكثر الإمامية، وأحمد، والشافعي إلى وجوبها فيها، وخالف أبو حنيفة ومالك في ذلك ولم يجعلوها شرطاً في الصلاة، وكذلك اختلف في إيجابها عليه ﷺ في غير الصلاة، فذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرة، والصخاوي: كلما ذكر، واختاره الزمخشري، وكذا ابن بابويه من فقهائنا، قال في المجمع: وهو قوي. قال الشهيد الثاني رحمه الله في الروضة: وغاية السؤال بالصلاة على النبي ﷺ عائدة إلى المصلي، لأن الله تعالى قد أعطى نبيه ﷺ من المنزلة والزلفى لديه مالاً تؤثر فيه صلاة مصل، كما نطقت به الأخبار، وصرح به العلماء الأخيار، انتهى. أقول: ولعل من جملة تلك الأخبار التي أشار إليها قوله عليه السلام: (الصلاة على النبي ﷺ أفضل من الدعاء لنفسه) ووجهه أن فيها ذكر الله وتعظيم النبي ﷺ، ومن شغله ذكره عن مسألة أعطاه أفضل ممّا يعطي الداعي لنفسه، ويدخل في ذلك كفاية ما يهمه في الدارين، وفيه: (من صلى علي صلاة صلت الملائكة عليه عشراً) أي دعت له وباركت، وفي آخر: (من صلى عليّ مرة لم يبق من ذنوبه ذرة) إلى غير ذلك. وحاصل هذا الوجه حينئذٍ أن النطق بالصلاة على هذا الوجه تعبدي، وضعت على هذه الصورة لندعوه بها، ويرجع ثوابها إلينا، وقيل: إن درجات نواله

تعالى ممّا لا تقف على حد، وامتاز نبينا ﷺ عن سائر الأنبياء بزيادة القبول للفيوض الربانية، وكان ﷺ يقول: (إن ربي قد وعدني درجة لا تنال إلّا بالدعاء، أو دعاء أمتي) وكان ﷺ يطلب الدعاء من صلحاء المؤمنين. وقيل: إن دعاءنا له من جملة أعماله التي بها يستحق مزيد القرب والدرجات، لأنه قد أنقذنا من الهلاك فعرفناه وعرفنا الصلاة عليه، وهذا أيضاً من أعماله وعباداته، كدعاء المؤمن في حق المؤمن بسبب دخوله في الإيمان حيث إنه ليس للإنسان إلّا ما سعى. وقيل: إن ذلك يوجب بالنسبة إليه ﷺ أن يحصل له درجة الشفاعة في حقنا، وهذا مزيد درجة له كما ندعو بقولنا: وتقبل شفاعته في أمته، أو أنه دعاء لهم عليهم السلام بنصرهم، وسلامة شيعتهم في الرجعة، أو أنه دعاء لهم بعدم انقطاع وساطة الرحمة الكلية عنهم عليهم السلام، نظير ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ على وجه من الوجوه، وقوله ﷺ: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[1] أو أنه دعاء لازدياد نعمنا، فإن ازدياد نعمنا وعلو درجاتنا مزيد لهم عليهم السلام، من حيث إن زيادة أغصان الشجر وأوراقها ونضرتها زينة للشجر ومزيد له من باب الصفة بحال المتعلق. و(الأمين) هو من اؤتمن على شيء فيوضع عنده، وذلك الشيء هو الأمانة، وهي هنا الوحي أي الموحى به بمعنى الأحكام الأصولية والفروعية والتشريعية والتكوينية التي اوحيت إليه ﷺ فأودعت عنده، فيؤديها على ما أودعت امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2] وسيجيء. و(الصفي) فعيل بمعنى مفعول من الصفا والصفوة بمعنى الصافي والمصطفى. و(الخيرة) بكسر الخاء وفتح الياء بمعنى المختار. و(الرضي) نظير الصفي بمعنى الراضي والمرتضى

---

(١) طه: ١١٤

(٢) النساء: ٥٨

من الرضاء. وقد مرّ معاني المواد المذكورة، والله سبحانه قد اصطفى نبينا ﷺ واختاره من بين خليقته للنبوة التامة، والرسالة الكاملة، ولمنشئية آثار الألوهية، ومبدئية فيوضات الربوبية بحيث لا يدانيه أحد، ولا يحد مداه بحد، كما اختاره للعبودية الحقيقية التي كنهها الربوبية، وارتضاه لتلك المرتبة الكاملة، والفضيلة الفاضلة، ورضي عنه وأرضاه، وانتجبه واجتباه، فهو تعالى راضٍ عنه، وهو ﷺ راض عنه تعالى. و(السلام) هو السلامة، ومعنى قولنا: (السلام عليك) الدعاء بالسلامة من المكاره، وإذا قلنا: (السلام علينا وعلى الأموات) فمعناه الدعاء بالسلامة لأنفسنا من آفات الدنيا والأموات من عذاب الآخرة، بل لأنفسنا أيضاً من عذاب الآخرة. وضعه الشارع موضع التحية والبشرى بالسلامة، ثم إنه اختار لفظ السلام وجعله تحية لما فيه من المعاني المقصودة، أو لأنه مطابق للسلام الذي هو اسم من أسمائه تعالى تيمناً وتبركاً، وكان يحيى به قبل الإسلام وبغيره أيضاً، بل كان السلام بالسلام أقل وغيره أكثر وأغلب، فلما جاء الإسلام اقتصروا بأمر الشارع عليه، ومنعوا ما سواه من تحيات الجاهلية، وإيراده على صيغة التعريف أزين لفظاً وأبلغ معنى. وقيل: معنى (السلام عليك) اسم السلام عليك، أو اسم الله عليك أي أنت في حفظه، كما يقال: (الله معك) وهو ضعيف. والسلام على النبي ﷺ دعاء بعدم انقطاع الفيوضات الإلهية عنه لنفسه ولأمته وشيعته، بل لجميع الخليقة في الدنيا والآخرة، وفي الرجعة والبرزخ من المكاره والآفات وسوء الخاتمة، ويظهر بعض الكلام في وجه السلام على النبي ﷺ ممّا مرَّ في معنى الصلاة. و(الرحمة) قيل بمعنى مطلق النعمة، والحق كما قيل إنها بمعنى رقة القلب والتعطف والمرحمة، يقال: رحمت زيداً أي رققت له وحننت عليه، والفاعل راحم والمبالغة

رحيم. وفي الحديث: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)، ويقال: رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم. والمراد من الرحمة عند النسبة إلى الله سبحانه غايتها، وهي الإنعام والإحسان والرزق والامتنان، وكذا بعض الأوصاف المنتسبة إليه تعالى ممّا يشبه ذلك الذي لا يجري فيه تعالى بحقيقته لكونه من صفات خلقه كالقهر، والغضب، والكرم، والسخاء، والرضا، والمكر، والسخرية وغيرها، فإن المراد في كل ذلك غايته لا مبدؤه، ولذا قيل: إن هذا المقام من مواد ما تداول بين الأقوام من قول الحاضر والبادي: (خذ الغايات واترك المبادي) أي اجعل الأمر كذلك في نسبة تلك الأوصاف إلى الله سبحانه. قيل: والرحمة الرحمانية هي العطوفة الكاملة التي لا غاية لها، فيختص من حيث اللغة بالله سبحانه، وهي إعطاء كل ذي حق حقه. ولعل هذا من جهة المبالغة الموجودة في (رحمان) بالنسبة إلى (رحيم) لأن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، ولذا اختص بالله سبحانه ولا يطلق على غيره تعالى لكونه من الصفات المختصة به تعالى من حيث المعنى. وقيل: إن ذلك من جهة كونه من الصفات الغالبة، وبالجملة لا يطلق هو على غيره تعالى البتة، وقول بني حنيفة في مسيلمة الكذاب رحمان اليمامة، فهو من جهة تعنتهم في كفرهم وضلالهم حتى قالوا:

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا
وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

و(البركة) الزيادة والنماء، يقال: بارك الله فيه فهو مبارك، والأصل مبارك فيه، ومنه التحيات المباركات، وأما ما يقال في الله تبارك وتعالى قيل: هو أيضاً من هذه المادة بهذا المعنى أي زاد وارتفع بحسب نعمه وإحسانه، من باب الصفة بحال المتعلق أي زائد النعم والإحسان،

وحاصله أنه صاحب البركة. وقيل: هو من برك البعير بروكاً ـ من باب قتل ـ وقع على بركته وهي صدره، كناية عن قدمه تعالى وثبوته، وعدم تطرق التغير والزوال عليه، والمعنى الأول أظهر في النظر، و﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾(١) قيل: أي ثبت الخير عنده وفي خزائنه، وقيل: تبارك أي علا وتعظم وتكبر وتكرم، واتسعت رحمته وكثرت نعمته، وتبارك في هذه المقامات بمعنى بارك نظير تقابل وقابل. وقد يكون بارك متعدياً نحو باركه الله أي بارك الله فيه من باب الحذف والإيصال، وإلّا فهو لازم أيضاً في الحقيقة، والمراد من بركته تعالى نعمه وأفضالاته الزائدة، وجمع البركات للمبالغة. قال في النهاية: في الحديث: (وبارك على محمد وآل محمد) أي أثبت له وأدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، من برك البعير إذا أناخ في موضعه ولزمه، وتطلق البركة أيضاً على الزيادة والأصل الأول، انتهى. والظاهر في عالم التبادر هنا بملاحظة العرف هو اعتبار معنى الزيادة والبركة، أي كن صاحب البركة والزيادة بالنسبة إلى محمد وآل محمد، وتفضل عليهم، وزد في نعمهم وإحسانهم أبداً، كما قال ﷺ: (ربِّ زدني علماً). ثم إن قولها عليها السلام: «والسلام عليه ورحمة الله وبركاته «يمكن أن يكون السلام فيه إشارة إلى سلامته ﷺ في نفسه عن مفاسد أمته وشرورهم بالنسبة إلى عترته، والرحمة إشارة إلى جريان الفيوض الإلهية إليهم من حيث أنفسهم، وبركاته إشارة إلى وصول نعم الله تعالى إلى شيعتهم. وهنا قد فرغت عليها السلام من الحمد والثناء على الله سبحانه، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وإمام الأمة الكاشف للغمة.

(١) المؤمنون: ١٤

ثُمَّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ.

■ الأنصاري التبريزي:

قولهاعليها السلام: (عباد الله) منادى مضاف حذف منه حرف النداء أي يا عباد الله، و(أنتم) مبتدأ و(نصب) خبره، وإقحام النداء بين الخبر والمبتدأ إشارة إلى الحرص على التنبيه، وان المطلب الملقى إليهم أمر خطير لابد أن ينبه المخاطب عليه لئلّا يذهب عليه ولا يفوت عنه من جهة الاشتباه والغفلة. وحذف حرف النداء تنبيه آخر على أن المطلب مهم فليلاحظ حتى لا يفوت بطول النداء، وهذه النكتة اعتبرت في لفظ عباد الله بخصوصه غالباً في الخطب الواردة عن الأئمةعليهم السلام، كقولهم: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله)، (أوصيكم عباد الله بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والمبلية لأجسادكم وإن كنتم تحبون تجديدها) إلى غير ذلك من خطب نهج البلاغة وغيرها. و(نصب) بالفتح

- على ما قال الفيروز آبادي - هو العلم المنصوب، ويحرك ويقال: هذا نصب عيني - بالضم والفتح - أي منصوب في مقابل عيني، ونصب - بضمتين - أيضاً كذلك، ولهذا يطلق كل منها على الوثن المنصوب للعبادة. قال تعالى في مقام بيان المحرمات: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾(1) أي لأجله، وهو قربان الأوثان يلطخونها بدمه بعد أن يذبحوه عندها، فصارت حمراً ملوثة بالدم، وقد لا يلطخون، أو هو الحيوان المذبوح الذي لم يذكر عليه اسم الله، أو ذكر عليه اسم بعض الأوثان عند الذبح. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(2) أي الحاصل بما ذكر من المذكورات المتعلق بها رجز (فاجتنبوه)، وفسر الأنصاب بالأصنام وبنفس تلك الذبائح أيضاً. وبالجملة فالنصب بالمعنى المذكور يكون مصدراً بمعنى المفعول، ولكونه مصدراً في الأصل يقع على القليل والكثير، ووقع هنا خبراً عن الجمع أي أنتم منصوبون لأوامره تعالى ونواهيه، وأنتم مطمح نظر الله في إنزال الدين والشريعة، وإنه خلقكم ونصبكم ليحمل أوزار التكليف عليكم، ويحملكم إلى العبادة المطلوبة والمعرفة المقصودة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾(3). والنصب بالمعنى المصدري معروف، ويرجع معناه إلى الرفع مع الإثبات، يقال: نصبت الشيء أي أقمته وأثبته، والمنصب كمنبر الأثفية من الحديد يجعل عليها الطنجير بدل الأثافي من الحجر، وهي حجران ثالثهما المرتفع من الأرض الذي يقال له ثالثة الأثافي. والمنصب كمجلس

(1) المائدة: ٣

(2) المائدة: ٩٠

(3) الذاريات: ٥٦ - ٥٧

- بكسر العين - الأصل والمرجع، يقال: منصب الشيء أي أصله ومرجعه يعني الذي نصب فيه، قيل: ومنه المنصب بمعنى الجاه، والحق ان المنصب في هذه الموارد اسم مكان بمعنى محل النصب والإثبات والإقامة، إلّا أنه قد يكنى به عن الأمور المزبورة من باب الملازمة. والنصاب من المال - بكسر النون - القَدْر الذي تجب فيه الزكاة، والنصب - بفتحتين - التعب، لأن من تعب في سيره قام وثبت في مقامه فلا يتحرك. و(حَمَلَة) جمع حامل وهو الشائع في جمع فاعل الصفة وصفاً للعاقل كطَلَبة وفَعَلة وغيرهما، والمراد من الدين والوحي معنى الموحى به من أحكام الشريعة، ويجوز المعنى المصدري أيضاً فيهما، والمال راجع مطلقاً إلى المعنى الواحد هو الشريعة، وقد مرّت الإشارة إلى مادة اللفظين. والمراد من الحمل هنا هو تحمل التكاليف الدينية أصولية وفروعية، أي أن الله تعالى قد حمل أمانة التكاليف عليكم، ووجه أوامره ونواهيه إليكم، فأنتم الحاملون للتكاليف الشرعية، والمتحملون لأعباء الأوامر والنواهي الدينية، فلابد لكم أن تطيعوه تعالى فيما أمر ونهى بلسان رسوله الذي ما كان ينطق عن الهوى، فلم تتخذون من دون الله أوثاناً، وتجعلون لأنفسكم من غير أولياء الله أرباباً؟. وإلى هذا المعنى يرجع على أحد الوجوه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1]. أي إنّا عرضنا أمانة التكاليف الشرعية على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، مراداً بالاباء هو الإباء الطبيعي والاستعدادي أي لم يكن لها استعداد وقابلية في أنفسها لحملها بأن تكون مخاطبة بحملها والعمل بها، وأشفقت منها لضعف طباعها

(١) الأحزاب: ٧٢

عن أدائها، وحملها الإنسان لقابليته لها، إنه كان ظلوماً جهولاً أي مركباً من القوة الغضبية والشهوية. وهو وصف للجنس باعتبار أغلب الأوصاف، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1] أي إن الله تعالى حمل التكاليف الشرعية على الإنسان لا على غيره من المخلوقات لعدم قابليتها لها بخلاف الإنسان، فحمَّلها إياه وكلفه بها ليعذب الله المنافقين والمنافقات لخيانتهم في الأمانة، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بأدائهم لها والعمل على طبقها. فالمراد بالأمانة حينئذٍ الأوامر والنواهي والفرائض والأحكام الواجبة على الأنام، ويدخل فيها ولاية الأئمة عليهم السلام لأنها أعظم أحكام الإسلام. وفي بعض الأخبار في الكافي والبصائر وغيرهما: ان الأمانة هي الولاية أبين أن يحملنها كفراً وحملها الإنسان أبو فلان، إنه كان ظلوماً جهولاً، وفي خبر آخر: إن المراد بالإنسان أبو الشرور والمنافق. وفي بعض الأخبار: فأبين أن يحملنها بأثقالها وادعائها لأنفسهن وتمنّي محلها لهن، وحمل الشيطان آدم وحواء في الجنة على تمني منزلتهم عليهم السلام إلى أن آل أمرهما إلى ما آل، ثم لم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويشفقون من ادعائها لأنفسهم، وحملها الإنسان الذي قد عرف بأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة. وفي بعضها: فأبين أن يغصبنها عن أهلها وأشفقن منها، وحملها الإنسان يعني الأول. وفي بعضها: إن الصلاة من أمانة الله فلابد من أدائها، ونحو ذلك. فالمراد من حمل الأمانة حينئذٍ إبقاؤها في الذمة وعدم أدائها، أو المراد حمل تركها وحمل إثمها وعقابها، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[2]، وعن الزجاج: كل من

(١) الأنعام: ٣٨

(٢) العنكبوت: ١٣

خان الأمانة فقد حملها، وكل من أثم فقد حمل الإثم. أو المراد أنا عرضنا أمانة الولاية لهن للامتحان، وانهن هل يحملنها بأن يتقمصنها، فأبين عن ذلك عملا بمقتضى علمهن من أنهن لسن أهلاً لذلك، وأنه لا يليق لهن التقمص بذلك، ولا يمكن لهن أداء حقوقها والعمل بلوازمها ورسومها، وتقمصها الإنسان وهو فلان ظلماً وجهالة أو تجاهلاً. أو إنا جعلنا لكل شيء تكليفاً فأبى كل شيء حمل مخالفة تكليفه، بل أدى تكليفه، بخلاف الإنسان فإنه خالف ما أمر به، فحمل قلادة المخالفة لما فيه من الظلم والجهالة. ويجوز أن يكون المراد أنا عرضنا أمانة الولاية عليهن، فلم يكن فيهن شيء قابل لحملها وتحمل أعبائها، وحملها الإنسان أي علي عليه السلام، انه كان ظلوماً جهولاً أي مظلوماً مجهول القدر بين الناس، كما ورد في قوله تعالى خطابا للنبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[1] أي وجدك مجهول القدر بين الناس، فهدى الناس إلى معرفتك. و(الأمناء) جمع الأمين، يقال: أمنته على كذا أمنا وأمانة وأتمنة فهو آمن وذاك مأمون ومؤتمن وأمين على ذلك الشيء الذي هو أيضاً يسمى أمانة، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[2] بالإدغام والإظهار، والإدغام أحسن. وأبلغه مأمنه أي موضع أمنه، ويقال: أمنت من الأسد أمناً مثل سلم وزناً ومعنى، ويتعدى بالهمزة فيقال: أمنته منه وأمنت الأسير أعطيته الأمان فأمن هو بالكسر - أمناً، فاللإيمان في الأصل إعطاء الأمن، ويسمى الإيمان بالله إيمانا لأن إيمان العبد بتصديق النبي صلى الله عليه وآله مثلاً إيمان لنفسه أي جعله مطمئناً. وأصل الأمن الاطمئنان وسكون القلب، وبعبارة أخرى خلاف الخوف،

(١) الضحى: ٧

(٢) يوسف: ١١

ومن ائتمن شخصاً على شيء فقد اطمأن به من جهة هذا الشيء أي اطمأن بالمأمون على ذلك الشيء فذلك الشيء أمانة، وتسمى وديعة أيضاً لأنه يدعها ويتركها عند المؤتمن، وفي حفظها يعتمد عليه ويُطمأنّ به. ومن أسمائه تعالى المؤمن لأنه أمن عباده من أن يظلمهم، أو من نار جهنم، أو أنه مصدق لهم في عبوديتهم له، أو في ألوهيته عليهم، أو مصدق لنبيه فيما جاء به من عنده. والمهيمن قيل أصله المؤمن باعتبار أصله أي مؤأمن قلبت الهمزة الأولى هاء والثانية ياء، وقيل: هو من الهيمنة بمعنى السلطنة والعظمة، أو التسلط بالقهر والغلبة، وفي الدعاء: (يا مؤمن يا مهيمن) والعطف دليل المغايرة. ومعنى قولهاعليها السلام: (وأمناؤه على أنفسكم) أي أن نفوسكم ودائع الله عندكم وأنتم أمناء الله على أنفسكم، فلا يجوز لكم الخيانة على ودائع الله بأن تتركوا أوامره ونواهيه فتوقعوها في الهلكة، وتضيعوها بالمخالفة والمعصية، بل لابد لكم أن تهذبوها بالطاعة والانقياد لأمر الله سبحانه، وتزكوها باتباع أهل الولاية وأئمة الهداية. و(البلغاء) جمع البليغ على ما هو الأكثر في جمع الفعيل، وإن جاز جعله جمع الفاعل أيضاً كشعراء في شاعر، إلّا أنه نادر لم يأت منه إلّا أسماء معدودة مسموعة، مثل العلماء في عالم، والعرفاء في عارف، والشهداء في شاهد، مع إمكان جعل كل ذلك جمع فعيل أيضاً وفُعلاء أكثر مثل ظرفاء في ظريف، وشرفاء في شريف، وكرماء في كريم ونحو ذلك، وهو الصحيح في القواعد العربية. والبليغ فَعِيل بمعنى فاعل من المزيد بمعنى المبلغ والمبلغ من الأفعال والتفعيل، نحو السميع بمعنى المسمع، والأليم بمعنى المؤلم، والحكيم بمعنى المحكم ونحو ذلك، أي أنكم تبلغون الأحكام وتؤدونها إلى سائر فرق الأنام من أهل الإسلام الذين يأتون بعدكم، أو هم غائبون عن خدمة النبي صلى الله عليه وآله لأنكم أدركتم

صحبة النبي ﷺ وأخذتم منه الأحكام الشرعية. وقد قال النبي ﷺ لكم في يوم الغدير: (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) مراداً منه المعنى الأعم الشامل للموجود والمعدوم، فإن حكمه على الواحد منكم حكمه على الجماعة، وإن شرع محمد ﷺ مستمر إلى يوم القيامة فكيف يليق بكم أن تتركوا ما امرتم به، وترتكبوا ما نُهيتم عنه. قولهاعليها السلام: «زعيم حق له فيكم... إلخ». الزعيم فعيل من الزعم بمعنى الكفيل من قولهم: زعمت به أزعم زعما وزعامة ـ من باب علم ـ كفلت به، وفي الحديث: (الزعيم غارم)، وفي نهج البلاغة: (ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم) وفي سورة يوسف: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾(1)، وقد يستعمل الزعيم بمعنى الوكيل أيضاً، ومنه الحديث: (زعيم الأنفاس) أي وكيلها الموكل بها يصعدها. والزعامة أيضاً السيادة، وزعيم القوم سيدهم، ولعل هذا المعنى متفرع من المعنى السابق، فإن سيد القوم كفيلهم وكفيلهم سيدهم، والزعم أيضاً القول مطلقاً من زعم زعماً ـ بالتثليث ـ، وقيل الفتح للحجاز، والضم لأسد، والكسر لبعض قيس ـ من باب قتل ومنع ـ أي قال مطلقاً أو مع الاعتقاد، أو قال بما لا وثوق به للقائل أو لمن سمعه. قال في النهاية: وفي الحديث: أنه ذكر أيوب فقال: كان إذا مرّ برجلين يتزاعمان فيذكران الله كفر عنهما، أي يتداعيان شيئاً فيختلفان فيه فيحلفان عليه، كان يكفر عنهما لأجل حلفهما، قال الزمخشري: معناه أنهما يتحادثان بالزعمات، وهي ما لا يوثق به من الأحاديث، قوله: فيذكران الله، أي على وجه الاستغفار. ومنه الحديث: (بئس مطية الرجل زعموا) معناه أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب [مطيته] وسار حتى يقضي أربه، فشبه ما يقدمه

---

(1) يوسف: ٧٢

المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله زعموا كذا وكذا بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة، وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه وإنما يحكى عن الألسن، فذم من الحديث ما كان هذا سبيله. والزعم ـ بالفتح والضم ـ ما يقرب من الظن أيضاً، وقال الأزهري: واكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقق، وقال بعضهم: هو كناية عن الكذب، وقال المرزوقي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب، وقال بعضهم: زعم زعماً قال خبراً لا يدرى أحق هو أو باطل، قال الخطابي: ولهذا قيل زعموا مطية الكذب. وفي الكشاف: إن هذا الخبر أي الوارد بعد الزعم ـ على ما فسر التفتازاني ـ كلام غير موثوق به، لأن الزعم هو القول بغير تبين ولا تثبت، وعن شريح القاضي: لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا. ويقال: زعم زعما غير مزعم أي قال قولاً غير مقول صالح وادعى ما لا يمكن، وقول الكفار: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾[1] يحتمل إرادة أكثر المعاني المذكورة، وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾[2] أي اعتقدوا، وفي الحديث: (كل زعم في القرآن كذب) ويقال أيضاً زعم ـ بالكسر ـ يزعم كعلم يعلم أي طمع. و(الحق) خلاف الباطل، ويستعمل بمعنى الصادق والثابت والمطابق للواقع والموافق له ونحو ذلك، قيل: الخبر أو الاعتقاد إذا كان مطابقاً للواقع كان الواقع أيضاً مطابقاً له، فمن حيث إنه مطابق للواقع ـ بالكسر ـ يسمى صادقاً، ومن حيث إنه مطابق له ـ بالفتح ـ يسمى حقاً، وقد يطلق الحق والصدق على نفس المطابقية والمطابقية، وقد يستعمل أحدهما موقع الآخر، وقيل: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا

---

(١) الإسراء: ٩٢

(٢) التغابن: ٧

اجتمعا. والحق في الأصل مصدر قولك حق الشيء - من باب ضرب وقتل - إذا وجب وثبت، ومنه الحق مصدراً بمعنى الفاعل، أو صفة مشبهة كحقيق، ومنه الحقيقة للكلمة المستعملة فيما وضعت له لثبوتها في مقامها الأصلي، أو هي فعيلة بمعنى مفعولة أي كلمة أو لفظة مثبتة في محلها، لأنه قد يستعمل متعدياً أيضاً مثل حققت الشيء إذا تيقنته وجعلته ثابتاً لازماً، وحققته - بالتثقيل - تحقيقاً للمبالغة، وحق له أن يفعل له كذا يجوز فيه قراءة حق مجهولاً ومعلوماً، لما ذكر من جواز استعماله متعدياً ولازماً. و(العهد) بفتح العين الوصية، وتقول: عهدت إليه عهداً - من باب علم - إذا وصيته، ومنه الحديث: (تمسكوا بعهد أم عبد) أي ما توصيكم به وتأمركم، والمراد من أم عبد أم عبد الله بن مسعود. وفي حديث علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (عهد إلي النبي الأمي) أي أوصى، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾[1] أي ألم أوصِ أولم أقدم إليكم، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة، ولعله مصدر بمعنى المفعول أي المعهود الذي عرف وعهد. وعهدته بمكان كذا أي لقيته، وعهدي به قريب ملقاتي له، والتعهد بالشيء التحفظ به وتجديد العهد به وإصلاحه. ومنه قولهم: عهدة هذا الأمر علي أي ما كان فيه من عيب فتعهده وإصلاحه علي، وبرئت من عهدة هذا العهد أي ممّا أدرك فيه من عيب، أي ما أدرك فيه من درك فليس إصلاحه علي. ويطلق العهد على اليمين، والموثق، والأمان، والحفاظ، والذمة، ورعاية الحرمة، ولا تخرج الأحاديث الواردة فيه عن أحد هذه المعاني، وفي حديث الدعاء: (وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت) أي أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك لا أزول عنه. و(البقية) من الرجل ما يخلفه في أهله فعيلة من

(١) يس: ٦٠

بقي يبقى بقاء بمعنى الباقية فما يبقى من الشيء، أو من آثاره ولوازمه ونحو ذلك فهي بقية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾(١) وكانت هذه البقية ممّا تكسر من الألواح التي كتب الله لموسى، وعصا موسى وثيابه، وعمامة هارون. وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢) أي ما أبقى الله لكم من الحلال ولم يحرمه عليكم فيه مقنع ورضى فهو خير لكم، أو أن المراد من بقية الله تعالى أحكامه الباقية بينهم ممّا لم ينسخه. وبقية نبينا ﷺ بين أمته شيئان: أحدهما العترة، والثاني القرآن، وهما الثقلان المشهوران حيث قال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، أحدهما أكبر من الآخر، وهو كتاب الله فإنه حبل ممدود من السماء إليكم طرف منه بيد الله والآخر بأيديكم). قولها عليها السلام: (استخلفها عليكم) أي جعلها خليفة من جانبه ونائباً عنه عليكم وفيكم، يبين لكم الأحكام والفرائض والسنن والآداب، ولكن بتفسير العترة وتعبير أهل بيت العصمة. والمراد من كتاب الله الناطق هنا هو القرآن الصادق، وإن كان قد يطلق كتاب الله الناطق على علي عليه السلام، أو على مطلق العترة بجعل القرآن كتاباً صامتاً، وهو هنا وإن كان صحيحاً في نفسه ولكن الظاهر بقرينة الكلمات الآتية هو الصامت، ولا ينافيه الوصف بالناطق فإن الصامت أيضاً ناطق بالأحكام، وفيه تبيان كل شيء من الحلال والحرام، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ من علوم الأولين والآخرين، وإن حجب عن فوائده الشريفة الواضحة، ودلائله الساطعة

---

(١) البقرة: ٢٤٨

(٢) هود: ٨٦

اللامعة من ختم على سمعه وقلبه، وجعل غشاوة على بصره. وقولهاعَلَيهَاالسَّلَامُ: (كتاب الله) مبتدأ مؤخر، وزعيم فعيل مضافاً إلى الحق خبر مقدم، أي أن كتاب الله الناطق وهو القرآن الصادق زعيم حق لله فيكم، أي هو كفيل الحق بينكم من اتبعه هدى، ومن تخلف عنه غوى. وقولهاعَلَيهَاالسَّلَامُ: (عهد وبقية) معطوفان على زعيم أي القرآن أيضاً عهد ووصية قدمه الله إليكم، وهو بقية منه تعالى أو من نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه جعلها خليفة عن نفسه أو عن نبيه عليكم، وهو المعجز الباقي إلى يوم القيامة، المستمر باستمرار الشريعة، من تدبر فيه ميزبين الحق والباطل وفرق بينهما بقول فاصل، بل هو آيات بينات لا يخفى حالها، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]. قال عليعَلَيهِ السَّلَامُ في النهج في وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه : (إلى أن بعثه الله سبحانه لإنجاز عدته، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذٍ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق مشتتة - إلى قولهعَلَيهِ السَّلَامُ: - فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة، ثم اختار سبحانه لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه لقاءه، ورضي له ما عنده، فأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقارنة البلوى، فقبضه إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربكم مبيِّناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه... الخ). وضبط الفاضل المجلسي رَحِمَهُ اللهُ هذه الفقرة الشريفة هكذا: (زعمتم حق لكم) بصيغة الماضي فيهما، وفسره بقوله: أي زعمتم أن ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم

(١) محمد: ٢٤

بالاستحقاق. ثم قال ما لفظه: ويمكن أن يقرأ على الماضي المجهول، وفي إيراد لفظ الزعم إشعار بأنهم ليسوا متصفين بها حقيقة، وإنما يدعون ذلك كذباً، ويمكن أن يكون حق لكم جملة أخرى مستأنفة أي زعمتم أنكم كذلك، وكان يحق لكم وينبغي أن تكونوا كذلك لكن قصرتم، وفي بعض النسخ: وزعمتم حق لكم فيكم وعهد، وفي كتاب المناقب القديم: (زعمتم أن لا حق لي فيكم عهداً قدمه إليكم)، فيكون عهداً منصوباً بذكروا أو نحوه، وفي الكشف: (إلى الأمم حولكم لله فيكم عهد)، انتهى. فيكون حولكم متعلقاً بالأمم أي الأمم الكائنين حولكم أي بعدكم، فيكون (لله فيكم عهد) جملة مستقلة تامة، وبقية عطفاً على العهد، فحينئذٍ يمكن أن يكون المراد من العهد ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، ومن البقية القرآن، فيكون كتاب الله الناطق ناظراً إلى العهد، والقرآن الصادق ناظراً إلى البقية، على طريق اللف والنشر المرتب. وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: (وبقية استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله)، فيكون المراد بالعهد ما أوصاهم به في العترة، ومن البقية نفس العترة، والصحيح من النسخ والمعاني ما قدمنا إليه الإشارة.

و(القرآن) هو التنزيل العزيز، والكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين. وهو في الأصل مصدر كغفران، سمى به كلام الملك المنان بعد جعله بمعنى المفعول من قرأت الكتاب قراءة أي تلوته، أو بمعنى الفاعل من قرأت شتات الأمور أي جمعتها وضممتها، لأن القرآن يُتلى أبداً بين الأمة إلى يوم القيامة في آناء الليل وأطراف النهار، لتحصيل المثوبة والتدبر والاستبصار، أو لجمعه السور بعضها مع بعض وضمها كذلك. أو لجمعه القصص، والأمر والنهي، والوعد

والوعيد وغير ذلك، أو لجمعه ثمرة جميع العلوم وآثارها، أو لجمعه نفس جميع العلوم وأحوال كل شيء ممّا كان وما يكون، إذ لا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين، وفيه تبيانٌ كل شيء وتفصيله. ويجوز في المعنى الثاني جعله بمعنى المفعول أي المجموع لأن الله تعالى جمعه، فهو مجموع لله ومجموعة أحكام الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾(١). ويجوز جعل العطف حينئذٍ للتفسير، ويجوز المغايرة بجعل القرآن بمعنى التلاوة، لقوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾(٢) قال ابن عباس: أي فإذا بيّناه بالقراءة فاعمل بما بيّناه لك، وقيل: معناه أن علينا جمعه في صدرك، واثبات قراءته في لسانك، فإذا قرأناه أي إذا قرأه جبرئيل من جانبنا فاتبع قراءته، فجعل قراءة جبرئيل قراءته. وبالجملة قد يقال: قرأت الشيء ـ من باب منع ـ بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: (ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنيناً) أي لم تضم رحمها على ولد. وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً بمعنى جمعته، قال أبو عبيدة: وبه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها، وقد يقال: قرأت الكتاب قراءة وقرآناً أي تلوته، قيل: وهو مأخوذ من المعنى الأول لأن القارئ يجمع الحروف والكلمات بعضها مع بعض في التلاوة. وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى أي أبلغك إياه، وقيل: لو أبلغه السلام بلسانه فيقال: قرأ عَلَيْهِ السَّلَامُ من المجرد، ولو أبلغه بكتابه فيقال: أقرئه السلام. وفي الأساس: تقول: اقرأ سلامي على فلان، ولا تقول: أقرئه مني السلام. وفي المجمع: فلان يقرئك السلام قيل: أي يحملك على قراءة السلام، يقال: أقرئ فلاناً السلام واقرأ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كأنه حين يبلغه

(١) القيامة: ١٧

(٢) القيامة: ١٨

سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده، كما إذا قرأ القرآن أو الحديث على الشيخ يقول: أقرأني فلان أي حملني على أن أقرأه عليه، ومنه: (أقرأه النبي ﷺ خمس عشر سجدة) أي حمله أن يجمع في قراءته ذلك، وقيل: أقرأه عليك أي أتلوه عليك، واقرأه مني السلام أي بلغه سلامي، ويقرئك السلام أي يبلغك السلام ويتلوه عليك. وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾[1] قيل: دلت الآية على وجوب قراءة شيء من القرآن، فيصدق دليل هكذا قراءة شيء من القرآن واجب، ولا شيء من القرآن في غير الصلاة بواجب، فيكون الوجوب في الصلاة وهو المطلوب. واورد عليه ان الكبرى ممنوعة، وسند المنع ان الوجوب إما عيني ولا إشعار به في الكلام، أو كفائي فعدمه في غير الصلاة ممنوع، بل يجب لئلّا تندرس المعجزة. واجيب بان المراد الوجوب العيني، إذ هو الأغلب في التكاليف، وهو المتبادر عند الإطلاق، وقيل: المراد بالقراءة نفس الصلاة تسمية للشيء ببعض أجزائه، وعنى به صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقيل: الأمر في غير الصلاة لكنه على الاستحباب، واختلف في أقله، فقيل: أقله في اليوم والليلة خمسون آية، وقيل: مائة، وقيل: مئتان، وقيل: ثلث القرآن، قوله: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾[2] أي ما يقرأ في صلاة الفجر، والمراد صلاة الفجر. ويقال: أقرأه القرآن فهو مقرئ، ومنه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[3]، وأصل الإقراء الأخذ على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل، والقارئ هو التالي أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك، ومعناه سيقرأ عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ ولا تنساه. والنسيان هو

---

(١) المزمل: ٢٠

(٢) الإسراء: ٧٨

(٣) الأعلى: ٦

ذهاب المعنى عن المدركة والحافظة معاً، فيحتاج إلى تحصيل جديد، والسهو ذهابه عن المدركة دون الحافظة فيتفطن به بالتذكر، والذكر ـ بضم الذال ـ خلافهما، وهو التذكر القلبي، بخلاف الذكر ـ بكسر الذال ـ للذكر اللساني. وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1] أكثر المفسرين على أن هذه الآية أول ما نزل من القرآن، ويدل على ذلك حديث الباقر عليه السلام قال: أول ما نزل من القرآن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وآخره ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وقيل: أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وقيل: فاتحة الكتاب. وقيل: ومعنى اقرأ الأول أوجد القراءة من غير اعتبار تعديته إلى مقروء به، كما يقال: فلان يعطي أي يوجد الإعطاء من غير اعتبار تعديته إلى المعطي. قال بعض المحققين: وهذا مبني على أن تعلق ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ باقرأ الثاني، ودخول الباء للدلالة على التكرير والدوام، كقولك: أخذت الخطام وأخذت بالخطام، والأحسن أن اقرأ الأول والثاني كلاهما منزلان منزلة اللازم أي افعل القراءة وأوجدها، والمفعول محذوف في كليهما أي اقرأ القرآن، والباء للاستعانة أو الملابسة أي مستعيناً باسم الله ربك، أو متبركاً، أو مبتدئاً به، هكذا ذكر في المجمع. وفي الحديث: نزل القرآن أربع أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام. وزاد العياشي: ولنا كرائم القرآن. وفي خبر الأصبغ عن علي عليه السلام: نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام. وفي خبر آخر: ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل، ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري

(١) العلق: ١

أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها في خير أو شر. وللقرآن أسماء كثيرة كالكتاب، والنور، والضياء، والذكر، والإمام وغير ذلك، ومن جملتها الفرقان سمّي به لأنه فارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، فإن كل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[1]. وقيل: سمي بالقرآن باعتبار كونه جملة واحدة مجموعة، وبالفرقان لكونه في نفسه قطعاً متفرقة بالسور والآيات والأمثال والقصص والحكايات وغير ذلك من صنوف الأمور المتفرقات. وقيل: يطلق عليه القرآن لما مر، والفرقان لكونه نازلاً بالنجوم والأقساط، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[2]، و﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[3]. وورد: أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من عند الله سبحانه إلى البيت المعمور في شهر رمضان الذي ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ ـ ولذا سمي بالقرآن ـ ثم نزل من البيت المعمور إلى النبي ﷺ بالنجوم والأقساط في عرض ثلاث وعشرين سنة، أو في عرض عشرين سنة على اختلاف في الأخبار، ولذا سمي بالفرقان. وأُوِّل بأنه نزل به الروح الأمين إلى قلب الرسول المتين، كما في القرآن المبين وهو البيت المعمور، ثم خرج منه إلى لسانه تدريجاً في عرض مدة البعثة ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وورد أيضاً أن القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب

(١) الأنبياء: ٤٨

(٢) الفرقان: ٣٢

(٣) الإسراء: ١٠٦

العمل به. و(الساطع) من سطع الصبح يسطع سطوعاً كمنع أي ارتفع، وكذلك الغبار والرائحة، فالنور الساطع هو اللامع المرتفع، والسطيع الصبح، والأصل من السطع ـ بالتحريك ـ بمعنى طول العنق، والساطع أيضاً أول ما ينشق من الصبح مستطيلاً، ومنه حديث ابن عباس: كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعاً. و(اللامع) من قولهم: لمعت الشيء ـ من باب منع ـ لمعاً ولمعاناً أي اختلسته، ويطلق لخفق النور واضطرابه من جهة قوته حيث إنه يكاد يخطف بالأبصار، كما يقال: لمع البرق أي أضاء، والتمع مثله. ومنه الألمعي من الرجال للذكي المتوقد، ويلمع للسراب، والملمع للخيل الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه، ثم أطلق اللمعة ـ بضم اللام ـ اسماً منه لكل بياض أولاً، أو بعد ما جعلت اسماً للقطعة من النبت والكلأ يأخذ في اليبس لكونها بيضاء بالنسبة إلى ما حولها، ثم تطلق من جهة المشابهة على قطعه من البدن بقيت يابسة عند الغسل، لعدم وصول الماء إليها تشبيهاً باللمعة من النبت. قولهاعليها السلام: «بينة بصائره، منكشفة سرائره... إلخ». (البينة) بمعنى الواضحة من بان يبين إذا ظهر، وأصل بين على فيعل إلّا أن البين يائي والسيد واوي، إلّا أن يجعل البيِّن من البون فيكون هو أيضاً واوياً. و(البصائر) جمع البصيرة، وقد مرّت الإشارة إلى معاني مادة اللفظين، والمراد من البصيرة هنا هو سبب البصيرة وهو الحجة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾(1) أي الحجج البينات والدلالات الواضحات، يعني أن الحجج الموجودة في القرآن في بيان الأصول والفروع ممّا يتعلق بمسائل المعرفة والعبادة المطلوبتين من خلق الجن والانس واضحة غير خفية، فلا يشتبهن عليكم الأمر في تلك القضية. وإن فدكاً ممّا أفاء الله

(1) الأنعام: ١٠٤

على رسوله بلا إيجاف خيل ولا ركاب، وإنه ﷺ أعطانيها بحكم آية ذوي القربى، وكذا الأمر في أمر الخلافة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] وغير ذلك من الأمور التي بينت فيها الحجة، واتضحت بها المحجة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. و(السرائر) جمع السريرة وهي النية الخفية والملكة الباطنية، فعيلة بمعنى مفعولة كما قيل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[3] أي تختبر السرائر، وهي ما أُسِرَّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، أو ما خفي من الأعمال. وقال الشيخ أبو علي: السرائر أعمال بني آدم، والفرائض التي أوجبت عليه، وهي سرائر في العبد، تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها وشرها.

وعن معاذ بن جبل قال: سألت النبي ﷺ ما هذه السرائر التي تبلى بها العباد يوم القيامة، قال: سرائركم، أي هي أعمالكم من الصلاة، والزكاة، والصيام، والوضوء، والغسل من الجنابة، وكل مفروض، لأن الأعمال كلها سرائر خفية، فإن شاء قال: صليت ولم يصل، وإن شاء قال: توضأت ولم يتوضأ، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[4]. وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد قوله:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا
سرائر ود يوم تبلى السرائر

(١) المائدة: ٥٥
(٢) الشورى: ٢٣
(٣) الطارق: ٩
(٤) الطارق: ٩

فقال: ما أغفله عمّا في السماء والطارق، أي عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾(١)، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾(٢). والمراد بسرائر القرآن المطالب الدقيقة، والمقاصد الخفية المضمنة فيه ممّا يتعلق بالأمور الدينية، والمعارف اليقينية، وسائر الوقائع والحوادث الكونية الزمانية، والدهرية والسرمدية. والحاصل جميع دقائق الأحكام التشريعية والتكوينية، والمراد بانكشاف سرائره وضوحها عند حملة القرآن وأهله لا مطلقاً، أو المراد أنها قابلة للكشف يكشفها أهله لمن يشاء ويريد إذا كان قابلاً لها، إذ لا يكشف السر إلّا لأهله، ولا يوضع الشيء إلّا في محله. ويرجع حاصل معنى السرائر إلى تأويلات القرآن وبطونه السبعة، أو السبعين، أو السبعمائة، أو أكثر في مقابل ظواهر القرآن، والمراد من ظواهره هو الظاهر بالمعنى الأعم الشامل للنص والظاهر بالمعنى الأخص الذي هو الراجح المطلق المسمى بالمحكم، وقد مرّت الإشارة إلى بعض ما ينفع في هذا المقام فراجع ما تقدم. و(التجلي) هو الاتضاح أي الوضوح والجلاء بنفسه، وقد مرّ معنى المادة، وليس المراد هنا المطاوعة إذ ظواهر القرآن بأنفسها ظاهرة بلا حاجة إلى أن يظهرها غيرها لعدم الخفاء فيها أولاً، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾(٣)، وقول الشاعر:

هـــا عـــلـــي بـــشـــر كـــيـــف بـــشـــر
ربّــــــه فـــيـــه تـــجـــلّـــى وظـــهـــر

(١) الطارق: ٩ - ١٠

(٢) الحج: ٢

(٣) الأعراف: ١٤٣

فإن التجلي في نحو ذلك ليس بمعنى قبول الجلاء بحسب ظاهر النظر، وإنما يقال في المطاوعة فيه الانجلاء لا التجلي، ويجوز اعتبار معنى المطاوعة هنا بأن يقال: إن الله جعل ظواهر القرآن من ابتداء الأمر ظاهرة جلية، فصارت متجلية منجلية، أو أن العلم بالوضع اللغوي والعرفي صار سبباً لظهور معانيها، حيث قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1]. وظاهر معنى الظواهر هو تنزيلاته في مقابل تأويلاته، ومحصل المقصود أن ذلك الكتاب لا ريب فيه ولا عيب، ولا إشكال فيه ولا شبهة من حيث ظاهره وباطنه، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[2]. و(الاغتباط) من الغبطة ـ بالكسر ـ بمعنى حسن الحال، أو تمني حسن الحال الموجود في الغير بمَ نال، وهو حسد خاص اسماً من غبطته غبطاً كضربتُه إذا تمنيت مثل ما له من حسن الحال من غير أن تريد عنه الزوال. وفي الحديث: (أقوم في مقام يغبطني فيه الأولون والآخرون) والمراد منه المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]. والغبطة جائزة فإنها ليست بحسد محرم، وهو أن تريد زواله عنه، والمؤمن يغبط ولا يحسد، وللحسد مضار باطنية وظاهرية، وورد أن الحسد يذيب الإيمان في القلب كما يذوب الملح في الماء، وإن الحسد يحبط الحسنة، وان الحسد يذيب الجسد ونحو ذلك، والمؤثر منه في إذابة الإيمان وإحباط الحسنة ونحوهما هو ما إذا ظهر وأعمل لا ما أسرَّ منه بالمرة. وعليه حمل قوله ﷺ: رفع عن أمتي تسعة: السهو،

(١) إبراهيم: ٤

(٢) البقرة: ٢ - ٣

(٣) الإسراء: ٧٩

والخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه، وما اضطروا إليه، والطيرة، والحسد، والوسوسة في التفكر في الخلق ما لم ينطق بشفة، أي رفع عن أمتي مؤاخذة هذه التسعة، أو آثارها مطلقاً ظاهرية وباطنية. وفي الحديث: من يزرع خيراً يحصد غبطة - أي فرحاً وسروراً - ومن يزرع شراً يحصد ندامة. وفي الحديث القدسي: المتحابون في حلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون. قال بعض شراح الحديث: كل ما يتحلى به الرجل من علم وعمل فله عند الله منزلة لا يشاركه غيره، وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدراً فيغبطه بأن يكون له مثله مضموماً إلى ماله، فالأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من دعوة الخلق وإرشادهم، واشتغلوا به عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها، فإذا رأوهم يوم القيامة ودوا لو كانوا ضامين خصالهم إلى خصالهم. وبالجملة يقال: غبطته بما نال أغبطه غبطاً وغبطة، واغتبط هو كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس، قال الشاعر:

وبينما المرء في الأحياء مغتبط
إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير

قال في الصحاح: أنشدنيه أبو سعيد بكسر الباء أي مغبوط، قال: والاسم الغبطة وهو حسن الحال، ومنه قولهم: (اللهم غبطاً لاهبطاً) أي أسألك الغبطة أي منزلة يغبط عليها، أو دوام الغبطة وحسن الحال، ونعوذ بك من منازل الهبوط والضعة، أو أن نهبط عن حالنا، فالباء في المغتبطة الواقعة في الفقرة الشريفة مكسورة، والباء في (به) للسببية. و(الأشياع) وهو فاعل قولهاعليها السلام: (مغتبطة) بمعنى الاتباع جمع الشائع كالاشهاد في الشاهد، أو هو جمع الشيع جمع الشيعة، فهو جمع جمع لها، والشيعة اسم جنس يقع على القليل والكثير بمعنى الفرقة. قال

تعالى: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[1] وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره من المشايعة بمعنى المتابعة، ومنه الدعاء: (وشايعت وبايعت وتابعت على قتله). ويقال: شايعه أي والاه، وأصله من شاع يشيع شيوعاً وشياعاً إذا ظهر، ويتعدى بالحرف وبالألف فيقال: شعت به وأشعته إشاعة، قيل: والشيعة كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضاً. وفي النهاية: أصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، ولقد غلب هذا الاسم على من يزعم أنه يتوالى علياً وأهل بيته عليهم السلام حتى صار لهم اسماً خاصا، وإذا قيل: فلان من الشيعة عرف انه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم، انتهى. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[2] قيل: أي وإن من شيعة نوح إبراهيم يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق، وقيل: إن من شيعة محمد صلى الله عليه وآله إبراهيم، أو من شيعة علي إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[3] أراد من ذريتهم من هو أب لهم، فجعلهم ذريتهم وقد سبقوهم. وروي أن النبي صلى الله عليه وآله جلس ليلاً يحدث أصحابه في المسجد فقال: يا قوم إذا ذكرتم الأنبياء الأولين فصلوا علي ثم صلوا عليهم، وإذا ذكرتم أبي إبراهيم فصلوا عليه ثم صلوا علي. قيل: يا رسول الله بِمَ نال إبراهيم ذلك؟ قال: اعلموا أن ليلة عرج بي إلى السماء فرقيت السماء الثالثة نصب لي منبر من نور، فجلست على رأس المنبر، وجلس إبراهيم عليه السلام تحته بدرجة، وجلس جميع الأنبياء الأولين حول المنبر،

---

(١) مريم: ٦٩

(٢) الصافات: ٨٣

(٣) يس: ٤١

فإذا بعلي قد أقبل وهو راكب ناقة من نور ووجهه كالقمر، وأصحابه حوله كالنجوم، فقال إبراهيم عليه السلام: يا محمد هذا أي نبي معظم، وأي ملك مقرب؟ قلت: لا نبي معظم ولا ملك مقرب، هذا أخي، وابن عمي، وصهري، ووارث علمي علي بن أبي طالب، قال: وما هؤلاء الذين حوله كالنجوم؟ قلت: شيعته، فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم اجعلني من شيعة علي، فأتى جبرئيل بهذه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[1]. ويجمع الشيعة على الشيع، قال تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3] أي في فرقهم. وفي المصباح: إن الشيعة تجمع على الشيع، ويجمع جمع الجمع على الأشياع. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾[4] أي أشباهكم ونظراؤكم في الكفر، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾[5] أي بأمثالهم من الشيع الماضية. ولا يخفى أن الأشياع هنا بمعنى الفرق أيضاً، وإنما المعنى المذكور من جهة الإضافة وجعلهم فرقهم، إذ كون الفرق السابقة فرقهم أي منتسبة إليهم إنما هو من جهة مشابهتهم لهم. وأصل جميع المعاني السابقة في هذه المادة من الشياع، وهو الحطب الصغار التي تشتعل بالنار، وتعين الحطب الكبار على إيقاد النار، فاستعمل منه الشيعة في قوم اجتمعوا على أمر، فالقوم كالحطب الصغار والرئيس بينهم من الحطب الكبار، وأصل الجمع من الشيوع بمعنى الظهور. وفي الأخبار إن الشيعة مأخوذة من الشعاع، ومنه شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله، كما

(١) الصافات: ٨٣

(٢) الأنعام: ٦٥

(٣) الحجر: ١٠

(٤) القمر: ٥١

(٥) سبأ: ٥٤

ورد أنهم سموا شيعة لأنهم خلقوا من فاضل طينتنا، أو من شعاع أنوارنا، فشيعة كل رجل من سنخه، وقد مرّت الإشارة إلى وجه هذا الاشتقاق ونحوه الوارد في الأخبار، وإن لم يكن موافقاً للقواعد اللفظية الظاهرية والمقصود من الفقرة الشريفة أن أتباع القرآن أي حملته الذين يعملون به، ويتبعون أوامره ونواهيه مغبوطون يوم القيامة بما ينالونه من الفيوضات الإلهية الغير المتناهية بسبب القرآن أي بسبب العمل به، فتغبطهم الأمم السالفة وتبعة الكتب السماوية الماضية. و(القائد) اسم فاعل من قاد الرجل الفرس قوداً وقياداً وقيادة - بالكسر - قال الخليل: القود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها، والسوق أن يكون خلفها، والحبل الذي يشد للزمام أو اللجام يقاد به الحيوان هو القياد والمقود - بكسر القاف في الأول وكسر الميم في الثاني - والرجل قائد والفرس مقود فانقاد الفرس أي أذعن وأطاع للقياد طوعاً أو كرهاً. ومنه الانقياد للخضوع والخشوع، وفلان سلس القياد أي سهل الانقياد من غير توقف، وفي الحديث: (لا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك) يريد أعز نفسك في الصمت وحفظ اللسان، ولا تمكن الناس بسبب بذله من قيادك الذي يقاد به وهو استعارة، وقاد الأمير الجيش أي ساقها فهو قائد والجمع قادة وقواد. ومنه: (قائد الغر المحجلين) لعلي عليه السلام، لأنه يقودهم إلى الجنة، والمراد من الغر المحجلين شيعته لسطوع النور من وجوههم وأيديهم وأرجلهم أي مواضع وضوئهم يوم القيامة، مشابهين بالأفراس الغر المحجلة، وأئمتنا عليهم السلام هم (القادة الهداة، والذادة الحماة، وأهل الذكر، وأولي الأمر). وفي الحديث: (المجتهدون - قيل: أي في القرآن - قواد أهل الجنة) يعني يقودونهم إليها كأن المعنى يسوقونهم ويجرونهم إليها. وفي حديث علي عليه السلام: (قريش قادة ذادة) أي يقودون الجيوش جمع

قائد، ويذودون الأعداء أي يدفعونهم جمع ذائد، واجتمع القواد والجند أي الأمراء الذين يقودون الجيش، أو من يقودون الخيل للرؤساء، والجند العسكر. قال في النهاية: وفي حديث السقيفة: (فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان) أي يذهبان مسرعين كأن كل واحد منهما يقود الآخر. و(الرضوان) قد مرّت الإشارة إلى معنى تلك المادة، والمراد به هنا إما مقام رضاء الله، أو دار رضوانه مراداً بها الجنة. و(الإتباع) افتعال من تبعه يتبعه تبعا ـ كعلم ـ إذا فعل مثل فعله، أو مشى خلفه، أو مرّ به فمضى معه، ثم استعمل بمعنى الإطاعة، وتبعه وأتبعه بمعنى، إلّا أن الثاني مشتمل على المبالغة دون الأول. وفي الحديث: (اتبعوا القرآن ولا يتبعنكم) أي اجعلوه أمامكم ثم اتلوه، وأراد: لا تدعوا تلاوته والعمل به فتكونوا قد جعلتموه وراء ظهوركم، وقيل: معناه لا يطلبنكم لتضييعكم إياه كما يطلب الرجل صاحبه بالتبعة. أو المراد اجعلوا آراءكم تابعة للقرآن، ولا تجعلوا القرآن تابعاً لآرائكم بأن تؤولوه على طبق أهوائكم النفسانية، ويقال: ما زلت اتبع فلاناً حتى اتبعته أي حتى حصلت ملكة التبعية، واتبع فلاناً من باب الإفعال أي لحقه وقفاه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1] أي لحقه، و﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾[2] أي لحقهم، و﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[3] أي لحقه وأصابه واتبعه أيضاً بمعنى تبعه، كقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[4] أي تبع سببا، ومنه الإتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح، وهو سماعي لا

(١) الأعراف: ١٧٥

(٢) طه: ٧٨

(٣) الصافات: ١٠

(٤) الكهف: ٨٥

ميزان له. وأتبعت زيداً عمراً أي جعلته تابعاً له فتبعه فهو تابع وتبيع، والتبيع أيضاً الذي يتبعك بحق ليطالب به، والتبعة ما يتبع المال من نوائب الحقوق، وهو من تبعت الرجل بحقي. وفي حديث الدعاء: (تابع بيننا وبينهم بالخيرات، أو على الخيرات) أي اجعلنا نتبعهم على ما هم عليه، وفي حديث أبي واقد: (تابعنا الأعمال فلم نجد فيها أبلغ من الزهد) أي عرفناها وأحكمناها، يقال للرجل إذا أتقن الشيء وأحكمه: قد تابع عمله. و(اتباعه) في الفقرة فاعل القائد أي أن اتباع القرآن يقود تابعه إلى الرضوان، ويجوز قراءته على إفعال جمع تابع، ونصبه مفعولاً للقائد، ويكون فاعله ضميراً راجعاً إلى القرآن، لكن الظاهر بل المتعين هو الأول. و(المؤدي) اسم فاعل من قولهم: أدى الأمانة إلى أهلها، أو الدين إلى صاحبه ومستحقه يؤدي تأدية كتبصرة، وأداء ك(سلاماً) من سلم، وأداء ك(كذاباً) من كذب أي ردهما. وقد يستعمل أداء وتأدية اسم مصدر ويقال: أدى إليه الخبر أي أنهاه إليه فتأدى الخبر أي انتهى، والحاصل في الجميع معنى الإيصال، قال تعالى: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[1] أي ايصال. و(النجاة) بفتح النون هو الخلاص من الهلاك، يقال: نجا عن الهلكة ينجو نجاة ونجاء ـ بالمد والقصر ـ أي خلص فهو ناج، وأنجيته ونجيته إنجاء وتنجية أي خلصته تخليصاً، وقرئ بهما قوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾[2] ومن جهة المناسبة في المعنى قد يستعمل النجو بمعنى التغوط لأنه نوع من الخلاص، ولذا أيضاً يقال: نجوت بمعنى أسرعت كأن المسرع ينجي ويخلص ممن حوله ويفلت منهم. والصدق منجاة أي سبب النجاة كأنه محلها، والنجوى الكلام السر كأنه سبب الخلاص من

(١) البقرة: ١٧٨

(٢) يونس: ٩٢

الهلاك الحاصل من القول بالجهار، والنجوة: المرتفع من الأرض، ومناسبته مع المعنى الأصلي واضحة. والمراد من النجاة هنا هو الخلاص عن الهلاك الأخروي والمعنوي، بل وكذلك الدنيوي والظاهري أيضاً من جهة الاستشفاء والتبرك بالآيات القرآنية في دفع الشدائد الدنيوية والظاهرية. و(الاستماع) افتعال من سمع الشيء سماعاً وسمعاً، والافتعال منه يفيد الاعتمال كما قيل به في الكسب والاكتساب في مقام بيان النكتة في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾(1) أن النفس أميل إلى عمل الشر، وفي الاكتساب اعتمال وميل إلى الاشتغال به، والسماع شامل للاتفاقي والاختياري، واما الاستماع فلا يستعمل إلّا في الاختياري وفي مقام المقابلة يختص السماع بالاضطراري، مثلاً إذا اتفق وصول صوت الغناء إلى السمع قهراً أو بغتة فهو سماع ولا معصية فيه لأنه سماع اضطراري، بخلاف الاستماع واصغاء الأذن إليه مختاراً، فإنه سماع اختياري. ولما كان الاستماع واقعاً اختياراً، ولا يصدر مثله من العاقل إلّا حيث يريد ترتيب الأثر على الشيء المسموع، فاستعمل الاستماع بمعنى الانقياد والاطاعة أي في الاستماع المتعقب بالاتباع، فيكون المراد هنا أن الانقياد للقرآن، والاتباع لأحكامه، والامتثال لأوامره ونواهيه يؤدي الإنسان إلى النجاة من الضلالة، والخلاص من حيرة الجهالة، والوصول إلى دار الكرامة. كما قال ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، إلى غير ذلك، وروي: (اسماعه) على وزن الإفعال، قيل: تلاوته وقراءته، والأولى الأول.

---

(1) البقرة: ٢٨٦

بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ. فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ،

■ العلّامة المجلسي:

المراد بالعزائم: الفرائض، وبالفضائل: السنن، وبالرخص: المباحات، بل ما يشمل المكروهات، وبالشرائع: ما سوى ذلك من الأحكام كالحدود والديات أو الاعم، وأما الحجج والبينات والبراهين فالظاهر أن بعضها مؤكدة لبعض، ويمكن تخصيص كل منها ببعض ما يتعلق بأصول الدين لبعض المناسبات، وفي رواية ابن أبي طاهر: وبيناته الجالية، وجمله الكافية.. فالمراد بالبينات: المحكمات، وبالجمل: المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهم نقص فيها لإجمالها، فإنها كافية فيما أريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها، فإنهم المفسرون لغيرهم، ويحتمل أن يكون المراد بالجمل العمومات التي

يستنبط منها الأحكام الكثيرة. وتزكية للنفس: أي من دنس الذنوب، أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]. ونماء في الرزق.. إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[2] على بعض التفاسير. تثبيتاً للإخلاص.. أي لتشييد الإخلاص وإبقائه، أو لإثباته وبيانه، ويؤيد الأخير أن في بعض الروايات: تبييناً، وتخصيص الصوم بذلك لكونه أمراً عدمياً لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور: الصوم لي وأنا أجزي به، وقد شرحناه في حواشي الكافي. تشييداً للدين.. إنما خصّ التشييد به لظهوره ووضوحه وتحمل المشاق فيه، وبذل النفس والمال له، فالإتيان به أدلّ دليل على ثبوت الدين، أو يوجب استقرار الدين في النفس لتلك العلل وغيرهما ممّا لا نعرفه، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما ورد في الإخبار الكثيرة من أن علة الحج التشرف بخدمة الإمام وعرض النصرة عليه، وتعلم شرائع الدين منه، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلف. وفي العلل ورواية ابن أبي طاهر: تسلية للدين، فلعل المعنى تسلية للنفس، بتحمل المشاق وبذل الأموال بسبب التقيد بالدين، أو المراد بالتسلية: الكشف والايضاح، فإنها كشف الهم، أو المراد بالدين: أهل الدين، أو أسند إليه مجازاً، والظاهر أنه تصحيف: تسنية، وكذا في الكشف. وفي بعض نسخ العلل أي يصير سبباً لرفعة الدين وعلوه. التنسيق: التنظيم. وفي العلل: مسكاً للقلوب أي ما يمسكها، وفي القاموس: المسكة ـ بالضم ـ: ما يتمسك به وما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب،.. والجمع كصرد: والمسك

(١) التوبة: ١٠٣

(٢) الروم: ٣٩

ـ محركة ـ الموضع يمسك الماء. وفي رواية ابن أبي طاهر والكشف: تنسكاً للقلوب.. أي عبادة لها، لأن العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح. والصبر معونة على استيجاب الأجر: إذ به يتم فعل الطاعات وترك السيئات.

■ الأنصاري التبريزي:

الباء في (به) للسببية والضمير فيه للقرآن، و(تنال) من قولهم: نال فلان خيراً يناله نيلاً ـ من باب تعب ـ أصابه، ومنه نال فلان من مطلوبه المراد، ونال فلان من امرأته ما أراد، ونال فلان من عدوه كذلك أي بلغ منه مقصوده، ويتعدى بالهمزة إلى اثنين فيقال: أنلته مطلوبه فناله. و(الحجج) بضم الحاء جمع الحجة بالضم أيضاً كغرفة وغرف، والحجة بمعنى الدليل والبرهان. قال أهل الميزان: المعلوم التصوري الموصل إلى مطلوب تصوري يسمى معرفاً، كتصور الحيوان الناطق الموصل إلى تصور الإنسان، والمعلوم التصديقي الموصل إلى مطلوب تصديقي يسمى حجة، كالتصديق بأن العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث، ووجه تسمية المعرف واضح، وأما تسمية الحجة بذلك فلأنها تصير سبباً للغلبة على الخصم، وإن الحجة في اللغة الغلبة، فهذا من قبيل تسمية السبب باسم المسبب، ويجوز أن تكون الحجة مشتقة من الحج بمعنى القصد، إذ بها يقصد الغلبة. والمحاجة: المخاصمة والمجادلة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾[1]، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ..﴾[2]. ويقال: حاجَّه فحجَّه أي طالبه

(١) البقرة: ٢٥٨

(٢) آل عمران: ٦١

فغلبه بالحجة، ومنه الحديث: (فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة، وفي المثل: (لج فحج) وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج التخاصم، وفي حديث الدعاء: (اللهم ثبت حجتي في الدنيا والآخرة) أي إيماني في الدنيا وجوابي عن الملكين في القبر. والحج ـ بالفتح ـ القصد، يقال: حج يحج حجاً ـ من باب قتل ـ أي قصد فهو حاج، ورجل محجوج أي مقصود، هذا أصله في هذا المعنى، ثم قصر استعماله في الشرع على قصد الكعبة لأداء مناسك مخصوصة، كما أن العمرة لغة الزيارة، ثم خصت بزيارة البيت على كيفية معلومة، وكل منهما أعمال مخصوصة مذكورة في الكتب الفقهية. ومنه يقال: ما حج ولكن دج، فالحج قصد البيت للنسك والدج القصد للتجارة، والاسم الحج ـ بالكسر ـ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] دون المصدر فإنه بالفتح، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[2] أي زمان الحج أشهر معلومات معروفات للناس أي لم يتغير زمانه في الشرع، وهو رد على أهل الجاهلية في قولهم بالنسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[3] وتفصيل النسئ مذكور في كتب التفاسير. وهذه الأشهر المعلومة هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة بالتمام، أو تسعة من ذي الحجة أو عشرة على الخلاف المذكور في مظانه، ويوم الحج الأكبر قيل في طبق بعض الروايات أنه يوم النحر مطلقاً، وقيل: جميع أيام الحج كذلك. وقيل: سمي حج مخصوص وقع في أيام النبي ﷺ بالحج الأكبر، لأنها كانت سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ولم

(١) آل عمران: ٩٧

(٢) البقرة: ١٩٧

(٣) التوبة: ٣٧

يحج المشركون بعد تلك السنة، ومنعوا عن ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1]. وقيل: إنه اتفق فيه ثلاثة أعياد: عيد المسلمين، وعيد النصارى، وعيد اليهود، وروي أنه لم يتفق ذلك قبل ذلك، ولا يتفق بعد ذلك إلى يوم القيامة، ويقال بين العامة: إن الحج الأكبر هو ما اتفق يوم عرفة جمعة، أو يوم العيد جمعة. وفي النهاية: إنهم كانوا يسمون الحج الحج الأكبر، والعمرة الحج الأصغر، والحجة ـ بالكسر ـ المرة من الحج على غير قياس، والجمع حجج مثل سدرة وسدر والقياس الفتح، قال تغلب: ولم يسمع من العرب، وبها سمي شهر ذي الحجة ـ بالكسر ـ وبعضهم يفتح في الشهر لا في غيره. قال في المصباح: وجمع الحاج حجاج وحجيج، وفي الصحاح: انه يجمع على حج مثل بازل وبزل. وفي النهاية: وربما أطلق الحاج على الجماعة مجازاً واتساعاً، ومنه الحديث: (لم يترك حاجة ولا داجة) الحاج والحاجة واحد الحجاج، والداج والداجة الأتباع والأعوان، يريد الجماعة الحاجة ومن معهم من أتباعهم وأعوانهم، انتهى. وقد يبدل الجيم الثاني في الحاج ياء فيقال: حاجي، لأن المضاعف يلحقه الإبدال والحذف كالمعتل تشبيهاً لثقل التضعيف بالتعليل، وهو المستعمل كثيراً في هذه الأزمنة المتأخرة. وأحججت الرجل ـ بالألف ـ بعثته ليحج، والحجة ـ بالكسر ـ السنة أيضاً، والجمع حجج كسدرة وسدر، ولعل الوجه في أصل التسمية وقوع الحج في كل سنة مرة كأن كل حجة سنة، ثم أطلق على السنة بلا لحاظ وقوع الحجة. قال في السبعة المعلقة.

---

(١) التوبة: ٣

دمـــن تـــجـــرم بـــعـــد عـــهـــد أنيسها
حـــجـــج خـــلـــون حـــلالـــهـــا وحـــرامـــهـــا
بـــل مـــا تـــذكـــر مـــن نـــــوار وقـــد نـــأت
وتـــقـــطـــعـــت أســـبـــابـــهـــا وزمـــامـــهـــا

وقال الراجز ولعله رؤبة بن العجاج:

مـــنـــازل يـــقـــمـــن مـــن تـــأجـــجـــا
مـــن آل لـــيـــلـــى قـــد عـــفـــون حججا

وبالجملة فالمراد من حجج الله تعالى في الفقرة الشريفة هي البراهين القاطعة، والأدلة الساطعة القائمة على أصول المعرفة والعبادة أي الأحكام الشرعية العلمية والعملية، والمراد من كون تلك الحجج منورة كونها واضحة مبينة عند أرباب اليقين، لأ نه الكتاب المبين الذي لا ريب فيه هدى للمتقين، وهذه الفقرة ناظرة إلى إثبات أصول الدين. و(العزائم) جمع العزيمة فعيلة بمعنى مفعولة، من عزمت على كذا عزماً وعزيمة إذا أردت فعله وقطعت عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1] أي صريمة أمر أي رأياً معزوماً عليه. وفي الخبر: (خير الأمور عوازمها) أي فرائضها التي عزم الله عليك بفعلها جمع عازم، قيل: والعوازم هي الأمور التي جرت بها السنة من الفرائض والسنن أي ثبتت في الكتاب والسنة، والمعنى ذوات عزمها التي فيها عزم، وقيل: هي ما وَكَّدتَ ـ من التوكيد ـ رأيك عليه وعزمك على فعله، ووفيت بعهد الله فيه. وفي الحديث: (الزكاة عزمة من عزمات الله) أي حق من حقوقه، وواجب من واجباته، وقالوا: لا خير في عزم بغير حزم، فإن القوة إذا لم يكن معها حذر

(١) طه: ١١٥

أورطت صاحبها، وفي الخبر: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه). والعزيمة: سورة السجدة الواجبة أيضاً، وهي جعلت أولاً اسماً لنفس السجدة الواجبة بآيتها، ثم أطلقت على الآية تسمية للسبب باسم المسبب، ثم بعد جعلها فيها حقيقة عرفية أطلقت على نفس السورة تسمية للكل باسم الجزء، وسور العزائم مشهورة، وفي الحديث: (ليست سجدة صاد من عزائم السجود). قيل: والعزم والعزمة ما عقد عليه قلبك أنك فاعله، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ﴾[1]، قيل: العزم هنا بمعنى الصبر والقوة، و(عرفت الله بفسخ العزائم) جمع العزيمة بمعنى العزمة وهي العقد القلبي، وفي الحديث: (شهادة أن لا إله إلَّا الله عزيمة الإيمان) أي عقيدته المطلوبة. والمراد من العزائم في الفقرة الواجبات المفروضة، لأن كل واجب فريضة معزوم عليها، ويطلق عليها العوازم والعزمات أيضاً، ويتفرع على العزم بالمعنى السابق قولهم: عزمت عليك بمعنى أقسمت عليك، ومنه العزائم للرقي، وفي الدعاء: (عزمت عليك بعزيمة الله، وعزيمة محمد، وعزيمة سليمان بن داود، وعزيمة أمير المؤمنين) وعزائم المغفرة: محتماتها أي ما يجعلها الله حتماً. و(التفسير) والفسر البيان، يقال: فسرت الشيء ـ من باب ضرب ـ وفسرت من باب التفعيل أي بينته. وأصل الفسر نظر الطبيب إلى الماء في القارورة وكذلك التفسير، وقيل: أصل التفسير من السفر من أسفرت المرأة وجهها إذا كشفته، وأسفر الصبح إذا ظهر، فقدم إلى موضع الفاء، أو أخر السين إلى موضع العين بالقلب المكاني المعروف في علم الصرف والاشتقاق، وان أصل التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل، ولهذا لا يقال على بيان المعاني الواضحة أنه تفسير،

(١) الأحقاف: ٣٥

ولا يقال على ذكر المعاني المعروفة من حيث العرف واللغة أنه تفسير بالرأي ليكون حراماً بالنسبة إلى القرآن. والتفسير أعم من التنزيل والتأويل عموماً مطلقاً، وقد مرّ البيان في بيان فرقهما فراجع، وعلم التفسير علم يبحث فيه عن كلام الله المنزل للإعجاز من حيث الدلالة على مراده تعالى، وبالجملة فالمفسرة هنا ـ بفتح السين ـ صفة للعزائم بمعنى المبينة أي الواجبات المبينة في القرآن. و(المحارم) جمع المحرم بمعنى ما لا يحل انتهاكه ـ بفتح الميم والراء، وبضم الراء أيضاً مع التاء ـ سواء كان ذلك بنسب أو رضاع أو غير ذلك بمعنى الحرام مطلقاً، وأصله من الحرمة بمعنى المنع، ومنه الحرم لحرم مكة والمدينة. والحريم للفصل بين السائس والمسوس في الجلوس ونحوه، وحرمت الصلاة على الحائض أي امتنعت في حقها، وحرم الشيء حراماً ـ بالفتح والكسر ـ امتنع، وأحرمه إحراماً وحرَّمه تحريماً منعه إياه، وأحرم الرجل إذا دخل في حرمة لا تهتك. وحرمات الله محارمه التي قررها، وحريم الرجل أهل بيته، وحريم البيوت والقنوات وغير ذلك ما يختص بكل منها من المسافة، وجميع ذلك مأخوذ من الحرم بمعنى المنع، والمراد من محارم القرآن المحرمات التي حرمها الله تعالى وبينها فيه. و(المخدرة) من الخدر، يقال: خَدِرْتُ الشيء خدراً ـ من باب علم ـ أي تحرزته وخفت منه، وخدرت زيداً العفرناة أي حرزته إياها، فأنا مخدر ـ بالكسر ـ وزيد مخدر ـ بالفتح ـ وهي مخدرة، وإذا خاف زيد من عند نفسه أي بلا مخدر فيقال له: خادر، وحاصل معنى التخدير راجع إلى التخويف، والمخدرة صفة للمحارم أي المحارم التي حذر الله الناس إياها أي منها. و(البيّنات) جمع البيّنة بمعنى الواضحة صفة مشبهة، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد من البينات الآيات اللائحات،

والدلائل الواضحات. و(الجالية) من الجلاء من جلا الأمر أي ظهر وانكشف، صفة توضيحية للبينات إشارة إلى التأكيد في وضوحها. و(البراهين) جمع البرهان وهو الحجة، يقال: برهن عليه أي أقام الحجة عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1] أي حجته وبيانه، وسمّي الحجة برهاناً لبيانها ووضوحها، وعن ابن الأعرابي: البرهان الحجة من البرهونة، وهي البيضاء من الجواري، كما اشتق السلطان من السليطة على وجه، وهو الزيت لإنارته. و(الكافية) من قولهم: كفاه مؤنته كفاية أي وقاه كلفتها، فيتعدى إلى مفعولين، وكفاه أي أغناه فيتعدى إلى مفعول واحد، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[2] أي اكتفى به بمعنى استغنى به أو قنع به فيكون لازماً، والباء غير زائدة، وقد تجعل الباء زائدة فيكون كفى بالله بمعنى كفى الله. وهذا رجل كافيك من فلان أي مغنيك عنه، والشيء الكافي ما حصل به الاستغناء عن غيره، و﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[3] أي بمغنٍ عبده، ومثله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[4] أي أغناهم. قولها عليها السلام: (وبيناته الجالية) ناظرة إلى العزائم، و(براهينه الكافية) إلى المحارم، أو كلاهما لكليهما. و(الفضائل) جمع الفضيلة فعيلة بمعنى فاعلة من قولهم: فضّل الشيء فضلاً ـ من باب علم وقتل ـ أي زاد، وخذ الفضل أي الزيادة. والفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة بمعنى الدرجة الرفيعة، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[5] أي كل ذي عمل زائد زيادته أي يعطيه جزاء عمله، أو من كان ذا فضل في دينه

(١) يوسف: ٢٤
(٢) النساء: ٨١
(٣) الزمر: ٣٦
(٤) الأحزاب: ٢٥
(٥) هود: ٣

فضله الله في الدنيا بالمنزلة وفي الآخرة بالثواب، ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾(١) أي التفضل، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا﴾(٢) أي خلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدنيا. والفضل بمعنى الإحسان والإفضال المتعدي إلى الغير، ويقال فيه: الفاضلة كالفضيلة في الوصف الحسن اللازم الغير المتعدي، فتطلق الفواضل على الأوصاف المتعدية كالسخاوة والشجاعة، والفضائل على الأوصاف اللازمة كالعلم والحسن، والحق أن يقال: إن الفضائل ملكات هذه الأوصاف، والفواضل آثارها بلا فرق بين السخاوة ونحوها والعلم ونحوه. ورجل مفضال أي سمح، وامرأة مفضالة على قومها - إذا كانت ذات فضل - سمحة، وأفضل عليه وتفضل بمعنى، والمتفضل أيضاً الذي يدعي الفضل على أقرانه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾(٣) وفضّلته على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك أو صيَّرته كذلك، وفاضلته ففضلته إذا غلبته بالفضل، والفضلة - بالفتح والضم - ما فضل من الشيء، وبالضم الشيء الزائد أيضاً. ثم إن المراد من الفضائل في الفقرة الشريفة هي المندوبات بالمعنى الأخص، وهي الأمور الراجحة شرعاً التي يجوز تركها مرجوحا، وقد ندب الله الخلق إليها أي دعاهم دعوة غير ملزمة، وأصل الندب الدعوة مطلقاً، والمراد هنا هو الندب الغير الملزم لا الندب المطلق الشامل للندب الوجوبي أيضاً. و(الرخص) جمع الرخصة - بضم الراء - وقد تضم الخاء أيضاً للاتباع، وهي التسهيل في الأمر ورفع التشديد فيه، يقال: رخص لنا الشارع في كذا ترخيصاً وأرخص إرخاصاً إذا يسره وسهله، والرخص

---

(١) البقرة: ٢٣٧

(٢) البقرة: ٢٦٨

(٣) المؤمنون: ٢٤

مثل قفل اسم منه والواحد رخصة. ورخص الشيء فهو رخيص والرخص - بالفتح - الناعم، يقال: هو رخص الجسد أي بين الرخوصة، وكل هذه المعاني راجعة إلى معنى واحد، والمراد من الرخص هنا هو المباحات، ووصفها بالموهوبة إشارة إلى أنها ممّا أعطاها الله لعباده من باب العطية لئلّا يكون لهم حرج في فعلها وتركها، فيكونوا في سعة من الأمر. و(الهبة) قيل: هي العطية مطلقاً، والظاهر كما صرحوا به أيضاً هاهنا العطية بلا عوض، يقال: وهب لزيد مالاً هبة أي أعطاه إياه بلا عوض، قيل: يتعدى إلى الأولى باللام وإلى الثاني بنفسه، وفي التنزيل: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾(1) ولا يتعدى إلى الأولى بنفسه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة، فلا يقال: وهبتك مالاً، والفقهاء يقولونه، وقد يوجه ذلك بتضمين معنى الإعطاء لكن لم يسمع في كلام فصيح. والظاهر أنّ اللام فيه ليست للتعدية بل زائدة للتأكيد، كما تزاد في المفعول الأول من أعطى أيضاً، فيقال: أعطى لزيد مالاً، كما تزاد (من) أيضاً فيقال: أعطى من زيد مالاً، وكذلك المفعول الأول من بعت، فيقال: بعت لزيد ومن زيد مالاً، وفي الهبة أيضاً الوجهان، وكذا في النكاح والتزويج. فيجوز (من واللام) في الجميع من ذلك بالنسبة إلى المفعول الأول الذي هو الأخذ الفاعل في المعنى، فلزيادة (اللام ومن) فيه إيهام بل إشارة إلى نكتة الأخذية بأن حصول هذا الفعل لأجله ومختص به، وهو الباعث والمنشأ، فالإعطاء لزيد أي الأثر الحاصل منه له وهو منشؤه، وكذلك الكلام في البيع والنكاح ومطلق باب أعطيت الذي هو ما كان متعدياً إلى مفعولين أولهما أخذ والثاني مأخوذ، قاعدة مطردة مصرح بها في كتب الصرف واللغة. وليس الحرفين في المواد

(1) الشورى: ٤٩

المذكورة للتعدية وإن توهمها جماعة، كالباء في مادة التزويج لقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1] والحال أنها لتضمين زوجناهم معنى قرناهم، وقد اشتبه جمع كثير وجم غفير من الخلف والسلف في هذا الأمر الخطير، فتأمل. والاسم من الفعل السابق الموهب والموهبة، فهو واهب والشيء موهوب، وزيد موهوب أيضاً وموهوب له ومنه ومتهب، وقيل: الهبة هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض. وبالجملة فالهبة في مقابل العوض بصيغة الهبة باطلة، وإطلاق الهبة المعوضة بهذا المعنى غلط البتة، بل لابد حينئذٍ من صيغة البيع أو الصلح، واما الهبة بشرط العوض فلا ضير فيها لخروج الشرط عن متن الهبة، وإذا كثرت الهبة والعطية بلا عوض مطلقاً من أحد سمي بالوهاب، ولذا صار الوهاب من أسماء الله تعالى، كما أن الواهب أيضاً من أسمائه تعالى لأنه الواهب الحقيقي. و(الشرائع) جمع الشريعة، وهي في الأصل مشرعة الماء مطلقاً، أو إذا كان جارياً كالأنهار، والمشرعة ـ بفتح الميم والراء ـ هي مورد الشاربة كالشرعة ـ بالكسر ـ وسمّي ما شرع الله لعباده من الدين شريعة تشبيهاً بمورد الماء، لأن أهل الدين يردونه ويأخذون منه مياه الأحكام الشرعية التي منها حياة الأرواح الطيبة. وفي المصباح: الشرعة ـ بالكسر ـ الدين، والشرع والشريعة مثله مأخوذ من الشريعة، وهي مورد الناس للاستسقاء، سُمّيت بذلك لوضوحها وظهورها، والجمع شرائع، وشرع الله لنا كذا يشرعه: أظهره وأوضحه، انتهى. والظاهر أنّه بمعنى قرر لنا كذا، كما يقال: شرع فلان تشريعاً أي قرر شريعة سواء كان بحق أو باطل، ويطلق الشارع ـ من شرع بالمعنى المذكور ـ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى الأئمّة عليهم السلام، وعند الإطلاق ينصرف إلى

(١) الدخان: ٥٤

النبي ﷺ، وعلى الأول بمعنى موجد الشرع، وعلى الثاني بمعنى مب ظهوره، وعلى الثالث بمعنى مبدئ تفاصيله. والشرعة تستعمل بمع المنهاج مطلقاً كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1] والشارع الطريق الأعظم بملاحظة وضوحه أو ورود الناس عليه، فا بمعنى مفعول مثل طريق قاصد أي مقصود. والظاهر أنّ الشريعة بمع المورد من شرعه أظهره وهو ظاهر، أو من شرعت الإهاب سلخته، ف المورد يُداس بالأرجل فيصير ظاهره أبيض كأنه شيء سلخ منه جلد كما يُطلق الملحوب على الطريق المديس، كما قال في العلوية:

ألا إن نجد المجد أبيض ملحوب
ولكنه جم المهالك مرهوب

أو من شرعت الدواب في الماء أي دخلت، أو من شرعت البا وأشرعته بمعنى فتحته، وقيل: الشريعة بالمعنى الاصطلاحي مأخوذ م قولهم: مررت برجل شرعك من رجل أي حسبك، أو من شرعته بمعن طلبته، أو من الشرع بمعنى السواء، يقال: الناس في هذا الأمر شرع سوا أي مستوون، قال الطغرائي:

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
فالشمس راد الضحى كالشمس في الطفل

ويستوي في الشرع في هذا المعنى الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث لكونه مصدراً في الأصل، وسواء في قولهم: (شرع سواء) قيل: كأنه من باب عطف البيان، لأن الشرع في مثل المثال بمعنى السواء، أو هو تأكيد من غير اللفظ، ولا يخفى وجه المناسبة بين الشريعة

---

(١) المائدة: ٤٨

الاصطلاحية وجميع المعاني اللغوية المسطورة لهذه المادة. ثم إن الشريعة قد تطلق على مجموع الدين المقرر، وقد يطلق على كل واحد من الأحكام أو من دلائل الأحكام، والثاني أكثر وأظهر، فيكون الدليل بمنزلة المشرعة، والحكم المأخوذ منه بمنزلة الماء، فيجمع الشريعة بالنسبة إلى الملة الواحدة بهذا الاعتبار كما جمعت في الفقرة الشريفة. و(المكتوبة) كناية عن المقررة، وأصل الكتابة بمعنى الخط وهو واضح، ومعنى هذه المادة في اللغة هو الجمع المطلق، أو جمع قطع الأديم بالسيور والخيوط، قال الشاعر:

لا تأمنن فزارياً خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار

سمى الكتابة بذلك لما فيها من الجمع بين الحروف والكلمات بعضها مع بعض. ثم قد تطلق الكتابة على الفرض ونحوه، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾(١) أي فرض ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٢)، ويطلق على مطلق التقرير والجعل، فيشمل تشريع الأحكام الخمسة التكليفية والخمسة الوضعية، أو مطلق الأحكام الوضعية بناء على تعميمها ـ على ما قرر في الأصول ـ مع إخراج الصحة والفساد عن الخمسة المعروفة بالوضعية في الكتب الأصولية القديمة، بناء على أنهما من الأحكام العقلية لا الشرعية الوضعية. والمراد من الشرائع المكتوبة هنا المكروهات، فيكون كل من الفقرات المذكورة عبارة عن نوع واحد من الأحكام الشرعية التكليفية: الوجوب، والحرمة، والندب، والإباحة، والكراهة مع الإشارة إلى أدلة الأولين في البين. ويجوز أن يراد من

(١) البقرة: ١٨٣

(٢) البقرة: ١٨٣

الرخص هنا ما يشمل المكروهات أيضاً، وتكون الشرائع المكتوبة عبارة عن جميع الأحكام الشرعية المشار إليها في الفقرات السابقة، أو يراد من الشرائع ما سوى المذكورات من الأحكام كالحدود والديات أو الأعم. وفي رواية ابن أبي طاهر: (وبيناته الجالية، وجمله الكافية) فالمراد بالبينات المحكمات، وبالجمل المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهم نقص فيها لإجمالها فإنها كافية فيما أريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها، فإنهم المفسرون لغيرهم. ويحتمل أن يكون المراد بالجمل العمومات التي يستنبط منها الأحكام الكثيرة، وإقحام الجملتين بين الواجبات والمحرمات وبين باقي الأحكام لإيهام أن المقصود الأصلي من الأحكام هو القسمان السابقان بخلاف غيرهما لعدم كونه بتلك المثابة. قولهاعليها السلام: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك». قد مرّت الإشارة إلى معنى الإيمان لغة واصطلاحاً، والإيمان ينصرف بالإطلاق الشائع على القول بأصول الدين الخمسة وما يتعلق بها من لوازمها وفي دعاتها، وقد يطلق على العمل بالفروع أيضاً، ولذا يقال لمن لا أمانة له أنه لا دين له ونحو ذلك. وتحقيق الكلام في المرام على نحو الإجمال الحقيق بالمقام: أن الإيمان له مراتب لا تحصى، كما يظهر من الأخبار والآثار لمن جاس خلال تلك الديار، فمن قال بأصول المعرفة وتوابعها وتفصيلاتها على النحو المقرر المعتبر في الشريعة، وقال بصحة كل ما قرره الله تعالى من الأحكام الشرعية، وعمل بالواجبات وترك المحرمات، وعمل بالمندوبات والمكروهات فعلاً وتركاً بالكلية، وقال بالمباحات وعمل بها على وجه الإباحة، فقد أحرز الإيمان الكامل الذي لا نقص فيه أبداً ولو مثقال ذرة، ولا يوجد هذا الإيمان الكامل على ما هو عليه إلّا للنبي والأئمّة صلوات الله عليهم. فمن ترك جميع ذلك بالكلية عمدا أو

جهلا فهو الكفر الكامل في الغاية، ولا يوجد إلّا في رؤساء أعداء الدين من أرباب الجهالة الكاملة، فإذا ترك أصول الدين ولا ينفع بعدها الفروع وإن عمل بها فهو الكفر الموجب للنجاسة، ومن قال بأصول الدين وترك الفروع كلية فهو مؤمن في الأصول وكافر في الفروع. فإن عمل ببعض الفروع دون بعض فمؤمن بالنسبة إلى بعضها وكافر بالنسبة إلى بعض، ففعل الصلاة مرتبة من مراتب الإيمان، وتركها مرتبة من مراتب الكفر، وهكذا كل واحد واحد من الواجبات فعلاً وتركاً، وكل واحد واحد من المحرمات تركاً وفعلاً، كما ورد (إن تارك الصلاة كافر). وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، والمراد ممن كفر هو من ترك الحج. وفي الحديث: (لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) إلى غير ذلك، ولذا استشكلوا في عرق الجنب بالحرام أنه نجس أم لا، وأصل الكلام إنما هو في عرقه الحاصل حين الجنابة لا مطلقاً، وإن اشتبه الجماعة في تعيين موضوع المسألة. وكذلك لفعل المندوبات والمكروهات وتركهما مدخلية في الإيمان والكفر، فيحصل بلحاظ الهيئة التركيبية الحاصلة بحصول كل طاعة مع ما سواها مرتبة من مراتب الإيمان، وبتركها مرتبة من مراتب الكفر، بل من المجموع من حيث المجموع، وإنما خصّ بعض التروك أو بعض الأفعال بإطلاق الكفر من جهة المبالغة والاهتمام في شأن ذلك البعض. وقد ورد عن الصادق عليه السلام: (أن الإيمان عمل كله) وأن قول لا إله إلّا الله أيضاً من العمل إذ هو أيضاً عمل لساني، بل قيل: إن الاعتقادات أيضاً عمل أي انها عمل قلبي، وورد أيضاً: إن للإيمان مراتب كثيرة، فلا يكلف أهل

(١) آل عمران: ٩٧

المرتبة السافلة إلى العروج إلى المرتبة العالية، إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. وذلك كله بحسب تفاوت الاستعداد والقابلية في القول، والفعل، والعلم، والعمل، والمعرفة، والعبادة، وتحصيل تفاصيل المعرفة، وجعل العبادة خالصة من شوب الرياء والسمعة ونحو ذلك، مشتملة على الخضوع والخشوع والاستكانة وغير ذلك. فحصل ممّا ذكر أن للإيمان مراتب ودرجات، ومنازل ومقامات، أعلاها الإيمان الصرف وأدناها الكفر المحض، وبينهما متوسطات مركبات على اختلاف في درجاتها، فأكثر الناس مؤمنون وهم كافرون أي في الجملة، أو كافرون وهم مؤمنون كذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1]. غاية الأمر أن الكفر الحاصل بترك جميع الأصول الخمسة أو بعضها أو ما يرجع إليها، موجب شرعاً للحكم بالنجاسة في هذه النشأة الظاهرية أيضاً بخلاف باقي مراتب الكفر، وإن كان كل نوع من الكفر موجباً في عالم الباطن للخباثة والقذارة بقدره البتة. وكل نوع من مراتب الإيمان موجباً للطهارة والنظافة الباطنية غير الظاهرية، ولذا جعل الإيمان في الفقرة الشريفة تطهيراً للشرك أي سبباً لتطهيره أو مطهراً له، أو أن الحمل للمبالغة. وأصل التطهير بمعنى التنظيف والتنزيه من العيوب والأدناس والأقذار والأرجاس، فالايمان يطهر الإنسان من الأدناس الظاهرية والباطنية، والأرجاس العقلانية والنفسانية والجسمانية، ويقال: رجل طاهر الثياب أي منزه الأثواب، ومنه الطهر لخلاف الحيض، والطهور لما يتطهر به كالفطور والسحور والوقود. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا

(١) يوسف: ١٠٦

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾(١) أو قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾(٢) أي نساء مطهرة من الحيض والحدث، ودنس الطبع، وسوء الخلق ونحو ذلك. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣) أي ينزهكم عن الأرجاس الظاهرية والباطنية مطلقاً، كما استدل بهذه الآية العامة والخاصة على معصومية أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. و(الشرك) نوع من الكفر، وقد يطلق على مطلق الكفر، اسم من قولهم: أشرك فلان بالله فهو مشرك، وأصله من قولهم: شركته في البيع والميراث ونحو ذلك من باب علم شركة ـ بالفتح فالكسر، أو بالكسر فالسكون ـ فهو شريك، والاسم الشرك أيضاً ـ بالكسر ـ. وأشركت زيداً عمراً، أو لعمرو، وبعمرو، ومع عمرو في كذا أي جعلته شريكا له في كذا، قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾(٤) أي أشركه لي في أمري، والأكثر في مفعوله الثاني الاستعمال بالباء الدالة على الملازمة والملابسة لما بين الشريكين من الملازمة والمخالطة. وأشرك فلان بالله أي أشرك غيره معه إما في الألوهية، أو في الصفة، أو في الفعل، أو في العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾(٥) أي لا يشرك أحداً مع نفسه في عبادته تعالى، والباء هنا بمعنى في، وهذه غير الباء في قولهم: أشرك بالله. والكفر قسمان لأنه إذا فرض شخص آخر مع الله سبحانه، فإما أن يجعل الإله هو الله وحده دون الغير فهو التوحيد، أو الغير وحده فهو الكفر الغير الشركي وله أقسام عديدة، أو يجعل كلاهما إلهاً وهو

(١) الفرقان: ٤٨
(٢) آل عمران: ١٥
(٣) الأحزاب: ٣٣
(٤) طه: ٣٢
(٥) الكهف: ١١٠

الكفر الشركي. وهو إما على سبيل الاستقلال في كل منهما مثل شرك الثنوية، أو بدون الاستقلال بل مع الشركة المطلقة، ولو بأن يجعل للغير مدخلية في الجملة ولو مثقال ذرة، فيدخل في الشرك حينئذٍ العمل بالرياء والسمعة ونحو ذلك ممّا كان هناك شائبة الغير، باعتبار الذات أو الصفة أو الفعل أو العبادة. وقلما يخلو أحد من الشرك كلياً، غاية الأمر أن الشرك الموجب للحكم بالكفر والنجاسة الظاهرية شرك مخصوص لا جميع مراتبه ـ على ما أشير إليه آنفاً ـ فترك الواجب وفعل المعصية يوجب إشراك الشيطان بالله سبحانه في العبادة، فإن المخالفة لله سبحانه عبادة للشيطان وإشراك له بالرحمن، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1]. وفي الحديث: (الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء) يريد به الرياء في العمل، فكأ نه أشرك في عمله غير الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2]. وفيه: (من حلف بغير الله فقد أشرك) أي قد خالف الله وعصاه، أو جعل ما يحلف به محلوفاً به كاسم الله الذي يكون به القسم، ومنه الحديث: (الطيرة شرك ولكن الله يذهبه بالتوكل) جعل التطير شركاً بالله تعالى في اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر إلى غير ذلك، والإيمان الكامل يطهر المؤمن من جميع الإشراكات المذكورة وغير المذكورة. و(من) في قولها (عليها السلام): (من الشرك) إما بمعنى عن، أو لتضمين التطهير معنى التخليص، أو أن (من) بدلية أي جعل الإيمان فيكم بدلاً من الشرك. والحاصل أنه تعالى أذهب عنكم أدناس الشرك وأرجاس

(١) يس: ٦٠ - ٦١

(٢) الكهف: ١١٠

الجاهلية، وبدلها بطهارة الإيمان، وأوصلكم نزاهة العلم والمعرفة، فأوضح لكم السبيل والمحجة في أموركم الدينية والدنيوية، وأزال رين الشك والشبهة عن قلوبكم الكدرة فتبين سبيل الهدى، فمن تخلف عنه ضل وغوى، والسلام على من اتبع الهدى. و(الصلاة) قد مرّت الإشارة إلى تفصيل معاني المادة، والمراد منها هنا هي الصلاة الشرعية، وهي الأركان المخصوصة، والحركات والسكنات والأذكار المشهورة، ويجري في التنزيه الوجوه الثلاثة السابقة في التطهير. و(الكبر) بالكسر اسم من التكبر، وهو أخذ الكبر ـ كالصغر بمعنى العظم ـ لنفسه، ومثله الكبرياء بمعنى العظمة إلّا أن الكبرياء أبلغ، وأصل الكبر من قولهم: كبر الشيء كبرا كصغر صغراً ـ من باب قرب ـ أي عظم، فهو كبير وكابر أيضاً نظير الصغير والصاغر، كما قال الشاعر:

جمعوا المكارم أولاً عن آخر
وتوارثوها صاغراً عن كابر

ويقولون أيضاً: (ورثوا المجد كابرا عن كابر) أي كبيراً شريفاً عن كبير شريف، وأفعل التفضيل منه: أكبر ويجمع على الأكابر، وقد يجعل أكبر صفة مشبهة بمعنى الكبير، ومنه قولنا في الصلاة وغيرها: (الله أكبر). وقال النحاة: معناه الله أكبر من كل شيء، وظاهرهم كونه هنا أفعل التفضيل، وفي الخبر النهي عنه، وأنه يستلزم كون الأشياء حينئذٍ كبيرة أيضاً، مشاركة لله تعالى في الكبر والعظمة الا ان الله تعالى أكثر كبرا، وليس كذلك بل المعنى هنا: إن الله أكبر من أن يوصف، كما ورد في الخبر عن الصادق عليه السلام. ولكن قال المحققون: إن أكبر فيه أي في هذا التفسير الوارد في الخبر ليس أفعل تفضيل أيضاً، وليست (من) تفضيلية، بل أكبر هنا صفة مشبهة بمعنى الكبير، و(من) بمعنى (عن)،

إذ لا معنى لتفضيل الله تعالى على الوصف الحاصل من تأويل (أن) مع الفعل، أي الله كبير متجاوزاً عن كل شيء ومتعالياً عنه قدراً، ومثله قولنا: فلان أجلُّ من أن يقاس، وقولنا: الأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، والإنسان أعم من زيد، والاثنان أكثر من واحد ونحو ذلك، لعدم صحة معنى التفضيل في هذه المقامات كما لا يخفى. وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾[1] الكبار - بالتشديد - أكبر من الكبار بالتخفيف - وهو أكبر من الأكبر، والأكبر من الكبير، والكبرى مؤنث أكبر، قال تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾[2] أي العصا أو اليد البيضاء، و﴿يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾[3] أي نار جهنم التي هي أكبر من نار الدنيا، وجمعه الكبر - بالضم فالفتح - كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾[4]. ومن أسمائه تعالى المتكبر، قيل: هو ذو الكبرياء أي العظمة الكاملة، كما في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري)، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه، والتاء فيه للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي أو التكلف، وقيل: الكبرياء الملك فهو بمعنى مالك الملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بهما إلّا الله. وفي وصايا النبي ﷺ لأبي ذر: يا أبا ذر من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار، يا أبا ذر من مات وفي قلبه مثقال ذرة من الكبر لم يجد رائحة الجنة إلّا أن يتوب قبل ذلك، فقال رجل: يا رسول الله إني ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاقة سوطي وشراك نعلي

(١) نوح: ٢٢

(٢) النازعات: ٢٠

(٣) الأعلى: ١٢

(٤) المدثر: ٣٥

حسن، فهل يرهب علي ذلك. قال ﷺ: وكيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفاً بالحق مطمئناً إليه، قال: ليس ذلك بالكبر، ولكن الكبر أن تترك الحق وتتجاوزه إلى غيره، وتنظر إلى الناس ولا ترى أن أحداً عرضه كعرضك، ولادمه كدمك. يا أبا ذر أكثر من يدخل النار المتكبرون، وقال رجل: وهل ينجو من الكبر أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، من لبس الصوف، وركب الحمار، وحلب المعز، وجالس المساكين، يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر - يعني ما يشتري من السوق - يا أبا ذر من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، يا أبا ذر من رفع ذيله، وخصف نعله، وعفر وجهه فقد برئ من الكبر. وفي الخبر الآخر: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر) وفسر الكبر هنا بالجحود والشرك أيضاً كما جاءت به الرواية. والكبر من الأخلاق المذمومة في الإنسان، وعلاجه بما يعرف به الإنسان نفسه من أن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة، وأن آخره الموت، وأنه يعرض للحساب والكتاب والعقاب، فان كان من أهل النار فالخنزير خير منه، فمن أين يليق له الكبر وهو عبد مملوك لا يقدر على شيء. ولما كانت الصلاة أعظم العبادات، وهي مشتملة من تعظيم الله تعالى وتكبيره، والخضوع له والخشوع عنده بما لا يشتمله غيرها، فانها من الابتداء الى الانتهاء خضوع وانكسار وذلة، كما يظهر من ملاحظة حالة التكبير والقيام على كيفية خاصة في حضور الحق سبحانه، والركوع والسجود والقنوت والتشهد والسلام، وفي مجموع كل ذلك خضوع لا فوق له، فجعلت موجبة لتنزيه الإنسان عن صفة الكبر الذي هو أقبح الأخلاق الذميمة، بل هو موجب لدخول أكثر الناس في جهنم، والصلاة موجبة لزواله وخلاص الناس منه. ولذا أيضاً جعلت

الصلاة أفضل الأعمال، وجعل من فضلها أنها إن قبلت قبل سائر الأعمال أيضاً، كما ورد في الخبر: انها إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها. وفي الدرة النجفية:

إن الصلاة هي أفضل القرب
وأكمل الطاعات طرّاً وأحب
عمود هذا الدين والعنوان
لسائر الأعمال والميزان
إن قُبلت فخيرها بها قُبل
وإنْ تردَّ ردَّ كلُّ ما عُمل

الى أن قال:

فإنها قراءة وذكر
وإنها استكانة وشكر
فيها مثول العبد للمعبود
بين الركوع منه والسجود

و(الزكاة) قال بعضهم: أصلها النمو والزيادة والبركة من زكا الزرع والأرض يزكو ـ من باب قعد ـ إذا زاد، وسمي القدر المخرج من المال زكاة لأ نه سبب يرجى به الزكاة من باب تسمية السبب باسم المسبب. وزكّى الرجل ماله تزكية أخرج زكاته الشرعية، والاسم منه أيضاً الزكاة، والزكوي أي المنسوب الى الزكاة هو المال الذي يجب إخراج زكاته شرعا، ويقال: زكاه أيضاً إذا أخذ زكاته. والزكاة قسم من الصدقة، ولذا يقال تزكى بمعنى تصدق، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[1] أي أدى

(١) الأعلى: ١٤

زكاته مراداً بها زكاة البدن أي الفطرة أو زكاة المال، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[١] يحتمل الوجهين. والزكاة جاءت لغة بمعنى الطهارة أيضاً، وأصلها فعلة قلبت الواو ألفاً، والظاهر أنّ هذا المعنى هو الأظهر في وجه التسمية، فإن زكاة المال طهر للأموال، وزكاة الفطر طهر للأبدان، قال تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[٢] أي ما طهر، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[٣] أي الطهارة، وقيل: زكاة الرؤوس. وقوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[٤] أي طاهرة، و﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[٥] يحتمل الطهارة والنمو أيضاً، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٦] الضمير للنفس، وتزكيتها تطهيرها من الأخلاق الذميمة الناشئة من شره البطن والكلام والغضب ونحو ذلك، وفي الغريب: ﴿أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي ظفر من طهر نفسه بالعمل الصالح. وقد مرّ أن الزكاة كما أنها اسم للمال المخرج اسم من التزكية أيضاً، فهي من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل، فتطلق على العين وهي الطائفة من المال المزكى بها، وعلى المعنى وهو التزكية. قال في النهاية: ومن جهل بهذا البيان أي كون الزكاة اسماً للعين والمعنى، أتى من ظلم نفسه بالطعن على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[٧] ذاهباً إلى العين، وإنما المراد المعنى الذي هو التزكية. ويجيء زكّى بمعنى تمدح

(١) التوبة: ١٠٣

(٢) النور: ٢١

(٣) مريم: ٣١

(٤) الكهف: ٧٤

(٥) البقرة: ٢٣٢

(٦) الشمس: ٩ – ١٠

(٧) المؤمنون: ٤

أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1] ويمكن رجوعه إلى معنى الطهارة مع جعل التفعيل للنسبة. وبالجملة فالزكاة في الشرع اسم للمال المخصوص المعين إخراجه الثابت في المال أو الذمة، بشروط مخصوصة بدنية أو مالية، سُمّيت بذلك لأنها تستجلب البركة في المال والتنمية، وتطهر المال من الخبث، والنفس البخيلة من البخل، وتفيد النفس فضيلة الكرم والسخاوة، وتزيل عن النفس دنس الذنوب، كما أشير إلى بعض ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[2] على بعض التفاسير أي المضعفون للمال. وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3] و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[4] و﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[5] إلى غير ذلك، فيكون تزكيةً للنفس أي سبب التزكية أو مزكية، أو أنها نفس التزكية على سبيل المبالغة، ونماءً في الرزق والمال بأحد الوجوه الثلاثة الجارية فيما مرّ من الفقرات السابقة وما يأتي من اللاحقة. ويظهر من الفقرة الشريفة كون كلا المعنيين مأخوذاً في التسمية، وإن المناط في الحقيقة هو تزكية النفس أي تطهيرها، ولذا قدمت في الذكر بخلاف النماء بزيادة الرزق. قولها عليها السلام: (والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين). (الصيام) عبادة معروفة، وهو في الأصل لغة الإمساك والسكوت مطلقاً، يقال: صامت الريح صوماً إذا ركدت وأمسكت عن الهبوب وسكنت، وقال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام وكلام أو سير

(١) النجم: ٣٢

(٢) الروم: ٣٩

(٣) التوبة: ١٠٣

(٤) الشمس: ٩

(٥) المؤمنون: ٤

فهو صائم، قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

أي قيام بلا اعتلاف، وصيام في البيت جمع صائم كقيام وقائم، كما في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾(١) على وجه. والأصل صوام ـ بالواو ـ قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، ويجوز جعله مصدراً محمولاً على معنى الجمع كما في الآية أيضاً على وجه، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾(٢) أي صمتاً أو صوماً شرعياً، وكان الصمت حينئذٍ من شروط الصوم في ذلك الزمان، ثم أطلق الصيام والصوم شرعاً على الإمساك عن المفطرات المخصوصة مع النية. وفي النهاية: وفي الخبر أنه سئل عمن يصوم الدهر؟ فقال: لا صام ولا أفطر أي لم يصم ولم يفطر كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾(٣)، وهو إحباط لأجره على صومه حيث خالف الكتاب والسنة، وقيل: هو دعاء عليه كراهية لصنيعه.
و(التثبيت) إدامة الأمر وجعله مستقراً من ثبت الأمر ثبوتاً دام واستقر فهو ثابت، أو جعله صحيحاً من ثبت الأمر أي صح، ويعدى بالهمزة والتضعيف. وللصوم الشرعي فضائل مخصوصة ليست للصلاة، كما يظهر ممّا سيذكر، ولذا ورد في الحديث القدسي: (إن الصوم لي وأنا أجزي به)، قيل في وجه التخصيص أي تخصيص الصوم بذلك مع أن جميع الأعمال لله تعالى، وأنه تعالى يجزي الناس بها بأيدي الملائكة: إنه أمر عدمي لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من شوب الرياء وأقرب إلى

(١) النساء: ١٠٣
(٢) مريم: ٢٦
(٣) القيامة: ٣١

الإخلاص، فيكون قوله تعالى (أنا أجزي به) مبالغة في اكرام الصوم وأهله، أي أنا أباشر بنفسي لجزائه بلا إحالة أمره إلى الملائكة. ولما ذكر في وجه اشتماله على الإخلاص جعل الصوم في الفقرة الشريفة تثبيتاً للإخلاص أي موجباً لتشييد الإخلاص وإبقائه أو مظهراً له ولبيانه، ويؤيد الأخير أن في بعض النسخ: (تبييناً للإخلاص). وقيل في وجه اختصاص الصوم به تعالى وتخصصه بهذه الفضيلة: إنه موجب لضعف القوى البدنية، وكسر الشهوات النفسانية، أو باعث للتصفية والتخلية، وجلاء الحواس الظاهرية والباطنية عن الكدورات العرفية، أو أنه جهاد مع النفس وهو الجهاد الأكبر الذي أشير إليه في قوله ﷺ: قد رجعنا من الجهاد الأصغر - يعني المجاهدة الظاهرية مع المشركين والمنافقين - وبقي علينا الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ: جهاد النفس. أو أن الصوم من جهة اشتماله على الجوع يكسر سورة الشيطان وجنوده المفسدين في أرض البدن، كما ورد: (إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع) إلى غير ذلك. وقرئ قوله تعالى (أنا أجزى به) بصيغة المجهول، وعلى تقدير صحته يكون المعنى: وأنا جزاء صومه، من باب ما نسب إلى الحديث القدسي: (من أحبني عشقني ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديته). و(الحج) قد مرّت الإشارة إلى معناه اللغوي والشرعي، والمراد هنا هو معناه الشرعي. و(التشييد) من الشيد - بالفتح - بمعنى الرفع، أو من الشيد - بالكسر - وهو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط، يقال: شاده يشيّده شيداً رفعه أو جصصه بالشيد. و(قصر مشيد) أي مرفوع أو معمول بالشيد، والمشيد - بالتشديد - مبالغة منه، يقال: شيّده تشييداً بمعنى شاده، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشَيَّدَةٍ﴾[1] أي مرفوعة مطوّلة، أو مجصّصة مُحكمة، أو مزيّنة مزوّقة، وأشاد صوته بالشيء إشادة أي رفع صوته به، وأشاد بذكره إذا رفع من قدره، وقيل: أشدت بالشيء أي عرفته. قال في النهاية: وفي الحديث: (من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها يوم القيامة) يقال: أشاده وأشاد به إذا أشاعه ورفع ذكره. وكون الحج مُشِيداً للدين أي سبباً لتشييده، من جهة أنه زيارة بيت الله الحرام، وفيها زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، وسائر قبور الأئمّة الأنام عليهم السلام، أو أن أعمال الحج من البداية إلى النهاية حكاية لأحوال الموت والبرزخ ويوم القيامة، فيتذكر الحاج بتذكر تلك الحالات المقررة حالات النشأة الأخروية، فيتشيد به دين أهل الدين، ويتضح به سبيل اليقين، ويظهر هذا المعنى من ملاحظة أعمال الحج والعمرة وأسرارهما، وقد بيّناها على نحو التفصيل في رسالة على حدة، فمن لاحظها عرف كيفية الحالة. أو المراد أن تَحمِل المشاق في الحج، وبذل النفس والمال له، أدل دليل على ثبوت الدين أي الاعتقاد به، أو أن ذلك كله يوجب استقرار الدين في النفس، أو يوجب زوال صفة البخل، وحبّ جمع المال، وحبّ الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، وغير ذلك من الحكم التي لا نعرفها. ويحتمل أن تكون الفقرة إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من أن علة أصل تشريع الحج التشرف بخدمة الأئمّة عليهم السلام، وعرض النصرة عليهم، وتعلم الشرائع منهم في المعرفة والعبادة، ويمكن أن تكون جميع تلك الحكم ملحوظة. وفي بعض الروايات كرواية أحمد بن أبي طاهر وغيرها: (تسلية للدين) فلعل المعنى تسلية للنفس بتحمل المشاق، وبذل الأموال بسبب التقيد بالدين، أو المراد بالتسلية الكشف والإيضاح، فإنه يكشف الهموم

(١) النساء: ٧٨

والغموم فيتفرغ الإنسان لأمر الدين، أو المراد بالدين أهله فأسند إليه الفعل مجازاً، أو أن التسلية محرفة من التسنية بمعنى الرفع، كما وقع كذلك في بعض النسخ أي أن الحج يصير سبباً لرفعة الدين وعلوه. و(العدل) قد مرّت الإشارة إلى معناه، وهو مطلق الاعتدال في أمور الدين والدنيا، والمراد هنا الاعتدال في أمور الدين. و(التنسيق) التنظيم تفعيل من قولهم: نسقت الدر ـ من باب قتل ـ نظمته، ونسقت الكلام عطفت بعضه على بعض وهو أيضاً نوع من النظم، والمصدر النسق ـ بالفتح ـ، والاسم النسق ـ بالتحريك ـ ومنه حروف النسق لحروف العطف. وفي بعض النسخ: (مسكاً للقلوب) أي هو شيء يمسكها عن الانحراف، وفي القاموس: المُسكة ـ بالضم ـ ما يتمسك به، وما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب، والجمع مسك كصرد، والمَسَك ـ محركة ـ الموضع يمسك الماء. وفي رواية ابن أبي طاهر والكشف: (تنسكاً للقلوب) أي عبادة لها لأن العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح. وذكر العدل هنا بعد الحج مع عدم مناسبته لإقحامه بين الفروع، إنما هو من جهة أن المراد بالعدل هنا في المعنى هو الميل إلى أئمّة الهدى الموجب لانتظام القلوب واعتدالها في الاعتقاد، وهو إنما يحصل بالقول بأئمّة الهدى، والوصول والتشرّف إلى خدمة سادات الورى عليهم السلام، وذلك إنما كان يحصل في ضمن الحج، كما ظهر ممّا أشير إليه في كون الحج تشييداً للدين من دلالة بعض الأخبار على أن أصل تشريع الحج إنما كان للتشرف بخدمة أئمّة الدين عليهم السلام، إذ عند ذلك تنتسق القلوب، وتعتدل في الطريقة المستقيمة ولا تتخلف عن جادة الحقيقة، فيحصل من القلوب حينئذٍ الطاعة للأئمة عليهم السلام لما يرى منهم ما يوجب القول بولاية الأئمّة، وان بيدهم الخلافة الكبرى الدينية والدنيوية. وهذه الطاعة نظام

للملة إذ بها تنتظم أمور أهل الملة، وإلّا فتتشتت القلوب بالأهواء المختلفة إلى أئمّة الضلال الذين يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا يُنصرون، فيتيهون في أودية الحيرة والجهالة بخلاف إمامة أئمّة الهدى، فإنه أمان للناس من الفرقة ـ بضم الفاء ـ اسماً من فارقته مفارقة وفراقاً أي الافتراق في بوادي الغواية. و(الجهاد) مصدر من قولك: جاهد فلان يجاهد مجاهدة وجهاداً من الجهد بالفتح والضم ـ بمعنى الوسع والطاقة، وقيل: الضم في الحجاز والفتح في غيرهم، فالمجاهدة بذل الطاقة، وقرئ بالوجهين قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[1]. وقال الفراء: الجهد ـ بالضم ـ الطاقة وبالفتح المشقة، من قولك اجهد جهدك في هذا الأمر أي أوقع نفسك في المشقة، أو الجهد هنا بمعنى الغاية أي أبلغ غايتك، وجهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وفي الدعاء: (وأعوذ بك من جهد البلاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء) أي من مشقة البلاء، وفي الحديث: (المسكين أجهد من الفقير) أي أسوأ حالاً منه، ويقال: جاهد في سبيل الله مجاهدة وجهاداً أي بذل الوسع والمجهود بالمعنى المصدري لا المفعول فيما أمر به. وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2] أي في عبادة الله، قيل: وهو أن تعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ولذلك قال ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي جهاداً حقاً كما ينبغي بجذب النفس وخلوصها عن شوائب الرياء والسمعة مع الخشوع والخضوع. والجهاد مع النفس الأمارة واللوامة في نصرة النفس العاقلة المطمئنة وهو الجهاد الأكبر، ولذا ورد عن النبي ﷺ أنه رجع من بعض غزواته فقال: رجعنا من الجهاد الأصغر

---

(١) التوبة: ٧٩

(٢) الحج: ٧٨

وبقي علينا الجهاد الأكبر. وفي الخبر: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك). وفي الخبر: (أفضل الجهاد جهاد النفس) وهو قهرها وبعثها على ملازمة الطاعات، ومجانبة المنهيات ومراقبتها على مرور الأوقات، ومحاسبتها على ما ربحته وخسرته في دار المعاملة من السعادات، وكسر قوتها البهيمية والسبعية بالرياضات، كما قال تعالى: ﴿أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2]. قال الشيخ أبو علي: أي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا، وجاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا، وقيل: معناه اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة من عقابنا، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي السبل الموصلة إلى ثوابنا، وقيل: لنوفقنهم لازدياد الطاعات ليزداد ثوابهم، وقيل: معناه والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة، وقيل: معناه والذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم إلى مالاً يعلمون. والجهاد المقابل للحج جهاد مخصوص مع أعداء الدين، وله أحكام وشروط مخصوصة مذكورة في الكتب الفقهية، ومجمله بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان، وهو عز أي سبب عزة وغلبة وقوة للإسلام وأهله على المشركين والمنافقين. والاجتهاد المبالغة في الجهد والاجتهاد، ونقل في الاصطلاح إلى استفراغ الوسع فيما فيه مشقة لتحصيل ظن شرعي، وعرفوه بأنه استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي الفرعي عن الأدلة الشرعية، والمجتهد اسم فاعل منه، وهو العالم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية فعلاً أو بالقوة القريبة من الفعل. و(الصبر) من قولهم: صبرت صبراً ـ من باب ضرب ـ

(١) الشمس: ٩ - ١٠

(٢) العنكبوت: ٦٩

أي حبست النفس عن الجزع والاضطراب واصطبرت مثله، وصبرت زيداً يستعمل لازماً ومتعدياً أي حبسته ومنعته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾(١)، وصبرته - بالتثقيل - حملته على الصبر بوعد الأجر. وقتلته صبراً أي حبساً، وهو كل ذي روح يوثق حتى يقتل، وقيل: الصبر هو أن يقتل حيوان وعنده حيوان آخر ينظر إليه، وقيل: الصبر هو أن يحبس حيوان عن الأكل والشرب حتى يموت جوعاً وعطشاً، وقيل غير ذلك على ما فصلناه في بعض تحقيقاتنا، وعلى جميع المعاني يصح حمل قول زينب الكبرى عليها السلام في مقام الشكاية عن الظالمين من أهل الشام والكوفة في بعض الخطبة الشريفة بقولها: (قتلتم أخي صبراً). قيل: وأصل الصبر من الصَبِر ككتف وهو دواء مرّ معروف، لأن الصبر مرّ في مذاق النفس كالصَبِر، وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(٢) قيل: أريد به الصوم، وسمّي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح، وفي حديث الصوم: (صم شهر الصبر) وهو شهر رمضان. والصبر في الاصطلاح العرفي حبس النفس عن إظهار الجزع، وعن بعض الأعلام: هو حبس النفس على المكروه امتثالاً لأمر الله، وهو من أفضل الأعمال حتى قال النبي صلى الله عليه وآله: (الإيمان شطران شطر صبر وشطر شكر). وعن الصادق عليه السلام: (نحن صبرو شيعتنا أصبر منا، وذلك أنا صبرنا على ما نعلم و[هم] صبروا على ما لا يعلمون). والصبر يستعمل تارة بـ(عن) كما في المعاصي، وتارة بـ(على) كما في الطاعات، يقال: صبر عن الزنا وصبر على الصلاة، وقوله تعالى:

(١) الكهف: ٢٨

(٢) البقرة: ٤٥

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1] قال الشيخ أبو علي: هو إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى العدل والتوحيد، وأداء الواجبات والاجتناب عن المقبحات. وفي الحديث: (الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عمّا تحب) فالصبر الأول مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها وثباتها وعدم انفعالها، وقد يسمى به سعة الصدر وهو داخل تحت الشجاعة، والصبر الثاني مقاومة النفس لقوتها الشهوية، وهي فضيلة داخلة تحت العفة. ثم إن في تحمل المكروه امتثالاً لأمر الله، وفيه مقامات ثلاثة: الصبر، والشكر، والرضا، فالصبر أن يشق البلاء على النفس ومع ذلك يصبر ويتحمل، والشكر أن يكون وجود البلاء وعدمه عنده سواء فيشكر الله على كل حال، والرضا أن يكون حبه للبلاء أكثر من عدم البلاء لما يرى فيه من أن البلاء للولاء، ويجوز المبادلة بين المقامين الأخيرين في التسمية بالاسمين الأخيرين.

والصبور من أبنية المبالغة ومعناه قريب من الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة من صفة الصبور كما يأمنها من صفة الحليم، وفي الحديث: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه عن الله عَزَّوَجَلَّ) أي أشد حلماً عن فاعل ذلك في ترك المعاقبة عليه. والمراد من الصبر في الفقرة الشريفة الصبر على مضض الجهاد الأصغر ومشقاته خصوصاً، وعلى ما يشمل الجهاد الأكبر عموماً مع الصبر على مشقة فعل جميع الطاعات، وعن ترك لذائذ جميع السيئات، وكون الصبر معونة على استيجاب الأجر من أنه يتم به فعل الطاعات وترك السيئات. و(المعونة) من قولهم: استعان عليه به فأعانه، وقد يتعدى بنفسه فيقال: استعانه، والاسم المعونة مَفْعُلة ـ بضم العين ـ من العون بمعنى الظهر، وبعضهم يجعل الميم

(١) العصر: ٣

أصلية ويقال هو من الماعون وأنها فعولة. وفي الصحاح: المعونة الإعانة، تقول: ما عندك معونة ولا مَعانة ـ بالفتح ـ ولا عون، وفي الحديث: (تنزل المعونة على قدر المؤونة) وذلك لتكفل الله بالأرزاق. قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(١) أي على حوائجكم بالصبر على تكاليف الصلاة من الإخلاص ورعاية الآداب، وعلى الصلاة نفسها، أو المراد بالصبر هنا الصوم كما مرّ، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾(٢) أي ليستعن بعضكم ببعض في امتثال الأوامر والنواهي. و(الاستيجاب) هنا الاستحقاق، يقال: استوجبه أي استحقه من وجب الشيء وجوباً ـ كوعد ـ لزم، قاله الجوهري وغيره، والوجوب اللزوم والثبوت، ووجب البيع لزم، وأوجبه إيجاباً أي ألزمه، والإيجاب والوجوب متقاربان في المعنى. قال بعض الأفاضل: والفرق بينهما كالفرق بين الضارب والمضروب، فالضارب هو المؤثر للضرب والمضروب هو المؤثر فيه، فالضارب اسم اشتق للذات باعتبار معنى الضرب القائم بها، والإيجاب معناه التأثير، والوجوب هو حصول الأثر، فلما أوجب الله علينا شيئاً فوجب فالأول هو الإيجاب والثاني الوجوب، والموجب الملزم والباعث. وفي الدعاء: (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك) وأوجب الرجل إيجاباً إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة، ولا إله إلّا الله من الموجبات لأنها كلمة توجب الجنة، ومن نطق بها فقد أوجب أي نطق بالكلمة الموجبة. و(الأجر) كزجر جزاء العمل سواء كان أخرويا أو دنيوياً وكذا الأجرة، إلّا أن الأول خص بالأخروي والثاني بالدنيوي، وسواء كان من عقد أو من غير عقد، وقد يكنى بالأجرة عن مهر النكاح، والأجر أيضاً مصدر أَجَرَه ـ من باب

---

(١) البقرة: ٤٥

(٢) المائدة: ٢

نصر ـ إذا جزاه، وبمعنى الذكر الحسن، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾[1] وبمعنى المهر في عقد النكاح. قال في الأساس: ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾[2] أي تجعلها أجري على التزويج يريد المهر، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[3] كناية عن المهور. ويقال: أجره فلان أجرا أي صار أجيره، ومنه قوله تعالى حكاية عن شعيب لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾[4]، وأجره فلان أي أعطاه اجرته وبمعنى الإكراء، يقال: أجر المملوك أجرا إذا أكراه. والإجارة ـ بتثليث الهمزة ـ اسم لجزاء العمل كالأجر والإيجار ـ بكسر الهمزة ـ إعطاء الجزاء للعامل، يقال: آجره يؤجره إيجاراً إذا جزاه، وبمعنى الإكراء يقال: آجر المملوك إيجاراً إذا أكراه. والمؤاجرة على وزن المفاعلة الإكراء أيضاً، يقال: آجر المملوك مؤاجرة إذا أكراه، وآجر الأجير مؤاجرة أي صار أجيري، واستأجرت الأجير اتخذته أجيراً، واستأجرت الدار استكريتها، وذكر الصبر بعد الجهاد إشارة إلى لزومه في الجهاد، وإن بالصبر عليه وعلى سائر الطاعات ينال الأجر الأخروي.

(١) العنكبوت: ٢٧

(٢) القصص: ٢٧

(٣) النساء: ٢٥

(٤) القصص: ٢٧

وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازِينِ تَغْييراً لِلْبَخْسِ ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] وأطيعُوا اللهَ فيما أمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ ، فَإنَّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾[2].

■ العلّامة المجلسي:

وقاية من السخط.. أي سخطهما، أو سخط الله تعالى، والأول أظهر. منماة للعدد.. المنماة: اسم مكان أو مصدر ميمي.. أي يصير سبباً لكثرة عدد الأولاد والعشائر كما أن قطعها يذر الديار بلاقع من أهلها. تغييراً للبخس.. وفي سائر الروايات: للبخسة.. أي لئلّا ينقص مال من ينقص المكيال والميزان، إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلّا ينقصوا أموال الناس فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه. عن الرجس.. أي النجس، أو ما يجب التنزه عنه عقلاً، والأول أوضح

(١) آل عمران: ١٠٢

(٢) فاطر: ٢٨

في التعليل، فيمكن الاستدلال على نجاستها. حجاباً عن اللعنة.. أي لعنة الله، أو لعنة المقذوف أو القاذف، فيرجع إلى الوجه الأخير في السابقة، والأول أظهر، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]. ايجاباً للعفّة.. أي للعفة عن التصرف في أموال الناس مطلقاً، أو يرجع إلى ما مرّ، وكذا الفقرة التالية.

■ الأنصاري التبريزي:

(الأمر بالمعروف) قد علم فيما سبق مع النهي عن المنكر. و(المصلحة) بمعنى الخير، يقال: في هذا الأمر مصلحة أي خير ومنفعة، والجمع مصالح، وهو من صلح الشيء صلوحاً ـ من باب قعد ـ وصلاحاً أيضاً، وصلح ـ بالضم ـ لغة خلاف فسد، وصلح يصلح ـ بفتحتين ـ لغة ثالثة فهو صالح وأصلحته فصلح. ويقال: أصلح بمعنى أتى بالصلاح ـ بفتح الصاد ـ وهو الخير والصواب ضد الفساد، وصالحه صِلاحاً ـ بكسر الصاد ـ ومصالحة من باب قاتل أي أوقع فيما بينه وبينه الصلح، والصلح ـ بالضم ـ اسم منه يذكر ويؤنث، وصلاح اسم علم لمكة، وفي أخبارها:

أبا مطر هلم إلى صلاح
فتكفيك الندامى من قريش

وصالح المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] هو علي عليه السلام، كما ورد أنه لما نزلت الآية أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام وقال: أيها الناس هذا صالح المؤمنين. والإصلاح بين الناس التأليف بينهم

(١) النور: ٢٣

(٢) التحريم: ٤

بالمودة، وفي حديث الدعاء: (اللهم اجعل أول نهاري صلاحاً، وأوسطه نجاحاً، وآخره فلاحاً) أي صلاحاً في ديننا، وفي الحديث: (إذا ضللت الطريق فناد يا صالح أرشدنا إلى الطريق يرحمك الله)، وذلك لما روي أن البرّ موكل به صالح عليه السلام والبحر موكل به حمزة، وقيل: إن الموكل بالبر هو خضر عليه السلام وبالبحر هو إلياس عليه السلام. ويوم الجمعة يوم صالح أي صالح للعمل لتضاعف الأجر والحسنات فيه، والصلح جائز بين المسلمين إلّا ما حرّم حلالاً أو حلّل حراماً بمعنى الصلح الشرعي.

و(العامة) كافة الناس من العموم بمعنى الشمول ونحوه، يقال: عم المطر الأرض عموماً ـ من باب قعد ـ أحاطها وشملها فهو عام، والعامة خلاف الخاصة والجمع عوام مثل دابة ودواب، والنسبة إلى العامة عامي. والوجه في إطلاق العامة على خلاف الخاصة أن الرجل العامي لا يكون له قيد ومانع من الحركة إلى أي مكان شاء، والقيام والقعود في كل مقام أراد، فيكون له عموم بالنسبة إلى الأمكنة مثلاً، والخاص هو المخصوص بحال مخصوص لا غير مثلاً، أو أن إطلاق الخاص من جهة تعينه ومعروفيته والعام بخلافه، أو أن الخاص خاصة السلطان ونحوه والعام بخلافه، أو أن الخاص أفراد مخصوصون محصورون بخلاف العام فإن في أفراده كثرة وشيوعاً. والعامة تطلق على الواحد والاثنين والأكثر في المؤنث والمذكر، وهو اسم جنس حقيقة يقع على القليل والكثير كزنج وروم، ويقال في الواحد عامي كرومي وزنجي، إذ بياء النسبة أيضاً يفرق بين الجنس ومفرده، كما بالتاء حذفاً في نحو تمر وتمرة، وإثباتاً كما في نحو كمء وكمأة، والتاء فيها للمبالغة أو للتأنيث باعتبار موصوف مؤنث محذوف أي الطائفة العامة ونحو ذلك، ومثله الكلام في الخاصة. والخاصة تطلق على الشيعة أيضاً والعامة في مقابلهم أهل السنة

والجماعة، لأن الشيعة فرقة مخصوصة بالنسبة إلى العامة والعامة جماعة كثيرة، ولفظ العام خلاف الخاص لما في العام من العموم والإحاطة والكثرة بخلاف الخاص. والعِمامة - بالكسر - ما يلف على الرأس لإحاطتها به، يقال: كورت العمامة على الرأس أي لففتها عليه، والعمائم تيجان العرب وهي صورة تيجان الملائكة رآها النبي ﷺ ليلة المعراج، فأمر قومه أن يعمموا كذلك تشبيهاً بالملائكة، والعم أخو الأب كالعمة اخته لإحاطتهم بالشخص، والعم أيضاً الجماعة من الناس. وفي الخبر: (سهم المؤلفة [قلوبهم] والرقاب عام والباقي خاص) أي عام لمن يعرف ولمن لا يعرف، وخاص بمن يعرف لا غير، ولا يعذب الله العامة بعمل الخاصة أي لا يعذب الأكثر بعمل الأقل، وفي الحديث: (خذ ما خالف العامة) يعني أهل الخلاف فإن الرشد في خلافهم، وذهب عامة النهار أي جميعه. والمراد من العامة في الفقرة الشريفة جميع الناس، أي الأمر بالمعروف الذي قرره الله تعالى وأوجبه مصلحة للناس جميعاً، ولولا الأمر بالمعروف لاختل أمور الدين من جهة فساد الفاسقين والمفسدين من شياطين الإنس والجن، وأمور الدنيا أيضاً بوقوع الاختلال بين الناس، ولم ينتظم أمر المعاش الذي هو المقدمة لأمر المعاد، وكذلك النهي عن المنكر، وفي بعض النسخ بدل الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، وكل منهما مستلزم للآخر. و(البِر) بالكسر خلاف العقوق والمبرة مثله، تقول: بررت بوالدي - من باب علم - برّاً فأنا بَرّ به - بالفتح - وبار، وجمع البرِّ الأبرار وجمع البار البررة، وفلان يبر خالقه أي يطيعه، والأم برّة بولدها. وفي الحديث: (تمسحوا بالأرض فإنها بكم بَرَّة) أي مشفقة عليكم كالوالدة البرَّة بأولادها، يعني أنه منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم، وفي الحديث: (الأئمّة من قريش أبرار).

وحاصل معنى البر هو الإحسان والإفضال، ويختلف في كل مورد بحسبه، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، والبر فيه هو الاسم الجامع للخير كله دنيوياً وأخروياً، ومنه البر بمعنى الصلة. وبر الوالدين صلتهما، والإحسان إليهما، ورفع قدرهما، وتوقّي مكارمهما، وتوقي مكارههما، وملاحظة حقوقهما بخلاف عقوقهما المستلزم للإساءة إليهما، والتضييع لحقهما ولو بنسيانهما عن دعاء الخير بعد وفاتهما، كما ورد في الأخبار. ولبر الوالدين فضائل لا تحصى كثرة حتى ورد (أن الجنة تحت أقدام الأمهات)، وأن عقوق الوالدين مستلزم لعقوق الله تعالى، ومن برّ بوالديه وقاه الله من سخطه في الدنيا والآخرة، كما أشير إليه في الفقرة الشريفة. و(الوالدان) الوالد والوالدة أي الأب والأم من باب التغليب من ولده يلده ولادة، فالطفل مولود والأب والد والأم والدة، فيستند الولد من حيث التولد إليهما معا، ويقال: ولد الرجل المرأة طفلاً توليداً أي حصل له منها ولد، والولد ـ بفتحتين ـ كل ما ولده شيء، ويطلق على الذكر والأنثى والمثنى والمجموع، وجمعه أولاد، والولد وزان قفل لغة فيه، وقيس تجعل المضموم جمع المفتوح مثل أسد جمع أسد. والولادة وضع الوالدة ولدها، واستولد الرجل المرأة أي أحبلها، وأما أولد بمعنى استولد فلم يثبت وصرح بعضهم بمنعه، وأولدت المرأة إذا حان ولادتها مثل أحصد الزرع إذا حان حصاده، وولدتها القابلة توليداً باشرت لذلك، ومثل ولد الرجل غنمه توليداً كما يقال: نتج إبله نتجاً. وتولد الشيء من غيره نشأ عنه، وتوالدوا أي كثروا وولد بعضهم بعضاً، ولدة الرجل ـ بكسر اللام كعدة ـ تربه، والمولد موضع الولادة، وميلاد الرجل اسم الوقت الذي ولد فيه، والوليد أيضاً الصبي المولود القريب

(١) البقرة: ٤٤

العهد بالولادة، وإذا كبر فلا يقال له وليد، ويطلق الوليد على الغلام أيضاً، وجمعه مطلقاً ولدان كالوليدة للصبية والأمة والجمع ولائد. قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[1] أي صبيان، ومخلدون أي باقون ولدانا لا يهرمون، وهم إما أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات ولا سيئات، أوهم أطفال المشركين والكفار الذين ماتوا في حال الصغر، كما روي عن النبي ﷺ أنهم خدمة أهل الجنة. وإما أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا فالظاهر أنهم مخدومون في الجنة كآبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[2] فإنه ممكن العموم لذلك. ويحتمل أن تكون النسخة في قوله: (أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات ولا سيئات) أولاد أهل الدين الذين لم يبلغوا الحلم حتى تكون لهم حسنة أو سيئة، أوهم خدام أهل الجنة خلقوا لخدمتهم على صورة الولدان، وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[3] قيل: يعني آدم وذريته، وقيل: آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء، وفي حديث الاستعاذة: (ومن شر والد وما ولد) يعني إبليس وذريته. قال في المصباح في مادة بيض: ويحكى عن الجاحظ أنه صنف كتاباً فيما يبيض ويلد من الحيوانات فأوسع في ذلك، فقال له عربي: يجمع ذلك كله كلمتان: كل أذون ولود وكل صموخ بيوض، والمراد من الأذون صاحب الأذن والصموخ خلافه. و(الوقاية) بالكسر ما يوقى به الشيء عن الشيء، وفعالة شائع فيما يفعل به قياساً كالعمامة والستارة واللفافة ونحو ذلك، وفي الحديث: (اللهم اجعله وقاية لمحمد ﷺ أي حفظاً له، وهو من

---

(١) الواقعة: ١٧

(٢) الطور: ٢١

(٣) البلد: ٣

قولهم: وقاه الشيء أي حفظه منه. قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾[1] يتعدى إلى مفعولين على ما قيل، والظاهر أنّ المفعول الثاني يستعمل بعن إصالة، ويقال: اتقيته اتقاء، والأصل أو تقيته، وفي حديث علي عليه السلام: (كان إذا حمى البأس - أي اشتدّ الحرب - اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله) أي جعلناه وقاية لنا من العدو. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أي حقّ تقواه، والأصل وقاية كما أن أصل التقوى الوقوى كالدعوى، كما أن تترى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[2] أصله وترى قلبت الواو تاء للتخفيف من جهة ثقل الواو في أول اللفظ، ومنه تراث والأصل وراث، والتقية والأصل وقية. وتجيء الوقاية - بالكسر - مصدراً واسماً أيضاً والفتح لغة فيها مطلقاً، وقد تحذف التاء من الوقاية فيقال: الوقاء، ومن هذه المادة الأوقية، وهي واردة في الأخبار كثيراً مراداً بها أربعون درهماً. قال في الصحاح: وكذلك كان فيما مضى فأما اليوم فيما يتعارفها الناس ويقدر عليه الأطباء فالأوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم. وهو أستار وثلثا أستار، والجمع الأواقي مثل أثفية والأثافي، وإن شئت خففت الباء في المفرد والجمع أيضاً. وقال بعضهم: أوقية - بضم الأول وتشديد الياء - هي عند العرب أربعون درهماً في تقدير أُفعولة كالأعجوبة والأحدوثة، وقيل: سبعة مثاقيل والوقية - بالضم - أيضاً كذلك، قال المطرزي: وجرى على ألسنة الناس الفتح وهي لغة حكاها بعضهم، والتوقي التجنب، ومنه يتوقون شطوط الأنهار. وفي حديث علي عليه السلام: (توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره) وهو في معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : (اغتنموا برد الربيع فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل

(١) الإنسان: ١١

(٢) المؤمنون: ٤٤

بأشجاركم، واجتنبوا برد الخريف فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم). و(السخط) بالتحريك، وبضم أوله وسكون ثانيه: الغضب وهو خلاف الرضا، *يقال: سخط سخطاً ـ من باب تعب ـ كغضب لفظاً ومعنى فهو ساخط، يقال: سخطه وسخط عليه متعدياً بنفسه وب(على)، وأسخطه أغضبه فسخط أي غضب، وإذا أسند السخط إلى الله تعالى يراد به ما يوجبه السخط من العقوبة كنظائره على ما مرّت إليه الإشارة*. والمراد من السخط هنا الذي جعل بر الوالدين وقاية عنه يحتمل أن يكون سخطهما أو سخط الله سبحانه، والظاهر هو الثاني وإن سبق إلى بعض الأوهام أن الأول هو الأظهر. و(صلة الأرحام) قد مرّت إلى معناها الإشارة، والحاصل منها الإحسان إلى الأقرباء والعشائر، والإفضال لهم، والتعطف معهم ولو بإطعام أو سلام أو كلام، وحسن مقال وفعال، أو تفقد حال ونحو ذلك. ولهذا مراتب متدرجة بحسب حال الرحم قرباً وبعداً، وضعة وشرفاً، وعدلاً وفسقاً، وبحسب حال الواصل من حيث الفقر والغنى، والإمكان وعدم الإمكان، وملاحظة الأهم فالأهم، وبحسب نفس الإحسان قلة وكثرة، قولاً وفعلاً إلى غير ذلك، ولها تفاصيل شرعية ليس هنا محلها. و(المنماة) آلة النمو والزيادة والازدياد والبركة، والمراد هنا سبب النمو، وقيل: هو هنا اسم مكان أو مصدر ميمي وعلى أي حال فالمراد السببية، ثم المراد هنا من العدد ـ بالفتح ـ الكثرة إذ العدد لا يكون إلّا مع تعدد المعدود، والمقصود أن صلة الرحم مع إيجاب كثرة الحسنات وازدياد الدرجات في العقبى، يوجب كثرة الأموال والأولاد والعشائر والأعوان في الدنيا، ولهذا قال علي عليه السلام كما في نهج البلاغة: «ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده

عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة». وبالجملة فمع قطع النظر عن كل شيء فلا محالة انها توجب كثرة عدد الأولاد والعشائر كما أن قطعها يذر الديار بلاقع، على ما دل عليه الأخبار وشهد عليه الاعتبار، ويجوز أن يكون العدد في الفقرة الشريفة بالضم فالفتح بمعنى الاستعداد أو ما يتهيأ للذخيرة، فيكون كناية عمّا أشير إليه آنفاً. و(القصاص) بكسر القاف: القود، وقد أقص الأمير من فلان فلاناً إذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قوداً، ومنه القصاص الشرعي على الوجه المفصل في كتب الفقه، وأصله من قصصت الشعر ـ من باب قتل ـ قصصاً وقصّاً بمعنى قطعته، وطائر مقصوص الجناح أي مقطوعه ومفصوله، والمقص المقراض، وقصاص الشعر ـ بتثليث القاف ـ منقطع الشعر من الرأس والضم أفصح، وتقاص القوم إذا قاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره كأنه قطع منه بقدر حقه. والقصة ـ بالكسر ـ الأمر والشأن والحديث والجمع قصص ـ بالكسر ـ، وقص عليه الخبر أو الرؤيا قَصَصاً ـ بالتحريك ـ أي حدث به وبينه، وفي حديث الرؤيا: (لا تقصها إلّا على واد). وقص أثره واقتصه أي اتبعه كأنه يقطع أثره، والقصاص عن المقتول أخذ عوضه وبدله من القاتل كأنه يقطعه منه، أو لأن المقتص يتبع أثر الجاني فيفعل مثل فعله من الجرح والقتل. و(الحقن) بفتح الحاء: الحفظ، يقال: حقنت الماء في السقاء حقنا ـ من باب قتل ـ أي حفظته فيه وحبسته، ومنه قولهم: حقنت دمه خلاف هدرته كأ نك جمعته في صاحبه فلم ترقه، وحقن الرجل بوله: حبسه وجمعه فهو حاقن، ومنه الحديث: (لا يُصلِّ أحدكم وهو حاقن) أي حابس بوله، وحقنت المريض إذا أوصلت الدواء إلى باطنه من مخرجه بالمحقنه ـ

بكسر الميم - والاسم الحُقنة - بضم الحاء -. و(الدماء) جمع الدم، قال في الصحاح: وأصله دمو - بالتحريك - وإنما قالوا: دمي يدمي لحال الكسرة التي قبل الياء كما قالوا: رضي يرضى وهو من الرضوان، قال الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا
جرى الدميان بالخبر اليقين

وبعض العرب يقول في تثنيته: دموان، وقال سيبويه: الدم أصله دمي - بالتسكين - لأنه يجمع على دماء ودمي مثل ظبي وظباء وظبي، ودلو ودلاء ودلي، قال: ولو كان مثل قفا وعصا لما جمع على ذلك، وقال المبرد: أصله فعل - بالتحريك - وإن جاء جمعه مخالفاً لنظائره، والذاهب منه الياء، والدليل عليها قولهم في تثنيته: دميان. وبالجملة فالدماء جمع دم وأصله دماو أو دماي قلبت الواو أو الياء ألفاً ثم همزة لوقوعها بعد الألف الزائدة، والمصغر دمي، والنسبة إليه دموي أو دمي أو دمي، كما أن التثنية دموان أو دميان أو دمان، وهو اسم جامد لكن جاء منه الفعل المجرد كما أشير إليه، يقال: دمي يدمى فهو دام، وشجة دامية أي التي يخرج دمها ولا يسيل فإن سال فهي الدامعة، وأدميته أنا إذا جرحته حتى خرج منه الدم. قولهاعليها السلام: (والقصاص حقنا للدماء) أي أن الله جعله سبباً لحقن الدماء، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾(1)، قال أهل المعاني والبيان: وكلام الله هذا من باب إيجاز القصر الذي ليس فيه حذف، فإن معناه كثير ولفظه يسير، لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعياً أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم

(1) البقرة: ١٧٩

لبعض، وكان ارتفاع ذلك حياة لهم. وفضل هذا الكلام ورجحانه على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى، وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) بقلة حروف ما يقابله منه وهو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ لأن قوله: (لكم) لا مدخل له في المقابلة. ووجه القلة أن حروف قوله تعالى: (في القصاص حياة) أحد عشر إن اعتبر التنوين وإلّا فعشرة، وحروف (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر، والمعتبر الحروف الملفوظة لا المكتوبة لأن الإيجاز إنما يتعلق بالعبارة دون الكتابة، وفيه النص على المطلوب الذي هو الحياة. وفي تنكير حياة تعظيم عظيم لمنعه عمّا كانوا عليه من قتل جماعة بواحد، أو التنوين للنوعية وهي الحياة الحاصلة للمقتول والقاتل بالارتداع من القتل لخوف القصاص، وفي القصاص حياة مطرد أيضاً إذ الاقتصاص مطلقاً سبب الحياة بخلاف القتل، إذ القتل قد يكون أدعى للقتل وهو القتل الذي لا يكون على وجه الاقتصاص. وليس في الآية تكرير بخلاف قولهم المذكور، وفي الآية الجمع بين المتضادين أي القصاص والحياة، واشتمال القتل على الحياة أمر عجيب، إلى غير ذلك من وجوه الفضيلة التي ذكروها للآية بالنسبة إلى قولهم المذكور.

و(الوفاء) بالفتح ضد الغدر مصدر قولك: وفيت بالعهد أفي به وفاء، وأوفيت به إيفاء مثله، كما قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ شَرُّهُۥ..﴾[1]، قال بعض الأفاضل: قد تضمنت الآية المدح بالوفاء بالنذر والنذر سبب نزولها باتفاق الأمة، ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[2] التثقيل مبالغة وفى أي وفى بذبح ولده. وفي الحديث: سئل ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[3] قال:

(١) الإنسان: ٧

(٢) النجم: ٣٧

(٣) النجم: ٣٧

كلمات بالغ فيهن، كان إذا أصبح قال: أصبحت وربي محمود، أصبحت ولا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلها، ولا اتخذ من دونه ولياً. وقال الفارابي: أوفيته حقه ووفيته ـ بالتثقيل ـ أي أعطيته، وتوفاه الله: أماته من الوفاة بمعنى الموت، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1] والله هو المتوفى بصيغة الفاعل، والميت المتوفى بصيغة المفعول، وقال تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[2] أي يقبض أرواحكم. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾[4] أي مستوف أجلك أي إني عاصمك من أن تصلك الكفار، وموفيك إلى أجل أكتبه لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم، أو إني قابضك من الأرض إلى السماء. ووافيته موافاة: أتيته، وأوفى على الشيء: أشرف، ووفى الشيء أي تم وكثر، والأوفى: الأكمل، فوفاه حسابه أي أكمله واستوفاه، وفي الحديث: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5] والمكيال الأوفى كناية عن نيل الثواب الأوفى. واستوفيت عليه الكيل أخذته منه تماماً وافياً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[6] وكل هذه المعاني راجعة إلى مبدأ واحد كما لا يخفى على المتأمل. و(النذر) لغة الوعد من قولهم: نذرت لله كذا ـ من باب ضرب وقتل ـ نذراً، أو نذر ماله نذراً، وشرعاً التزام المكلف

---

(١) الزمر: ٤٢

(٢) السجدة: ١١

(٣) النحل: ٢٨

(٤) آل عمران: ٥٥

(٥) الصافات: ١٨٠ - ١٨٢

(٦) المطففين: ٢

بفعل أو ترك متقرباً، يقال: نذر على نفسه نذراً، وذلك كأن يقول: إن عافاني الله فلله علي صدقة أو صوم ممّا يعد طاعة، وفي الحديث: (لا نذر في معصية). قال بعض الأعلام: هو شامل لما إذا كان نذراً مطلقاً نحو: لله علي أن لا أتزوج مثلاً، ومعلقاً نحو: إن شفي مريضي فلله علي أن أصوم العيد، قال: وذهب المرتضى إلى بطلان النذر المطلق طاعة كان أو معصية وادعى عليه الإجماع، وقال: إن العرب لا تعرف من النذر إلّا ما كان معلقاً كما قاله تغلب، والكتاب والسنة واردان بلسانهم، والنقل على خلاف الأصل. قال: وقد خالفه أكثر علمائنا وحكموا بانعقاد النذر المطلق كالمعلق، ثم نقل ما تمسكوا به على ذلك ورده، ثم قال: وبالجملة فلا دلالة فيه على ما ينافي مذهب السيد بوجه، ويجوز أن يراد بالنذر هنا المعنى اللغوي والشرعي فإن كلّاً منهما نوع سبب للمغفرة أي لأن يغفر الله ذنوب الناذر، فإن الحسنات يذهبن السيئات، والتخصيص بالنذر لعله من جهة زيادة مدخلية الوفاء بالنذر والعمل على طبقه في المغفرة. و(التعريض) تفعيل من قولهم: عرض له أمر كذا أي ظهر، وعرضت عليه أمراً كذا أي أظهرته عليه فأعرض أي ظهر، وعرَّضت له الشيء تعريضاً أي أظهرته له وأبرزته إليه، ويقال: عرضت له ثوباً مكان حقه، وعرضتهم على السيف أي جعلتهم في معرضه، ومن هذا المعنى التعريض للمغفرة، فإن النذر يعرض الإنسان على المغفرة أي يجعله في معرضها فتعرض المغفرة له وتحيط به، ويتفرع على المعنى السابق قولهم: عرض العود على الإناء أي وضعه عليه بالعرض. و(التوفية) الإكمال، وقد مرّت الإشارة إلى معنى هذه المادة. و(المكائيل) جمع المكيال وهو آلة الكيل من كلت زيداً الطعام كيلاً - من باب باع - يتعدى إلى مفعولين، وقد تدخل اللام على المفعول الأول فيقال: كلت

له الطعام، والاسم الكيلة ـ بالكسر ـ كالجلسة والركبة، ومنه المثل: أحشفاً وسوء كيلة أي أتجمع أن تعطيني حشفا وأن تسيء إلي الكيل. والمكيال ما يكال به والجمع مكائيل ـ كما ذكر ـ والكيل مثله والجمع الأكيال، واكتلت منه وعليه إذا أخذت وتوليت الكيل بنفسي، يقال: كال الدافع واكتال الآخذ، قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾[1] والدافع المباشر للكيل كائل والآخذ حينئذٍ مكيل بخلاف الآخذ المباشر للكيل فإنه مكتال. ومنه قولهم: كما تكيل تكال وكما تدين تدان، ونظير المكائيل فيما ذكر الموازين جمع الميزان وأصله موزان، وعن أبي عبيدة أنه قال: والذي يعرف به أصل الكيل والوزن أن كل ما لزمه اسم المختوم والقفيز والمكوك والصاع والمد فهو كيل أي مكيل بالمكيال، وكل ما لزمه اسم الأرطال والأمناء والأواقي فهو وزن أي موزون بالميزان. وفي الحديث النبوي ﷺ: (المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة). قال: وأصل التمر الكيل فلا يجوز أن يباع وزناً بوزن، لأنه إذا رد بعد الوزن أي الكيل لم يؤمن فيه التفاضل، وكل ما كان في عهد النبي ﷺ بمكة والمدينة مكيلا فلا يباع إلّا بالكيل، وكل ما كان بهما موزوناً فلا يباع إلّا بالوزن لئلّا يدخله الربا بالتفاضل، وهذا في كل نوع يتعلق به أحكام الشرع من حقوق الله تعالى دون ما يتعامله الناس في بياعاتهم. فأما المكيال فهو الصاع الذي يتعلق به وجوب الزكاة والكفارات والنفقات وغير ذلك، وهو مقدر بكيل أهل المدينة دون غيرها من البلدان لهذا الحديث، وهو مفعال من الكيل والميم للآلة، وأما الوزن فيريد به الذهب والفضة خاصة لأن حق الزكاة يتعلق بها، ودراهم أهل مكة ستة دوانيق

(١) المطففين: ١ - ٣

ودراهم الإسلام المعدلة كل عشرة سبعة مثاقيل، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم رسول الله ﷺ بالعدد فأرشدهم إلى وزن مكة. وأما الدنانير فكانت تحمل إلى العرب من الروم إلى أن ضرب عبد الملك بن مروان في أيامه دراهم معلومة، وأما الأرطال والأمناء فللناس فيها عادات مختلفة في البلدان فهم معاملون ومجرون عليها، كذا ذكر بعضهم، والظاهر أنّ الكيل كان قديماً متداولاً من عهد آدم عليه السلام. واما الميزان فروي أن جبرئيل نزل به في عهد نوح عليه السلام، فدفعه إليه وقال: مرّ قومك يزنوا به، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[1] قال الشيخ أبو علي: قيل معناه أن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لا ظلم فيها، وقيل: إن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات. ثم اختلفوا في كيفية الوزن، لأن الأعمال أعراض لا يجوز وزنها، فقيل: توزن صحائف الأعمال، وقيل: تظهر آثار الحسنات والسيئات في الكفتين فيراها الإنسان، وقيل: تظهر الحسنات في صور حسنة والسيئات في صور سيئة، وقيل: يوزن نفس المؤمن ونفس الكافر، وقيل: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة. قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[2] قيل: هو الميزان الظاهري ليتوصل به إلى الإنصاف، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3] قيل: أريد الأنبياء والأوصياء، وفي الحديث: (الصلاة ميزان فمن وفى استوفى) وكأنها ميزان الأعمال كما أشير إليه سابقاً من أنها:

(١) الأعراف: ٨

(٢) الرحمن: ٧

(٣) الأنبياء: ٤٧

إن قـــبـلـــت فـــغـــيـــرهـــا بـــهـــا قـبـل
وإن تـــــرد رد كــــــل مــــــا عــمــل

على ما ورد في الأخبار. و(التغيير) إزالة الشيء عن حاله ومكانه وتبديله بأي وجه كان، من غيرته تغييراً فتغير، مأخوذ من الغير لكون الحال الثاني مثلاً غير الأول. و(البخس) بتقديم الباء على وزن فلس، هو النقص وبمعنى الناقص أيضاً مصدراً وصفة، وقد بخسه حقه بخساً كمنعه إذا نقصه، ويقال: بيع لا بخس ولا شطط أي قصد لا نقيصة فيه ولا زيادة، ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[1] أي ناقص، ويقال أيضاً بخسه أي عابه، وفي المعنى الأول يتعدى إلى مفعولين، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[2] وفي بعض النسخ بدل البخس: البخسة، ولا يتفاوت المعنى. والمراد من الفقرة الشريفة أن الله تعالى أمر بتوفية المكائيل والموازين لأنها مزيلة ومغيرة للبخس، أي أنها مقدرة من جانب الله سبحانه لئلّا ينقص مال من لا ينقص المكيال والميزان، إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلّا ينقصوا أموال الناس فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه، أو لئلّا ينقص بنقص المكيال والميزان موازين حسناتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[3]. و(النهي) خلاف الأمر وهو المنع والزجر وأصله التحريم، يقال: نهيته عنه نهياً فانتهى أي كف، ونهوته نهواً لغة، ويقال: إنه لأَمُور بالمعروف ونَهُوٌّ عن المنكر، ويطلق على العقل النُّهية ـ بضم النون ـ لأنه ينهى عن القبيح، والجمع: النهى. ونهاية الشيء أقصاه لنهيه عن الوصول إليه ثم أطلق لكل نهاية،

---

(١) يوسف: ٢٠

(٢) الشعراء: ١٨٣

(٣) المطففين: ١

ومنه نهايات الدار لحدودها، وتناهى الماء إذا وقف في الغدير، وتناهى الأمر أي بلغ النهاية، وانتهى الأمر إلى الحاكم أعلمته به لأن الخبر ينتهي إليه، والإنهاء: الإبلاغ، ويقال: فلان ناهيك من رجل كما تقول: حسبك من رجل. و(الشرب) بالضم اسم من شربت الماء أو غيره من المائعات شرباً ـ بالفتح ـ كما في المصباح، من باب علم، وقيل: الضم أيضاً لغة في المصدر، ولا يقال في الطائر شرب الماء بل يقال: حساه حسواً، كما يقال: عب الماء عباً وهو الشرب بلا مص، والظاهر اختصاص الشرب بما كان بالمص وقد يستعمل في غيره مجازاً. والشرب ـ بالكسر ـ الحظ والنصيب من الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾[1] وأشربته: أسقيته، و﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾[2] أي حب العجل. وفي الخبر: (من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة)، قيل: هذا من باب التعليق في البيان، أراد أنه لم يدخل الجنة لأن الخمر من شراب أهل الجنة، فإذا لم يشربها في الآخرة لم يكن دخل الجنة. وفي الحديث نهى عن الشرب قائماً، قيل: هو للتنزيه لأن أعضاء القائم ليست مطمئنة ساكنة، فربما انحرف الماء عن موضعه المعلوم من المعدة فيؤذي، وفي رواية أخرى عن علي عليه السلام أنه كان يشرب الماء وهو قائم، وعن الصادق عليه السلام انه قال: (الشرب قائماً أقوى لك وأصح). وحمل الخبر الأول الناهي عن الشرب قائماً على الشرب في الليل، والثاني المرجح للشرب قائماً عليه في النهار، ولعل الوجه أن أصل الشرب قائماً أفضل، لكن لو شرب في الليل قائماً فربما كان فيه عقرب أو غيره ممّا يسقط فيه في الليل من السوام، فربما يشربه

(١) الشعراء: ١٥٥

(٢) البقرة: ٩٣

فيؤدي إلى ضرره وإهلاكه، فإذا قعد يرى غالباً بنور السراج وغيره الماء فيرى ما سقط فيه، وهذا من باب الحكمة لا العلة. و(الخمر) هو المسكر المعروف المائع المأخوذ من ماء العنب، قال ابن الأعرابي: سُمّيتِ الخمر خمراً لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغيُّر ريحها، وقيل: سُمّيت بذلك لمخامرتها العقل، وقيل: أصل الخمر بمعنى الستر وسمي الخمر خمراً لسترها العقل، ومنه الخمار ـ بالكسر ـ للمقنعة لستره رأس المرأة. والخمار بقية السكر، ويقال: ما عند فلان خل ولا خمر أي خير ولا شر، والخمير: الدائم الشرب، والخمّار: بياع الخمر، والخُمرة ـ بالضم ـ ما يجعل فيه الخمر، وأخمرت الشيء: أضمرته، وخمر عني فلان ـ من باب قتل ـ إذا توارى، وخمّرتُ الإناء تخميراً أي غطيته. وبالجملة فالخمر على قول هو المخصوص بالعصير العنبي، وأما المسكر المعمول من غيره فيقال له النقيع في الزبيب والبتع ـ بتقديم الباء المكسورة ـ في العسل، والجعة ـ بالكسر ـ في الشعير، والمزر ـ بتقديم الزاء مع كسر الميم ـ في الحنطة، والنبيذ في التمر، والفضيخ في البسر، إلى غير ذلك من الأسماء المخصوصة. واشتهر بينهم أن الخمر هو كل شراب مسكر مطلقاً ولا يختص بعصير العنب، وعن القاموس: إن العموم أصح لأنها حُرِّمت وما في المدينة يومئذٍ خمر عنبي، وما كان شرابهم إلّا من التمر أو البسر. وفي الرواية عن الصادق عليه السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخمر من خمسة: العصير من الكرم، والنقيع من الزبيب، والبتع من العسل، والمزر من الشعير، والنبيذ من التمر. وفي الكافي بسند صحيح عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: إن الله لم يحرم الخمر لاسمها ولكن حرمها لعاقبتها، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر. وفي الخبر الآخر: الفقاع خمر استصغره الناس. و(الرجس) بكسر

الراء القذر والمنتن أو كل ما يجب التنزه عنه، وقال الفارابي: كل شيء يستقذر فهو رجس، قال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[1] أي نتناً إلى نتنهم، أو القذارة على القذارة من حيث المراتب الظاهرية والباطنية. وقيل: الرجس هو النجس، وقيل: بل الرجس أعم من النجس لأن النجس هو القذر الخارج من بدن الإنسان، والرجس مطلق كالقذر، ورجس رجساً ـ من باب تعب وقرب أيضاً ـ أي صار قذراً، وقد يعبر بالرجس عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر ونحو ذلك. وهذه كلها معان حقيقية له إن كان الرجس بمعنى ما يجب التنزه عنه مطلقاً، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[2] أي فعل قبيح أو شيء نجس أو نحو ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3] قال الفراء: المراد به العقاب والغضب، وهو مضارع لقوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[4]، قال: ولعلهما لغتان بدلت السين زاء كما قيل الأسد للأزد، وقيل: المراد بالرجس في الآية اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولو فسر الرجس بمعنى النجس والقذر الظاهري أمكن أن يستدل بالفقرة الشريفة على نجاسة الخمر. و(الاجتناب) والتجنب والاحتراز من جنبت الرجل شراً ـ من باب قعد ـ أبعدته عنه، وجنبته ـ بالتثقيل ـ مبالغة فيه، وأصل المادة هو الجنب وهو طرف الإنسان أي ما تحت إبطه إلى الكشح فما دون، والشخص إذا تجنب الشيء الآخر بعده عن جنبه وإلى جنبه،

---

(١) التوبة: ١٢٥

(٢) المائدة: ٩٠

(٣) يونس: ١٠٠

(٤) المدثر: ٥

ومنه الجانب أيضاً للناحية، والأجنب والأجنبي للأبعد من الإنسان أي الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكذا الجنيب والجنيبة للفرس الذي يقاد ونحو ذلك، وكذا الجنب ـ بضمتين ـ بمعنى البعيد. ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾[1] أي عن مكان بعيد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2] ولعل منه الجنب لذي الجنابة المعروفة من جنب كقرب وأجنب كأبصر، والجنابة هي النجاسة المعروفة الوهمية أي الباطنية الحاصلة من خروج مني أو جماع، قيل: وسمّي الجنب جنبا لاجتنابه موضع الصلاة، ويستوي في لفظ الجنب المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجماعة. و(القذف) رمي الغير بالفاحشة، وأصله الرمي بشيء مطلقاً أو رمياً مع قوة، يقال: قذفت بالحجارة قذفاً ـ من باب ضرب ـ رميت بها، يقال: هم بين حاذف وقاذف، فالحاذف بالعصا والقاذف بالحجارة، وقذفت الحائض الدم أي رمته. وفي الخبر: (إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً) أي يلقي ويوقع، وقذف الرجل أي قاء كأنه رمى بالقيء من باطنه إلى الخارج، والقذيفة: القبيحة وهي الشتم، وقذف بقوله: تكلم من غير تدبر ولا تأمل. و(الحجاب) بالكسر: الستر كذلك، وهو ما يحجب به كاللباس والنظام والكتاب والقوام ونحو ذلك من حجبه حجباً ـ من باب قتل ـ منعه، إذ الحجاب يمنع المشاهدة، وقيل للبواب حاجب لأنه يمنع الدخول. والأصل في الحجاب جسم حائل بين جسدين، وقد استعمل في المعاني أيضاً، فقيل: العجز حجاب بين الإنسان وبين أمره ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وبين ربه، وجمعه حجب ككتاب وكتب، واحتجب الملك عن الناس أي استتر، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ

(١) القصص: ١١

(٢) القصص: ١١

﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[1] وكذا في حديث الصلاة، أي حتى غابت الشمس في الأفق واستترت به. وفيه: إن الله يغفر للعبد ما لم يقع الحجاب، قيل: يا رسول الله وما الحجاب؟ قال: أن تموت النفس وهي مشركة. كأنها حجبت بالموت مع الشرك عن الإيمان، ويجوز أن يكون الموت هو الحجاب لكونه حجاباً عن الرجوع إلى الدنيا، أو حجاباً عن أن يكون إيمانه نافعاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾[2]. ومنه: (من اطلع الحجاب واقع ما وراءه) أي إذا مات الإنسان رأى ما وراء الحجابين: حجاب الجنة وحجاب النار، وقيل: اطلاع الحجاب مد الرأس، لأن المطالع يمد رأسه ينظر من وراء الحجاب وهو الستر، وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾[3] أي بين الجنة والنار أو بين أهلهما يعني سور أو حجاب حاجز. وفي الحديث: (حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات) أي لا يوصل إلى الجنة إلّا بارتكاب المكاره، والنار إلّا بالشهوات، وقد روي (حفّت الجنة بالمكاره)، وهذه الرواية أيضاً مشهورة، وضمنه الشاعر اقتباساً في قوله:

قال لي إن رقيبي ... سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك الجـ ... ـنة حفت بالمكاره

و(اللعن) هو الطرد مطلقاً، والعرب تقول لكل كريه ملعون، والاسم اللعنة، ورجل لعنة كهمزة لمزة: يلعن الناس كثيراً، واشتهر اللعن في

(١) ص: ٣٢
(٢) غافر: ٨٥
(٣) الأعراف: ٤٦

الطرد عن الرحمة، وقوله تعالى: ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾[1] أي طردناهم عن الرحمة بالمسخ، و﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾[2] أي أبعدهم وطردهم من الرحمة. والشجرة الملعونة في القرآن أي الملعون أهلها، وقوله تعالى: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[3] قيل: إن الاثنين إذا تلاعنا وكان أحدهما غير مستحق للعن رجعت اللعنة على المستحق لها، فإن لم يستحق لها أحد رجعت اللعنة إلى اليهود، والرجل لعين وملعون والمرأة لعين أيضاً وملعونة. وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون كل جسد لا يزكى ولو في أربعين يوماً مرة، ثم قال لأصحابه: أتدرون ما عنيت؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: الرجل يخدش الخدشة، وينكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضة، ويشاك الشوكة، وما أشبه هذا. وقوله ملعون أي ملعون صاحبه أي مطرود مبعد عن رحمة الله. والملاعنة المباهلة ومنه اللعان، وهو في اللغة الطرد والبعد، فإن أحدهما لابد أن يكون كاذباً فيلحقه الاسم، وشرعاً المباهلة بين الزوجين في إزالة حد، أو نفي ولد بلفظ مخصوص، وفي الحديث: (اتقوا الملاعن الثلاث) جمع ملعنة، وهي الفعلة التي يلعن بها فاعلها كأنها مظنة اللعن ومحل له، وهو أن يتغوط الإنسان على قارعة الطريق، أو ظل الشجرة، أو جانب النهر، فإذا مرّ بها الناس لعنوا فاعلها. وجاء اللعن بمعنى السب أيضاً، وهو متفرع من المعنى الأول، والمراد من اللعنة في الفقرة الشريفة لعنة الله أو لعنة القاذف والمقذوف، والأول أظهر لقوله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا

(1) النساء: ٤٧
(2) البقرة: ٨٨
(3) البقرة: ١٥٩

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾(١). و(السرقة) ككلمة ويجري فيها اللغات الجارية في الكلمة: مصدراً واسم مصدر من قولك سرقته أو سرقت منه مالاً من باب ضرب سَرَقا ـ بالتحريك ـ، يتعدى إلى الأول بنفسه وبالحرف على الزيادة. وسرق السمع واسترقه بمعنى سمعه مستخفياً مجاز لتشبيهه بما يفعله السارق، وسرقه ـ بالتضعيف ـ أي نسبه إلى السرقة، وقرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾(٢) بصيغة الفاعل والمفعول أي معلوماً ومجهولاً. و(الإيجاب) الإثبات، وقد مرّت الإشارة إلى معنى هذه المادة والمراد هنا السببية. و(العفة) بكسر العين وتشديد الفاء من قولهم: عف الشيء يعف عفة أي كف عنه كالتعفف، والمراد هنا الكف عن الحرام وعمّا يكره مطلقاً كالسؤال ونحوه، وأعفه: كفه. وفي حديث الدعاء: (اللهم إني أسألك العفة والغنى) وعفة الفرج صونه عن المحرمات، ومنه: (اللهم حصن فرجي) والاستعفاف طلب العفة أو هو مبالغتها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾(٣) أي سبب النكاح ومقدمته وهو المهر والنفقة. وفي الخبر: (أفضل العبادة العفاف) بالفتح أي العفة، وفيه أيضاً: (من يستعفف يعفه الله) أي من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها، وأصل العفة والاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء، والمرء عفيف وعف ـ بفتح العين ـ والمرأة عفيفة وعفة. والمراد من العفة هنا العفة عن التصرف في أموال الناس مطلقاً، أو العفة عن المكاره الدنيوية والأخروية الواردة عليه من جهة السرقة، وفي الكشف بعد قوله للعفة: (والتنزه عن أموال الأيتام، والاستيشار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل

(١) النور: ٢٣
(٢) يوسف: ٨١
(٣) النور: ٣٣

في الأحكام إيثار للرعية)، والمراد من الاستيشار طلب المشورة في حفظ فيئهم أي ضبط نصيبهم من الفيء. و(التحريم) هو جعل الشيء ممنوعاً منعاً لازماً يوجب فعله العقاب. و(الشرك) هو نوع مخصوص من الكفر على ما مر، فإن من لم يشرك بالله قد أخلص لله الربوبية، وكان ممن يعبد الله مخلصاً له الدين، وفي بعض النسخ: (وحرم الشرك) وفي الكشف بدل تحريم الشرك التنزيه عن الشرك، والكل واضح. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[1] المفعول المطلق هنا نوعي أي تقاة حق التقاة، وهو نظير اضرب ضرب الأمير، والمراد من حق التقاة التقاة الكاملة التي لا مسامحة فيها. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] أي لا يدرككم الموت إلّا في حال إسلامكم أي لا ترتدُّوا عن الإسلام بعد النبي ﷺ، فيدرككم الموت وأنتم في غمرة الارتداد ساهون، وعن طريق الحق ضالون، وعن الصراط ناكبون. وهو إشارة إلى ما ورد أنه: ارتد الناس كلهم بعد النبي ﷺ إلّا أربعة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، أو إلّا الثلاثة كما في بعض الأخبار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[3]. ﴿واطيعوا الله فيما أمركم به﴾ بلسان رسوله ﷺ ونهاكم عنه بقوله، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[4] فإنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[5] أي الذين علموا به وبأحكامه وبصفات جلاله وإكرامه، فإن من كان علمه أكثر كانت خشيته أكثر.

---

(١) آل عمران: ١٠٢

(٢) آل عمران: ١٠٢

(٣) آل عمران: ١٤٤

(٤) الحشر: ٧

(٥) فاطر: ٢٨

والمراد أن الخشية الكاملة هي وظيفة العلماء إذ لا خشية إلّا بقدر العلم والمعرفة.

ثُمَّ قالت: أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أقُولُ ما أقُولُ غَلَطاً، وَلا أفْعَلُما أفْعَلُ شَطَطاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صَلى الله عليه و آله. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ،

■ القاضي النعمان:

قولها: فإن تعزوه: من اعتزى، والاعتزاء: الاتصال في الدعوة، إذا كانت حرب. فكل من ادعى في شعاره أنا فلان بن فلان أو فلان الفلاني فقد اعتزى إليه.

قال نصر بن سيار: فكيف وأصلي من تميم وفرعها إلى أصل فرعي

(١) التوبة: ١٢٨

واعتزاي اعتزاؤها وقولها: صادعاً بالرسالة. من قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾. يقال منه: صدع الرجل بالحق إذا تكلم به جهاراً. وقولها: مائلاً عن مدرجة المشركين. أي عن طريق الباطل الذي هم عليه. والمدرجة: ممر الإنسان على مسلك الطريق. وكذلك مدارج الريح. يقال: ريح دروج: وهي التي تؤثر في الأرض خطوطاً كالطريق. قال العجاج: أمثالها في الراسيات مدرجة وقولها: ضارباً ثبجهم. الثبج: أعلى الكاهل. والكاهل: أصل العنق تعني ضرب رقابهم. وقولها: آخذا بأكظامهم. الكظم مخرج النفس. يقال منه: قد غمه الشيء فأخذ بكظمه. فما يقدر أن يتنفس فهو مكظوم. وكظيم: أي مكروب. وقولها: يجذ الهام. تقول: بقطع الرؤوس. والجذ: القطع المستأصل الوحي والكسر للشيء الصلب. وقولها: يكب الأصنام. تقول: يكفئها على وجوهها. وذلك كسره صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إياها وقلبه لها عن مواضعها التي كانت فيها على الكعبة وغيرها. وقولها: ونطق زعيم الدين. الزعيم هاهنا الذي يسود قومه. يقال منه: زعم يزعم زعامة: اي صار لهم زعيماً ولذلك قيل للكفيل زعيم، كأنه ساد من كفل به. وعنت صلوات الله عليها بزعيم الدين: رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، تقول: إنه نطق بالرسالة وبما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إليه من القرآن. وقولها: خرست شقاشق الشياطين. الخرس: ذهاب الكلام وذهاب الصوت من الشيء. يقال منه: كتيبة خرساء: إذا لم يسمع لها صوت ولا جلبة، وعلم أخرس: إذا لم يسمع صوت صدى. والشقاشق: جمع شقشقة، وهي التي يغط بها البعير، وتخرج من شدقه إذا هدر. وإذا نحر لم توجد كذلك، وإنما هي لحمة في آخر فيه تنتفخ إذا هاج وتمتد حتى تخرج من حلقه، فإذا سكن انفشت. والناقة تهدر ولا تغط، لأنه لا شقشقة لها تمتد كذلك إذ لا تهيج، فضربت ذلك مثلاً لصولة الكفار وانقطاعها برسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . والشياطين جمع الشيطان،

على قدر فيعال. يقال منه: تشيطن الرجل، وتشطن: أي صار شيطاناً، وفعل فعله. وقولها: فهتم بكلمة الإخلاص. يقال منه فاه الرجل بالكلام: إذا لفظ به، وهو يفوه به شعر، وما فاهوا به ولهم مقيم. ورجل مفوه: قادر على الكلام.

■ العلّامة المجلسي:

في الكشف ـ بعد قوله ـ للعفة: والتنزه عن أموال الأيتام، والاستئثار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناساً للرعية، والتبري من الشرك إخلاصاً للربوبية. عوداً وبدءاً.. أي أولاً واخراً، وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره: أقول عوداً على بدء.. والمعنى واحد. والشطط ـ بالتحريك ـ البعد عن الحق، ومجاوزة الحد في كل شيء. وفي الكشف: ما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.. أي لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية بل عن نكاح طيب، كما روي عن الصادق عليه السلام، وقيل: أي من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني إسماعيل. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.. أي شديد شاق عليه عنتكم، وما يلحقكم من الضرر بترك الايمان أو مطلقاً. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾.. أي على إيمانكم وصلاح شأنكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.. أي رحيم بالمؤمنين منكم ومن غيركم، والرأفة: شدة الرحمة، والتقديم لرعاية الفواصل. وقيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين. وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه. وقيل: رؤوف بمن رآه رحيم بمن لم يره، فالتقديم للاهتمام بالمتعلق. فإن تعزوه.. يقال: عزوته إلى أبيه.. أي نسبته إليه، أي إن ذكرتم نسبه وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمي، فالأخوة ذكرت استطراداً، ويمكن أن يكون الانتساب أعم من النسب، ومما طرأ أخيراً، ويمكن أن يقرأ: وآخى ـ بصيغة الماضي ـ، وفي بعض الروايات: فان تعززوه وتوقروه.

صادعاً بالنذارة.. الصدع: الاظهار، تقول: صدعت الشيء، أي اظهرته، وصدعت بالحق: إذا تكلمت به جهاراً، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾(1). والنذارة ـ بالكسر ـ الإنذار وهو الاعلام على وجه التخويف. المدرجة: المذهب والمسلك، وفي الكشف: ناكباً عن سنن مدرجة المشركين، وفي رواية ابن أبي ظاهر: ماثلاً على مدرجة.. أي قائماً للرد عليهم، وهو تصحيف. ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم.. الثبج ـ بالتحريك ـ وسط الشيء ومعظمه، والكظم ـ بالتحريك ـ مخرج النفس من الحلق.. أي كان ﷺ لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم ولا يداريهم في الدعوة. داعياً إلى سبيل ربه.. كما أمره سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(2). وقيل: المراد بالحكمة: البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة: الخطابات المقنعة والعبر النافعة، وهي للعوام، وبالمجادلة بالتي هي أحسن.. إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأما المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوات. يكسر الأصنام وينكث الهام.. النكث: إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه، والهام جمع الهامة ـ بالتخفيف فيهما ـ وهي الرأس، والمراد قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المشركين مطلقاً، وقيل: أريد به القاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده، وفي بعض النسخ: ينكس الهام، وفي الكشف وغيره: يجذ الأصنام، من قولهم: جذذت الشيء.. أي كسرته، ومنه قوله تعالى:

---

(1) الحجر: ٩٤

(2) النحل: ١٢٥

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾[1]. حتى تفرى الليل عن صبحه: الواو مكان حتى - كما في رواية ابن أبي طاهر - اظهر، وتفرى الليل.. أي انشق حتى ظهر ضوء الصباح. وأسفر الحق عن محضه..: يقال: أسفر الصبح.. أي أضاء. ونطق زعيم الدين: زعيم القوم سيدهم والمتكلم عنهم، والزعيم - ايضا - الكفيل والإضافة لأمية، ويحتمل البيانية. وخرست شقاشق الشياطين: خرس - بالكسر الراء - والشقاشق جمع شقشقة - بالكسر - وهي شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل، وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي. وطاح وشيظ النفاق: يقال: طاح فلان يطوح إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه في الأرض وسقط، والوشيظ - بالمعجمتين -: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إياكم والوشائظ، وقال الجوهري: الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحداً، وبنو فلان وشيظة في قومهم.. أي هم حشو فيهم. والوسيط - بالمهملتين -: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، وكذا في بعض النسخ، وهو أيضاً مناسب.

■ الأنصاري التبريزي:

قولها عليها السلام: (أيها الناس) منادى حذف منه حرف النداء لكثرة الاستعمال، وإذا أريد المبالغة في التنبيه ذكر حرف النداء فيقال: يا أيها الناس، وإذا أريد الإشارة إلى الاستعجال وضيق المجال، ولو من حيث الإيهام إلى ضيقه من حيث الاهتمام لذكر المطلوب الأهم حذف حرف النداء، وأصل المنادى واقعاً هو الناس، وظاهراً هو أيها، والناس صفة أو بدل أو عطف بيان، وتفصيل الكلام مذكور في كتب النحو.

---

(١) الأنبياء: ٥٨

وقولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (أقولها حقاً) أي أقول الكلمة السابقة حقاً أي بحق، أو حققت هذه الكلمة حقاً، أو حقت هي حقاً، أو أقولها محققة فيما أقول أي لا شك أني فاطمة التي قال فيها النبي ﷺ: (فاطمة بضعة مني) كما لا شك أني بنت محمد ﷺ وهو أبي، فلا تنكروا ميراثه أو عطيته في حقي. وكل من الفقرتين صالحة لأن يرجع الضمير إليها، كما يجوز رجوعه إليهما معا بجعلهما ككلمة واحدة من حيث الهيئة التركيبية، أو المراد بالضمير ما تقوله بعد ذلك في مقام المنازعة. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (عوداً وبدءاً) العود مصدر قولك عاد إلى كذا ولكذا يعود عودا أو عودة صار إليه ورجع، وهو يستلزم كونه عليه أولاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[1] وفي المثل: (العود أحمد)، قال الشاعر:

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم
وجئنا بمثل البدء والعود أحمد

والمعاد هو محل العود، ويقال للمعشر المعاد لأن الناس منه فارقون وإليه راجعون عائدون.

فرقتي لو لم تكن في ذا السكون
لم يقل إنا إليه راجعون

وله تفصيل موكول إلى محله معلوم عند أهله. وفي الصحاح: قد عاد إليه بعد ما كان أعرض عنه، والمعاد: المصير والمرجع، والآخرة معاد الخلق، انتهى. ومن أسمائه المعيد، وهو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة، ومنه الحديث: (إن الله يحب الرجل القوي المبدئ المعيد) أي الذي بدأ في

(١) الأنعام: ٢٨

غزوة وعاد فغزا مرة بعد مرة، أو جرب الأمور طوراً بعد طور، والفرس المبدئ المعيد هو الذي غزا عليه صاحبه مرة بعد مرة، وقيل: هو الذي قد ريض وادب فهو طوع راكبه. وفي حديث علي عليه السلام: (والحكم لله والمعود إليه يوم القيامة) قال في النهاية: أي المعاد، هكذا جاء المعود على الأصل، وهو مفعل من عاد يعود، ومن حق أمثاله أن تقلب واوه ألفاً كالمقام والمراح، ولكنه استعمل على الأصل. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1] قيل: لراجع بك إلى مكة وهي معاد الحج لأنهم يعودون إليها، ومعاد الرجل بلدته لأنه يطوف البلاد ثم يعود إليها، وقيل: إلى المعاد الذي هو بعث الأجسام البشرية، وتعلق أنفسها بها للنفع أو الانتصاف والجزاء، ويكون المعاد مصدراً ميمياً، ويوم المعاد يحتمل الوجهين. والبدء مصدر قولك بدأت بالشيء أبدأ بدءاً ـ من باب منع ـ ابتدأت به، والبدأة كالبدء بمعنى الابتداء، وبدأ الله الخلق وأبدأهم بمعنى، وفلان ما يبدئ وما يعيد أي ما يتكلم ببادئة ولا عائدة، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل معاني هذه المادة. ويقال: رجع عوده إلى بدئه إذا رجع في الطريق الخاص الذي جاء منه، وفعل ذلك عودا وبدءا، وفي عوده وبدئه، وفي عودته وبدءته كلها بمعنى، وهو كذلك بادئ الرأي أي في أول رأي رآه، وابتداءه بادي الرأي غير مهموز من البدو بمعنى الظهور أي في ظاهر الرأي والنظر، قال بعض الأفاضل: عوداً وبدءاً أي أولاً وآخراً. وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره: (أقول عوداً على بدء) والمعنى واحد، والمراد من الفقرة اني أقول هذه الكلمة أولاً وآخراً، وأعود إليها مرة بعد أخرى، ولا أتركها بل ألازمها وأمارسها. و(الشطط) بالتحريك: البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء، وفي

---

(١) القصص: ٨٥

الكشف: (ما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً). وأصل الشطط هو البعد الجسماني مصدر قولك: شطت الدار شطاً وشطوطاً ـ من باب نصر وضرب ـ أي بعدت، ثم استعمل في البعد المعنوي والتجاوز عن الحد والمقدار ونحو ذلك، وأشط وأشتط في السوم أي أبعد، وشط فلان في حكمه وأشط إذا جار، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾[1]. وفي الحديث: (لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط) أي لا نقصان ولا زيادة، والمراد هنا إني لا أطلب فدك ولا أفعل فيها من المنازعة من باب البعد عن الحق والتجاوز عن القدر، بل هي حق يلزم علي أن أطلبه ولا يسوغ لي أن أتركه. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[2] عنى بالرسول محمداً صلى الله عليه وآله أي جاءكم رسول من جنسكم من البشر، ثم من العرب، ثم من بني إسماعيل، ثم من أهل مكة، والمراد أنه من نكاح طيب لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، كما روي عن الصادق عليه السلام. وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلّا نكاح الإسلام. وعلى الوجه الأول قيل: وإنما من الله سبحانه عليهم بكونه منهم، لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيراً وكبيراً، وعرفوا حاله في صدقه وأمانته، ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه، فبالحري أن يكونوا أقرب إلى القبول منه والانقياد له. وعن القمي: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي مثلكم في الخلقة، قال: ويقرأ من أنفسكم ـ بفتح الفاء ـ أي من أشرفكم. وفي الجوامع: قيل: هو قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

---

(١) ص: ٢٢

(٢) التوبة: ١٢٨

﴿عَنِتُّمْ﴾[1] أي شاق شديد عليه عنتكم ولقاءكم المكروه، والعنت هو المشقة، أو ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان أو مطلقاً، أو ما أثمتم، أو ما أعنتكم وضركم، أو ما هلكتم عليه، أو ما أنكرتم وجحدتم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي على إيمانكم بإصلاح شأنكم حتى لا يخرج أحد منكم عن الاستعداد بدينه الذي جاء به، أو حريص على من لم يؤمن أن يؤمن ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قيل: هما واحد، والرأفة شدة الرحمة والتقديم لرعاية الفواصل، قيل: رؤوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين، وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه، أو رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره، أو رؤوف بالمؤمنين منكم ومن غيركم ورحيم عليهم. وقال بعض السلف: لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلّا النبي صلى الله عليه وآله، فإنه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. قولها عليها السلام: (فإن تعزوه) هو من قولهم: عزوته إلى أبيه نسبته إليه، وعزيته لغة أيضاً فاعتزى هو وتعزى أي انتمى وانتسب، والاسم العزاء، وفي الحديث: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا) يعني بنسب الجاهلية، وهو الانتساب إلى القوم بأن يقول عند ندائه: أنا فلان بن فلان، ينتمي إلى أبيه وجده لشرفه وغير ذلك ونحو ذلك. ومنه العزاء والعزوة اسماً لدعوى المستغيث، وهو أن يقول: يالفلان أو للمهاجرين والأنصار، ومنه الحديث الآخر: (من لم يتعز بعزاء الله فليس منا) أي من لم يدَّع بدعوى الإسلام حتى يقولوا يا للمسلمين، أو هو من التعزية في

(١) التوبة: ١٢٨

(٢) التوبة: ١٢٨

(٣) البقرة: ١٤٣

المصيبة. وأصلها نسبة الحكم إلى أمر الله، وهي موجبة للتصبر عند المصيبة والتسلي عنها، فيكون المراد من التعزي بعزاء الله أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون كما أمر الله، ومعنى قوله: بعزاء الله أي بتعزية الله إياه، فأقام الاسم مقام المصدر ثم استعمل عزى يعزي - من باب تعب - بمعنى صبر على البلاء. وعزَّيته تعزية قلت: أحسن الله عزاك أي رزقك الصبر الحسن، فالعزاء هنا مصدر أو اسم مصدر مثل سلم سلاماً، وكلم كلاماً، وتعزى هو أي تصبر وشعاره أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وفي الحديث أيضاً: (من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات). والمراد من الفقرة الشريفة: إنكم إن ذكرتم نسب الرسول وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمي، أي شرف الانتساب إليه ﷺ إنما هو مخصوص بنا رجالاً ونساء لا بكم، ولا هو مشترك بيننا وبينكم، فلمَ تمنعون ميراثنا، وتغتصبون حق خلافتنا، وتتعرضون بنا في فدك التي وهبها رسول الله ﷺ لنا. وذكر الأخوة في مقام ذكر النسب استطراد، أو أن المراد من الانتساب أعم من النسب ومما طرأ أخيراً بالمؤاخاة ونحوها، ويمكن أن يكون أخا بصيغة الماضي. وفي بعض الروايات: (فإن تعزروه وتوقروه) والتعزير التعظيم والتوقير، ويكون هذا أيضاً كناية عن ذكر نسبه، فإن في ذكر نسبه ﷺ تعظيماً له وتوقيراً، حيث إنه كان نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها. و(المعزي إليه) هو النبي ﷺ، أي إن نسبتي إليه وأنا بنته كما فهم من قولها عليها السلام (تجدوه أبي دون نسائكم) أي هو ﷺ أبي وليس أبا نسائكم، فأنا مخصوصة بتلك النسبة من بين نساء الأمة، ونعم المنسوب إليه الرسول المشار إليه، والمَعْزيُّ كَمَرْمِيّ اسم مفعول من المجرد، ويجوز أن يجعل مفعولاً من

المزيد من باب التفعيل. إن جعل التضعيف للمبالغة إلّا أنه مرجوح. و(الرسالة) في الأصل مصدر وهو وصف الرسول، ولا معنى ظاهراً لتبليغها، فالمراد بها ما يلزم للرسول أن يبلغه وهو الأمر المرسل به. وقولها (عليها السلام) (صادعاً بالنذارة) صادعاً اسم فاعل من الصدع بمعنى الإظهار، تقول: صدعت الشيء صدعاً ـ من باب منع ـ أي أظهرته، وصدعت بالحق إذا تكلمت به جهاراً، قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[1] قال الفراء: أي فاصدع بالأمر أي أظهر دينك الذي امرت به وباظهاره. وقيل: أَبِنْهُ إبانةً لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة، والكلام استعارة، والمستعار منه كسر الزجاجة، والمستعار له التبليغ، والجامع التأثر، وقيل: فرق بين الحق والباطل، وقيل: شق جماعاتهم بالتوحيد أو بالقرآن. وأصل الصدع هو الشق مطلقاً أو الشق الذي يظهر منه الصوت، يقال: صدعته فانصدع أي انشق، وصدعت الزجاجة فانصدعت والاسم أيضاً الصدع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾[2] أي ذات انشقاق بالسحاب. والصديع: الصبح، وصدعت الفلاة: قطعتها، وصدعت القوم فتصدعوا أي فرقتهم فتفرقوا، وفي حديث الاستسقاء: (فتصدع السحاب صدعاً) أي تفرق، والصداع وجع الرأس، وصدع فلان تصديعاً ـ بالبناء للمفعول ـ أي أخذه وجع الرأس. و(النذارة) بالكسر على وزن العمامة ما ينذر به من الإنذار بمعنى الإعلام على وجه التخفيف، وقيل: أنذرت الرجل كذا بمعنى أبلغته كذا، وأكثر ما يستعمل في التخويف كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾[3] أي خوف عذابه، والفاعل المنذر ونذير

(١) الحجر: ٩٤

(٢) الطارق: ١٢

(٣) غافر: ١٨

وجمع الأخير نُذُرٌ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[1] أي إنما ينفع إنذارك من يخافها، و﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[2] أي الرسول المنذر من عذاب الله، أو المراد منه إمارات عذابه تعالى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3] قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلي الهادي، وروي أن الآية نزلت: إنما أنت منذر وعلي لكل قوم هاد. ويجوز أن يكون المراد أن شأنك الإنذار والهداية التي نسبت إليك مظهرها علي، وهو منك وأنت منه لحمه من لحمك ودمه من دمك. قال الباقر عليه السلام: أما والله ما ذهبت ـ يعني الهداية ـ منا، وما زالت فينا إلى يوم القيامة. والمنذر أيضاً المعلم الذي يعرف القوم بما يكون قد دهمهم من عدو أو غيره وهو المخوف، وأنذرته به أي أعلمته به فنذر كعلم لفظاً ومعنى، والصلة بالباء تفيد هذا المعنى. قولها عليها السلام: (مائلاً عن مدرجة المشركين) أي معرضاً عنها، يقال: مال عنه ميلاً أي أعرض وانحرف، وإذا استعمل بـ(إلى) صار المعنى بالعكس أي أقبل إليه بالرضا القلبي. و(المدرجة) المذهب والمسلك وهي من قولهم: درج الصبي دروجاً ـ من باب قعد ـ مشى قليلاً في أول ما يمشي، والمدرج ـ بفتح الميم والراء ـ الطريق مطلقاً أو الطريق الذي فيه اعتراض وانعطاف والجمع المدارج، والدرجة: المرقاة والجمع درج مثل قصبة وقصب. ودرج في المدارج أو الدرجات أي علا في الطبقات والمراتب وارتقى إليها بالتدريج، وقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[4] أي ذوو طبقات عنده تعالى في الفضيلة و﴿لَهُمْ

(١) النازعات: ٤٥

(٢) فاطر: ٣٧

(٣) الرعد: ٧

(٤) آل عمران: ١٦٣

دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[1] أي بعضهم فوق بعض في القرب والزلفى. ودرجته إلى الأمر تدريجاً فتدرّج واستدرجته أخذته قليلاً، قال تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2] أي سنأخذهم قليلاً ولا نباغتهم، كما يرتقي الراقي الدرجة فيتدرج شيئاً بعد شيء حتى يصل إلى العلو. وفي القاموس: استدرجه خدعه، واستدراج الله للعبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار، فيأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته، أي لا يفاجئه من البغتة وهي الفجأة. وفي الحديث: إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، وهو قوله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]. ودرج في سبيله أي مشى، ومنه قولهم: درج فلان بمعنى مات، وتدرج القوم إذا انقرضوا، ودرجت الكتاب طويته، وأدرجته فيه أي جعلته في ضمنه، وجميع المعاني السابقة راجعة إلى مبدأ واحد. وفي بعض النسخ (عن مدركة) بدل قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ (عن مدرجة)، والمدركة مقابل المدرجة، والدرك والدركة نظير الدرج والدرجة، وهي بمعنى مرتبة الانحطاط من الدرك بمعنى الأخذ، كأنه أخذ ومنع عن العروج إلى المرتبة العالية، فيقال لطبقات الجنة درجات ولطبقات النار دركات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[4]. ويقال لمسالك المشركين في الدنيا والآخرة دركات، ولمذاهب المؤمنين فيهما درجات، والمدركة أولى بالمشركين من

(١) الأنفال: ٤

(٢) الأعراف: ١٨٢

(٣) الأعراف: ١٨٢

(٤) النساء: ١٤٥

المدرجة، وعلى تقدير المدرجة تكون هي استعارة بملاحظة ظاهر الحالة. وفي بعض النسخ: (ناكباً عن سنن المشركين) والسنن - بالتحريك - هي الطريقة، ويجوز قراءة سنن - بالضم - جمع السنة كغرف في جمع غرفة، وفي رواية ابن أبي طاهر: (مائلاً على مدرجة) أي قائماً للرد عليهم، والظاهر أنّه تصحيف، والفقرتان إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]. و(الثبج) بالتحريك وتقديم الثاء المثلثة على الباء الموحدة. وسط الشيء ومعظمه، ومنه ثبج الرمل وثبج البحر، وقوله عليه السلام: (وتدفق متقاذفات أثباجها)، الأثباج جمع ثبج بالمعنى المذكور والضمير للمجاز، والمراد معظم مياه البحار، وأصل الثبج هو ما بين الكاهل إلى الظهر. والمراد بثبج المشركين معظم جماعاتهم عَدداً وعُدداً، أو المراد أعاظمهم ورؤساؤهم أي أن النبي صلى الله عليه وآله أضرب عن طريقتهم، وضربهم عن آخرهم على مناخرهم فأهلكهم وقمعهم وصرعهم وصرمهم. و(الأكظام) جمع الكظم - بالتحريك - وهو مخرج النفس من الحلق، وكظم الغيظ كظماً - بالسكون - تجرعه واحتمل الصبر عليه وهو قادر على إمضائه، كأنه يدخله من مخرج نفسه إلى صدره فلا يظهر أثره، وقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[2] أي الحابسين غيظهم المتجرعينه. وفي الحديث: (من كظم غيظاً أعطاه الله أجر شهيد) قيل: وظاهره ينافي ما اشتهر من أن أفضل الأعمال أحمزها، وربما يجاب بأن الشهيد وكل فاعل حسنة أجره مضاعف بعشر أمثاله للآية، فلعل أجر كاظم الغيظ مع المضاعفة مثل أجر الشهيد لا بدونها. وفي حديث علي عليه السلام: (لعل الله يحدث أمر هذه الأمة ولا يؤخذ

(١) الحجر: ٩٤

(٢) آل عمران: ١٣٤

بأكظامها) والمراد من الأخذ بالأكظام تضييق الأمر عليهم كما يضيق الأمر على الإنسان عند الأذى بمخرج نفسه، ومنه الحديث: (له التوبة ما لم يؤخذ بكظمه) أي خروج نفسه وانقطاع نفسه. والمراد من الفقرة الشريفة أن النبي ﷺ كان شديداً صلباً في أمر الدين، لا يبالي بكثرة المشركين، ولا يداريهم في أمر الدعوة إلى كلمة الإسلام والمجاهدة في سبيل ربه مع الخاص والعام، داعياً إلى سبيل ربه كما أمره سبحانه بقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]. قيل: المراد بالحكمة البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة وهي للعوام، وبالمجادلة التي هي أحسن إلزام المعاندين الجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأما المغالطات والشعريات فلا تناسب درجة أصحاب النبوة. وقيل في معنى الآية وبيان معاني الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن وجوه غير ذلك قد مرّت إليها الإشارة في بيان معنى الحكمة في شرح قولها (عليها السلام): (إلّا تبييناً للحكمة). قولهاعليها السلام: (يكسر الأصنام وينكث الهام) النكث ـ بالثاء المثلثة ـ إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه ومنه يتفرع قولهم: نكث الرجل العهد أو الحبل نكثاً ـ من باب قتل ـ نقضه ونبذه فانتكث مثل نقضه فانتقض. والنكث ـ بالكسر ـ ما نقض من غزل الشعر ونحوه ليغزل، والجمع أنكاث مثل حمل وأحمال، قال تعالى: ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[2]، وفي الصحاح: النكث ـ بالكسر ـ أن تنقض أخلاق الأخبية والأكسية لتغزل ثانية. وفي حديث عليعليه السلام: (أُمرتُ بقتال

(١) النحل: ١٢٥

(٢) النحل: ٩٢

الناكثين، والقاسطين، والمارقين)، فالناكثون أهل الجمل لأنهم نكثوا البيعة أي نقضوها، واستنزلوا عائشة وساروا بها إلى البصرة، وهم عسكر الجمل ورؤساؤهم، والقاسطون أهل صفين، لأنهم جاروا في حكمهم وبغوا، والمارقون الخوارج، لأنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهذا التفسير مروي عن النبي ﷺ. ومن كلام علي عليه السلام في نهج البلاغة في عثمان: فلما انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله فما راعني إلّا والناس إلي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب. قال الشيخ ميثم: كنى عليه السلام بانتكاث فتله عن انتقاض الأمور عليه، وما كان يبرمه من الآراء دون الصحابة، واستعار لفظ الإجهاز لفتله وكذلك لفظ الكبو الذي حقيقة في سقوط الحيوان على رأسه، لفساد أمره بعد استمراره كالكبو بعد استمرار الفرس في العدو، وكنى ببطنته عن توسعه في بيت المال، والانثيال تتابع الشيء يتلو بعضه بعضاً كعرف الضبع. وقرئ ينكت ـ بالتاء المثناة ـ من نكت الأرض بقضيب ونحوه حتى أثر فيها، ومنه النكتة للأمر الدقيق لتأثيره في القلب، ونكت المطر الأرض أي أثر فيها، ويقال أيضاً طعنه بالرمح فنكته أي ألقاه على رأسه. و(الهام) بتخفيف الميم وكذا الهامة هو الرأس وقيل أعلى الرأس، وقد يستعار على الإشراف. والمراد من نكت الهام تجديل الرؤوس وإلقائها على الأرض، فيكون كناية عن قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المراد ضرب رؤوسهم بالسيوف مطلقاً في مقام الجهاد، وقيل: أريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، وهو بعيد سيّما بملاحظة ما بعده. وفي بعض النسخ (ينكس الهام) بالسين، وفي الكشف وغيره (يجذ الأصنام) من

قولهم: جذذت الشيء أي كسرته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[1]. و(الانهزام) انفعال من الهزم، يقال: هزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا، والهزم في الأصل بمعنى الكسر ومنه قولهم: تهزّم السقاء إذا يبس فتكسر، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2] أي كسروهم، وهزم الأحزاب وحده أي كسرهم. و(الجمع) الجماعة واللام للعهد أي انهزم جماعة المشركين، وأصل الجمع ضم شيء إلى شيء ثم يطلق على معنى المجموع مصدراً بمعنى المفعول، ويصدق على اثنين وأكثر وهذا هو الجمع اللغوي، وعليه حمل على وجه قوله ﷺ: (الاثنان وما فوقهما جماعة) بخلاف الجمع الاصطلاحي فإن أقله ثلاثة على المشهور، وإن قيل بكونه اثنين أيضاً. وقيل: إن إطلاقه على الاثنين إنما هو باعتبار الجمع المنطقي لا الاصطلاحي مطلقاً، وأما بالنسبة إلى المنطق فلعل وجهه أنهم قالوا: إن الكليَّ إنما يتشخص بالأفراد أو يوجد في ضمن الأفراد ونحو ذلك، ومرادهم من الأفراد ليس الثلاثة وما فوقها البتة بل أعم ممّا يصدق باثنين أيضاً، وهو أول مراتب الكثرة ولهذا نسب ذلك إليهم. وبالجملة اختلف علماء العربية في أقل الجمع الاصطلاحي على المشهور، فقيل ثلاثة، وقيل اثنان، والظاهر منهم أنه لا فرق بين جمع يكون مفرده فرداً أو زوجاً أو جمعاً، فكما أن أقل الأول على القول بأنه ثلاثة ثلاثة أفراد كما عند الأكثر، كذلك أقل الثاني ثلاثة أزواج، وأقل الثالث ثلاثة جموع، وإلى هذا ينظر قول من قال: أقل جمع الجمع تسعة إلّا أن وقوعه غير ثابت. وحكى المحشي الشيرازي عن العلامة قطب الدين الشيرازي عن

---

(١) الأنبياء: ٥٨

(٢) البقرة: ٢٥١

الفتوحات المكية أن مؤلفها قال: رأيت رسول الله ﷺ في بعض الوقائع فسألته عن أقل مراتب الجمع وقلت: ذهب فريق إلى أنه ثلاثة، وفريق إلى أنه اثنان، فما الحق؟ فقال ﷺ: أخطأ هؤلاء وهؤلاء، بل ينبغي أن يفصل ويقال: الجمع إما جمع فرد أو جمع زوج، فأقل مراتب الأول ثلاثة وأقل مراتب الثاني اثنان. ومثل له بعضهم بالخفين فإنه يطلق على زوجين من جنس الخف وجمعه خفاف، ولا يطلق على ثلاثة أفراد من هذا الجنس، وهو محل نظر. و(التولية) عن شيء الإعراض عنه، يقال: ولّيت عنه أي أعرضت عنه وكذلك تولى كما يقال: تولى عنه بجانبه أي أعرض وانحرف، هذا إذا عدي بـ(عن) واما إذا عدي بنفسه أو بـ(إلى) فيكون على خلاف الإعراض، كقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1]، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[2] أي مستقبلها، فالتولية تكون اقبالاً وانصرافاً. وولى بدبره أي ولاه إلى العدو، أو ولى وأقبل إليه به فيكون كناية عن الإدبار والانصراف، أو ولى عنه أي أعرض وانصرف عنه بجعل دبره إليه، وأصل المادة الولي والولاء بمعنى القرب الملازم للمباشرة والاتصال، أو وقوع شيء بعد شيء أو قبله ونحو ذلك، وولاة الأمر أصحابه من ولى الأمر يليه ولاءً أي باشره، وأوليته الشيء فوليه ووليته الشيء تولية أي جعلته عليه والياً. والمولى السيد والعبد بمعنى الفاعل والمفعول، والموالي الأقرباء، إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى معنى القرب المستلزم للمباشرة، والله الولي والمولى أي هو المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، والولاية تستلزم التدبير والقوة والفعل، وتولى فلاناً اتخذه ولياً، وكل من ولى أمراً أو قام به فهو مولاه ووليه. قد

---

(١) البقرة: ١٤٤

(٢) البقرة: ١٤٨

تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة كالسيد والعبد ـ على ما مرّ ـ والرب، والمالك، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والصهر، ونحو ذلك. والولاية ـ بالفتح ـ هي السلطنة والمالكية، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾[1] وبالكسر الإمارة. و(الدُبُر) بضمتين وسكون الباء للتخفيف خلاف القبل من كل شيء، ومنه يقال لآخر الأمر دبره وأصله ما أدبر عنه الإنسان، ودابر القوم آخر من يبقى منهم ويجيء في آخرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[2] ومنه الدابر للعقب والأصل وتحتملهما الآية. ودبّر الرجل عبده تدبيراً إذا أوصى بعتقه بعد موته، والدُبُر مقعدةُ الإنسان لكونها في أواخره مقابل رأسه ويطلق على ظهر الإنسان أيضاً، وولاه دبره كناية عن الهزيمة، ودابرة الإنسان عرقوبه، والدابر التابع، والدبرة ـ بالكسر ـ خلاف القبلة، ويقال: (فلان ماله قبلة ولا دبرة) إذا لم يهتد لجهة أمره، ويقال: (ليس لهذا الأمر قبلة ولا دبرة) إذا لم يُعرف وجهُه. ودبّرت الأمر تدبيراً فعلته عن فكر في عواقبه وروية فيها، وتدبرته تدبرا أي نظرت في عواقبه وما يؤول إليه، والدَبُور وزان رسول ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصَبا، ويقال: تُقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق، واستدبرت الشيء خلاف استقبلته. و(التفرّي) من الفري بمعنى القطع، يقال: فريته فريا أي قطعته لأصلحه، وفريت المزادة: صنعتها، وفريت الأوداج: قطعتها، وأفريت الشيء: شققته فانفرى وتفرى أي انشق، وتفرى الليل عن صبحه أي انكشف كأن الليل انشق فظهر من بين شقة الصبح. والفرية ـ بالكسر

(١) الكهف: ٤٤

(٢) الأنعام: ٤٥

ـ الكذب مع العمد اسماً من الافتراء، استعارت عليها السلام لظلمة الجاهلية بالليل، وللحق المستور الذي ظهر بظهوره صلى الله عليه وآله بالصبح، أي زالت به صلى الله عليه وآله ظلمة الجاهلية العمياء، وطلع بطلوعه صبح الشريعة الغراء. و(الإسفار) الانكشاف يقال: أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾[1] وأسفر الوجه إذا علاه جمال، والسفر كفرس بياض النهار وقطع المسافة أيضاً كما سيجيء، وأسفرت المرأة وجهها وسفرته كشفته وأوضحته، يعدى ولا يعدى مجرداً ومزيداً. وسافر مسافرة خرج إلى السفر، وإطلاقه عليه بمناسبة الخروج من البيت والدار إلى الصحاري والقفار، أو الخروج إلى السفر أي بياض النهار، والسفرة طعام يصنع للمسافر. والسافر الكاتب لأنه يبين الشيء ويوضحه، ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾[2] ومنه السفر للكتاب لأنه المكتوب الذي يوضح فيه الأسرار، وقيل: السَفَرة جمع السافر من السفير الذي يمشي بين القوم ويصلح أمرهم من السفارة بمعنى الرسالة، إذ هم أي الملائكة الكرام سفراء بين الله ورسله العظام. وهو أيضاً يرجع إلى معنى الإظهار إذ الرسول يوضح الأسرار، ويرفع الأستار، والسافر المسافر أيضاً وهو قليل وجمعه السَفْر كصاحب وصَحْب، ومنه قوله صلى الله عليه وآله لأهل مكة عام الفتح: (يا أهل البلد صلوا أربعاً فإنّا سَفْر). قال في الصحاح: سفرت أسفر سفورا خرجت إلى السفر، فأنا سافر ونحن قوم سفر وفي الحديث: (اسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر) أي صلوا صلاة الفجر سفرين أو طولوها إلى الإسفار. و(المحض) بفتح الميم وسكون الحاء الخالص الذي لا يشوبه شيء، وفي الحديث: (لا يسأل من محض الإيمان محضاً أو

(١) المدثر: ٣٣ - ٣٤

(٢) عبس: ١٥ - ١٦

محض الكفر محضاً) ومنه اللبن المحض، والحرير المحض، والعربي المحض: الخالص النسب، قال الجوهري: الذكر والأنثى والجمع فيه سواء. ومحضته الود أخلصته له ومثله أمحضته بالألف، ومنه الحديث: (امحض أخاك المودة) ومحض الشيء صار خالصاً محضاً، فالمجرد منه يعدى ولا يعدى. وإسفار الحق عن محضه إنكشافه عن خالصه حتى ظهر خالصه، شبه ظاهر الحق بالقشر الساتر للمحض واللب، والمراد أنه ﷺ أسفر وأظهر خالص الحق أي حقيقته، أي أظهر الحق وأزال الستر عن وجه باطنه حتى ظهر باطنه أيضاً. و(زعيم) القوم سيدهم والمتكلم عنهم من الزعامة بمعنى السيادة، والزعيم الكفيل كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾[1] ولعل المعنى الأول متفرع منه، يقال: زعمه زعماً وزعماً وزعمت به أي كفلت، وفي الحديث: (الزعيم غارم) والإضافة في زعيم الدين لامية ويحتمل البيانية. و(الخرس) كفرس مصدر الأخرس، وقد خرس الإنسان - بالكسر - خرسا منع الكلام خلقة وأخرسه الله سبحانه، وسحابة خرساء: ليس فيها رعد ولا برق، وعلم أخرس إذا لم يكن في الجبل صوت صدى. و(الشقاشق) جمع الشقشقة - بالكسر - وهي شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فانما هو للتشبيه بالفحل، وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي، والخطبة الشقشقية لعلي عليه السلام في نهج البلاغة معروفة، سُمّيت بذلك لقول علي عليه السلام في آخرها: (هيهات هيهات يا ابن عباس هذه شقشقة هدرت ثم قرت). وفي النهاية: في حديث علي عليه السلام: (إن كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان) الشقشقة الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل العربي من جوفه

---

(١) يوسف: ٧٢

ينفخ فيها فتظهر من شدقه، ولا تكون إلّا للعربي كذا قال الهروي، وفيه نظر. شبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر، ولسانه بشقشقته، ونسبها إلى الشيطان لما يدخله من الكذب والباطل وكونه لا يبالي بما قال، هكذا أخرجه الهروي عن عليعَلَيْهِالسَّلَامُ، وقيل إنه من كلام عمر، وفي خطبة عليعَلَيْهِالسَّلَامُ: (تلك شقشقة هدرت ثم قرت). وشقشق الفحل شقشقة ـ بالفتح ـ هدر، والعصفور تشقشق في صوته، والمراد من شقاشق الشياطين ألسنة المشركين الذين كانوا يصوتون بالأباطيل في أمور الدين. و(طاح) فلان يطوح ويطيح إذا هلك أو أشرف على الهلاك، وطاح في الأرض: سقط، وأطاحه إطاحة: أهلكه وكذلك طوحه تطويحاً، وأطاحته الطوائح وطوحته أي أهلكته الحوادث المهلكة وقذفته القواذف المردية، والقياس المطيحات أو المطوحات، فجرد المزيد عن الزوائد والمعنى على حاله، ولا يقال المطيحات أو المطوحات، ومثل ذلك من النوادر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[1] على أحد الوجهين لأن الفعل القح لا لقح، ومثل طاح يطوح ويطيح والمزيد منه: تاه يتوه ويتيه وأتاهه وتوهه بمعنى ذهب به هاهنا وهاهنا، فتطوح وتتوه في البلاد أي رمى بنفسه هاهنا وهاهنا، والمطاوح والمتاوه المفاوز. و(الوشيظ) بالمعجمتين الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: اياك والوشائظ، قال الجوهري: الشويظ لفيف من الناس ليس أصلهم واحد، وبنو فلان وشيظة في قومهم أي هم حشو فيهم. وقرئ الوسيط بالمهملتين، وهو أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، فإن وسط الشيء عدله وخياره كما فسر به قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى

(١) الحجر: ٢٢

ٱلنَّاسِ﴾[1] وهذه القراءة أيضاً مناسبة من حيث المعنى، أما بأن يجعل الوسيط على معنى الشريف العظيم في عالم النفاق، أو على معنى الوسيط الذي توسط الشيء أي دخل في وسطه وتوغل فيه. و(النفاق) مصدر قولك: نافق فلان ينافق منافقة، والمنافق هو الذي أخفى الكفر وأظهر الإيمان من النفق وهو السرب في الأرض، كأنه استتر في الإسلام كما يستتر في السرب، وقيل: هو من قولهم: نافق اليربوع إذا دخل نفقه، وهي إحدى جحرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو القاصعاء، فإذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء، وإذا طلب من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج.

وفي الحديث: (المنافق هو الذي يظهر الإيمان ويتصنع بالإسلام) وعن بعض فقهائنا في الصلاة على المنافق: أن المراد بالمنافق ما يعم الصبي وغيره من أهل الخلاف. والنفاق ـ بالكسر ـ هو فعل المنافق، والأصل في النفاق أن يفعل في الظاهر فعل وفي الباطن غيره، مأخوذاً من النفق ـ بفتحتين ـ وهو سرداب في الأرض يكون له مخرج من وضع آخر، وبعبارة أخرى مخالفة الظاهر والباطن، وأظهر أفراده نفاق الكفر فالرياء أيضاً نفاق، وقد يطلق المنافق على مطلق الكافر فإن كفره مخالف للتوحيد الفطري الذي في باطنه. و(الانحلال) من الحل خلاف العقد ـ بالفتح ـ، والعقد ـ بالضم ثم الفتح ـ كغرف جمع عقدة كغرفة، وهي ما يعقد به. و(الشقاق) المعاداة مشتق من الشق لانشقاق ما بينهما، أو لكون كل من المنازعين في شق ـ بالكسر ـ أي طرف غير شق الآخر، مصدر شاقه يشاقه مشاقة. والمراد من الفقرات الشريفة انه هلك وطاح من جهة ظهور النبي ﷺ، وقوة الإسلام، ومجاهدة أهل الإيمان، القوم

(١) البقرة: ١٤٣

الأراذل الذين اختاروا النفاق، أو هلك أشراف أهل النفاق وعظماؤهم، أو هلك الكفار الذين توغلوا في الكفر والنفاق، ورفعوا أعلام المعاندة والشقاق، فلم يبق في ديارها ديار ولا من دمنها آثار، كذلك الله يفعل ما يشاء ويختار. وإن الأسباب التي من جهتها استحكمت آثار الكفر والشقاق قد وهت وضعفت حتى اضمحلت، فإن الانحلال كناية عن الضعف والفتور، والعقد كناية عن الاستحكام، فالانحلال بمنزلة النقض والعقد بمنزلة الإبرام.

وَفُهتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾[1] مِنْ حَوْلِكُمْ. فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللَّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[2]، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ،

■ القاضي النعمان:

وكلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله. وقولها: مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام. المذاق في الشراب: خلط الماء باللبن. تقول مذقته: إذا خلطته مذقاً. والنهزة: اسم الشيء الذي يتناول ويمكن تناوله كالغنيمة. يقال: انتهزها فقد امكنتك قبل الفوت. والقبس: شعلة النار، قال الله عَزَّوَجَلَّ حكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ

(1) الأنفال: 26

(2) المائدة: 64

تَصۡطَلُونَ﴾. يقال للآخذ من ذلك قَبَس واقتبس إذا أخذ من لهب النار في طعم يعلق به. ومن ذلك يقال: قبست العلم فاقتبسته، واقتبست الرجل ناراً. وأقبسته علماً إذا أعطيته ذلك.

وموطأ الاقدام: الموضع الذي تطؤه. ضربت ذلك صلوات الله عليها مثلاً لما كانوا فيه من الذلة حتى أعزهم الله عَزَّوَجَلَّ برسوله ﷺ، وأن الناس كانوا يتخطفونهم من حولهم كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك في كتابه ويطعمون فيهم وينتهزونهم ويطؤونهم بالذل والصغار. وقولها: تشربون الطرق. والطرق: الماء الذي بالت فيه الدواب قد اصفر تقول: هذا ماء قد طرقته الإبل وهي تطرقه طرقاً، وهو ماء طرق. قال الشاعر:

وقال الذي يرجو الغلا له وادعوا
عن الماء لا يطرق ومن طوارق
فما زلن حتى صار طرقاً وشسه
بأصفر تذريه سجالاً أيانق

وقولها: تقتاتون القد. من القوت. والقد: ما يقد من الجلد الني ومنه اشتق القديد الذي يقد من اللحم وكانوا يأكلون [ذلك] عند المسغبة. وقولها: أذلة خاشعين. الذل: الهوان. والخشوع: الخضوع. وقولها: بعد اللتيا والتي. واللتيا: تصغير التي، والتي: معرفة لتي ولا تقول بها في المعرفة إلّا على هذه اللغة، وجعلوا إحدى اللامين تقوية للأخرى، وجمعها اللاتي، وجمع الجمع اللواتي. وكأنهم كنوا بها في قولهم اللتيا والتي عن شدة أو داهية صغرى وكبرى. وقولها: بعد لفيف ذوايب العرب. فاللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، يقال منه: جاء القوم بلفهم ولفيفهم. ولف الناس ما يلف من هاهنا وهاهنا كما يلف الإنسان القوم لما يريده من شهادة زور وغير ذلك ممّا يريد أن يجمعهم إليه من مثل

هذا. والذوايب جمع ذؤابة. وذؤابة القوم موضع عزهم وشرفهم، يقال منه: فلان من ذؤابة بني فلان إذا كان من أهل بيت شرفهم وعزهم. والجمع ذوائب والقياس الذائب، ولكنهم يستثقلون الجمع بين همزتين فليّنوا الأولى منهما. وقولها: كلما أحشوا ناراً للحرب أو نجم قرن للضلالة أو فغرت فاغزة للمشركين فاها قذف أخاه [علياً] في لهواتها. أحشوا: أوقدوا. تقول: حششت النار بالحطب. وأنا أحشها، وهو ضمك ما تفرق من الحطب إلى النار لتستوقد.

قال العجاج:

تـــا الله لـــولا أن تـــحـــش الـــطـــبـــخ
بـــي الجحيم، حيث لا مستصرخ

يعني بالطبخ: ملائكة النار الموكلين بالعذاب من فيها، شبههم بالطباخين الذين يوقدون النار على اللحم ليطبخوه. ونجم قرن للضلالة، تقول: ارتفع للضال ونجم قام. يقال للخارج الذي يخرج على السلطان ناجم لقيامه على من يقوم عليه. وقرن الرجل نده في الشجاعة والقوة. ويقال منه: تبارزت الأقران وتواجهوا واقتتلوا. وفغرت فاغرة فاها. والفغر: فتح الفم. يقال: فغر الرجل فاه: أي فتحه. والفاغرة: التي قد فتحت فمها. ضربت ذلك مثلاً للحرب إذا اشتدت ومثلت من يقتل فيها بابتلاعها إياهم كأنها فغرت فاها: أي فتحته لتلتهم من يقتل فيها. قذف أخاه [علياً] في لهواتها. تعني: إنهاض النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لمبارزة الأقران من المشركين الشجعان. واللهوات، مع لهاة. واللهاة: لحمة مشرفة في أقصى الفم فيما يلي الحلق. ويقال: إنها شقشقة البعير ولكل ذي حلق لَهاه. والجمع: اللَّها، واللهوات. وقولها: فلا ينكفئ، تقول: لا ينقلب منهزماً إذا بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله لحرب. يقال منه انكفأ القوم إذا انهزموا وانكفؤوا.

وقولها: حتى يطأ سماكها بأخمصه. فالسّماك والسمك: المرتفع. قال الله عزوجل ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ ويقال: سنام سامك: أي مرتفع. والسماكان: نجمان مرتفعان. ومن ذلك سمي الرجل سماكاً، يريدون به العلو والرفعة. تقول: لا ينثني ولا يرجع في الحرب حتى يطأ أعلى من فيها، ممن يقاتله ويبارزه بأخمصه. والأخمص: ما ارتفع من أسفل القدم عن الأرض وهو وسطه. ويقال: وهو خميص القدم. قال الشاعر:

وكـــأن أخمصها بالشوك منتعل

وقولها: ويخمد حر لهبها بحده. تعني الحرب شبهتها، فإذا هو قتل المحاربين له فيها أو هزمهم اخمدوا كحد السيف وحد السنان.

■ العلّامة المجلسي:

وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص..: يقال: فاه فلان بالكلام كقال.. أي لفظ به كتفوّه. وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، وفيه تعريض بأنه لم يكن ايمانهم عن قلوبهم، والبيض جمع أبيض وهو من الناس خلاف الأسود، والخماص ـ بالكسر ـ جمع خميص، والخماصة تطلق على دقة البطن خلقة وعلى خلوه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس أي عفيف عنها، وفي الحديث: كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً. والمراد بالبيض الخماص: إما أهل البيت عليهم السلام ـ ويؤيده ما في كشف الغمة: في نفر من البيض الخماص، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ ووصفهم بالبيض لبياض وجوههم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغر، وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل، أو لعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان رضي الله عنه وغيره،

ويقال لأهل فارس: بيض، لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم، إذ الغالب في أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام: حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأول أظهر. ويمكن اعتبار نوع تخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الإيمان، وبالبيض الخماص: الكمل منهم. وكنتم على شفا حفرة من النار: شفا كل شيء طرفه وشفيره.. أي كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم. مذقة الشارب ونهزة الطامع: مذقة الشارب: شربته، والنهزة ـ بالضم ـ الفرصة.. أي محل نهزته.. أي كنتم قليلين أذلاء يتخطفكم الناس بسهولة، وكذا قولهاعليها السلام: وقبسة العجلان وموطئ الاقدام.. والقبسة ـ بالضم ـ شعلة من نار يقتبس من معظمها، والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة، ووطء الأقدام مثل مشهور في المغلوبية والمذلة. تشربون الطرق، وتقتاتون الورق: الطرق ـ بالفتح ـ: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر، والورق ـ بالتحريك ـ ورق الشجر، وفي بعض النسخ: وتقتاتون القد، وهو ـ بكسر القاف وتشديد الدال ـ سير يقد من جلد غير مدبوغ، والمقصود وصفهم بخباثه المشرب وجشوبة المأكل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم، ولفقرهم وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الاعادي. أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم: الخاسئ: المبعد المطرود، والتخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة، اقتبس من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]. وفي نهج البلاغة: عن أمير المؤمنينعليه السلام: أن الخطاب في تلك الآية لقريش

---

(١) الأنفال: ٢٦

خاصة، والمراد بالناس سائر العرب أو الأعم. اللتيا: بفتح اللام وتشديد الياء تصغير التي، وجوز بعضهم فيه ضم اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة. وبعد أن مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب: يقال: مني بكذا ـ على صيغة المجهول ـ أي ابتلي، وبهم الرجال ـ كصرد ـ الشجعان منهم لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون، وذوبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، والمردة: العتاة المتكبرون المجاوزون للحد. أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها: نجم الشيء ـ كنصر ـ نجوما: ظهر وطلع، والمراد بـ: القرن: القوة، وفسر قرن الشيطان بـ: أمته ومتابعيه، وفغر فاه.. أي فتحه، وفغرفوه.. أي انفتح ـ يتعدى ولا يتعدى ـ، والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية أو السبع، ويمكن تقدير الموصوف مذكرا على أن يكون التاء للمبالغة. والقذف: الرمي، ويستعمل في الحجارة كما أن الحذف يستعمل في الحصى، يقال هم بين حاذف وقاذف. واللهوات ـ بالتحريك ـ جمع لهاة، وهي اللحمة في أقصى سقف الفم، وفي بعض الروايات: في مهواتها ـ بالضم ـ وهي بالتسكين: الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك. وعلى أي حال، المراد أنه ﷺ كلما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً عليه السلام لدفعها وعرضه للمهالك. وفي رواية الكشف وابن أبي طاهر: كلما حشواً ناراً للحرب، ونجم قرن للضلال. قال الجوهري: حششت النار.. أو قدتها. فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه: انكفأ ـ بالهمزة ـ أي رجع، من قوله: كفأت القوم كفأ: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره فانكفؤوا.. أي رجعوا. والصماخ ـ بالكسرة ـ ثقب الاذن، والاذن نفسها،

وبالسين ـ كما في بعض الروايات ـ لغة فيه. والأخمس: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، ووطء الصماخ بالأخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.

■ الأنصاري التبريزي:

يقال: فاه فلان بالكلام يفوه فوهاً أي لفظ به كتفوَّه، وأصله من لفظ (فو) بمعنى الفم، مادته الأصلية فوه ـ بضم الفاء ـ والجمع أفواه مثل سوق وأسواق، ولما كان عزم عند الإضافة إلى ضمير الغائب اجتماع هاءَين، وهو موجب للثقل على اللسان والاستكراه لذي البيان، حذفت الهاء مطلقاً في صورة الإضافة والإعراب بالحرف، وقلبت ميما عند القطع عن الإضافة. ويقال: تفوه الوادي أي دخل فيه، وفي الخبر: (ولما تفوه البقيع) أي دخل في أوله فشبهه بالفم لأنه أول ما يدخل منه إلى الجوف، ويقال لأول الزقاق والنهر فوهة ـ بضم الفاء وتشديد الواو ـ، والمفوه ـ بفتح الواو ـ البليغ المنطيق كأنه مأخوذ من الفوه ـ بالتحريك ـ بمعنى سعة الفم. وفي حديث علي عليه السلام: (إن جامعت ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فإنه يكون خطيباً قوالاً مفوهاً) ورجل أفوه أي واسع الفم، وامرأة فوهاء كذلك. وفي حديث ابن مسعود: (أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله فاه إلى في) أي مشافهة وتلقينا، وهو نصب على الحال بتقدير المشتق، أو أن الجملة حال وجعل نصبه في أول جزئيها لكون الجملة في معنى المشتق، ويقال أيضاً: كلمني فوه إلى في ـ بالرفع ـ على الأصل، والجملة في موضع الحال والنصب في المحل. وقد مرّ معنى كلمة الإخلاص وان المراد بها شهادة أن لا إله إلّا الله، وهي الشهادة بالتوحيد أو أنها هي مع كلمة محمد رسول الله، لأن كلمة الرسالة من شروط كلمة

التوحيد فهما قرينتان لا تتفارقان. وفي قولهاعليها السلام: (وفهتم بكلمة الإخلاص) إشارة إلى عدم ثبوت كلمة الإيمان في قلوبهم حينئذٍ كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1]. و(النفر) قيل هم رهط الإنسان وعشيرته، وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة، على ما ذكره في النهاية وغيرها، ولا واحد له من لفظه وقيل سبعة، وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[2] أي عدداً، وفي المجمع: أنه جمع نفر. والنفير أيضاً من ينفر مع الرجل من قومه من النفر بمعنى الخروج مطلقاً أو إلى الغزو، أو بمعنى الفزع إلى الشخص، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾[3]، وأصل النفر جماعة تنفر إلى مثلها، والثبة جماعة في تفرقة، ونفر القوم نفراً: تفرقوا، ونفر منه أي ارتحل، ونفر إليه أي أسرع، وكلها يرجع إلى مبدأ واحد. و(البيض) جمع أبيض وبيضاء، وهو من الناس وغيرهم خلاف الأسود. و(الخماص) جمع الخميص بمعنى ضامر البطن من الخماصة بمعنى دقة البطن خلقة، أو من جهة خلوها عن الطعام ونحو ذلك، ويقال: فلان خميص البطن من أموال الناس أي عفيف عنها، وفي الحديث: (كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف. ومنه الحديث الآخر: (خماص البطون، خفاف الظهور) أي انهم أعفة عن أموال الناس، فهم ضامرو البطون من أكلها، خفيفوا الظهور من ثقل وزرها، ومنه المخمصة بمعنى المجاعة وهي مصدر مثل المغضبة،

---

(١) الحجرات: ١٤

(٢) الإسراء: ٦

(٣) التوبة: ١٢٢

يقال: خمص فلان إذا جاع. والأخمص صفة أيضاً كالخميص فيطلق على ما يطلق عليه، وقد يطلق على راحة اليد والرجل، وهي ما دخل من باطنهما كأنه جائع من خمص القدم خمصاً ـ من باب تعب ـ ارتفعت عن الأرض ولم تصبه، وإذا جمعت أخمص وصفاً للرجل قلت خمص، وكذا جمع خمصاء وصفاً للمرأة، مثل أحمر وحمراء وحمر، وإذا جمعت أخمص اسماً للقدم قلت أخامص، ويقال أيضاً: رجل خمصان وامرأة خميصة وخمصانة ـ بضم الخاء في الثانية ـ. والمراد بالبيض الخماص إما أهل البيت عليهم السلام، ويؤيده ما في كشف الغمة: (في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)، ووصفهم بالبياض لبياض وجوههم، أو كناية عن شرفهم وتميزهم عن غيرهم من قبيل وصف الرجل بالأغر، أو هو لبياض أنسابهم وأحسابهم، أو هو لبياض طينتهم وطويتهم. وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل، أو لعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان وغيره، ويقال لأهل فارس بيض لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم إذ الغالب في أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام الحمر لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأول أظهر. والظاهر اعتبار نوع من التخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الإيمان، والبيض الخماص الكمل، وكلمة (في) حينئذٍ للمصاحبة بمعنى مع، ويجوز جعل الخطاب عاما و(في) بمعنى (على) بتقدير معنى الاشتمال. قولها عليها السلام: (وكنتم على شفا حفرة) شفا كل شيء طرفه وشفيره، أي كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخلوها والتهافت فيها بشرككم وكفركم، إذ لو كان أدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[1]. والخطاب لأصحاب النبي ﷺ أي وكنتم يا أصحاب محمد ﷺ على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها إلّا الموت، فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولاً هداكم إلى الإيمان ودعاكم إليه، فنجوتم بإجابته من النار، وإنما قال: (فأنقذكم منها) مع أنهم لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث استحقاقهم لدخولها وإشرافهم عليها. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: قال: (فأنقذكم منها بمحمد) هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد ﷺ. والضمير في منها للحفرة أو للنار أو للشفا، وتأنيثه لتأنيث ما اضيف إليه، أو لأن الشفا بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة، وأصله شفو ـ بالواو ـ قلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث، قال الأخفش: لما لم تجز فيه الإمالة عرف انه من الواو لأن الإمالة إنما تكون من الياء، والتثنية شفوان وجمعه أشفاء، ومنه قولهم: أشفى فلان على كذا أي أشرف عليه كإشراف المريض على الموت. وقوله تعالى: ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾[2] أي طرف موضع جرفته السيول أي أكلت ما تحته، وهار مقلوب من هائر مثل قولهم شاكي السلاح وأصله شائك السلاح على وجه. قولها عليها السلام: (مذقة الشارب ونهزة الطامع) مذقة الشارب ـ بضم الميم ـ شربته وهو ما يذاق ويشرب مثل الغرفة بمعنى ما يغرف، من قولهم: ذقت الشيء أذوقه ذوقاً ومذاقاً ومذاقة. وأصل الذوق إدراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة المنبثة بالعصب المفروش على عضل اللسان، وقد يطلق الذوق على نفس تلك القوة وعلى القوة الإدراكية التي

(١) آل عمران: ١٠٣

(٢) التوبة: ١٠٩

لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ووجوه محاسنه الخفية، وذقت ما عند فلان خبرته وجربته، وأذاقه الله وبال أمره أي أصابه به. و(النهزة) بالضم الفرصة من قولهم: انتهزها أي اغتنمها وبادر وقتها، وناهزتهم الفرص أي بادرتهم إليها، والأصل من قولهم نهز رأسه ـ من باب منع ـ حركه، والفرصة محل الحركة والعمل بالشيء وزمان المهلة ونفس المهلة. ونهز فلان راحلته أي دفعها في السير، ونهز لكذا أي نهض لتناوله، والمراد من كونهم مذقة الشارب كونهم قليلين، ومن كونهم نهزة الطامع كونهم محل نهزته كناية عن القلة أيضاً أي كنتم أذلاء قليلين يكاد أن يتخطفكم الناس بسهولة، وكذا قولهاعليها السلام: وقبسة العجلان وموطئ الأقدام. و(القبسة) بالضم شعلة من نار تقتبس من معظمها وكذلك القبس والمقباس، واقتباسها الأخذ منها، وفي حديث عليعليه السلام: (أورى قبسا لقابس) أي أظهر نوراً من الحق لطالبه، والقابس طالب النار أو آخذها وكذلك المقتبس، وقد يستعاران لطالب العلم، والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة، والعجلان صفة من العجلة. و(وطئ الأقدام) مثل مشهور في المذلة والمغلوبية، والأقدام جمع القدم وموطئها محل وطئها. و(الطرق) بالتحريك أو بالفتح فالسكون ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر، وقيل: هو منقع الماء من الطروق ـ بضم الطاء ـ بمعنى الدق، وسُمّي الآتي بالليل طارقاً لاحتياجه إلى دق الباب، ومنه حديث عليعليه السلام: (إنها خارقة طارقة) أي طرقت بخير، ومنه الدعاء: (أعوذ بك من طوارق الليل إلّا طارقا يطرق بخير). والطارق النجم المضيء الثاقب، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[1] فسر الطارق فيه

(١) الطارق: ١

بالكوكب الذي يبدو بالليل، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[1]، قيل أي المضيء كأنه يثقب الأفلاك بضوئه فينفذ فيها. القمي قال: الطارق النجم الثاقب، وهو نجم العذاب، ونجم القيامة، وهو زحل في أعلى المنازل. وفي الخصال عن الصادق عليه السلام انه قال لرجل من أهل اليمن: ما زحل عندكم في النجوم؟ قال اليماني: نجم نحس، فقال عليه السلام: لا تقولن هذا فإنه نجم أمير المؤمنين، وهو نجم الأوصياء، وهم النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه، فقال له اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: لأن مطلعه في السماء السابعة، وإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب. ويطلق الطريق على السبيل لأنه فعيل بمعنى مفعول، حيث إنه يدق بالأرجل والمطرقة على آلة الدق لكونها كذلك. و(الاقتيات) أخذ القوت من اقتاته يقتاته اقتياتاً، وقد تقلب التاء الثانية دالا للخفة أي أخذه قوتاً لنفسه. و(الورق) بالتحريك ورق الشجر، والمراد بيان احتياجهم إلى أكل مثله لغاية الفقر والمجاعة. وفي بعض النسخ: (وتقتادون القد) وهو بكسر القاف وتشديد الدال سير يقد من جلد غير مدبوغ، كناية عن كون أكلهم من الأشياء الخشنة كالورق والقد، وكون شربهم من المياه العفينة كالنقيع والطرق. وحاصل المراد من الفقرات المذكورة وصفهم بخباثة المشرب وخشونة المأكل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم لفقرهم، وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الأعادي. و(الأذلة) جمع الذليل كالأعزة جمع عزيز. و(الخاسئ) الصاغر المبعد كناية عن الذليل أيضاً من خسأت الكلب خسأ طردته، وفي حديث الدعاء: (واخسأ شيطاني) بهمزة وصل أي أسكنه صاغراً مطروداً وأبعده، وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى بمعنى انخسأ،

---

(١) الطارق: ٢ – ٣

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1] وأصل الخسء هو الإبعاد والبعد بمكروه، وقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2] أي باعدين مبعدين، و﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾[3] أي مبعد أو هو كليل. و(التخطف) استلاب الشيء بخفية وأخذه بسرعة من قولهم: خطفه خطفاً - من باب تعب - استلبه بسرعة، ومن باب ضرب لغة أيضاً حكاها الأخفش، وتخطفه واختطفه مثله، وخطفه تخطيفا مبالغة فيه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾[4] أي اختلس خلسة من كلام الملائكة، وليتخطف الناس من أرضنا أي تستلب. والخطاف - بالفتح - هو الشيطان يخطف السمع أي يسترقه، وقوله تعالى: ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[5] كل منهما كناية عن الهلاك. وقولهاعليها السلام: (من حولكم) أي من جوانبكم، والمراد الجوانب الأربعة كناية عن الإحاطة والأخذ على الوجه الأكمل، والكلام المذكور من قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[6]. وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنينعليه السلام أن الخطاب في تلك الآية لقريش خاصة، والمراد بالناس سائر العرب أو الأعم منها ومن العجم. و(اللتيا) بفتح اللام وكسر التاء تصغير التي، وجوز بعضهم فيه ضم اللام وفتح التاء، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة، فاللتيا

(١) المؤمنون: ١٠٨

(٢) البقرة: ٦٥

(٣) الملك: ٤

(٤) الصافات: ١٠

(٥) الحج: ٣١

(٦) الأنفال: ٢٦

للداهية الصغيرة والتي للكبيرة وقيل بالعكس أي اللتيا للكبيرة والتي للصغيرة، تشبيهاً للحيَّة فإنها إذا كثر سمها صغرت فإن السم يأكل جسدها. وقال ابن ميثم في شرح نهج البلاغة: إن اللتيا والتي كالمثل، وأصله أن رجلاً تزوج امرأة قصيرة ضئيلة الخلق فقاسى منها شدائد، فطلقها وتزوج طويلة بعد ذلك فقاسى منها أضعاف ذلك فطلقها، ثم سئل: هل تتزوج؟ فقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً. وقيل: إن اللتيا كناية عن التمرة والتي عن النخلة، والمراد بعد القصة الصغيرة والطويلة، نظير قولهم: قصيرة عن طويلة كناية عن الإجمال بعد التفصيل والتقصير بعد التطويل. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (بعد أن مني ببهم الرجال) مني بهم على صيغة المجهول أي ابتلى بهم من قولهم: منوته ومنيته إذا ابتليته، ومنه التمني أي طلب الابتلاء والوصول والمنا المقصود والمقدور وغير ذلك. و(بهم) كصرد الشجعان لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون جمع البهمة كغرفة وغرف، وفي الصحاح عن أبي عبيدة: البهمة ـ بالضم ـ الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى من شدة بأسه والجمع بُهَم، ويقال للجيش أيضاً بهمة، ومنه قولهم: فارس بهمة وليث غابة، وأمر مبهم أي لا مأتى له، وأبهمت الباب أغلقتها، وأما البهمة ـ بالفتح ـ فهي أولاد الضأن، والجمع البهم بحذف التاء وجمعه بِهام بكسر الباء. و(الذؤبان) بضم الذال جمع الذئب ـ بالكسر ـ يهمز ولا يهمز وأصله الهمز، والأنثى ذئبة، وجمع القليل أذؤب، والكثير ذئاب وذؤبان ـ بضم الذال ـ ، وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، ويستلبون من الناس أموالهم تشبيهاً بالذئاب في تلك الأوصاف، وأرض مذئبة ذات ذئاب. و(المردة) جمع المارد من مرد يمرد ـ من باب قتل وسرق وكرم ـ إذا عتى فهو مارد، و﴿مَرَدُواْ عَلَى

﴿ٱلنِّفَاقِ﴾[1] أي عتوا واستمروا عليه، ومنه المريد بمعنى العاتي في قوله تعالى: ﴿شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾[2] وبمعنى العاري عن الخير والظاهر شره من قولهم: شجرة مرداء إذا سقط ورقها وظهرت عيدانها، ورملة مرداء لانبت فيها، ومكان أمرد لا نبات فيه، وغصن أمرد لا ورق عليه، وغلام أمرد لا شعر في وجهه. ومرِد الغلام - من باب تعب - إذا أبطأ نبات وجهه، وقيل إذا لم تنبت لحيته، ومرُد الرجل - بالضم - مرادة أي صار عاتياً شديداً، والمراد من مردة أهل الكتاب عتاتهم المتكبرون المتجاوزون للحد الذي قرروا عليه. والمُرّاد من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمجوس، والأصل في أهل الكتاب هم اليهود أهل التوراة والنصارى أهل الإنجيل، وأما المجوس فلما كان فيهم شبهة الكتاب الحقوا بأهله، وهم ينسبون دينهم إلى إبراهيم عليه السلام، ويقولون إنهم من أهل ملته، وإنهم يعملون لصحفه على ما ذكروا. وفي الخبر أن أهل مكة كتبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله والتمسوا منه أن يأخذ منهم الجزية ويقرهم على دينهم، فكتب النبي صلى الله عليه وآله : إن ذلك الحكم إنما هو بالنسبة إلى أهل الكتاب، واما غيرهم وهم أهل الحرب فليس الحكم الشرعي في حقهم إلّا الإيمان أو القتل، فكتبوا إليه صلى الله عليه وآله إنك أخذت الجزية من مجوس هجر - موضع باليمن - وهم ليسوا من أهل الكتاب؟ فكتب صلى الله عليه وآله إليهم: إنه كان لهم نبي يقال له جاما سب، وقد جاء إليهم بكتاب من الله كتبوه في اثني عشر ألف جلد ثور، فقتلوا نبيهم وأحرقوا كتابهم. وفي التواريخ أن نبيهم كان يسمى بزرد شت الحكيم المعروف، ووقائعه مشهورة، وكتابه الذي أتى به بزعمه من الله مسمى بزند، وقد شرحه وسماه (پازند) ثم شرح الشرح

(١) التوبة: ١٠١

(٢) الحج: ٣

فسماه (پاپازند) وله اسم آخر أيضاً ذكره مع بعض تفاصيله في كتاب البرهان. وبالجملة فلهم شبهة الكتاب فألحقهم الشارع بأهل الكتاب، ويسمى غيرهم بالكافر الحربي، ولم يجعل من أهل الكتاب أمم الأنبياء السلف مطلقاً وإن كانوا أهل الكتاب أيضاً لأنهم انقرضوا في الأعصار الماضية، ولم يبق منهم اليوم على الأرض باقية، ولذا طرحوا وتركوا بالمرة. قولهاعليهاالسلام: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا﴾ الإيقاد الإشعال من أوقدت النار إيقاداً ووقدتُها وقداً ـ من باب وعد ـ وقوداً بالضم أي أشعلتها، ووقدت النار تقد وقوداً أي اشتعلت يعدى مجرده ولا يعدى. والوقود ـ بالفتح ـ ما يوقد به كالحطب ونحوه، ووزن فعول لما يفعل به كالوضوء ـ بفتح الواو ـ لما يتوضأ به، والسحور لما يسحر به، وأما بالضم فالكل مصدر أو اسم مصدر، وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾[1] فأجج النار على الطين واتخذ الآجر، و﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾[2] أي المشتعلة المشعلة. والمراد من الحرب في الخطبة حرب الرسول أي كلما أوقدوا نار الحرب مع رسول الله ﷺ أطفأها الله بفيض نصره من السماء كإطفاء النار بالماء، وقيل: المراد أنه كلما أرادوا مكراً للنبي ﷺ ودبروا خديعة بالنسبة إليه ﷺ أبطلهما الله سبحانه، وفي لفظ كلما دلالة على أن هذه الحالة كانت مستمرة فيهم، وكانت جنود نصر الله تعالى نازلة على نبيه ﷺ في جميع الأعصار والأزمنة. و(نجم) الشيء نجوماً ـ من باب قعد ـ أي طلع وظهر وكذلك نجم النبت، وكلما طلع النبت وظهر فقد نجم، وقد خص بالنجم منه مالاً يقوم على ساق كما خص القائم منه على الساق بالشجر،

(١) القصص: ٣٨

(٢) الهمزة: ٦

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1]. ولعل إطلاق النجم على الكوكب أيضاً بمناسبة الطلوع والظهور، والنجم أيضاً كوكب الثريا بخصوصه، وهو اسم علم له كزيد وعمرو، وفي الخبر: (هذا إبان نجومه ﷺ أي وقت ظهوره، وفلان منجم الباطل والضلالة أي مظهرهما ومعدنهما، ويقال: نجم السن أو القرن أي ظهر من اللحم والجلد. و(القرن) كناية عن القوة، وفسر قرن الشيطان بامته ومتابعيه أيضاً والمآل واحد. و(فغر) فاه أي فتحه وفغر فوه انفتح يتعدى ولا يتعدى، وأفغر النجم أي ظهر ظهوراً قوياً وذلك في الشتاء لأن الثريا إذا ظهر في كبد السماء من نظر إليه فغر فاه، وفي حديث موسى عليه السلام: (فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها). وفي حديث النابغة الجعدي: «كلما سقطت له سن فغرت له سن» أي موضع سن كناية عن طلوع السن، وفي الحديث: (إني لأبغض الرجل فاغراً فاه إلى ربه يقول: يا رب ارزقني)، والفاغرة من المشركين الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية أو السبع، ويمكن تقدير الموصوف مذكراً على أن تكون التاء للمبالغة. و(القذف) الرمي ويستعمل في الحجارة كما أن الحذف يستعمل في الحصى، يقال: هم بين حاذف وقاذف، ويقال: قذفه بالحجارة ـ من باب ضرب ـ إذا رمى بها، وقذف المحصنة رماها بالفاحشة. وقذف بقوله تكلم به من غير تدبر ولا تأمل، وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾[2] أي نرمي به في قلب من يشاء، وقذفت الماء في الظرف أي طرحته فيه، و﴿اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾[3]

(١) الرحمن: ٦
(٢) الأنبياء: ١٨
(٣) طه: ٣٩

أي ضعيه وألقيه فيه، و﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا﴾[1] أي طرحناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة. وفي الدعاء: (واقذف في قلبي رجاءك) أي ألقه، وفي الخبر: (ربما قذفت الحبلى الدم) أي رمته، وفي الخبر: (وخشيت أن يقذف في قلوبكما شراً) أي يلقي ويوقع، وقذف الرجل: قاء. و(اللهوات) بالتحريك جمع اللهاة، وهي اللحمة الحمراء المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، وفي الصحاح: اللهاة الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم، والجمع اللها واللهوات واللهيات أيضاً، وقيل: هي سقف الفم. واللهوة ـ بالضم ـ ما يلقيه الطاحن في فم الرحى بيده، ولهيت عن الشيء ولهوت عنه إذا سلوت عنه، وتركت ذكره، وأضربت عنه كأنك جعلته في لهاتك وسترته، ولهوت بالشيء أي لعبت به كأنك غفلت عن الغير بالاشتغال به، و﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[2] أي ساهية غافلة مشغولة بالباطل. وفي بعض النسخ: (في مهواتها) والمهوى ـ بالتسكين ـ الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك، وعلى أي حال فجملة نجم عطف على جملة أوقدوا، أي كلما نجم قرن للشيطان... الخ، والمراد أنه ﷺ كلما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً عليه السلام لدفعها وعرضه للمهالك. وفي رواية كشف الغمة وابن أبي طاهر: (كلما حشوا ناراً للحرب ونجم قرن للضلال... الخ)، قال الجوهري: حششت النار أوقدتها، والمعنى كالمعنى. (فلا ينكفئ حتى يطأ...) الانكفاء ـ بالهمزة ـ الرجوع من قولك: كفأت القوم كفأ إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره فانكفؤوا أي رجعوا، وكفأت الإناء وأكفأته إذا كببته وأملته ليفرغ

(١) طه: ٨٧

(٢) الأنبياء: ٣

ما فيه، وفي حديث الوضوء: (فأتاه محمد بن الحنفية بالماء فأكفأه بيده على يده اليمنى) أي قلبه عليها، وانكفأت بهم السفينة أي انقلبت. و(الصماخ) بالكسر ثقب الأذن والأذن نفسها أيضاً، وبالسين كما في بعض الروايات لغة فيه، وضرب الله على أصمختهم جمع قلة للصماخ مثل أسلحة وسلاح أي أنامهم الله، وفي حديث علي عليه السلام: (أصغت لاستراقه صمائخ الأسماع) جمع صماخ كشمال وشمائل. والأخمص - بفتح الميم - مالاً يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، وخمص القدم - من باب تعب - خمصاً إذا ارتفعت عن الأرض فلم تمسه، فالرجل أخمص والمرأة خمصاء والجمع خمص، مثل أحمر وحمراء وحمر، وإن جمعت القدم نفسها قلت: أخامص مثل أفضل وأفاضل إجراء له مجرى الأسماء. وأصله من خمص فلان خمصاً - من باب قرب - إذا جاع فهو خميص، وقد يقال: رجل خمصان كعريان وعميان بمعنى الأخمص والعاري والأعمى، وروي جناحها بدل صماخها. و(الإخماد) إسكان لهب النار من خمدت النار خموداً - من باب قتل - سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، وأخمدتها أنا أسكنتها، وخمد المريض أغمي عليه أو مات لخمود نار روحه، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾[1] أي ميتون، وخمود الإنسان موته وسكونه عن الحركة. وفي المصباح: خمدت النار خمودا - من باب قعد - ماتت فلم يبق منها شيء، وقيل: سكن لهبها وبقي جمرها، كما أشير إليه. و(اللهب) بالتحريك اتقاد النار، وفي الصحاح: لهب النار لسانها، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2] قال الشيخ أبو علي: قرأ ابن كثير: (أبي لهب) بسكون الهاء، والباقون

(١) يس: ٢٩

(٢) المسد: ١

بفتحها. وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، قيل اسمه كنيته، وقيل اسمه عبد العزى، فسمى بذلك لحسنه وإشراق وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان. وتلهبت النار والتهبت: اتقدت، وألهبتها: أوقدتها، ويطلق اللهب على الغبار الساطع كالدخان أيضاً، ووطء الصماخ بالأخمص كناية عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.

مَكْدُوداً في ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً في أمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رسُولِ اللهِ سيِّدَ أوْلياءِ اللهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ. فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِينَ. فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتِفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ،

■ القاضي النعمان:

احتد الرجل إذا غضب وحده وغضبه. وقولها: وأنتم في رفاهية. يقال منه: رفه عيش فلان رفاهية، فهو رفيه العيش، أي هو في خير وخفض. وقولها: ظهرت حسكة النفاق. من حسك الصدر: وهو حقد العداوة. وتقول إنه حسك الصدر على فلان. وقولها: واستهتك جلباب الدين. استهتك، استفعل من الهتك، والهتك أن تجذب ثوباً أو ستراً فتقطعه من موضعه، أو تشق طرفه فيبدو لذلك ما وراءه، فلذلك يقال: هتك الله ستره، ورجل مهتوك الستر، متهتك. ورجل مستهتك لا يبالي أن

يهتك ستره عن عورته. ويقال ذلك لكل شيء هتك وأهتك واستهتك. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، فإذا فعلت ذلك قيل تجلببت، فضربت فاطمة صلوات الله عليها ذلك مثلاً لهتكهم حرمان الدين واستخفافهم بها. وقولها: ونطق كاظم الغاوين. فالكظم: السكوت. والكاظم: الساكت. تقول: نطق من كان من الغد، أن قد اسكته رسول الله ﷺ. والغاوون جمع غاو من الغي. والغي مصدر من قولك غوي الغاوي، فهو يغوى غياً. والغي: الضلال ضد الهدى. وقولها: نبغ خامل الأفلين. يقال: نبغ فلان إذا قال الشعر ولم يكن قاله قبل ذلك. وقيل: إن زياداً قال الشعر بعد أن كبر، فسمي النابغة لذلك، وقيل: بل سمي بذلك لقوله: (وقد نبغت لهم منا شؤون) فمعنى نبغ ها هنا: ظهر اليوم من كان خاملاً من الأفلين. وقولها: وهدر فنيق المبطلين. البعير يهدر هديراً وهدراً. والحمامة أيضاً تهدر. والفنيق: الفحل من الإبل. ضربته مثلاً لمن استفحل من المبطلين من الأمة فرأس عليها وتناول ما ليس له منها. وقولها: يخطر في عرصاتكم. تعني: الفحل من الإبل الذي ضربته مثلاً. والفحل من الإبل يخطر بزينه إذا مشى مختالاً. وكذلك الناقة، وكذلك الإنسان إذا مشى يخطر بيديه كبرا. والعرصات: جمع عرصة. وعرصة الدار: وسطها. وقولها: وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم. مغرز الشيء: أصله مثل مغارز الريش، ومغارز الأضلاع. وقولها: ولعزمه متطاولين. المتطاول: الشيء المستشرف إليه. قال الشاعر:

تطاولت فاستشرفته فرأيته
فقلت له أأنت عمرو الفوارس

وقولها: وأحمشكم فألفاكم غضاباً. تقول: أغضبكم فوجدكم كذلك. يقال منه الرجل إذا اشتد غضبه: قد استحمش غضباً. وقولها: فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم. مثل ضربته لاغتصابهم الإمامة من أهلها وأخذهم غير حقهم منها.

■ العلاّمة المجلسي:

مكدوداً في ذات الله: المكدود: من بلغه التعب والأذى، وذات الله: أمره ودينه، وكل ما يتعلق به سبحانه، وفي الكشف: مكدوداً دؤوباً في ذات الله. سيد أولياء الله..: ـ بالجر ـ صفة الرسول ﷺ أو بالنصب عطفاً على الأحوال السابقة، ويؤيد الأخير ما في رواية ابن أبي طاهر: سيداً في أولياء الله. والتشمير في الأمر: الجد والاهتمام فيه. والكدح: العمل والسعي. وأنتم في رفاهية من العيش..: قال الجوهري: الدعة: الخفض..، تقول: منه ودع الرجل.. فهو وديع أي ساكن ووداع أيضاً،.. يقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة. وقال: الفكاهة ـ بالضم ـ المزاح،.. وبالفتح ـ مصدر ـ فكه الرجل ـ بالكسر ـ فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا، والفكه ـ أيضاً ـ الأشر البطر، وقرئ: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَكِهِينَ﴾[1] أي أشرين، وفاكهين.. أي ناعمين، والمفاكهة: الممازحة. وفي رواية ابن أبي طاهر: وأنتم في بلهنية وادعون آمنون.. قال الجوهري: هو في بلهنية من العيش أي سعة ورفاهية، وهو ملحق بالخماسي بالف في آخره، وإنما صارت ياء لكسرة ما قبلها، وفي الكشف: وأنتم في رفهنية.. وهي مثلها لفظاً ومعنى. تتربصون بنا الدوائر: الدوائر: صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحول النعمة

(١) الدخان: ٢٧

إلى الشدة، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة والغلبة عنا. تتوكفون الأخبار: التوكف: التوقع، والمراد أخبار المصائب والفتن، وفي بعض النسخ: تتواكفون الأخيار، يقال: واكفه في الحرب أي واجهه. وتنكصون عند النزال: النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، والنزال - بالكسر - ان ينزل القرنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا، والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط. ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين: الحسيكة: العداوة، قال الجوهري: الحسك: حسك السعدان، الواحدة حسكة،.. وقولهم في صدره عليَّ حسيكة وحساكة.. أي ضغن وعداوة. وفي بعض الروايات: حسكة النفاق.. فهو على الاستعارة. وسمل الثوب - كنصر - صار خلقاً. والجلباب - بالكسر - الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة. وقيل: هو إزار ورداء. وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها. والكظوم: السكوت. ونبغ الشيء - كمنع ونصر - أي ظهر ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشعر، ثم قال وأجاد. والخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطا لا نباهة له. والمراد بـ: الأقلين: الأذلون، وفي بعض الروايات: الأولين. وفي الكشف: فنطق كاظم ونبغ خامل، وهدر فنيق الكفر، يخطر في عرصاتكم.. والهدر: ترديد البعير صوته في حنجرته. والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يُركب ولا يُهان لكرامته على أهله. فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزها هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين: يقال: خطر البعير بذنبه يخطِر - بالكسر - خطراً وخطراناً إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه، ومنه قول الحجاج - لما نصب المنجنيق على الكعبة -.. خطارة

كالجمل الفنيق....، شبه رميها بخطران الفنيق. ومغرز الرأس ـ بالكسر ـ: ما يختفي فيه، وقيل: لعل في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنه إنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنه يمد عنقه إليه. والهتاف: الصياح. والفاكم.. أي وجدكم. والغرة ـ بالكسر ـ الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان. وملاحظة الشيء: مراعاته، وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخر العين، وهو إنما يكون عند تعلق القلب بشيء، أي وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله. ويحتمل أن يكون للعزة ـ بتقديم المهملة على المعجمة ـ. وفي الكشف: وللعزة ملاحظين.. أي وجدكم طالبين للعزة. ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم: النهوض: القيام، واستنهضه لأمر.. أي أمره بالقيام إليه. فوجدكم خفافاً.. أي مسرعين إليه. وأحمشتُ الرجل: أغضبتُه، وأحمشت النار ألهبتها، أي حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه أو من عند أنفسكم، وفي المناقب القديم: عطافاً ـ بالعين المهملة والفاء ـ من العطف بمعنى الميل والشفقة، ولعله أظهر لفظاً ومعنى. والوسم: أثر الكيّ، يقال وسمته ـ كوعدته ـ وسماً. والورود: حضور الماء للشرب، والإيراد: الإحضار. والشرب ـ بالكسر ـ: الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة.

وفي الكشف: وأوردتموها شرباً ليس لكم.

■ الأنصاري التبريزي:

(مكدوداً) حال من أخاه أو ضميره وكذا ما بعده من الأوصاف

المنصوبة، والمكدود من بلغه التعب والأذى من الكد ـ بالفتح ـ بمعنى الشدة في العمل وطلب التكسب ونحوه، وكددت الرجل ـ من باب قعد ـ أتعبته. وفي الحديث: (ليس من كدك وكد أبيك) أي ليس حاصلاً بسعيك وتعبك، وفي الحديث: (الكاد على عياله فله كذا) أي المكتسب لهم القائم بأمورهم والساعي الكاد نفسه لأجلهم. و(ذات الله) قال الفاضل المجلسي رَحِمَهُ اللهُ: المراد بذات الله أمره ودينه وكل ما يتعلق به تعالى، انتهى. والذات في الأصل مؤنث ذو، ولامه محذوفة وأما عينه فقيل ياء أيضاً لأنه سمع فيه الإمالة، وقيل واو، قال في المصباح: وهو الأقيس لأن باب طوى أكثر من حي، ووزنه في الأصل ذوي وزان سبب فيعرب بالحروف، ولا يستعمل إلّا مضافاً إلى اسم جنس فيقال: ذو علم وذو مال. وأما لفظة ذات فهي وإن كانت بمعنى الصاحبة والتاء فيها للتأنيث، لكن لوحظ في التاء جهة البدلية عن اللام المحذوفة، ولذا جعلت ممدودة مثل تاء أخت وبنت، وصارت جزء الكلمة وأُعرب اللفظ بالحركة. وقيل في النسبة إليها ذاتي بمعنى جبلي فطري بلا تغيير بحذف التاء، ولهذا قد تستعمل بمعنى الحقيقة بلا ملاحظة معنى الوصفية، فيقال: ذات الشيء بمعنى حقيقته وماهيته، ولذا أيضاً جاز استعماله في الله، فيقال: ذات الله، مع أنهم صرحوا أن كل ما يطلق على الله لا يؤتى فيه التاء وإن كانت تاء المبالغة، لكون التاء تاء التأنيث من حيث الأصل تبعيداً للتأنيث الصوري أيضاً عنه تعالى من جهة الأدب. وبالجملة فيطلق الذات البحت البات على هذا الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، ويؤتى بأوصاف هذا اللفظ مذكرة إذا كان صاحب الذات

مذكراً، وإطلاق ذات الله مثل إطلاق جنب الله ووجه الله، وقد وقع إطلاق ذات الله في خطب المعصومين عليهم السلام وفي الأخبار والأدعية كثيراً، كما ترى من هذه الخطبة الشريفة وغيرها، مثل قوله صلى الله عليه وآله: (علي ممسوس من ذات الله) وغير ذلك. فلا يُصغى إلى من أنكر وقوع ذلك في الكلام القديم حتى قال ابن برهان من النحاة: قول المتكلمين (ذات الله) جهل لأن أسماءه تعالى لا يلحقها تاء التأنيث، فلا يقال علامة وإن كان أعلم العالمين، قال: وقولهم (الصفات الذاتية) خطأ أيضاً، فإن النسبة إلى ذات ذوي لأن النسبة تردُّ الاسم إلى أصله. ولا يخفى بطلان ما ذكره فيما لو استعملت على الاسمية على ما مرّت إليه الإشارة، وقد أشير إلى جواب ما ذكره، وأنكر بعضهم كون الكلمة عربية وهو أيضاً غلط. وبالجملة فالذات على الاسمية تستعمل كثيراً بمعنى النفس والحقيقة والسر والكنه وغير ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1] أي ببواطنها وخفياتها وأسرارها، و﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[2] أي حقيقة أحوال بينكم أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال، وذات يوم وليلة وغداة أي حقيقتها، ويستعمل منه الفعل أيضاً فيقال: تذوّتُ الشيء - من باب التفعل - أي صار محقق الحقيقة كما يقال: تحجر الطين أي تحقق فيه حقيقة الحجرية. وفي نسخة الكشف: (مكدوداً دؤوباً في ذات الله) والدؤوب - بالفتح - فعول صفة من دأب يدأب دؤباً - بالضم - كتعب وزنا ومعنى. و(الاجتهاد) مبالغة في الجد، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد من أمر الله أحكامه مطلقاً من أوامره ونواهيه، أو المراد به رضاء الله. (قريباً من رسول الله) لأن علياً عليه السلام كان أقرب الناس إليه صلى الله عليه وآله

(١) آل عمران: ١٥٤

(٢) الأنفال: ١

بالقرب الصوري من حيث النسب والمصاهرة، وبالقرب المعنوي من حيث الشرف والمنزلة. (سيدا في أولياء الله) أي كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ سيدهم كما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان سيد الأنبياء، وخاتم الأولياء، كما أنه كان خاتم الأنبياء، وفي بعض النسخ (سيد أولياء الله) بالنصب مع الإضافة بحذف (في)، وقرئ بالجر أيضاً صفة أو بدلاً أو عطف بيان من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. و(المشمر) اسم فاعل من التشمير في الأمر بمعنى الجد والاهتمام فيه، وأصله من قولهم: شمَّر إزاره عن ساقه تشميراً رفعه، ثم يقال شمر في أمره أي خف وأسرع وجد، وشمرت السهم أرسلته، وانشمر للأمر وتشمر تهيأ، وفي حديث سطيح: (شمِّرْ فإنك ماضي الأمر)، ورجل شِمِّير كشرير مبالغة منه. و(النصح) بضم النون هو الإخلاص والصدق في المشورة والعمل ونحوهما من نصحت لزيد أنصح له نصحاً ونصيحة، وهذه هي اللغة الفصيحة وعليها ورد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾[1] وفي لغة يتعدى بنفسه أي بدون اللام فيقال: نصحته نصحاً، قال الذبياني:

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا
رسولي ولم تنجح لديكم رسائلي

والفاعل ناصح ونصيح، وقال الشيخ أبو علي في قوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[2] هو فعول من النصح وهو خلاف الغش، والتوبة النصوح هي المبالغة في النصح التي لا ينوى فيها معاودة المعصية كأن الإنسان يبالغ في نصح نفسه بها، وقيل: هي ندم في القلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود. وقيل: هو من قولك

(١) هود: ٣٤
(٢) التحريم: ٨

نصحت الثوب خطته اعتباراً لقوله عليه السلام: (من اغتاب خرق ومن استغفر رفأ) أي توبة صحيحة موجبة لغفران الذنوب. قيل: والنصيحة لله الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، ونصرة الحق فيه، والنصيحة لكتاب الله هو التصديق به، والعمل بما فيه، والذب عنه دون تأويل الجاهلية، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، والنصيحة لرسول الله التصديق بنبوته، والانقياد لما أمر به ونهى عنه. والنصيحة لا تكون قبيحة وربما يستقبحها السامع لصعوبتها، ويجمع جميع معاني النصيحة الخلوص في العمل والنية، وكل شيء خلص فقد نصح، والناصح من العسل وغيره هو الخالص المحض، والانتصاح قبول النصيحة في المشورة. و(المجد) اسم فاعل من أجدّ اجداداً بمعنى جدّ واجتهد، والظاهر أنّ الهمزة فيه للصيرورة أي صار ذا جد واجتهاد، ويجوز جعلها للمبالغة يقال: جد في الأمر وأجد فيه بمعنى. و(الكادح) من الكدح بمعنى العمل والسعي ويجيء بمعنى الخدش والكسب أيضاً، يقال: هو يكدح في كذا أي يكد، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[1] أي تسعى بجد واجتهاد للدنيا صائراً إلى ربك أي مآلك إليه، فتزود للقائه ولا تسع للدنيا، وأصابه شيء فكدح وجهه أي خدشه، وفلان يكدح لعياله ويكتدح لهم أي يسعى لأجلهم. و(الرّفاهية) بفتح الراء وتخفيف الياء بمعنى الاتساع كالرفاهة، يقال: رفه العيش ـ بالضم ـ أي اتسع ولان، وهو في رفاهية من العيش أي سعة، ورفهنا رفهاً ـ من باب نفع ـ ورفوهاً أي أصبنا نعمة واسعة من الرزق، ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: أرفهته ورفّهته فترفّه. وفي الخبر: إنه صلى الله عليه وآله نهى عن الإرفاه، وهو التوسعة للنفس بكثرة التدهن والتنعم، وقيل: التوسع في

---

(١) الانشقاق: ٦

المشرب والمطعم وهو من الرفه في ورد الإبل، وهو أن ترد الماء متى شاءت كما يقال: رفهت الإبل إذا وردت الماء كل يوم شاءت، وحاصل المراد ترك التنعم والدعة ولين العيش لأنه من زي العجم وأرباب الدنيا. وفي حديث جابر: (أراد أن يرفِّه عنه) أي ينفس عنه ويخفف، وفي حديث ابن مسعود: (إن الرجل يتكلم بالكلمة في الرفاهية من سخط الله ترديه أبعد ما بين السماء والأرض) أي ينطق بكلمة على حسبان أن سخط الله لا يلحقه إن نطق بها، فهو في الرفاهية من سخط الله على حسبانه، وربما أوقعته في مهلكة عظيمة عند الله. و(العيش) الحياة وقد عاش الرجل معاشاً ومعيشاً، وكل واحد منهما يصلح أن يكون مصدراً وأن يكون اسماً، مثل معاب ومعيب، وممال ومميل، وأعاشه الله عيشة راضية، ويقال في معيش: معيشة أيضاً، والجمع معايش بلا همزة إذا جمعتها على الأصل أي المعيش، وتقديره مفعل والياء أصلية متحركة فلا تنقلب في الجمع همزة، وكذلك مكاييل ومبابيع ونحوها، وإن جمعتها على الفرع همزت وشبهت مفعلة بفعيلة كما همزت المصائب لأن الياء ساكنة. ومن النحويين من يرى الهمز لحنا، ومنهم من يرى عدم الهمز لحناً بناء على أن الياء أو الواو إذا وقعت بعد ألف زائدة قلبت همزة قاعدة مطردة كما في كساء ورداء، فتأمل. والتعيش تكلف أسباب المعيشة، وقد تطلق المعيشة والعيش على الاشتغال بأسباب العيش والتنعم بمقدماته، وعلى مكسب الإنسان الذي يعيش به. و(وادعون) خبر قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (وأنتم) والجار متعلق به من الدعة، وهي على ما ذكره الجوهري السعة والخفض، تقول منه ودع الرجل ـ بضم الدال وفتحها ـ وداعة ـ بالفتح ـ ودعة فهو وديع أي ساكن، رابط الجأش، غير مضطرب الحال، ووادع أيضاً ويقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير

كلفة، ولعل قولهم يدع بمعنى يذر مأخوذ من ذلك أيضاً، فإن السكون يستلزم الترك. ومنه الوديعة بمعنى الأمانة المتروكة عند الغير، ويدع بهذا المعنى قيل لا ماضي له أي لم يستعمل له ماض، وإنما يستعمل بدل ماضيه ترك لا ودع، ولذا قالوا: وأماتوا ماضي يدع ويذر، وهو ضعيف إلّا أنه لا كلام في الندرة والقلة. وقرأ جماعة قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1] بالتخفيف بمعنى ما تركك، كما أنه يجيء بالتضعيف أيضاً بهذا المعنى من الوداع بمعنى الترك والمفارقة والهجر، وورد في الأخبار أيضاً ونقله الفراء مستعملاً في كلام العرب، فلا وجه للإماتة. وأودعته مالاً أي جعلته وديعة عنده، وأودعه أيضاً أي قبله للوديعة فيكون من الأضداد، واستودعته وديعة أي استحفظته إياها، قال الشاعر:

استودع العلم قرطاس فضيعه
فبئس مستودع العلم القراطيس

و(الفكاهة) بالضم المزاح وبالفتح المصدر من فكه الرجل - بالكسر - فهو فكه إذا كان طيب النفس مزّاحاً، والفكه أيضاً الأشر والبطر، وقرئ قوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ﴾[2] أي أشرين، وفاكهين أي ناعمين أو معجبين بما هم عليه، والمفاكهة الممازحة. وفي الحديث: (كان النبي ﷺ من أفكه الناس مع الصبي)، وفي حديث زيد بن ثابت: (انه كان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله)، والفاكهة ما يتفكه به الإنسان أي يتنعم بأكله رطباً كان أو يابساً كالزبيب، والرطب، والتين، والبطيخ، والرمان. وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[3] من باب عطف الخاص

---

(١) الضحى: ٣

(٢) الدخان: ٢٧

(٣) الرحمن: ٦٨

على العام لزيادة الاهتمام، ومن قال من جهة تخصيصهما بالذكر بعد الفاكهة: إن النخل والرمان ليسا من الفاكهة، فهو من جهة الجهل بلغة العرب في ذكر التفصيل بعد الإجمال، وذكر الخاص بعد العام لفوائد يقتضيه الحال والمقام، وقوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾(1) أي تعجبون بما أصابكم وحاصله تندمون. و(آمنون) أي مطمئنون، وقد مرّت الإشارة إلى معنى تلك المادة، وفي رواية ابن أبي طاهر: (وأنتم في بلهنية وادعون آمنون)، قال الجوهري: في بلهنية من العيش ـ بضم الباء وفتح اللام ـ أي سعة ورفاهية. وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره، وإنما صارت ياء لكسرة ما قبلها، ويقال بَلْهَنَةَ من العيش كدحرجة، أيضاً وفي الكشف: (وأنتم في رفهنية) وهي مثلها لفظاً ومعنى، والظاهر في بلهنية ورفهنية زيادة النون والياء والأصل من البله والرفه. و(التربص) الانتظار، يقال: تربصت قدوم زيد أي انتظرته متوقعاً ذلك، ومنه المتربص للمحتكر، وأصله من قولهم: ربص بالمكان إذا لزمه وأقام به، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾(2) أي تمكث أربعة أشهر، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾(3) أي منتظر للعاقبة. وتربص الدوائر تربص نزولها، والدوائر جمع الدائرة، وهي صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة، لكونها دائرة على الإنسان ومحيطة به، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحول النعمة إلى الشدة، وكل نائبة دائرة سوء، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة عنا. و(التوكف) التوقع من الوكف بمعنى الوقوع من قولهم: وكف المطر أي

---

(1) الواقعة: ٦٥

(2) البقرة: ٢٢٦

(3) طه: ١٣٥

وقع، فيقال: توكفه أي انتظر وقوعه، ويقال: توكف الخبر إذا انتظر بلوغه ووصوله. و(الأخبار) جمع خبر، والمراد بها هنا أخبار المصائب والفتن والنوائب، وفي بعض النسخ: (تتواكفون الأخيار) بالياء المثناة تحت، يقال: واكفه في الحرب أي واجهه. و(النكوص) الإحجام والتأخر عن الشيء والرجوع إلى وراء قهقرى، يقال: نكص على عقبيه ـ من باب ضرب ونصر ـ أي رجع القهقرى. و(النزال) بالكسر المنازلة والمنازعة، وهو أن ينزل القرنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا، والفرار من القتال وهو الهزيمة، والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزالوا منافقين، وعن الجهاد ناكبين، وعن النهوض إلى النزال قاعدين، والمراد من دار أنبيائه هي الجنة أو الدرجات العالية منها ممّا يليق بالأنبياء، وكذلك المراد من مأوى الأصفياء. وقولهاعليها السلام: (ظهر فيكم حسكة النفاق) الحسكة ـ بالتحريك ـ العداوة وكذلك الحسيكة كما في بعض النسخ، يقال: في صدره حسكة وحسيكة أي ضغن وعداوة إستعارة من حسك السعدان، وهي عشبة شوكتها مدحرجة وهي شوكة صلبة معروفة، الواحدة حسكة ويقال: حسك الصدر على فلان أي صار عليه ذا حسكة وعداوة، وإطلاق الحسكة على العداوة لأنها تؤثر في القلب وتؤذيه كالشوكة، فالمراد من حسكة النفاق العداوة الحاصلة به ومعه على سبيل الاستعارة، والإضافة بيانية. و(أسمل) هو أفعل من قولهم: سمل الثوب كنصر سمولاً أي صار خلقاً وبمعناه أسمل، وثوب اسمال جمع سمل ـ بالتحريك ـ بمعنى سمل كأن كل قطعة منه سمل، مثل برمة أعشار ونطفة أمشاج. و(الجلباب) بالكسر الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها، وقيل غير ذلك. و(الكاظم) من قولك: كظمت الغيظ ـ من باب

ضرب ـ كظماً وكظوماً إذا أمسكت على ما [في] نفسك منه على صفح أو غيظ، وفي التنزيل: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[1]، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد هنا الساكت من جهة الخوف عن عقاب النبي ﷺ المبطن لعداوته، والكاظم غيظه من جهة مهابته. و(الغاوون) الضالون المنهمكون في الجهل والباطل من غوى يغوي غيّاً وغواية، قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[2] وفسروا بقوم وصفوا عدلاً يعني حلالاً وحراماً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره. وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[3] أي ما انهمك في الجهل والباطل، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[4] أي خيبة وضلالة، والاسم أيضاً الغواية بالفتح. و(نبغ) الشيء ـ من باب منع وقتل وضرب ـ نبغاً ونبوغاً ـ بالغين المعجمة ـ أي ظهر، ونبغ الرجل إذا لم يكن في إرث الشعر ثم قال وأجاد، ومنه النوابغ من الشعراء، ونبغ فيهم النفاق إذا ظهر ما كانوا يخفونه من النفاق واشتهر، ومنه ابن النابغة لعمرو بن العاص لظهورها في الزنا وشهرتها، ونبغ أيضاً في الشعر إذا قال وأجاد فظهر واشتهر. و(الخامل) من خفي ذكره وصوته وكان ساقطاً لا نباهة له، مأخوذ من خمل المنزل خمولاً ـ من باب نصر ـ إذا عفّى ودرس واخملته أنا، واذكروا الله ذكراً خاملاً أي منخفضاً توقيراً لجلاله. والمراد بـ(الآفلين) الأذلون من قولهم: أفل الشيء أفولاً ـ من باب ضرب ونصر ـ أي غاب، وكذا أفل فلان عن البلد أي سار وذهب، وأفلت الشمس إذا غربت،

---

(١) آل عمران: ١٣٤

(٢) الشعراء: ٢٢٤.

(٣) النجم: ١ ـ ٢

(٤) مريم: ٥٩

والآفل: الزائل المتغير، ومنه قوله تعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾[1]. و(الهدير) التصوت، يقال: هدر البعير هديراً ـ من باب ضرب ـ تصوَّتَ أو ردد صوته في حنجرته، وهدر الحمام هديراً أي سجع. و(الفنيق) الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب، ومنه قولهم: تفنق الرجل أي تنعم، وفي بعض الروايات: (ونطق خامل الأولين)، وفي الكشف: (فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فنيق الكفر)، والحاصل أنه لمَّا مات النبي ﷺ أظهر أهل النفاق نفاقهم، ونطق الذين كانوا من مهابة النبي ساكتين، وفي زاوية الخمول آفلين. قولهاعليها السلام: (فخطر في عرصاتكم) يقال: خطر البعير بذنبه يخطر ـ بالكسر ـ خطراً ـ بفتحتين ـ وخطراناً إذا حركه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه، ومنه قول الحجاج لما نصب المنجنيق على الكعبة: (خطارة كالجمل الفنيق) شبه رميها بخطران الفنيق، وخطران الرجل اهتزازه في المشي وتبختره، وفلان يخطر في مشيته أي يتمايل ويمشي مشية المتعجب بنفسه، ومنه الحديث: (أحب الخطر بين الصفين وأبغض الخطر بين الطرقات). و(العرصة) كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها شيء من بناء وغيره، والجمع العراص والعرصات. و(مغرِز) الرأس ـ بكسر الراء ـ ما يختفى فيه من غرزت بالإبرة غرزاً ـ من باب ضرب ـ أي أدخلتها فيه، ومنه غرزت رجلي في المغرز إذا وضعتها فيه، قيل: لعل في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ فإنه إنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنه يمتد عنقه إليه. و(الهاتف) الصائح من الهتاف ـ بالكسر ـ بمعنى الصياح من هتف به هتفاً وهتافاً ـ من باب ضرب ـ صاح به ودعاه، وهتفت الحمامة صوتت، وهتف به هاتف سمع وصوته ولم ير شخصه،

---

(١) الأنعام: ٧٦

وفي حديث حنين: (اهتف بالأنصار) أي نادهم وادعهم، وفي حديث بدر: (فجعل يهتف بربه) أي جعل يدعوه ويناشده. وقولهاعليها السلام: (ألفاكم) أي وجدكم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾[1]، وقولهاعليها السلام: (لدعوته) متعلق بقولها: (مستجيبين). و(الغرة) بكسر الغين الاغترار والانخداع والغفلة من الغرور، ورجل غر وغرير أي غير مجرب غافل عن الدنيا وتقلباتها على أهلها، ويقال: غره أي أوقعه في غفلة فهو مغرور، واغترَّ بالشيء خدع به، واغتره أي أتاه على غفلة، والغرور: الشيطان لأنه يغر الإنسان في الغفلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[2] وكل ما يوجب الغفلة للإنسان فهو غرور، ولو كان هوالتنعم وزينة الدنيا وغيرهما. وفي الخبر: (المؤمن غر كريم، والمنافق خب لئيم) أي المؤمن ليس بذي نكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخب، أي المؤمن المحمود من طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً ولكنه كرم وحسن خلق. وقوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[3] أي أي شيء غرك في خالقك وخدعك وسول لك الباطل حتى عصيته، وإنما قال الكريم دون سائر صفاته تعالى وأسمائه تلقيناً أن يقول: غرني كرمك يا كريم، والضمير المجرور في قولهاعليها السلام: (فيه) للشيطان. و(ملاحظة) الشيء مراعاته، وأصله من اللحظ واللحاظ ـ بفتح اللام فيهما ـ اسماً للنظر بمؤخر العين ممّا يلي الصدغ عن يمين وشمال، وهو أشد التفاتاً ويكون عند تعلق القلب بشيء، وأما اللحاظ ـ بكسر اللام ـ فهو مصدر لاحظه

(١) الصافات: ٦٩

(٢) لقمان: ٣٣

(٣) الانفطار: ٦

ملاحظة أي نظر إليه بمؤخر عينه، واما النظر بالشق الذي على الأنف فيسمى بالموق والماق. والمراد أنه وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع إليه كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله، ويحتمل أن يكون (للعزة) بتقديم المهملة على المعجمة، وفي الكشف: (وللعزة ملاحظين) أي وجدكم طالبين للعزة. و(النهوض) القيام من نهض لكذا وإلى كذا ـ من باب منع ـ أي قام إليه أو به، واستنهضه للأمر أي أمره بالقيام إليه، وفي الحديث: (إن أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية) أي طلب النهوض منهم. ونهض من مكانه نهوضاً أي ارتفع عنه، ونهض إلى العدو أسرع إليه، ونهضت إلى فلان تحركت إليه بالقيام، وأنهضته للأمر فانتهض أي أقمته إليه فقام، وناهضته قاومته، وتناهض القوم في الحرب إذا نهض كل فريق إلى صاحبه، ونهض النبت إذا استوى. و(الخفاف) جمع خفيف خلاف الثقيل أي وجدكم مسرعين إليه بلا تثاقل. و(الإحماش) الإغضاب، يقال: أحمشه إذا أغضبه وكذلك التحميش، وفي حديث ابن عباس: (رأيت علياً عليه السلام يوم صفين وهو يحمش أصحابه) أي يحرضهم على القتال ويغضبهم على الأعداء، ويقال: حمش الشر اشتدَّ، وأحمشته النار وأحمشت النار: ألهبتها، وأحمشت القدر: أشبعت وقودها. ومنه حديث أبي دجانة: (رأيت إنساناً يحمش الناس) أي يسوقهم بغضب، وفي الخبر: (ولا حمية تحمشكم)، واحتمش فلان أي التهب غضباً، واحتمش الديكان أي اقتتلا. والحاصل أنه حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم أي وجدكم مطيعين له في أي حال، ومنقادين له في جميع الأحوال، وفي كتاب المناقب القديم: (عطافاً) بدل خفافاً ـ بالعين المهملة والفاء ـ من العطف بمعنى الميل والشفقة والانحناء والتحنية من

قولهم: عطفت الناقة إلى ولدها أو على ولدها أي حنت، وعطفت العود فانعطف، ولعله أظهر لفظاً ومعنى، وهو إما جمع عطوف أو عطيف، أو مصدر بمعنى الصفة، أو مفعول مطلق لفعل محذوف. و(الوسم) أثر الكي، يقال: وسمته ـ كوعدته ـ وسماً أي جعلت عليه علامة، والغالب كونها بالكي، والاسم السمة وهي العلامة، ومنه الموسم لأنه معلم يجتمع إليه الناس للحج والعمرة، واسم الآلة منه الميسم ـ بكسر الميم ـ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾(١) أي المتفرسين. و(الورود) حضور الماء للشرب خلاف الصدور، والإيراد الإحضار. و(المشرب) محل الشرب، وفي بعض النسخ (أوردتم) وفي بعضها (الشِرب) بلا ميم مع كسر الشين، وهو الحظ من الماء ويطلق على المشرب أيضاً، وفي الكشف: (وأوردتموها شرباً ليس لكم) والكلام كناية عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة.

---

(١) الحجر: ٧٥

هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدمِلْ ، وَالرّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ ، ابْتداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]. فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ ، وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ ، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3]. ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها ، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها ، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها ، وَتَسْتَجيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ ، وَاطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ ، وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارْتِغاءٍ ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالضَّراءِ ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى ، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا ،

■ القاضي النعمان:

قولها: هذا والعهد قريب. تعني برسول الله ﷺ ، وإن ذلك كان منهم بقرب وفاته. وقولها: والكَلْم رحيب. أي واسع. تعني ما تكلم به رسول

(١) التوبة: ٤٩

(٢) الكهف: ٥٠

(٣) آل عمران: ٨٥

الله ﷺ في 'مامة علي عليه السلام فما أوجبها وأكدها. وقولها: والجرح لما يندمل. تقول يبرأ. واندمال الجرح: برؤه. تعني: موت رسول الله ﷺ. وقولها: أنى تؤفكون. تقول: أين تصدون عن الحق. والأفّاك الذي يأفك الناس عن الحق بالكذب. والإفك، تقول: أفك الرجل عن أمر كذا، إذا صرف عنه بالكذب والباطل.

■ العلّامة المجلسي:

هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر: الكَلْم: الجرح. والرحب ـ بالضم ـ السعة. والجرح ـ بالضم ـ الاسم، وبالفتح: المصدر، ولما يندمل.. أي لم يصلح بعد. وقبرته: دفنته. ابتداراً زعمتم خوف الفتنة: ابتدارا مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل، وفي بعض الروايات: بداراً زعمتم خوف الفتنة.. أي ادعيتم وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنا إنما اجتمعنا في السقيفة دفعا للفتنة مع أن الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة. والالتفات في ـ سقطوا ـ لموافقة الآية الكريمة. فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم..: هيهات للتبعيد وفيه معنى التعجب كما صرح به الشيخ الرضي، وكذلك كيف وأنى تستعملان في التعجب. وافكه ـ كضربه ـ: صرفه عن الشيء وقلبه، أي إلى اين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال إن كتاب الله بينكم، وفلان بين اظهر قوم وبين ظهرانيهم.. أي مقيم بينهم محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم. والزاهر: المتلالئ المشرق. وفي الكشف: بين أظهركم قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة. أرغبة عنه، بئس للظالمين بدلاً: أي من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل. ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم

أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي.. ريث - بالفتح - بمعنى قدر وهي كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيراً، وقد يستعمل مع ما يقال: لم يلبث إلّا ريثما فعل كذا، وفي الكشف هكذا: ثم لم تبرحوا ريثا، وقال بعضهم: هذا ولم تريثوا إلّا ريث. وفي رواية ابن أبي طاهر: ثم لم تريثوا.. أختها، وعلى التقديرين ضمير المؤنث راجع إلى فتنة وفاة الرسول ﷺ. وحت الورق من الغصن: نثرها.. أي لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة. ونُفرة الدابة - بالفتح -: ذهابها وعدم انقيادها. والسلس - بكسر اللام -: السهل اللين المنقاد، ذكره الفيروز آبادي. وفي مصباح اللغة: سلس سلساً من باب تعب: سهل ولان. والقياد - بالكسر -: ما تقاد به الدابة من حبل وغيره. وفي الصحاح: ورى الزند يري ورياً: إذا خرجت ناره، وفيه لغة أخرى: وري الزند يري - بالكسر - فيهما وأوريته انا وكذلك ورّيته تورية وفلان يستوري زناد الضلالة. ووقدة النار - بالفتح - وقودها، ووقدها: لهبها، الجمرة: المتوقد من الحطب، فإذا برد فهو فحم، والجمر - بدون التاء - جمعها [كذا]. والهتاف - بالكسر - الصياح، وهتف به.. أي دعاه، وإهماد النار إطفاؤها بالكلية. والحاصل، أنكم إنما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم، ثم شرعتم في تهييج الشرور والفتن واتباع الشيطان، وإبداع البدع، وتغيير السنن. تسرون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حظ المدى، ووخز السنان في الحشا.. الإسرار ضد الإعلان. والحسو - بفتح الحاء وسكون السين المهملتين -: شرب المرق وغيره شيئاً بعد شيء. والارتغاء: شرب الرغوة، وهو زبد اللبن، قال الجوهري: الرغوة - مثلثة -... زبد اللبن.. وارتغيت شربت

الرغوة. وفي المثل ـ يُسِرُّ حَسْوَاً في ارتغاء ـ يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره، قال الشعبي ـ لمن سأله عن رجل قبل أم امرأته ـ قال: يُسرّ حسواً في ارتغاء، وقد حرمت عليه امرأته. وقال الميداني: قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها فيشربها وهو في ذلك ينال من اللبن، يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه. والخمر ـ بالتحريك ـ: ما واراك من شجر وغيره، يقال توارى الصيد عني في خمر الوادي، ومنه قولهم دخل فلان في خمار الناس ـ بالضم ـ أي ما يواريه ويستره منهم. والضراء ـ بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة ـ: الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدب له الضراء ويمشي له الخمر، وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض. والحز ـ بفتح الحاء المهملة ـ: القطع، أو قطع الشيء من غير إبانة. والمُدى ـ بالضم ـ: جمع مدية وهي السكين والشفرة والوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال وخزه بالخنجر.

■ الأنصاري التبريزي:

(هذا) أي خذوا هذا الذي ذكرت وتدبروا فيه، أو اذكروا هذا الذي فعلتم، أو أنكم فعلتم هذا ونحو ذلك والحال ان العهد قريب، ويسمى هذا في نحو هذا المقام بفصل الخطاب. و(العهد) بمعنى الوصية والتقديم لذكر شيء، وبمعنى اللقاء وغير ذلك ممّا مرّت إليه الإشارة سابقاً في شرح قولهاعليها السلام: (وعهد قدمه إليكم) ويقال: عهدي به قريب أي لقائي إياه، والمقصود أنكم فعلتم هذه الأمور، وارتكبتم ما ارتكبتم من المحذور، والحال أن رسول الله صلى الله عليه وآله قريب العهد بكم لم يمض مدة مديدة بينه وبينكم. و(الكلم) بفتح الكاف من قولهم: كَلَمْتُه كَلْماً ـ من

باب قتل ـ أي جرحته، ومن باب ضرب لغة أيضاً، ثم أطلق المصدر اسماً على الجرح ويجمع على كلوم وكلام، ورجل كَليم أي مجروح والجمع كلمى مثل جريح وجرحى، ومن هذه المادة الكلمة والكلام بمناسبة التأثير في المخاطب وغيره، كما قيل:

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

وقد مرّ الكلام في معنى الكلمة والكلام. و(الرحيب) بمعنى الوسيع، وقوله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[1] أي برحبها ـ بضم الراء ـ أي اتساعها، وفي الحديث: (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر) أي لاقوا رحباً وسعة لا ضيقاً، أو أتوا مكاناً واسعاً. ورحب المكان ـ من باب قرب أو تعب ـ أي اتسع، ويتعدى بالحرف فيقال: رحب بك المكان، فكثر الاستعمال حتى تعدى بنفسه أيضاً فقيل: رحبتك الدار، وهذا شاذ في القياس لأنه لا يوجد فعل بالضم إلّا لازماً. ورجل رحب الذراعين أي واسع القوة عند الشدائد، ومنه قولهم: قلدوا أمركم رحب الذراع أي واسع القدرة والقوة والبطش، ومن صفاته ﷺ (رحب الراحة) ومعناه واسع الراحة كبيرها، والعرب تمدح كبير اليد وتهجو صغيرها، ويقولون: رحب الراحة أي كثير العطاء كما يقولون ضيق الباع في الذم، ورحبة المسجد ـ بالفتح ـ الساحة المنبسطة في بابه. وبالجملة فالمراد من كون الكلم رحيباً أي وسيعاً كون وفاة النبي ﷺ أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أي هي ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء، فاتسع الخرق على الراقع، تحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. و(الجرح) بالضم اسم كالجراح ـ بالكسر ـ، وجمع الأول جروح

(١) التوبة: ١١٨

والثاني جراحات، والجرح ـ بالفتح ـ مصدر قولك: جرحه جرحاً من باب منع، واللام فيه للعهد إشارة إلى الكلم السابق ذكره. و(الاندمال) انفعال من قولك: دملت بين القوم أصلحتهم، واندمل الجرح أي التأم وصلح، والمراد أن جرح وفاة النبي صلى الله عليه وآله أي ثلمته لم يرأب بعد ولم يصلح أي لم يمض زمان يوجب سكون فورته وكسر مورته. و(الرسول لما يقبر) من قولك: قبرت الميت أي دفنته، أي غصبتم الخلافة وارتددتم على أدباركم قبل أن يقبر النبي صلى الله عليه وآله ويدفن. قولها عليها السلام: (ابتداراً) أي فعلتم الأفعال السابقة من جهة الابتدار إلى هوى أنفسكم، أو إلى الفتنة، أو إلى الخلافة، أو إلى المخالفة عن الشريعة، أو الى إظهار النفاق والعداوة ونحو ذلك، أو هو مفعول مطلق أي ابتدرتم إلى هذه الأعمال ابتداراً، وفي بعض الروايات: (بداراً) أي فعلتم ما ذكر بداراً، أو بدرتم إلى ما ذكر بداراً بمعنى ابتداراً. (زعمتم خوف الفتنة) أي ادعيتم ذلك وجهاً للابتدار إلى ما ابتدرتم إليه، وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنا إنما اجتمعنا في السقيفة دفعاً للفتنة، مع أنه كان غرضكم غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة التي تترتب عليها المفاسد التي لا انقراض لها إلى أبد الدهر، مع أنكم بفعلكم هذا قد وقعتم في الفتنة العظيمة، وكفرتم عن الشريعة، وإن جهنم لمحيطة بكم في هذه الحالة. والالتفات في سقطوا لموافقة الآية الكريمة، والمعنى هنا ألا في الفتنة سقطتم وإن جهنم لمحيطة بكم حيث إنكم ضللتم وأضللتم، وفي شرع النبي صلى الله عليه وآله ابتدعتم. قولها عليها السلام: (فهيهات منكم) هيهات بمعنى بعد اسم فعل وفيه مع التبعيد معنى التعجب، كما صرح به الشيخ الرضي وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[1] وتحقيق

(١) المؤمنون: ٣٦

الكلمة موكول إلى محله، فهيهات منكم أي بعدت هذه الأمور منكم أي ما كان ينبغي أن تصدر هي منكم، مع أن كتاب الله تعالى بين أظهركم. و(كيف وأنى) تستعملان أيضاً في التعجب، وكيف بكم أيْ أيُّ حال بكم، أو كيف تناسبكم هذه الأمور وكيف تليق بكم. و(أنى تؤفكون) أي إلى أين تصرفون من أفكه كضربه عن الشيء أي صرفه عنه، أي إلى أين يصرفكم الشيطان، أو إلى أين تصرفكم أنفسكم بأهوائها الباطلة مع أن كتاب الله تعالى بينكم، وفيه تبيان كل شيء وهو هدى للمتقين. وهذا إشارة إلى ما في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن في عترته صلى الله عليه وآله الوراثة والخلافة، وأن علياً عليه السلام هو المقدَّم على الكل في أمر الولاية، والآيات الدالة على تقدم العترة في كل مرتبة، وعلى حق ذوي القربى المذكور في نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] والآيات الدالة على أحكام توريث الأنبياء عليهم السلام وغير ذلك ممّا ستأتي إليه الإشارة، وهذا توبيخ لهم على عدم تدبرهم تلك الآيات الواضحة، والإمارات اللائحة. وفلان بين ظهراني القوم وأظهرهم أي مقيم بينهم، محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم، وأصل الظهر خلاف البطن ثم استعمل في معاني كثيرة بالمناسبة، ومنها معنى الظهور فإن ظهر الشيء باد ظاهر للغير، ومنها معنى القشر فإنه بمنزلة الظهر واللب بمنزلة البطن. ولما كان الظهر من الإنسان والحيوان محل القدرة والقوة والاعتماد عليه وبه تُحمل الأشياء، اسُتعمل الاستظهار بمعنى الاعتماد وطلب القوة ونحو ذلك، فيقال: استظهرت على فلان أي اعتمدت عليه واستندت إليه، وفلان مستظهر أي معان، واستظهرت القرآن أي حفظته بمعنى قرأته عن ظهر قلبي، قيل: أو على ظهر قلبي أي استقر القرآن على ظهر قلبي

(١) الإسراء: ٢٦

فلا ينسى ولا يترك، والحق أن يقال: إن معناه حفظته عن ظهر قلبي، وجعلته في جوفه أي استقر في بطن قلبي فلا ينسى. ثم إن الظهر يجمع على أظهر وظهران ـ بضم الظاء ـ والتثنية ظهران ـ بفتح الظاء ـ وقد يزاد في التثنية ألف ونون أخرى للتأكيد فيقال: ظهرانان ـ بفتح الظاء ـ فيضاف إلى القوم كالجمع فيقال: فلان بين ظهراني القوم ـ بفتح الظاء ـ تثنية، وأظهر القوم بصيغة الجمع، والمعنى هو ما مرّ أي مقيم بينهم محفوف بهم من جانبيه أو من جوانبه. قال في النهاية: وفيه (أقاموا بين ظهرانيهم وبين أظهرهم) قد تكررت هذه اللفظة في الحديث، والمراد بها انهم أقاموا بينهم على سبيل الإظهار والاستظهار والإستناد إليهم، وزيدت فيه ألف ونون تأكيدا، ومعناه أن ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه، فهو مكنوف بهم من جانبيه ومن جوانبه إذا قيل بين أظهرهم، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقاً. وفي حديث علي عليه السلام: (اتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات) هو بكسر الظاء أي جعلتموه وراء ظهوركم، وهو منسوب إلى الظهر، وكسر الظاء من تغييرات النسب. وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[1] أي تركتموه على عقبكم أي نسيتموه ولم تعملوا به ونبذتموه. و(الأمور) جمع الأمر بمعنى الشأن والحال ونحوهما. و(الظاهر) ظاهر. و(الأحكام) جمع الحكم وهو توجيه الخطاب نحو الغير، أو نفس الكلام الموجه إليه، أو المعنى المندمج في الخطاب المؤدى باللفظ والكتاب. و(الزاهر) المتلألئ المشرق. و(الأعلام) جمع العلم بالتحريك وهو العلامة التي يُعلَم بها الشيء، ويطلق بهذه المناسبة على الجبل والراية ونحوهما. و(الباهر) هو الغالب بنوره وضيائه. و(الزواجر) جمع الزاجر، والمراد بها النواهي بقرينة

(١) الأنعام: ٩٤

ذكر الأوامر بعد ذلك. و(اللائحة) الواضحة. وكل هذه اللغات واضحة بأنفسها أو ممّا مرّت إليه الإشارة، وفي الكشف: (بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة). قولهاعليها السلام: (أرغبة عنه تدبرون) أي أمن جهة الإعراض عنه تدبرون، أو تدبرون إدباراً عنه؟ وهذا استفهام توبيخي، ورغبة منصوب على المفعول لأجله أو للمفعول المطلق من غير اللفظ، فإن الرغبة عن الشيء الإدبار عنه. (أم بغيره تحكمون) هذا أيضاً توبيخ أيْ أيَّ هذين الأمرين فعلتم فعليكم الذم والعقاب فيما عملتم. ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل، أو بدلا من الميل إلى الكتاب والحكم به ما فعلوه من الإدبار عنه والحكم بغيره، ومن ابتغى ديناً وراء الإسلام، وحكماً بغير ما يحكم به القرآن من الأحكام، فأولئك هم العادون ولن يقبل ذلك منهم في الآخرة، وأولئك هم الخاسرون. قولهاعليها السلام: (ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها) اللَّبث ـ بفتح اللام ـ المكث من لبث بالمكان لبثا ـ من باب تعب ـ أي مكث، وسكون العين من المصدر هنا خلاف القياس، إذ المصدر من فعل ـ بالكسر ـ قياسه التحريك إذا لم يتعد مثل تعب تعباً، و﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(1) أي مكث، واللَبْثة ـ بالفتح ـ المرة وبالكسر الهيئة والنوع، والاسم اللُبْث ـ بالضم ـ ويتعدى بالهمزة والتضعيف. والريث الإبطاء، وراث علينا خبر فلان يريث إذا أبطأ، واستراث الخبر استبطأه، وفي حديث أبي بكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم) أي يستبطئون إقبالك إليهم من الاستراثة بمعنى الاستبطاء. وما أراثك علينا أي ما أبطأك عنا، وفعل فلان كذا عجلاً غير رائث أي غير بطئ متأخر،

(1) الصافات: ١٤٤

ويقال: رب عجلة أورثت ريثاً، وريثما وزان حيثما وقريب منه معنىً ولفظاً ويبنى مثله أيضاً وقد تكرر في الحديث. ومنه: فلم يثبت إلّا ريثما قلت أي إلّا قدر ذلك، وقد يستعمل بغير ما كقوله: لا يصعب الأمر إلّا ريث يركبه، وقد يستعمل بدون النفي مثل: أمهلته ريثما فعل أي قدر ما فعله. والنفرة - بفتح النون وكسرها - من قولهم نفر الوحش ينفر نفوراً إذا ذهب ولم يكن منقاداً، وحاصله معنى الوحشة والدهشة، ويجوز القاف بدل الفاء من النقر، وهو أيضاً كناية عن الوحشة. و(السلس) بالتحريك السهولة واللين في العمل، يقال: سلس سلساً - من باب تعب - أي لان وسهل، وبمناسبته استعمل سلس البول في استرساله وعدم استمساكه، وفلان سلس القياد أي لين سهل الانقياد. و(القياد) بالكسر مايقاد به الدابة من حبل وغيره، وفي الحديث:

إن الجواد إذا حباك بموعد
أعطاكه سلساً بغير مطال

وحاصله خلاف الجموح حقيقة أو مجازاً، وفي نسخة ابن أبي طاهر: (ثم لم تريثوا حتها إلّا ريث) وحت الورق من الغصن نثرها، وفي بعض النسخ: (ثم لم تبرحوا ريثاً). وضمير المؤنث في الفقرة الشريفة راجع الى الفتنة السابقة التي فيها سقطوا، وهي فتنة وفاة النبي ﷺ مراداً بتلك الفتنة الخلافة المغصوبة المجعولة، أي لم تصبروا إلّا بقدر أن استقر أمر الخلافة، وانقاد لكم جملها الصعب الذي لا يكاد يسلس وينقاد لكم، ثم أخذتم أي شرعتم تشعلون نار الفتنة الخامدة، والمفسدة الكامنة. وقولهاعليها السلام: (تورون) من الإيراء مصدر أوريت الزندة من قولهم: ورى الزند يرى ورياً إذا خرجت ناره، وأوريته أنا وورّيته أنا ايراء وتورية، ويقال: فلان يستوري نار الضلالة أي يستخرجها، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ

﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴾[1]. والتورية عن الشيء بمعنى الكناية عنه كناية عنه، والزند الوري الذي تظهر ناره سريعا، وفي حديث علي عليه السلام: (حتى أورى قبساً لقابس) أي أظهر نوراً لطالب الحق والهدى، وكأنه مأخوذ من وراء أي أتى بشيء من وراء شيء كما يقال: توارى القرص أي غاب. و(وقدة) النار ـ بالفتح ـ وقودها، ووقدها لهيبها. و(الجمرة) المتوقد من الحطب فإذا برد فهو فحم، والجمر بدون التاء جمعها، وفي المصباح: جمرة النار القطعة الملتهبة والجمع جمر وجمرات. و(الهتاف) بالكسر الصياح كما مرّ، وهتف به دعا به. و(الإطفاء) إسكان النار وإسكاتها من طفئت النار طفأ ـ بالهمزة ـ من باب تعب خمدت وأطفأتها أنا، ومنه أطفأت الفتنة بمعنى أسكنتها على سبيل الاستعارة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[2] أي إسكانه وإخماده، وهو تهكم بهم لإرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن (هذا سحر) ونحو ذلك، فأشبه حالهم من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه، وفي الحديث: (قوموا الى نيرانكم التي أو قدتموها على ظهوركم فاطفؤوها بصلاتكم) أراد بها الذنوب على سبيل الاستعارة. و(إهماد) النار إطفاؤها بالكلية. و(السنن) جمع السنة بمعنى الطريقة شبهت بالأنوار وأسند إليها الإطفاء، والحاصل: إنكم إنما صبرتم إلى أن استقرت فيكم الخلافة المغصوبة، ثم شرعتم في تهييج الشرور والفتن، واتباع الشيطان، وإبداع البدع، وتغيير السنن. قولها عليها السلام: (تسرُّون حسواً في ارتغاء) الإسرار ضد الإعلان من السر ـ بالكسر ـ وهو الأمر المخفي أو الخفي، والحسو ـ بفتح الحاء وسكون السين المهملة ـ

(١) الواقعة: ٧١ - ٧٢

(٢) التوبة: ٣٢

شرب المرق وغيره شيئاً بعد شيء، يقال: حسوت المرق أو الماء حسواً أي شربته كما ذكر، وفي الحديث: (فأكل رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وحسوا المرق) أي شربا منه شيئاً فشيئاً، وأحسيته المرق فحساه واحتساه بمعنى. والحسوة ـ بالفتح ـ المرة وبالضم الجرعة، يقال: في الإناء حسوة من الماء أي جرعة، وحسا الطائر يحسو أي شرب قليلاً قليلاً، ومن أمثالهم: نوم كحسو الطير إذا نام قليلاً يشبه تجرع الطير في سرعة انقضائه، أو في كونه قليلاً قليلاً، ويوم كحسو الطير أيضاً أي قليل قصير، ورجل حسو أي كثير الحسو، وقال أبو ذبيان بن الرعبل: إن أبغض الشيوخ إليَّ الحَسُوُّ الفَسُوُّ الأقلح الأملح. والارتغاء شرب الرغوة وهو زبد اللبن، قال الجوهري: الرغوة ـ مثلثة ـ زبد اللبن، وارتغيت: شربت الرغوة، وفي المثل: يُسِرُّ حسواً في ارتغاء، يضرب لمن يريد أمراً ويظهر غيره، قال الشعبي لمن سأله عن رجل قبَّل أم امرأته قال: يُسِرُّ حسواً في ارتغاء وقد حرمت عليه امرأته. وقال الميداني: قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها، فيشربها وهو يريد في ذلك أن ينال من اللبن، يضرب لمن يريد أن يعينك وإنما يجرُّ النفع إلى نفسه، ويجوز أن يكون الارتغاء بمعنى أخذ الرغوة أي إنه يُسِرُّ الشرب من اللبن في أثناء أخذ الرغوة منه بخضه، وفي بعض النسخ: (تشربون) وهو أيضاً صحيح من حيث المعنى إن صح اللفظ. قولها عليها السلام: (وتمشون لأهله وولده بالخمر والضراء) الخمر ـ بالتحريك ـ ما واراك من شجر وغيره كأنه مشتق من الخمر بمعنى الستر، يقال: توارى الصيد في خمر الوادي، ومنه قولهم: دخل فلان في خُمار الناس ـ بالضم ـ أي ما يواريه ويستره منهم. والضرّاء ـ بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة ـ الشجر

الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدب له الضراء ويمشي له الخمر، وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض، وفي بعض النسخ: (الخمراء والضراء) كأنهما بمعنى الأرض ذات الخمر والضراء. و(الحز) بفتح الحاء المهملة: القطع، أو قطع الشيء من دون إبانة، يقال: حززت العود أي قطعته، وروي الجز أيضاً بالجيم بمعنى القطع، يقال: جززت الصوف جزّاً أي قطعته، وهذا زمن الجزاز. و(المُدى) جمع المدية ـ بضم الميم ـ وهي السكين لأنه يقطع مدى عمر الإنسان مثلاً. و(الوخز) الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر وخزاً أي طعنه بنحو لا ينفذ، وقيل: الوخز دون الطعن ومنه الوخز للشيء القليل، وورد في الطاعون أنه وخز الشيطان. و(السنان) بكسر السين الحديدة الحادة في رأس الرمح والجمع أسنة. و(الحشا) المعاء وما اضطمت عليه الضلوع، والجمع أحشاء مشتق من الحشو، وحشوة البطن ـ بالكسر والضم ـ أمعاؤه، وحشوتُ الوسادة بالقطن حشواً إذا أدخلت الحشو فيها. والمعنى أنا نصبر على حالة هي من أجل ظلمكم علينا أهل البيت مثل حالة من يقطع أعضاءه بالمدى، ويقع وخز السنان منه في الحشا، وهذا مثل قول علي عليه السلام: فرأيت أن الصبر على هاتى أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً.

وَأَنْـتُمْ تزْعُمونَ ألاّ ارْثَ لَنا ، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] أفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أنّي ابْنَتُهُ. أيُها الْمُسْلِمونَ أأُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يا ابْنَ أبي قُحافَةَ ! أفي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[2]، أفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، اذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[3]، وَقالَ فيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام اذْ قالَ رَبِّ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4] وَقالَ: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[5] وَقالَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[6] وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[7]، وزَعَمْتُمْ ألا حِظوَةَ لِي، وَلا إرْثَ مِنْ أبي لارَحِمَ بَيْنَنَا! أفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أبي؟ أمْ هَلْ تَقُولَونَ أهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، وَلَسْتُ أنَا وَأبي مِنْ أهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أمْ أنْتُمْ أعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أبي وَابْنِ عَمّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً

(١) المائدة: ٥٠

(٢) مريم: ٢٧

(٣) النمل: ١٦

(٤) مريم: ٥ - ٦

(٥) الأنفال: ٧٥

(٦) النساء: ١١

(٧) البقرة: ١٨٠

مَرْحُولَةً. تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ ما تَخْسِرُونَ، وَلا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2]:

■ القاضي النعمان:

قولها: ابتُزّ إرثيه. تقول: أُسُلب إرثي، تعني ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي استلبته ومنعته. والبزُّ هاهنا الاستلاب. والعرب تقول: من عزَّ بزَّ معناه من غلب سلب. والهاء من إرثيه زائدة وهي تسمى هاء الاستراحة من قول الله عزّ وجلّ ﴿أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ وهي لغة قريشية. وقولها: لقد جئت شيئاً فرياً. والفري هاهنا: الأمر العظيم. والفري أيضاً: الكذب. والفري: القذف. وقولها: فدونكها مخطومة مرحولة. تعني ظلامتها مثلتها بناقة عليها رحلها وخطامها، ضربتها مثلاً لظلامتها التي ارتكبها منها. وقولها: والزعيم محمد. فالزعيم: الكفيل. لأن محمداً صلى الله عليه وآله قد تكفل لمن أطاعه بالجنة. وتكفل لمن بغى عليه بالنصر، والانتصاف ممن بغى عليه وظلمه.

■ العلّامة المجلسي:

في رواية ابن أبي طاهر: ويهاً معشر المهاجرة! ابتُزّ ارث أبيه؟ قال الجوهري: إذا اغريته بالشيء قلت ويها يا فلان وهو تحريض، انتهى. ولعل الأنسب هنا التعجب. والهاء في (أبيه) في الموضعين. وإرثيه

(١) الأنعام: ٦٧

(٢) الزمر: ٤٠

ـ بكسر الهمزة ـ بمعنى الميراث للسكت، كما في سورة الحاقة: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ و ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و ﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾، تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقرئ بإثباتها في الوصل أيضاً. وفي الكشف: ثم أنتم أولاً تزعمون أن لا إرث ليه... فهو أيضاً كذلك. كالشمس الضاحية.. أي الظاهرة البينة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية.. أي علانية. شيئاً فريا: أي أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي أمراً منكراً قبيحاً، وهو مأخوذ من الافتراء بمعنى الكذب.

اعلم: أنه قد وردت الروايات المتضافرة ـ كما ستعرف ـ في أنهاعليها السلام ادعت أن فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلعل عدم تعرضها صلوات الله عليها في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولهم إياها، إذ كانت الخطبة بعد ما رد أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين صدقه، فتمسكت بحديث الميراث لكونه من ضروريات الدين. وزعمتم أن لا حظوة لي: الحظوة ـ بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة ـ: المكانة والمنزلة، ويقال: حظيت المرأة عند زوجها إذا دنت من قلبه. وفي الكشف: فزعمتم أن لا حظ لي ولا إرث لي من أبيه، أفحكم الله بآية أخر أبي منها؟! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي؟! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]. إيهاً معاشر المسلمة، أأُبتز إرثيه؟ الله إن ترث أباك ولا أرث ابيه ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[2]. فدونكها مخطومة مرحولة.. الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام، والأمر بأخذها

(١) المائدة: ٥٠

(٢) مريم: ٢٧

للتهديد. الخطام ـ بالكسر ـ كل ما يوضع في أنف البعير ليقاد به. والرحل ـ بالفتح ـ للناقة كالسرج للفرس، ورحل البعير ـ كمنع ـ شد على ظهره الرحل. شبهتهاعليها السلام في كونها مسلمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب. والزعيم محمد ـ في بعض الروايات ـ والغريم.. أي طالب الحق. وعند الساعة ما تخسرون.. كلمة (ما) مصدرية.. أي في القيامة يظهر خسرانكم. و: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، أي لكل خبر، يريد نبأ العذاب أو الايعاد به ـ وقت استقرار ووقوع. وسوف تعلمون ـ عند وقوعه ـ من يأتيه عذاب يخزيه.. الاقتباس من موضعين: أحدهما: سورة الإنعام، والآخر: في سورة هود في قصة نوحعليه السلام حيث قال: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2]، فالعذاب الذي يخزيهم الغرق، والعذاب المقيم عذاب النار.

■ الأنصاري التبريزي:

(الإرث) بكسر الهمزة استحقاق مال الميت بموته على النحو المقرر في الشريعة، وأصله الورث ـ بالواو ـ من قولك: ورثت أبي وورثت الشيء من أبي أرثه ـ بالكسر ـ فيهما وراثة وورثاً وإرثاً ـ بقلب الواو المكسورة ألفاً للتخفيف ـ كما يقال في وشاح إشاح، ويقال: ورثه وتوارثه بمعنى، وأورثه أبوه مالاً وورثه إياه. ويطلق على من له الإرث وارث، والجمع ورثة يقال: هم ورثة فلان، ويطلق على من منه الإرث الموروث والمورِّث والمُورِث، والمال هو الموروث والمورث والمورث

(١) الأنعام: ٦٧

(٢) هود: ٣٨ - ٣٩

والإرث أيضاً مصدر بمعنى المفعول. والميراث أصله الموراث والتراث ـ بضم التاء ـ وأصله الوراث، قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾[1] وهو ما يخلفه الرجل لورثته، وأورثه جعله وارثاً كورثه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[3]. قال المفسرون: ما من أحد يدخل الجنة حتى يعرض عليه مكانه من النار، فيقال له: هذا مكانك الذي لو عصيت الله لكنت فيه، وما من أحد يدخل النار حتى يعرض عليه مكانه من الجنة، فيقال له: هذا مكانك الذي لو أطعت الله لكنت فيه، فيورَّثُ هؤلاء مكانَ هؤلاء وبالعكس، وذلك قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[4]. قال في المجمع: وفي الخبر: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) يقرأ بفتح الراء وكسرها، قال بعضهم: وحكمته أنهم عليهم السلام كالآباء للأمة فمالُهم لكلِّهم، أو لئلّا يُظَنَّ بهم الرغبة في الدنيا. وقد رد أصحابنا هذا الحديث وأنكروا صحته، وهو الحق لمخالفته القرآن الكريم، وما خالفه فهو زخرف مردود باطل لا يعتد به، نعم روى ثقة الإسلام عن الصادق عليه السلام أن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها أخذ بحظ وافر، وهو بعد تسليم صحته ليس فيه دلالة على عدم التوريث المطلق كما هو ظاهر، انتهى وسيأتي الكلام في هذا

(١) الفجر: ١٩

(٢) الأعراف: ١٣٧

(٣) المؤمنون: ١٠ ـ ١١

(٤) المؤمنون: ١٠

الحديث ودلالته. وفي الحديث: (اللهم متّعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني) أي أبقهما صحيحين سليمين إلى أن أموت، وقيل: أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانية، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقين بعدها، وقيل: أراد بالسمع وعي ما يسمع والعمل به، وبالبصر الاعتبار بما يرى، وفي رواية: (واجعله الوارث مني) فرد الهاء إلى التمتع فلذلك وحده. و(أيام الجاهلية) هي زمان الفترة ما قبل بعث النبي ﷺ، لكون الناس حينئذٍ في الجهالة من دين الله أصولاً وفروعاً، والجاهلية مصدر عارضي أي جعلي بالياء والتاء. و(بغى) يبغي بمعنى طلب، يقال: بغيته بغية ـ بكسر الباء وفتحها ـ وبغاء ـ بالكسر والمد ـ وبغاية ـ بضم الباء ـ، وابتغيته ابتغاء أي طلبته، والاسم البغاء ـ بضم الباء ـ وابتغاء مرضاة الله أي طلبها. وفي الخبر: (وخرج أبو بكر في بغاء إبل) بضم الباء أي طلبها على وزن عطاس وزكام، تشبيهاً لشغل القلب الطالب بالداء الذي يختص به هذا الوزن، والبغية ـ بضم الباء ـ الحاجة المطلوبة. و(الضاحية) الظاهرة البينة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية أي بينة علانية، والشمس الضاحية الواضحة في ضحو النهار، وضحوة النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس، ثم الضحاء ـ بالفتح والمد ـ وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، وتقول من الجميع: أضحيت أي دخلت في الضحوة والضحو والضحآء، ويتعين بالقرينة كما تقول من الصباح أصبحت ومن المساء أمسيت. وضحى الطريق يضحو ضحواً إذا ظهر، وضحيت للشمس ضحآء ـ بالمد ـ إذا برزت للشمس بفتح الحاء وكسرها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[1].

(١) طه: ١١٩

والمعنى أفلا تعلمون اني ابنة النبي ﷺ؟ بل قد تجلى ووضح لكم ذلك مثل ما ترون الشمس الضاحية، والترقي بملاحظة انكم تعلمون علم اليقين بل ترونها عين اليقين، فهو ترق من علم اليقين إلى عين اليقين الذي هو أعلى من علم اليقين. قولهاعليها السلام: «أيها المسلمون» منادى وهو متعلق بقولها (أفلا تعلمون) أو بقولهاعليها السلام بعد ذلك (أأُغلب على إرثيه). و(اغلب) بصيغة المجهول، والاستفهام توبيخي إنكاري، والمغلوبية على شيء أخذه من صاحبه قهراً وغلبة بلا وجه مسوغ، والهاء في ارثيه للسكت والمقصود إرثي، وهو نظير قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾[1] وهذه الهاء يقال لها هاء الوقف تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقرئ بإثباتها في الوصل أيضاً. وفي الكشف: (ثم أنتم أولاً تزعمون أن لا إرث ليه) وفي رواية ابن أبي طاهر: (ويها معاشر المهاجرة ابتز إرث أبيه؟) قال الجوهري: إذا أغريته بالشيء قلت ويها يا فلان وهو تحريض، انتهى. ولعل الأنسب هنا التعجب، والابتزاز: السلب، وهذه الجملة على سبيل الاستفهام الإنكاري أيضاً، والإرث هنا بمعنى الميراث بخلاف ما سبق لاحتمال المصدرية فيه. و(أبو قحافة) كنية عثمان بن عامر كما في القاموس، وعثمان أبو أبي بكر واسم أبي بكر هو عبد الله، فأبو بكر هو عبد الله بن عثمان بن عامر، وكانت كنية أبي بكر في الجاهلية أبا الفصيل فلما أسلم كناه رسول الله ﷺ بأبي بكر. وتكنية أبيه بأبي قحافة لأن القحف ـ بالكسر ـ نصف القدح من الخشب على مثال قحف الرأس، وهو العظم الذي فوق الدماغ، ثم يقال: اقتحف الرجل إذا شرب ما في الإناء، والقحافة ـ بالضم ـ ما يقتحف من الإناء، سمى عثمان المذكور بأبي قحافة إما لكونه مضيفا

(١) الحاقة: ١٩ - ٢٠

للناس، أو لكونه داعياً لضيافة الناس، أو لكونه طباخاً ونحو ذلك. والمشهور المأثور أنه كان داعياً لضيافة عبد الله بن جدعان في الجاهلية، قيل: لم يجتمع أربعة من الأصحاب من نسل واحد إلّا في سلسلته، فإن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة مع آبائه الثلاثة كلهم صحابيون، ومحمد هذا غير محمد بن أبي بكر الذي قال فيه علي عليه السلام: (محمد ابني من صلب أبي بكر) وكان ابنه من أسماء بنت عميس فصار بعد ربيباً لعلي عليه السلام. قولها عليها السلام: (وقد جئت شيئاً فرياً) أي أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي أمراً منكراً قبيحاً، أو أمراً كاذباً مأخوذاً من الافتراء بمعنى الكذب عن عمد، كما قالت عليها السلام: (أفعلى عمد تركتم كتاب الله) وهو استفهام تقريري، ولم يكن كذبهم هذا عن شبهة بعد وضوح أمر الشريعة، وشيوع مسألة التوارث للعمومات الدالة عليه من الكتاب والسنة. واعلم أنه قد وردت الروايات المتضافرة كما عرفت وستعرف في أنها عليها السلام ادعت أولاً أن فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلعل عدم تعرضها صلوات الله عليها في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولهم إياها، إذ كانت الخطبة بعد ما رد أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه في دعوى النحلة، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين بصدقه عليه السلام، فتمسكت بمسألة الميراث لكونها من ضروريات الدين، ومن المسلمات في شرائع الأولين والآخرين، بل بين أهل كل مذهب ودين ولو من غير المليين. و(الحظوة) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة المشالة: المكانة والمنزلة، يقال: حظيت المرأة عند زوجها إذا دنت من قلبه، وحظي فلان عند الناس ـ من باب تعب ـ إذا أحبوه ورفعوا منزلته، ولعله من الحظ بمعنى الجد كما يقال: فلان محظوظ أي ذو حظ أي صار ذا حظ عندهم، ثم قلب أحد طرفي

التضعيف ياء كما هو شائع مثل أحسيت وأمليت. وفي الدعاء: (وما يقرب منك ويحظي عندك) أي ما يوجب لي الحظ عندك، وأحظيته على فلان أي فضلته عليه، وفي حديث أزواج النبي صلى الله عليه وآله: (تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله في شوال وبنى في شوال، فأي نسائه كانت أحظى مني) أي أقرب إليه وأسعد به، وفيه من الرد على من كره التزويج في شوال ما لا يخفى. وفي المثل: إلّا حظية فلا ألية أي إن أخطأتك الحظوة فيما تطلب فلا تأل أن تتودد إلى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد. وفي نسخة الكشف: (فزعمتم أن لاحظ لي ولا إرث لي من أبي، أفحكم الله بآية أخرج منها أبي...). وقولها عليها السلام: (زعمتم...) لا يخفى أنهم لم يزعموا ذلك بل علموا قربها عليها السلام من أبيها، وأن لها إرثاً منه صلى الله عليه وآله ، وأن الرحم محقق بينهما، ولكنهم لما لم يعملوا بعلمهم وعلى مقتضى ما علموا فنزلوا منزلة الجاهل، وهو من بلاغة الكلام بملاحظة مقتضى الحال والمقام. وقولها عليها السلام: (أفخصكم الله بآية) تعني عليها السلام أن آيات الإرث عامة شاملة لجميع المكلفين ولا مخصص لها بالنسبة إلى الأنبياء أو إلى خاتم النبيين، فحينئذٍ لابد إما أن تكون آيات الإرث مخصوصة بالرعية ويكون النبي صلى الله عليه وآله خارجاً غير داخل في تلك الجملة، فيكون عدم التوريث من خصائص النبي صلى الله عليه وآله ولا حجة على ذلك بالمرة. أو أن يجعل النبي صلى الله عليه وآله مع ابنته أهل ملتين احداهما ملة الإسلام، والأخرى ملة الكفر حتى لا يرث أحدهما من الآخر، كما هو المقرر في الشريعة عند اختلاف المتوارثين في الدين والملة، وهذا أيضاً ظاهر البطلان. قولها عليها السلام: (أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة) ناظر إلى رد الفقرة الثانية. وقولها عليها السلام: (أم أنتم أعلم بخصوص القرآن) ناظر إلى رد الفقرة الأولى من باب اللف والنشر المشوش، ولو كان لعمومات الإرث مخصص

لوجب على النبي ﷺ وعلي عليه السلام وصيه أن يعملا به ويعلّماه الأمة، والحال أنه ليس كذلك مع أنه لم تخطر هذه المسألة ببال أحد قبل هذه المرحلة. قولها عليها السلام: (فدونكها...) دونك من أسماء الأفعال بمعنى خذ، وضمير المفعول راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام، والخطاب بالأخذ لأبي بكر والأمر بأخذها للتهديد، مثل قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]. و(المخطوم) اسم مفعول من الخطام ـ بكسر الخاء المعجمة ـ وهو كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به وهو الزمام، يقال: خطمت البعير أي زممته، وناقة مخطومة أي مزمومة، وسمّي به زمام البعير لأنه يقع على الخطم وهو الأنف وما يليه، وفي الحديث: (كان خطام جمله ﷺ ليفاً). وفي النهاية: وخطام البعير أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقلد به البعير، ثم يثنى على مخطمه، وأما الذي يجعل في الأنف دقيقاً فهو الزمام. و(المرحولة) من الرحل ـ بالفتح ـ وهو للناقة كالسرج للفرس، ورحل البعير كمنعه شد على ظهره الرحل. وفي المصباح: الرحل كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس ورسن، وجمعه أرحل ورحال مثل أفلس وسهام، ورحلت البعير شددت عليه رحله. والمرط المرحل الذي نقش فيه تصاوير الرحال، ومرط مرجل ـ بالجيم ـ الذي ينقش عليه صورة المراجيل وهي القدور، والرحل أيضاً ما يستصحب من أساس السفر مطلقاً، شبهت عليها السلام فدك في كونها مسلمة لا يعارضها في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب. (تلقاك يوم حشرك) أي تجيء فدك لمخاصمتك في يوم حشرك فيصيبك جزاؤك، أو نلقاك نحن يوم حشرك

---

(١) فصلت: ٤٠

فنخاصمك في عرصة المحشر. (فنعم الحكم الله) حيث لا يجور في حكمه ولا يحيف في قضائه. (والزعيم) بمعنى الكفيل أي كفيل أمر مخاصمتنا، وفي بعض النسخ والروايات: (والغريم محمد ﷺ) أي طالب الحق محمد ﷺ حيث لا أحد في عوالم الكون والإمكان أقوى منه وأعلى مرتبة عند الله سبحانه، ولا يضيع ظلامته سيما من امته. (ونعم الموعد القيامة) حيث يحشر إليها الأولون والآخرون ويقتص من القرناء للجماء، وعند الساعة يخسر المبطلون. وفي بعض النسخ: (ما يخسر المبطلون) وما مصدرية حينئذٍ أي عند الساعة يظهر خسرانكم، ويلحق بكم آثار مخالفتكم وعصيانكم، ويحتمل كون ما زائدة للتأكيد أي عند الساعة يخسر المبطلون البتة، ولا ينفعكم الندم إذ تندمون، ولتعلمن نبأه بعد حين، ولكل نبأ من نبأ العذاب أو الإيعاد به الذي ننبئكم به وقت استقرار ووقوع، وسوف تعلمون عند وقوعه من يأتيه عذاب يخزيه. والاقتباس من موضعين من القرآن الكريم، أحدهما سورة الأنعام، والآخر سورة هود في قصة نوح عليه السلام حيث قال: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1]، فالعذاب الذي يخزيهم هو الغرق، والعذاب المقيم هو عذاب النار، ويمكن أن يكون المراد من العذاب المخزي عذاب البرزخ، ومن العذاب المقيم عذاب الآخرة.

(١) هود: ٣٨ - ٣٩

ثُمَّ رَمَتْ بطَرْفِها نَحْوَ الأَنْصار فَقالَتْ: يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ في حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أبي يَقُولُ: ((اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ في وُلْدِهِ))؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ على ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضيعَ الْحَريمُ، وَأُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ في أَفْنِيَتِكُمْ في مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإِلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1]:

■ القاضي النعمان:

قولها: ما هذه السِّنة عن ظلامتي. السِّنة: الوسن. يقال منه: قد وسن الرجل، إذا أخذته سنة النعاس، وقد غلبه وسنه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ﴾ فالسنة النعاس من غير

(١) آل عمران: ١٤٤

اشتقاق نوم. قال الشاعر:

وَسْنَانُ أقصدهُ النعاس فرنَّقت
في عينه سِنة وليس بنائم

ومعنى قولها ما هذه السِّنة عن ظلامتي تعني التغافل عنها. والتهاون بها كما يكون الناعس عن الشيء غافلاً عنه إذا لم ينصروها في ذلك، ولا أعانوها عليه. وقولها: سرعان ما نسيتم وعجلان ما أحدثتم. هي كلمات تقولها العرب لسرعان ما صنعت كذا وكذا. تعني أسرع ما صنعته ولوشكان ما خرجت ولعجلان ما جئت. قال الشاعر:

أيخطب فيكم بعد قتل رجالكم
لسرعان هذا والدماء تصبَّبُ

قولها: فخطب جليل استوسع وهيه. فالخطب: الأمر، يقال ما خطبك: أي ما أمرك. ويقال: هذا خطب جليل. وخطب يسير. والجمع خطوب. قال الله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾. واستوسع وهيه: أي اتسع ما وهى من أجله، تعني: مصاب رسول الله ﷺ، وما وهى من أجله من الأمر واتسع وهيه لذلك. وقولها: واستشمر فتقه لفقدان راتقه. يقال منه: رتق الفتق إذا لحمه وأصلحه. تعني فقدان رسول الله ﷺ الذي كان يرتق ما انفتق من الأمور. وقولها: واكتأبت خيرة الله في خلقه. تعني بموت رسول الله ﷺ والكآبة من الهمة، والانكسار من الحزن في الوجه خاصة. تقول: كئب الرجل، واكتأب كآبة، بوقف الألف، وكآبة بالمد. وقولها: وأكدت الآمال. تقول: انقطعت. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي قطع ما كان يعطيه. وقد قيل: إن المعطي إذا أعطى عطاء نزراً قليلاً قيل أكدى، والأول أشبه بالمعنى. ويقال: فلان قد بلغ الناس كديته: أي أنه كان يعطي ثم أمسك.

قالت الخنساء:

فـتـى الـفـتـيـان مـا بـلـغـوا كـداهـا

■ العلّامة المجلسي:

ثم رمت بطرفها..: الطرف ـ بالفتح ـ مصدر طرفت عين فلان: إذا نظرت وهو أن ينظر ثم يغمض، والطرف ـ أيضاً ـ العين. والمعشر: الجماعة. والفتية ـ بالكسر ـ: جمع فتى وهو الشاب والكريم السخي. وفي المناقب: يا معشر البقية، وأعضاد الملة، وحصنة الإسلام.. وفي الكشف: يا معشر البقية، ويا عماد الملة، وحصنة الإسلام.. والأعضاد: جمع عضد ـ بالفتح ـ الأعوان، يقال: عضدته كنصرته لفظاً ومعنى. ما هذه الغميزة في حقي والسِّنة عن ظلامتي.. قال الجوهري: ليس في فلان غميزة أي مطعن، ونحوه ذكر الفيروز آبادي، وهو لا يناسب المقام إلّا بتكلف. وقال الجوهري: رجل غمز أي ضعيف. وقال الخليل في كتاب العين: الغميزة ـ بفتح الغين المعجمة والزاي ـ ضعفة في العمل وجهلة في العقل ويقال: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله أي علمت أنه أحمق. وهذا المعنى أنسب. وفي الكشف: ما هذه الفترة ـ بالفاء المفتوحة وسكون التاء ـ وهو السكون، وهو أيضاً مناسب. وفي رواية ابن أبي طاهر بالراء المهملة، ولعله من قولهم غمر على أخيه.. أي حقد وضغن، أو من قولهم: غمر عليه.. أي أغمي عليه، أو من الغمر بمعنى الستر، ولعله كان بالضاد المعجمة فصحف، فإن استعمال إغماض العين ـ في مثل هذا المقام ـ شايع. والسِّنة ـ بالكسر ـ مصدر وسِنَ يَوْسَنُ ـ كعلم يعلم ـ وَسَناً وسِنَةً، والسِّنة: أول النوم أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو. والظلامة ـ بالضم ـ كالمظلمة ـ بالكسر ـ ما أخذه

الظالم منك فتطلبه عنده، والغرض تهييج الأنصار لنصرتها أو توبيخهم على عدمها. وفي الكشف ـ بعد ذلك ـ: أما كان لرسول الله ﷺ أن يحفظ..؟!. سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة.. سرعان ـ مثلثة السين ـ وعجلان ـ بفتح العين ـ كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرع وعجل، وفيهما معنى التعجب أي ما أسرع وأعجل. وفي رواية ابن أبي طاهر: سرعان ما أجدبتم فأكديتم، يقال: أجدب القوم أي أصابهم الجدب، واكدى الرجل إذا قل خيره والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ الودك وهو دسم اللحم، وقال الفيروز آبادي: قولهم سرعان ذا إهالةً أصله أن رجلاً كانت له نعجة عجفاء وكانت رعامها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الرعام، أو تمميز على تقدير نقل الفعل، كقولهم تصبب زيد عرقاً، والتقدير سرعان إهالة هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته، انتهى. والرعام ـ بالضم ـ: ما يسيل من أنف الشاة والخيل، ولعل المثل كان بلفظ عجلان فاشتبه على الفيروز آبادي أو غيره، أو كان كل منهما مستعملاً في هذا المثل، وغرضها صلوات الله عليها التعجب من تعجيل الأنصار ومبادرتهم إلى إحداث البدع وترك السنن والأحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيد الانام مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها وأخذ حقها ممن ظلمها، ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتب على هذه البدعة من المفاسد الدينية وذهاب الآثار النبوية. فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته..: الخطب ـ بالفتح ـ: الشأن والأمر عظم أو صغر. والوهي ـ كالرمي ـ: الشق والخرق، يقال: وهي

الثوب إذا بلي وتخرق. واستوسع واستنهر ـ استفعل ـ من النهر ـ بالتحريك ـ بمعنى السعة أي اتسع. والفتق: الشق والرتق ضده، وانفتق.. أي انشق، والضمائر المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب بخلاف المجرورين بعدها فانهما راجعان إلى النبي ﷺ. وكسف النجوم: ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعدياً ولازماً، والفعل كضرب. وفي رواية ابن أبي طاهر مكان الفقرة الأخيرة: واكتأبت خيرة الله لمصيبته.. والاكتئاب ـ افتعال ـ من الكآبة بمعنى الحزن. وفي الكشف: واستنهر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض واكتابت لخيرة الله.. إلى قولها: وأديلت الحرمة ـ من الإدالة بمعنى الغلبة ـ وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته..: يقال: أكدى فلان أي بخل أو قل خيرة، وحريم الرجل ما يحميه ويقاتل عنه، والحرمة ما لا يحل انتهاكه، وفي بعض النسخ: الرحمة مكان الحرمة. فتلك ـ والله ـ النازلة الكبرى والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوةً وألحاناً..: النازلة: الشديدة. والبائقة: الداهية. وفناء الدار ـ ككساء ـ: العرصة المتسعة امامها. والمُمسى والمُصبح ـ بضم الميم فيهما ـ مصدران وموضعان من الإصباح والإمساء. والهتاف ـ بالكسر ـ: الصياح. والصراخ كغراب: الصوت أو الشديد منه. والتلاوة ـ بالكسر ـ القراءة. والإلحان: الإفهام، يقال: ألحنه القول.. أي أفهمه إياه، ويحتمل أن يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب، قال الجوهري: اللحن واحد الألحان واللحون، ومنه الحديث: (اقرؤوا القرآن بلحون العرب). وقد لحن في قراءته إذا طرَّب بها وغرَّد، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء، انتهى. ويمكن أن يقرأ على هذا بصيغة الجمع أيضاً، والأول

أظهر. وفي الكشف: فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في قبلتكم، ممساكم ومصبحكم، هتافاً هتافاً. ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله.. حكم فصل وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]... الحكم الفصل: هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مرد له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحق والباطن. والحتم ـ في الأصل ـ: إحكام الأمور. والقضاء الحتم: هو الذي لا يتطرق إليه التغيير. وخلت.. أي مضت. والانقلاب على العقب: الرجوع القهقرى، أريد به الارتداد بعد الإيمان، والشاكرون المطيعون المعترفون بالنعم الحامدون عليها. قال بعض الأماثل: واعلم أن الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبي ﷺ أما عدم تحتم العمل بأوامره وحفظ حرمته في أهله لغيبته، فإن العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغائب، وأنه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم، ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها ما أشارت إليه صلوات الله عليها من إعلان الله جل ثناؤه وإخباره بوقوع تلك الواقعة الهايلة قبل وقوعها، وإن الموت ممّا قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله عليهم السلام تثبيتاً للأمة على الإيمان، وإزالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم. ويمكن أن يكون معنى الكلام: أتقولون مات محمد ﷺ وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عمّا نريد، ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر وعدم الانزجار عن النواهي، ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله سبحانه: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى

(١) آل عمران: ١٤٤

﴿اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾[1]، لكن لا يكون حينئذٍ لحديث إعلان الله سبحانه وإخباره بموت الرسول مدخل في الجواب إلّا بتكلف. ويحتمل أن يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبي ﷺ كما أفصح عنه عمر بن الخطاب ـ وسيأتي في مطاعنه ـ فبعد تحقق موته عرض لهم شك في الايمان ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذٍ مدخلية حديث الإعلان وما بعده في الجواب واضح. وعلى التقادير لا يكون قولها صلوات الله عليها: فخطب جليل.. داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على الاستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب بما بعد قولها: فتلك والله النازلة الكبرى.. ويحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم أن موته ﷺ الذي هو أعظم الدواهي قد وقع، فلا يبالى بما وقع بعده من المحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والانتصاف ممن ظلمها، ولما تضمن ما زعموه كون مماته ﷺ أعظم المصائب سلمت عليها السلام أولاً في مقام جواب تلك المقدمة، لكونها محض الحق، ثم نبهت على خطئهم في أنها مستلزمة لقلة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصرة الحق، وعدم اتباع أوامره ﷺ بقولها: أعلن بها كتاب الله.. إلى آخر الكلام، فيكون حاصل الجواب أن الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بأنها سنة ماضية في السلف من أنبيائه، وحذركم الانقلاب على أعقابكم كي لا تتركوا العمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحق وقمع الباطل، وفي تسليمها ما سلمته أولاً دلالة على أن كونها أعظم المصائب ممّا يؤيد وجوب نصرتي، فإني أنا المصاب بها حقيقة، وإن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية

(١) آل عمران: ١٤٤

أحق وأحرى. ويحتمل أن يكون قولهاعليها السلام: فخطب جليل.. من أجزاء الجواب، فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة، أو المركب من بعضها مع بعض، وحاصل الجواب حينئذٍ أنه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى ـ وقد كان الله عزّ وجلّ أخبركم بها وأمركم أن لا ترتدوا بعدها على أعقابكم ـ فكان الواجب عليكم دفع الضيم عني والقيام بنصرتي، ولعل الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها: وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله.. بالواو دون الفاء، ويحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضها وللآخر أخرى، ويكون كل مقدمة من مقدمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها.

أقول: ويحتمل أن لا تكون هناك شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنه ليس لهم في ارتكاب تلك الأمور الشنيعة حجة ومتمسك، إلّا أن يتمسك أحد بأمثال تلك الأمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شائع في الاحتجاج.

■ الأنصاري التبريزي:

(رنى) إليه يرنو رنواً إذا أدام النظر إليه، ورجل رنّاء الذي يديم النظر إلى النساء، وأرناه غيره يقال: أرناني حسن ما رأيت أي حملني على الرنو، وفي بعض النسخ رمت من الرمي، وهو أيضاً صحيح من حيث المعنى. و(الطرف) بالفتح: العين أو النظر، ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر قولك: طرف البصر يطرف طرفاً ـ من باب ضرب ـ إذا نظرت أو تحركت، ومنه حديث الصيد: (إذا أدركته والعين تطرف) أي تتحرك. وطرفت عين فلان إذا نظرت ثم غمضت، ويقال أيضاً: طرفت البصر عنه

أي صرفته، وطرفت العين لازماً ومتعدياً أي معلوماً ومجهولاً إذا أصبتها بشيء فدمعت. و(النحو) الطرف المقصود وأصله القصد، يقال: نحاه ينحوه نحواً قصده، ومنه علم النحو لأن المتكلم ينحو به منهاج كلام العرب إفراداً وتركيباً، والناحية الجانب، ونحوت نحوك أي قصدت قصدك، ونحوت بصري إليه أي صرفت. و(المعشر) بفتح الميم والعين الجماعة مطلقاً، ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾[1] وفي الخبر: يا معشر الشيعة، ويا معشر الأنصار والمهاجرين، والجمع معاشر مثل إنا معاشر الأنبياء، ونحن معاشر العلماء، وينصب هنا على الاختصاص، وأصله من المعاشرة لمخالطة بعضهم مع بعض، ومنه العشير بمعنى الصاحب، والعشيرة بمعنى الرجال الذين هم من قبيلة واحدة، وفي العرب يقال هم عشيرته أي أقرباؤه، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون. و(النقيبة) هنا من النقب وقد مرّ معنى النقيب، والمراد بالنقيبة الطائفة النجيبة الفاضلة، وروى الفتية ـ بالكسر ـ جمع فتى وهو الشاب والكريم السخي، وفي الكشف: (يا معشر البقية) وكلها صحيحة. و(الأعضاد) بمعنى الأعوان جمع عضد ـ بالفتح فالضم ـ وهو العضو المعروف ما بين الكتف والمرفق الذي هو سبب قوة الإنسان على الأعمال، فيقال: عضدته كنصرته لفظاً ومعنى، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[2] أي عوناً وناصراً، وفلان عضدي أي معتمدي على سبيل الاستعارة، وفي الدعاء: (أنت عضدي) أي أنا بك أتقوى وأنتصر. و(الحضنة) جمع الحاضن بمعنى الحافظ، من حضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه، وكذلك المرأة إذا حضنت

---

(١) الأنعام: ١٣٠

(٢) الكهف: ٥١

ولدها، والحضانة ـ بالفتح والكسر ـ اسم منه، وحاضنة الصبي المرأة التي تقوم عليه في تربيته، وأصل الحضن ـ بالكسر ـ ما دون الإبط إلى الكشح، والمقصود وصف الأنصار بحفظ الإسلام وإعانته. و(الغميزة) قال الجوهري: ليس في فلان غميزة أي مطعن، ونحوه ذكر الفيروز آبادي، وهو لا يناسب المقام إلّا بتكلف، وقال الجوهري: رجل غمز أي ضعيف. وقال الخليل في كتاب العين: الغميزة ـ بفتح الغين المعجمة والزاء ـ ضعفة في العمل وجهلة في العقل، ويقال: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله أي علمت أنه أحمق، وهذا المعنى أنسب، كذا ذكر الفاضل المجلسي رَحِمَهُ اللهُ. ويمكن أن تكون الغميزة مصدراً من قولهم: غمزه غمزا أشار إليه بعين أو حاجب، فتكون الغميزة النظر الضعيف الخفي، ويكون كناية عن النوم والغفلة فيناسب الفقرة الأخيرة، أو هو من قولهم: غمز الدابة في مشيها غمزاً وهو شبه العرج، فيكون المراد من الغميزة التعلل والثقل وعدم الانتهاز والحركة، وحاصله المسامحة. وفي الكشف: (ما هذه الفترة) بالفاء المفتوحة وسكون التاء، وهو السكون ونحوه وهو أيضاً مناسب في المرحلة. وفي رواية ابن أبي طاهر الغميرة ـ بالراء المهملة ـ ولعله من قولهم: غمر على أخيه أي حقد وضغن، أو من قولهم: غمر عليه أي اغمي عليه، أو من الغمر بمعنى الستر، وأحتمل أنها بالضاد المعجمة فصحفت، فإن استعمال إغماض العين في مثل المقام شائع. و(السِّنة) بالكسر مصدر وَسِنَ يَوْسَنُ كعلم يعلم وَسَناً وسِنَةً، فهو وَسِنٌ وَسْنان وهي وَسْنَةٌ ووَسْنَى، والسِّنة فتور يتقدم النوم، أو هي أول النوم، أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو، وقيل: هي ريح النوم يبدو في الوجه ثم ينبعث إلى القلب فينعس الإنسان فينام، وقيل: النوم مزيل القوة والعقل، وإن السنة في الرأس، والنعاس في

العين، والنوم في القلب. وفي الصحاح: الوسن النعاس والسنة مثله، وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] حاصله لا النوم الضعيف ولا القوي، وتقديم السنة في الآية على النوم مع أن القياس في النفي الترقي من الأعلى إلى الأسفل بعكس الإثبات، قيل: لتقديمها عليه طبعاً، أو المراد نفي هذه الحالة المركبة التي تعتري الإنسان والحيوان. وفي الكشاف في الآية: إنها توكيد للقيوم، لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً. و(الظلامة) بالضم كالمظلمة ـ بكسر اللام وفتحها ـ ما أخذه الظالم منك فتطلبه عنده، وكذلك الظليمة، وفي حديث أهل البيت عليهم السلام: (الناس يعيشون في فضل مظلمتنا) وفي الحديث: (من قتل دون مظلمته فهو شهيد) وذلك كأن يقتل دون أهله أو دون ماله أو نحو ذلك. وقد يستعمل الجميع اسماً للمظلومية، ولعل منه حديث فرس الحسين عليه السلام: (الظليمة الظليمة من أمة قتلوا ابن بنت نبيّها) والغرض من هذه الفقرات الشريفة تهييج الأنصار لنصرتها وتوبيخهم على تركها.

وقولها عليها السلام: (أما كان رسوله أبي...) أي قد صح الخبر عن نبيكم واتضح قوله صلى الله عليه وآله بينكم أن المرء يحفظ في ولده أي يراعى حاله ويحفظ الكرامة في خصوص ولده بأن يكرم ولده لأجله أي كذا قرره الله. ويشهد لذلك ما في قصة موسى مع خضر عليه السلام في جدار اليتيمين، الذي كان يريد أن ينقض فأقامه خضر، فقال له موسى عليه السلام: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ إلى أن قال خضر عليه السلام في جوابه: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، وقد كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة. وعن الصادق عليه السلام: إن الله ليحفظ

---

(١) البقرة: ٢٥٥

ولد المؤمن إلى ألف سنة. وعنهعليه السلام: إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، ولا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله تعالى. وفي العوالي عنهعليه السلام: لما أقام العالم الجدار أوحى الله إلى موسىعليه السلام: إني مجازي الأبناء بسعي الآباء. إلى غير ذلك. فكان حقاً عليكم يا أمة خاتم الأنبياء أن تحفظوه في بنته فاطمة الزهراء سيدة النساء، التي كانت بضعة منه من آذاها فقد آذاه، وفي الكشف: (أما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يحفظ...) وهذا أيضاً راجع في المعنى إلى ما مرّت إليه الإشارة. قولهاعليها السلام: (سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة...) سرعان ـ مثلثة السين مع سكون الراء ـ وعجلان ـ بفتح العين ـ كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرع وعجل، وتفصيلهما مقرر في النحو، وفيهما معنى التعجب أي ما أسرع ما أحدثتموه بعد النبي صلى الله عليه وآله من البدعة والظلم على العترة بغصب فدك، وتصرف الخلافة، وإيذاء أهل بيته، ولم تذهب رائحة النبي صلى الله عليه وآله من بيته. وفي رواية ابن أبي طاهر: (سرعان ما أجدبتم وأكديتم، وما أعجل ذا إهالة)، يقال: أجدب القوم أي أصابهم الجدب، وأكدى الرجل إذا قل خيره، والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ الودك ـ بفتحتين ـ وهو دسم اللحم، يقال: دجاجة وديكة، وديك وديك أي سمينة وسمين، وقيل: الإهالة الشحم مطلقاً أو الشحم المذاب، ويطلق على الزيت أيضاً. وقال الفيروز آبادي: سرعان ذا إهالة أصله أن رجلاً كانت له نعجة عجفاء، وكان رعامها يسيل من أنفها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل من منخريها؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الرعام، أو تمييز على تقدير نقل الفعل كقولهم: تصبب زيد عرقاً، والتقدير: سرعان إهالة هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة

الشيء قبل وقته، انتهى. والرعام - بضم الراء وإهمال العين - المخاط أي ما يسيل من أنف الشاة والخيل، ويقال: رعمت الشاة وأرعمت. ونقل من كتاب مقاليد العلوم أن سرعان اسم لسرع، وفي المثل (سرعان ذا إهالة) وذا فاعل سرعان، وإهالة وهي الشحم الذائب تمييز كقولك سرع ذا إهالة. وأصل المثل ان أعرابياً جاء إلى راع ليشتري منه شاة، فقال: هل عندك شاة سمينة؟ فقال: نعم عندي شاة امتلأت دسما وودكا، وطفحت شحما ولحما، فقال: علي بها، فجاء الراعي بشاة يسيل رعامها لا تتحرك هزالاً وسوء حال، فقال: ما وعدتنا بمثل هذه فأين الشحم واللحم؟ قال الراعي: ألم تر ان الشحم يسيل من منخريها، فقال الأعرابي: سرعان ذا إهالة. قال الميداني: وذا إشارة إلى الرعام أي سرع الرعام حال كونه إهالة، فجعل إهالة حالاً، ويجوز أن تكون تمييزاً كما مرّ، والمثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته، انتهى. وقيل: إن رجلاً كان له شاة ذا هزال أبداً، وكان من شدة هزاله يسيل الرعام من أنفه دائماً، فقيل له: ما هذا الرعام؟ قال: سرعان ذا إهالة أي هي ممتلئة دسماً، فهذا شحم مذاب يجيء من جوفه وباطنه لكثرة دسمه. ولعل أصل المثل كان بلفظ عجلان كما في الخطبة، فاشتبه على الفيروز آبادي أو غيره، أو كان كل منهما مستعملاً في هذا المثل، وغرضها عليها السلام التعجب من تعجيل الأنصار ومبادرتهم إلى إحداث البدع، وترك السنن، ورفض الأحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيد الأنام صلى الله عليه وآله مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتهم وأخذ حقهم ممن ظلمهم، كما قالت عليها السلام: (ولكم طاقة بما أحاول) أي أطالب، (وقوة بما أطلب) أي لكم طاقة وقوة في خصوص ما أطلب، إن شئتم أن تنصروني لنصرتموني وأخذتم حقي وأعنتموني في استرداده ممن

غضبه، ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتب على هذه البدعة من المفاسد الدينية والدنيوية، وإذهاب الآثار النبوية. قولها عليها السلام: (أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله ....) أي أتجترئون علينا أهل البيت من هذه الجهة، أو تظنون أن محمداً صلى الله عليه وآله مات ولا تلاقونه بعد ذلك أبداً، وأن المؤمنين لا يموتون بل ينقلون من دار الدنيا إلى دار الآخرة، فسوف يخاصمكم فيما تعملون، أو تظنون أنه لا يرى أعمالكم وأفعالكم ولا يسمع أقوالكم، وإنما هو ناظر إليكم مشرف عليكم يرى ويسمع، وأنتم بمرأى منه ومسمع. (فخطب جليل...) الخطب ـ بالفتح ـ الشأن والأمر عظم أو صغر، وقيل: الأمر العظيم الشديد. و(الاستيساع) غاية السعة مثل الاتساع من وسع يسع سعة. و(الوهي) كالرمي الشق والخرق، ويقال: وهي الثوب إذا بلى وتخرق. و(استنهر) استفعل من النهر ـ بالتحريك ـ بمعنى السعة أي اتسع، وأنهرت الطعنة: أوسعتها، ونهرت النهر أي أحفرته، ومنهر النهر للماء الجاري المتسع واحد الأنهار، وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[1] قيل: أي أنهار، وقد يعبر بالواحد عن الجمع كقوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[2]. و(الفتق) الشق ويقال: فتقت الثوب فتقاً ـ من باب ضرب وقتل ـ نقضت خياطه حتى فصلت بعضه عن بعض، فانفتق أي انشق، وفتقته ـ بالتشديد ـ مبالغة، وفي الخبر: (محمد صلى الله عليه وآله الفاتق الراتق) يعني فاتق الجور وممزقه، وراتق الخلل الذي في الدين. و(الرتق) ضد الفتق وهو الالتئام، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا

(١) القمر: ٥٤

(٢) القمر: ٤٥

يُؤۡمِنُونَ﴾[١]. قيل: كانت السماوات سماء واحدة ففتقهما الله وجعلهما سبع سماوات وسبع أرضين، وقيل: كانت السماء مع الأرض جميعاً شيئاً واحداً ففتقهما الله بالهواء الذي جعله بينهما، أو المراد فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، وفي الدعاء: (اللهم ارتق فتقنا) أي أصلح مفاسد أمورنا. والضمائر الثلاثة في وهيه وفتقه ورتقه للخطب، والمراد أن موت النبي صلى الله عليه وآله أمر عظيم، وخطب جسيم، وحادثة جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة لا يسدها شيء، وهو النور الأقدم، والنير الأعظم في العوالم الكونية والإمكانية، قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾[٢] وقد ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٣]. قولها عليها السلام: (فأظلمت الأرض) أي كان هو صلى الله عليه وآله نور كل شيء وضياءكل نور وفيء، فلما مات أظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته. و(كسف النجوم) ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعدياً ولازماً وهو من باب ضرب، وفي رواية ابن أبي طاهر مكان هذه الفقرة: (واكتأبت خيرة الله لمصيبته) وفي الكشف: (واكتأبت لخيرة الله) راجعاً ضميره إلى الأرض. و(الإكداء) من الكُدية - بضم الكاف - بمعنى الأرض الصلبة، وأكدى الشيء إذا بلغ الى الصلب، ومنه أكدى الرجل إذا قل خيره، وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾[٤] أي قطع القليل، وأكدت الآمال أي قطع خيرها أي انقطعت ولم يبق رجاء فيها، فإكداء الآمال كناية عن انقطاع الرجاء، كما أن خشوع الجبال كناية عن

---

(١) الأنبياء: ٣٠

(٢) المائدة: ١٥

(٣) الزمر: ٦٩

(٤) النجم: ٣٤

جزعها لموت النبي ﷺ، أو عن الضعف الحاصل للقلوب الراسية كالجبل استعارة عن اختلال حال العترة. و(حريم) الرجل ما يحميه ويقاتل عنه، كما أن الحرمة ما لا يحل انتهاكها، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد حريم النبي ﷺ، وحرمته كناية عن العترة. وقولهاعليها السلام: (عند مماته) متعلق بقولها (أكدت الآمال) وما بعده من الأفعال، وفي بعض النسخ: (أديلت الحرمة) من الإدالة بمعنى الغلبة، وفي بعضها الرحمة بدل الحرمة. (فتلك والله...) إشارة إلى مصيبة وفاة النبي ﷺ. و(النازلة) الشديدة. و(البائقة) الداهية، و(مثلها) خبر (لا) على الأرجح ونازلة اسمها، قدم الخبر لتنكير المبتدأ أي لا نازلة مثلها، ويجوز وجه آخر أيضاً لا يخفى. و(الأفنية) جمع فناء الدار ـ بالكسر ـ ككساء وهو الوصيد أي العرصة المتسعة أمامها، وفناء الكعبة سعة أمامها، وقيل ما امتدت من جوانبها دوراً وهو حريمها خارج المملوك منها، وفي الخبر: (اكنسوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود)، وفي الدعاء: (نازل بفنائك) والخطاب لله وهو على الاستعارة. و(المُمْسى والمصبح) بضم الميم فيهما مصدران وموضعان من الإمساء والإصباح. و(الهتاف) بالكسر الصياح وقد مر. و(الصراخ) بالضم الصوت أو الشديد منه، يقال: صرخ صرخة ـ من باب قتل ـ واصطرخ أي صوت، والمستصرخ: المستغيث، والمصرخ: المغيث، يقال: استصرخني فأصرخته، والصارخ: المغيث والمستغيث أيضاً، ويقال: مررت به فإذا له صراخ كصراخ الثكلى أي مثل صوت بكائها يكون مشتملاً على الشدة. و(التلاوة) بالكسر القراءة من تلوت القرآن تلاوة أي قرأته، ومنه: (رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه) وقد يقال: تلوت الرجل أتلوه تلواً على وزن فعول تبعته، فأنا تال وتلو أيضاً وزان حمل، وليس بمراد هنا. و(الإلحان)

بكسر الهمزة الإفهام، يقال: ألحنه القول أي أفهمه، ويجوز أن يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب، قال الجوهري: اللحن واحد الإلحان واللحون، ومنه الحديث: (اقرؤوا القرآن بلحون العرب) وقد لحن في قراءته إذا طرَّب بها وغرد، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء، انتهى. ويمكن حينئذٍ أن يقرأ بصيغة الجمع أيضاً، والأول أظهر على ما قيل. و(الحكم الفصل) هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مرد له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحق والباطل. و(الحتم) في الأصل إحكام الأمر، والقضاء الحتم ما لا يتطرق إليه التغيير. و(خلت) من الخلو بمعنى مضت. و(الانقلاب) على العقب الرجوع القهقرى، أريد به الارتداد بعد الإيمان. و(الشاكرون) المطيعون المعترفون بالنعم، الحامدون عليها. والحاصل من قولهاعليها السلام: (فتلك والله...) ان هذه المصيبة والله هي المصيبة الكاملة التي ليس مثلها نازلة ولا حادثة عاجلة، أي أسرع نزولها قبل إبانها في ظاهر العرف والعادة، وقد أعلن بهذه الحادثة كتاب الله تعالى أي أخبر بها قبل وقوعها حيث قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ....﴾[2]. وأنتم تسمعونه في صباحكم ومسائكم يُهتف به ـ بصيغة المجهول ـ أي يُقرأ ويُتلى في أفنيتكم أي في دوركم وسكككم كناية عن غاية الشيوع، قراءة على نحو الهتاف والصراخ أي بالأنحاء المختلفة، فيقرأه بعضهم على نحو الهتاف أي الصوت الخفي الضعيف، وبعضهم على نحو الصراخ أي الصوت القوي الشديد، وبعضهم على نحو التلاوة أي التلاوة المعهودة، وبعضهم على نحو الالحان، وذلك باختلاف

(١) الزمر: ٣٠

(٢) آل عمران: ١٤٤

القارين والتالين في الصوت والحالة واللهجة. وإن ما حل بأنبياء الله ورسله قبل النبي ﷺ من الموت، هو حكم فصل وقضاء حتم ما كان يتخلف في مادة أحد، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾(١) أي كان أمر موته معلوماً محققاً قطعاً، وما قرر الله لأحد من خليقته الحياة الأبدية، فليس أمر الموت غريباً بالنسبة إلى النبي ﷺ، ولا يدل ذلك على بطلان نبوته وما أتى به من شريعته، فما لكم ترتدون على أدباركم وتنقلبون على أعقابكم، ومالكم كيف تحكمون، أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم لما تخيرون. قال بعض أماثل المتقدمين: واعلم أن الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبي ﷺ إما عدم تحتم العمل بأوامره، وحفظ حرمته في أهل بيته لغيبته، فإن العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغائب، وانه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها ما أشارت إليه من إعلان الله جل ثناؤه بوقوع تلك الواقعة الهائلة قبل وقوعها، وان الموت ممّا قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله تثبيتاً للأمة على الإيمان، وإزالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم. ويمكن أن يكون معنى الكلام أتقولون مات محمد ﷺ، وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عمّا نريد، ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر وعدم الانزجار عن النواهي، ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ..﴾(٢) لكن لا يكون حينئذٍ لحديث إعلان الله سبحانه وإخباره بموت الرسول مدخل في الجواب إلّا بتكلف. ويحتمل أن تكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبي ﷺ، كما أفصح عنه عمر بن الخطاب

(١) آل عمران: ١٤٤

(٢) آل عمران: ١٤٤

حين شك في موته ﷺ، فبعد تحقيق موته عرض لهم شك في الإيمان ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذٍ مدخلية حديث الإعلان وما بعده واضح. وعلى التقادير لا يكون قولهاعليها السلام: (فخطب جليل) داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على سبيل الاستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولهاعليها السلام: (فتلك والله النازلة الكبرى). ويحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم أن موته ﷺ وهو أعظم الدواهي قد وقع، فلا يبالى بما وقع بعده من المحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والانتصاف ممن ظلمها. ولما تضمن ما زعموه كون مماته ﷺ أعظم المصائب، سلمتهعليها السلام أولاً في مقام جواب تلك المقدمة لكونه محض الحق، ثم نبهتعليها السلام على خطئهم في أنها مستلزمة لقلة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصرة الحق، وعدم اتباع أوامره بقولها: (أعلن بها كتاب الله) إلى آخر الكلام. فيكون حاصل الجواب أن الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بأنها سُنّة ماضية في السلف من أنبيائه، وحذركم من الانقلاب على أعقابكم كيلا تتركوا العمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحق وقمع الباطل. وفي تسليمها ما سلمت أولاً دلالة على أن كونها أعظم المصائب ممّا يؤيد وجوب نصرتي، فإني أنا المصابة بها حقيقة وإن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية أحق وأحرى، ويحتمل أن يكون قولهاعليها السلام: (فخطب جليل) من أجزاء الجواب، فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة، أو المركب من بعضها مع بعض. وحاصل الجواب حينئذٍ أنه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى، وقد كان الله تعالى أخبركم بها، وأمركم أن لا ترتدوا بعدها على

أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عني والقيام بنصرتي، ولعل الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها: (وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله) بالواو دون الفاء. ويحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضها وللآخر بعضها، وتكون كل مقدمة من مقدمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها. وقال الفاضل المجلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويحتمل أن لا تكون هذه شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنه ليس لهم في تلك الأمور الشنيعة حجة ومتمسك، إلّا أن يتمسك أحد بأمثال تلك الأمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شائع في الاحتجاج.

أيهاً بَنِي قَيْلَةَ! أأُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ وَأنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دارَتْ بِنا رَحَى الإسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأيّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ، وَأشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيمانِ؟ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1]. ألا قَدْ أرى أنْ قَدْ أخْلَدْتُمْ إلَى الْخَفْضِ، وَأبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذي تَسَوَّغْتُمْ، فـ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2]. ألا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَةِ الَّتي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ. فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ

(١) التوبة: ١٣

(٢) إبراهيم: ٨

الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الأَبَدِ، مَوْصُولَةً بنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ. فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]، وَأَنَا ابْنَةُ نَذيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ، فـ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[2].

■ القاضي النعمان:

قولها: [إيها] بني قيلة. فهو من الدعاء المنسوب، تقول: يا بني قيلة، تعني: الأنصار، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مادر بن عبدالله بن الأمرد بن عوف بن نبتة بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهما ابنا قيلة، وهم الأنصار، نسبوا إلى أمهم. وقولها: اهتضم تراث أبي. تقول: انقص ميراث أبي. ويقال منه: هضمت حقي: أي انتقصته. وهضمت من حقي طائفة: أي تركتها. والهضّام: الذي يترك من حقه ويعطي غيره. يقال: قد هضم له من حقه قال لبيد:

ومقسم يعطي العشيرة حقها
ومعد لم لحقوقها هضامها

والتراث تاؤه واو وهو تركه الميراث. ولا يجمع كما يجمع الميراث. فيقال: تواريث. وقولها: وأنتم نخبة الله التي انتخب لدينه. النخبة: الخيرة لما اختير، واستخلص نخبة ونخابة، وهو مصدر النخيب: المختار المستخلص المصطفى اختياراً على غيره. وتنخب: اختار واستخلص. وقولها: فنابذتم العرب وكافحتم الأمم. المنابذة: انتباذ الفريقين للحرب.

(١) الشعراء: ٢٢٧

(٢) هود: ١٢١ - ١٢٢

تقول: نبذت إليه الحرب على سواء: أي نابذناهم الحرب. والنبذ طرحك الشيء، والمنبوذ: ولد الزنا الذي تنبذه أمه: أي تطرحه ليخفي أمرها. فكأن المنابذة طرح ما بين الفريقين من الصلح والاتفاق بين بعضهم وبعض. والمكافحة ـ في الحرب ـ: المضاربة تلقاء الوجوه. قال الشاعر:

تكافح لوحات الهواجر بالضحى
مكافحة للمنخرين وللفم

وقولها: وخبت نيران الباطل. الخبو: سكون لهب النار. وخبت النار: إذا سكنت. وخبت الحرب كذلك وخبت النار تخبو خبواً: إذا طفئت. وقولها: واستوسق نظام الدين. تقول: اجتمع وانضم بعضه إلى بعض. والوسق: ضمك الشيء بعضه إلى بعض. والاتساق: الانضمام والاستواء. ويقال: استوسقت الإبل: إذا اجتمعت وانضمت. واستوسق النظام كذلك. وهذا مثل ضَرَبَتْهُ لاجتماع المؤمنين وألفتهم على إقامة دين الله عزّ وجلّ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. وقولها: فنكصتم بعد الإقدام. النكوص: الإحجام عن الشيء. يقال لمن أراد أمراً ثم رجع عنه: نكص على عقبيه. وقولها: نكثوا أيمانهم. نكث اليمين، ونكث العهد والعقد: حله من بعد أن عقد وإبرام. وكذلك النقض. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾. قيل: إن ذلك ضرب مثلاً لامرأة حمقاء كانت تغزل الغزل، ثم تفتله على خلاف ما فتلته إذا غزلته، فينحل ويفسد وذلك النكث. والنكيثة اسم. وقولها: لقد قلت ما قلت على علم مني بالخذلان الذي خامر صدوركم واستفز قلوبكم. [خامر صدوركم]: خالطها. يقال منه: خامره الداء: إذا خالط جوفه. وكلّ ما يخمر بالماء يقال: اختمر. إذا خالطه يختمر به

من طعم أو ريح لم يكن قبل ذلك فيه. واستفز استفعل ـ: من الإفزاز. والإفزاز: الإفزاع والذعر. ويقال: استُفزّ الرجل حتى ألقي في الجهل، واستفز حتى أخرج من داره: بمعنى خُوِّف وافزع حتى فعل ذلك. وقولها: بثة الصدر وبعثة الغيظ. فبثة الصدر: خروج ما في القلب، والحديث به. وأصل البث: تفريق الأشياء. كبث الخيل في الغارة وبث الكلاب للصيد. وخلق الله الخلق وبثهم في الأرض وتقول: أبثه الحديث إبثاثاً، فأنا مُبثّه. والحديث مبث. تقولعليها السلام: ولكنني بثثت ما في الصدر. والبث أيضاً شدة الحزن. قيل: لأن صاحبه لا يصبر حتى يبثه: أي يشكوه. قال الله عزوجل حكاية عن يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقد يكون قولها أيضاً في هذا إنها تبث ما في قلبها من الغم بما ذكرته وإن كانت تعلم أن ذلك لا يصرفهم عمّا هم عليه. وبعثة الغيظ، ما يبعثه: أي يرسله. ويُبعث عنه من القول وغيره. وقولها: فدونكموها، فاحتقبوها. تعني ظلامتها التي تظلمت إليهم، تقول: احتقبوا إثمها. وأصل الاحتقاب: شد الحقبة من خلف، وكل ما حمل من خلف. تقول: احتقب واستحقب، والإثم كذلك يحتقب. قال الشاعر:

فاليوم فاشرب غير مستحقب
إثماً من الله ولا واغل

وقولها: دبرة الظهر. تعني بثقلها كما يدبر ظهر الدابة الحمل الثقيل. وقولها: موسومة بشنار الأبد. العيب والعار يلزم الرجل من فعل يفعله. عار وشنار. وقل ما يقرؤون الشنار في العار. وكذلك جاء في هذا الكلام بعد ذكر العار ويجيء مفرداً في الشعر. قال الشاعر:

ولولا رعيهم سمع الشنار

فهذا شرح آخر هذه الخطبة التي خطبتها فاطمةعليها السلام.

■ العلّامة المجلسي:

أَيْهاً بني قيلة! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومبتدأ ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة.. أَيْهًا - بفتح الهمزة والتنوين - بمعنى هيهات. وبنو قيلة: الأوس والخزرج - قبيلتا الأنصار، - وقيلة - بالفتح - اسم أم لهم قديمة: وهي قيلة بنت كاهل. والهضم: الكسر، يقال: هضمت الشيء.. أي كسرته، وهضمه حقه واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقه. والتراث - بالضم - الميراث، وأصل التاء فيه واو. وأنتم بمرأى مني ومسمع.. أي بحيث اراكم وأسمع كلامكم [كذا]. وفي رواية ابن أبي طاهر: منه - أي من الرسول ﷺ -، والمبتدأ في أكثر النسخ بالباء الموحدة مهموزاً، فلعل المعنى أنكم في مكان يبتدأ منه الأمور والأحكام، والأظهر أنه تصحيف المنتدى - بالنون غير مهموزة - بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون المجمع كالتفسير له، والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم، واللفظان غير موجودين في رواية ابن أبي طاهر. وتلبسكم - على بناء المجرد - أي تغطيكم وتحيط بكم. والدعوة: المرة من الدعاء أي النداء كالخبرة - بالفتح - من الخبر - بالضم - بمعنى العلم، أو الخبرة - بالكسر - بمعناه، والمراد بالدعوة: نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميتها صلوات الله عليها، والتعبير بالإحاطة والشمول للمبالغة، أو للتصريح بأن ذلك قد عمهم جميعاً، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر. وفي رواية ابن أبي طاهر: الحيرة - بالحاء المهملة - ولعله تصحيف، ولا يخفى توجيهه. وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت.. الكفاح: استقبال العدو في الحرب

بلا ترس ولا جنة، ويقال: فلان يكافح الأمور.. أي يباشرها بنفسه. والنجبة ـ كهمزة ـ النجيب الكريم، وقيل: يحتمل أن يكون بفتح الخاء المعجمة أو سكونها بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الاثير أنها بالسكون تكون جمعاً. والخيرة ـ كعنبة: المفضل من القوم المختار منهم. قاتلهم العرب ـ في المناقب: لنا أهل البيت قاتلتم ـ وناطحتم الأمم، وكافحتم إليهم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون.. ناطحتم الأمم.. أي حاربتم الخصوم ودافعتموهم بجد واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه. والبهم: الشجعان ـ كما مرّ ـ. ومكافحتها: التعرض لدفعها من غير توانٍ وضعفٍ. وقولهاعليها السلام: أو تبرحون.. معطوف على مدخول النفي، فالمنفي أحد الأمرين، ولا ينتفي إلّا بانتفائهما معاً، فالمعنى لانبرح ولا تبرحون نأمركم فتأتمرون.. أي كنا لم نزل آمرين وكنتم مطيعين لنا في أوامرنا. وفي كشف الغمة: وتبرحون ـ بالواو ـ فالعطف على مدخول النفي أيضاً ويرجع إلى ما مر، وعطفه على النفي ـ إشعاراً بأنه قد كان يقع منهم براح عن الإطاعة كما في غزوة أحد وغيرها، بخلاف أهل البيتعليهم السلام إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية ـ بعيد عن المقام، والأظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأساً. لا نبرح نأمركم.. أي لم يزل عادتنا الأمر وعادتكم الائتمار. وفي المناقب: لا نبرح ولا تبرحون نأمركم.. فيحتمل أن يكون أو في تلك النسخة أيضاً بمعنى الواو.. أي لا نزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون، ولعل ما في المناقب أظهر النسخ وأصوبها. حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت نهرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين.. دوران الرحى كناية عن انتظام أمرها، والباء للسببية. ودرُّ اللبن: جريانه وكثرته. والحلب

ـ بالفتح ـ استخراج ما في الضرع من اللبن، وبالتحريك اللبن المحلوب، والثاني أظهر للزوم ارتكاب تجوز في الإسناد وفي المسند إليه على الأول. والنعرة ـ بالنون والعين والراء المهملتين ـ مثال همزة: الخيشوم والخيلاء والكبر أو بفتح النون من قولهم: نعر العرق بالدم.. أي فار، فيكون الخضوع بمعنى السكون، أو بالغين المعجمة من نغرت القدر.. أي فارت. وقال الجوهري: نغر الرجل ـ بالكسر ـ أي اغتاض، قال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ. وقال ابن السكيت: يقال: ظل فلان يتنغر على فلان.. أي يتذمر على، وفي أكثر النسخ بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة، وهي نقرة النحر بين الترقوتين، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وآله: أنا وضعت كلكل العرب ـ أي صدورهم. والإفك ـ بالكسر ـ الكذب، وفورة الإفك غليانه وهيجانه وخمدت النار.. أي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، ويقال: همدت ـ بالهاء ـ إذا طفئ جمرها، وفيه إشعار بنفاق بعضهم وبقاء مادة الكفر في قلوبهم. وفي رواية ابن أبي طاهر: وباخت نيران الحرب.. قال الجوهري: باخ الحر والنار والغضب والحمى.. أي سكن وفتر، وهدأت أي سكنت. والهرج: الفتنة والاختلاط، وفي الحديث: الهرج: القتل. واستوسق.. أي اجتمع وانضم من الوسق ـ بالفتح ـ وهو ضم الشيء إلى الشيء، واتساق الشيء: انتظامه. وفي الكشف: فناويتم العرب وبادهتم الأمور.. إلى قولها عليها السلام: حتى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودر حلب البلاد، وخبت نيران الحرب.. يقال: بدهه بأمر.. أي استقبله به، وبادهه: فاجأه. فأنى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الايمان.. كلمة: أنى، ظرف

مكان بمعنى اين، وقد يكون بمعنى كيف أي من أين حرتم، وما كان منشؤه. وجرتم: إما ـ بالجيم ـ من الجور وهو الميل عن القصد والعدول عن الطريق، أي لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم؟، أو بالحاء المهملة المضمومة من الحور بمعنى الرجوع أو النقصان، يقال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور.. أي من النقصان بعد الزيادة، وإما بكسرها من الحيرة. والنكوص: الرجوع إلى خلف. ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]. نكث العهد ـ بالفتح ـ نقضه. والأيمان ـ جمع اليمين ـ وهو القسم. والمشهور بين المفسرين أن الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم وخرجوا مع الاحزاب وهموا بإخراج الرسول من المدينة، وبدؤوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا أيمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونوا بني بكر على خزاعه، وقصدوا إخراج الرسول ﷺ من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، وأتاهم إبليس بصورة شيخ نجدي.. إلى آخر ما مرّ من القصة، فهم بدؤوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت، أو يوم بدر، أو بنقض العهد، والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمانهم في كلامها صلوات الله عليها، أما الذين نزلت فيهم الآية فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للإمامة ولحقها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول ﷺ في وصيه عليه السلام وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم، أو المراد بهم الغاصبون لحق أهل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم ايمانهم: نقض ما عهدوا إلى الرسول ﷺ حين بايعوه من الانقياد له في

---

(١) التوبة: ١٣

أوامره والانتهاء عند نواهيه وأن لا يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا ما أمرهم به، والمراد بقصدهم إخراج الرسول ﷺ عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول ﷺ وقائم مقامه بأمر الله وأمره عن مقام الخلافة وعلى إبطال أوامره ووصاياه في أهل بيته النازل منزلة إخراجه من مستقره، وحينئذٍ يكون من قبيل الاقتباس. وفي بعض الروايات: لقوم نكثوا ايمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم.. فقوله: لقوم متعلق بقوله: تخشونهم. ألَا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم فـ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(1).. الرؤية هنا بمعنى العلم أو النظر بالعين. وأخلد إليه: ركن ومال. والخفض ـ بالفتح ـ: سعة العيش. والمراد بمن هو أحق بالبسط والقبض أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾(2). وخلوت بالشيء: انفردت به واجتمعت معه في خلوة. والدعة: الراحة والسكون. ومج الشراب من فيه: رمى به. ووعيتم.. أي حفظتم. والدسع ـ كالمنع ـ الدفع والقيء، وإخراج البعير جرته إلى فيه. وساغ الشراب يسوغ سوغا.. إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوغه: شربه بسهولة. وصيغة تكفروا في كلامهاعليها السلام إما من الكفران وترك الشكر ـ كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ

(1) إبراهيم: 8

(2) الفرقان: 15

﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1] ـ ، أو من الكفر بالمعنى الاخص، والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس، مع أن في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى، والمراد إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً من الثقلين فلا يضر ذلك إلّا أنفسكم فإنه سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته، أو محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان الحال، وضرر الكفران عائد اليكم حيث حرمتم من فضله تعالى ومزيد إنعامه وإكرامه. والحاصل، أنكم إنما تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم ورضيتم ببيعة أبي بكر لعلمكم بأن أمير المؤمنين عليه السلام لا يتهاون ولا يداهن في دين الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد وغيره، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، ويقسم الفئ بينكم بالسوية، ولا يفضل الرؤساء والأمراء، وإن أبا بكر رجل سلس القياد، مداهن في الدين لإرضاء العباد، فلذا رفضتم اللإيمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله إلّا اليكم. وفي الكشف: ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فمججتم الذي أوعيتم، ولفظتم الذي سوغتم. وفي رواية ابن أبي طاهر: فعجتم عن الدين.. يقال: ركن إليه ـ بفتح الكاف وقد يكسر ـ أي مال إليه وسكن. وقال الجوهري: عجت بالمكان أعوج.. أي أقمت به وعجت غيري.. يتعدى ولا يتعدى، وعجت البعير.. عطفت رأسه بالزمام.. والعائج: الواقف.. وذكر ابن الاعرابي: فلان ما يعوج من شيء: أي ما يرجع عنه. ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة.. الخذلة: ترك النصر.

---

(١) إبراهيم: ٧ – ٨

وخامرتكم.. أي خالطتكم. والغدر: ضد الوفاء. واستشعره: أي لبسه، والشعار: الثوب الملاصق للبدن. والفيض - في الأصل - كثرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر.. أي شاع، وفاض صدره بالسر.. أي باح به واظهره، ويقال: فاضت نفسه.. أي خرجت روحه، والمراد به هنا إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهم وغلبة الحزن. والنفث بالفم شبيه بالنفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عال تسكيناً لحر القلب وإطفاء لنائرة الغضب. والخور - بالفتح والتحريك -: الضعف. والقنا: جمع قناة وهي الرمح، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعل المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة وكتمان الضر، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب. والبث: النشر والإظهار، والهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه.. أي يفرقه. وتقدمة الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعاً لاعتذاره بالغفلة. والحاصل، أن استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، وإقامة الحجة عليكم، لم يكن رجاءً للعون والمظاهرة بل تسلية للنفس، وتسكيناً للغضب، وإتماماً للحجة، لئلّا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1]. فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بـ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[2]، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3].. والحقب - بالتحريك - حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير، يقال: أحقبت البعير.. أي شددته به، وكل ما شدَّ في مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب، ومنه

(١) الأعراف: ١٧٢

(٢) الهمزة: ٦ - ٧

(٣) الشعراء: ٢٢٧

قيل: احتقب فلان الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر أن الأنسب في هذا المقام احقبوها ـ بصيغة الإفعال ـ أي شدوا عليها ذلك وهيئوها للركوب، لكن فيما وصل إلينا من الروايات على بناء الافتعال. والدبر ـ بالتحريك ـ الجرح في ظهر البعير، وقيل: جرح الدابة مطلقاً. والنقب ـ بالتحريك ـ: رقة خف البعير. والعار الباقي: عيب لا يكون في معرض الزوال. ووسمته وسماً وسمة: إذا أثرت فيه بسمة وكي. والشنار: العيب والعار. ونار الله الموقدة.. المؤججة على الدوام. والاطلاع على الأفئدة.. إشرافها على القلوب بحيث يبلغها ألمها كما يبلغ ظواهر البدن، وقيل معناه: إن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا. وفي الكشف: إنها عليهم موصدة ـ والموصدة: المطبقة ـ. وبعين الله ما تفعلون.. أي متلبس بعلم الله أعمالكم، ويطلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصره، وقيل في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1] إن المعنى تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة. والمنقلب: المرجع والمنصرف، وأي منصوب على أنه صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلبون، لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وإنما يعمل فيه ما بعده، والتقدير سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلابا أي انقلاب؟. وأنا ابنة نذير لكم.. أي أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله على ظلمكم، فقد تمت الحجة عليكم، والأمر في اعملوا وانتظروا للتهديد.

■ الأنصاري التبريزي:

(أَيْهَا) بفتح الهمزة والتنوين بمعنى هيهات، قال الجوهري: أيه اسم فعل ومعناه الأمر، تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل: إيه ـ

---

(١) القمر: ١٤

بكسر الهاء ـ قال ابن السكيت: فإن وصلت نونت وقلت إيهٍ حَدِّثنا، قال ابن السري: إذا قلت: إيهِ يا رجل ـ بلا تنوين ـ فإنما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت: هات الحديث، وإن قلت: إيهٍ ـ بالتنوين ـ كأنك قلت: هات حديثاً ما لأن التنوين للتنكير، وإذا سكَّنته وكففتَه عن الحديث قلت: إيهَا أي أكفف عنا، وإذا أردت التبعيد قلت: أَيْهَا ـ بفتح الهمزة ـ بمعنى هيهات، ومن العرب من يقول أَيْهَاتِ، وهو في معنى هيهات. وفي كتاب شرح الأبيات: إذا قلت إيهِ ـ بغير تنوين ـ فكأن مخاطبك كان في حديث ثم أمسك، فأمرته بالشروع في الحديث الذي كان فيه أي هات الحديث، فإذا قلت ايه ـ بالتنوين ـ فكأنك أمرته ابتداء بأن يحدِّث حديثاً ما أي هات حديثاً. وفي الغريبين: إيها تصديق كأنه قال صدقت، وفي الحديث: (ايها والله) أي صدقت، ويقال: ايها عنا أي كف. و(بنو قيلة) الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، وقيلة ـ بالفتح ـ اسم أمّ لهم قديمة وهي قيلة بنت كاهل. و(الهضم) الكسر، يقال: هضمت الشيء أي كسرته، وهضمه حقه واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقه، وهضمه أيضاً دفعه عن حقه أو موضعه، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[1] أي نقصاً. والهضيم والمهتضم المظلوم، والهاضوم الذي يقال له الجوارش لأنه يهضم الطعام، وقيل لبعض الأصحاب: ألا تتخذ جوارشا؟ قال: وما الجوارش؟ قالوا: هاضوم يهضم الطعام، قال: سبحان الله أو يأكل المسلم فوق الشبع. وقد تجشأ رجل في مجلس رسول الله ﷺ فقال: نحِّ عنا جشأك، أما علمت أن أطول الناس عذاباً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا. و(التراث) الميراث كما مرّ تفصيله، وأصله وراث. و(أنتم بمرأى ومسمع) أي بحيث أراكم وأسمعكم كما

---

(١) طه: ١١٢

قيل في قوله:

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي
فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

أي بحيث تراك سعاد وتسمع صوتك على ما ذكره في الصحاح. ويجوز أن يكون المراد أنكم بحيث ترونني، وتسمعون صوتي وصراخي، وهذا أنسب، وكلا المعنيين صحيح من حيث اللغة، والمعنى موقوف على اعتبار المصدر المأخوذ فيه من المعلوم أو المجهول. و(المنتدى) بالنون غير مهموز: المجلس، ويكون المجمع كالتفسير له من الندوة بمعنى المشورة، والمنتدى محل المشورة فسُمِّي به المجلس فيقال: دار الندوة أو دار المشورة، أو هو من النداء لأن القوم حينئذٍ ينادي بعضهم بعضاً في عالم المخاطبة والمكالمة، والنادي أيضاً المجلس، وندوت القوم جمعتهم في دار الندوة أو في المنتدى. والغرض أنكم حاضرون في مجلس شكاية مع القوم، تنظرون وتبصرون الحالة والكيفية وما أنا عليه من المظلومية، وقيل: الغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم ولا يخفى بعده، وفي بعض النسخ المبدأ بالباء مهموزاً، قيل: فلعل المعنى أنكم في مكان يبتدأ منه الأمور والأحكام، والحق أنه تصحيف المنتدى. و(تلبسكم) على بناء المجرد أي تغطيكم وتحيط بكم. و(الدعوة) المرة من الدعاء أي النداء، أي أن دعوتي محيطة بكم من جوانبكم وهذا مبالغة. و(تشملكم الحيرة) أي أنتم متحيرون في حالتي لما ترون من الفظاعة أو الشناعة في هذه المخاصمة، وفي بعض النسخ: (الخبرة) من الخبر بمعنى العلم أو الخبرة ـ بالكسر ـ بمعناه. والمراد علمهم بمظلوميتها، والتعبير بالشمول المنبئ عن معنى الإحاطة للمبالغة أو للتصريح بأن ذلك قد عمهم جميعاً، وليس من

قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر، وكونهم ذوي العدد كناية عن كثرتهم واللام فيه للكمال بجعلها للجنس أو للاستغراق، أي أنتم ذوو العدد الكامل والعدد لا يكون بدون المعدود. و(العدة) بالضم الاستعداد، والعدة أيضاً ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح، يقال: أخذ للأمر عدته وعتاده بمعنى، قال الأخفش: ومنه قوله تعالى: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾[1] أي جعله عدة. و(الأداة) بفتح الهمزة الآلة والجمع الأدوات، وآداه على كذا يؤديه إيداء إذا قواه عليه وأعانه، وتأدى أي أخذ للدهر أداته، والمراد من القوة أسباب الغلبة. و(السلاح) بكسر السين معروف وهو آلة الحرب. و(الجُنَّة) بضم الجيم المِجَنّ، وقد مرّت الإشارة إلى حقيقة معنى المادة. و(موافاة) الدعوة كناية عن بلوغها لهم، وكذا إتيان الصرخة. و(الكفاح) بالكسر استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جنة، وفلان يكافح الأمور أي يباشرها بنفسه، وتقول: كفحته كفحاً إذا استقبلته. وفي حديث حسان: (لا تزال مؤيداً بروح القدس ما كافحت عن رسول الله) أي دافعت عنه من المكافحة بمعنى المدافعة تلقاء الوجه، وفيه: (وكافحوهم في الحرب) أي استقبلوهم لوجوهكم ليس دونها ترس ولا غيره، وكلمته كفاحاً أي مواجهة من غير حجاب. و(النخبة) كغرفة وبفتح الخاء أيضاً المنتخب المختار، وقرئ النجبة أيضاً بالجيم مع ضم النون وسكون الجيم وفتحها كهمزة بمعنى النجيب الكريم. و(الخِيَرة) كعنبة المفضل من القوم المختار منهم، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل معاني المادة. والنخبة عطف على قولهاعليها السلام (موصوفون) وكذلك الخيرة أي أنتم النخبة والخيرة، وهما اسمان يقعان على القليل والكثير، وانتخبت واختيرت مجهولان، وكون الأنصار منتجبين مختارين

---

(١) الهمزة: ٢

إنما هو من جهة نصرتهم النبي المختار حين هاجر إليهم ولذا سموا بالأنصار، والمراد مدح أصل نوعهم وجنس طائفتهم لا كل واحد من أشخاصهم، فلا يضر كون بعضهم مذموماً مقدوحاً وعن قرب دار الله مردوداً. وقولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (قاتلتم العرب...) كأنه بيان وجه للجمل السابقة التي ذكرت في مقام المدح، فإن وجه مدحهم بما ذكر أنهم قاتلوا العرب في نصرة النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وإعلاء كلمة الإسلام، وتحملوا الكد والتعب في مجاهدة الكفار، إلى آخر ما ذكرتهعَلَيْهَاالسَّلَامُ. و(المناطحة) من قولهم: نطح الكبش ـ من باب ضرب ومنع ـ نطحا ضربه بقرنه، وناطحت الكبش وانتطحت وتناطحت أي تضاربت بقرونها، وقد يكنى بالنطاح والمناطحة عن المقاتلة مواجهة وبالكباش عن الأبطال، فيقال كما قيل:

الليل داج والكباش تنتطح
فمن نجا برأسه فقد ربح

و(الأمم) جمع الأمة، والمراد من الأمم إما الجماعات المختلفة، أو الملل المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهما، والمراد من مناطحة الأمم محاربة الخصوم ومدافعتهم بجد واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه. و(البهم) الشجعان كما مرّ سابقا، ومكافحتها التعرض لدفعها من غير توان وضعف. وقولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (أو تبرحون) معطوف على المنفي في قولها: (لا نبرح) فالمنفي أحد الأمرين ولا ينتفي إلّا بانتفائهما معاً، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون، نأمركم فتأتمرون، أي كنا لم نزل آمرين وكنتم لأوامرنا مطيعين، وفي كشف الغمة: (وتبرحون) بالواو، فالعطف على المنفي أيضاً والمعنى كما ذكر. وجوز بعضهم عطفه على النفي إشعاراً بأنه قد كان يقع منهم براح عن الطاعة والإطاعة كما في غزوة أحد وغيرها، بخلاف أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة

والهداية، وهو بعيد. والأظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأسا وهو قولهاعليها السلام: (لا نبرح نأمركم) أي لم تزل عادتنا الأمر وعادتكم الائتمار. وفي المناقب: (لا نبرح ولا تبرحون نأمركم) فيحتمل أن يكون (أو) في تلك النسخة أيضاً بمعنى الواو أي لا نزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون، قيل: ولعل نسخة المناقب أظهر النسخ وأصوبها. و(دوران) رحى الإسلام كناية عن انتظام أمره والباء للسببية. و(درُّ) اللبن جريانه وكثرته، وناقة درور أي كثيرة اللبن، والدَّرَّة أيضاً ـ بفتح الدال ـ كثرة اللبن وسيلانه، ويطلق الدر ـ بالفتح ـ على نفس اللبن أيضاً كأنه مصدر بمعنى المفعول، ويقال في الذم: لا درَّ دَرُّهُ أي لا كثر خيره، ويقال في المدح: لله دره أي عمله أو جزاء عمله أو خيره، ولله درك من رجل، ولله دره من فارس، ونظيره لله أبوك، ويستعمل في التعجب والتهزؤ معاً. ودر اللبن إذا زاد وكثر جريانه في الضرع، والمدرار المبالغة منه وهو كثير الدرور، قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1]. و(الحلب) بالتحريك اللبن المحلوب وهو الأظهر هنا، ويحتمل الحلب بالفتح وهو استخراج ما في الضرع من اللبن، ويلزم حينئذٍ ارتكاب تجوز في الإسناد وفي المسند إليه، أو المراد أنه كثر بنا فيوضات الله على الأنام، وظهرت للناس منافع الأيام. و(الثغرة) بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة: نقرة النحر بين الترقوتين كناية عن العنق، والمقصود خضوع رقاب أهل الشرك على سبيل المبالغة، أو أن خضوع نقرة الشرك كناية عن سقوطها على الأرض أي محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظير قول أمير المؤمنينعليه السلام: (أنا وضعت كلكل العرب) أي صدورهم. وروي النعرة ـ بالنون والعين والراء المهملتين ـ مثال همزة بمعنى الخيشوم،

(١) هود: ٥٢

وخضوعها خضوع نعرتها ـ بفتح النون ـ أي صوتها كناية عن الضعف أو السكون، أو هي بمعنى الخيلاء والكبر، أو هي بفتح النون بمعنى صوت الخيشوم، أو بمعنى الفورة من نعر العرق بالدم إذا فار، أو هي بالغين المعجمة من نغرت القدر إذا فارت، أو من نغر الرجل إذا اغتاض. وقال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ، وقال ابن السكيت: يقال ظل فلان ينتغر على فلان أي يتذمر عليه. و(الإفك) بالكسر الكذب كما مرّ، وفورته غليانه وهيجانه. و(همدت) النار إذا طفئ جمرها، فيكون إشارة إلى زوال الكفر بالمرة ولو في ظاهر الصورة، وروي خمدت النار أي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، ويكون فيه إشعار بنفاق بعضهم وبقاء مادة الكفر في قلوبهم، وفي رواية ابن أبي طاهر: (وباخت نيران الحرب) قال الجوهري: باخ الحر والنار والغضب والحمى أي سكن وفتر. وفي العلوية:

خض الحتف تأمن خطة الخسف إنما

يبوخ ضرام الخطب والخطب مشبوب

و(هدأت) بمعنى سكنت من هدأ هَدْءاً ـ من باب منع ـ سكن، وأهدأته بمعنى أسكنته، وتقول: أهدأت الصبي إذا جعلت تضرب بكفيك عليه وتسكنه لينام. و(الهرج) بالفتح الفتنة والاختلاط، يقال: هرج ـ الناس من باب ضرب ـ هرجاً أي اختلطوا واضطربوا، وظهرت الفتنة والفساد بينهم، وفي الحديث: (الهرج القتل). قال الجوهري: وفي حديث أشراط الساعة: يكون كذا وكذا ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال ﷺ: القتل. وأصل الهرج الكثرة والاتساع. وفي النهاية في صفة أهل الجنة: (إنما هم هرجاً ومرجاً) الهرج كثرة النكاح، ويقال: وقع القوم في هرج ومرج أي فتنة واختلاط، وذكر المرج للمزاوجة مع

الهرج، أو أن الهرج من قولهم: هرجت الباب أي تركته مفتوحاً والمرج عكسه، فيكون كلاهما كناية عن الاختلاط الحاصل من جهة الفتنة، وقيل غير ذلك. و(استوسق) أي اجتمع وانضم من الوسق ـ بالفتح ـ وهو ضم الشيء إلى الشيء، واتساق الشيء انتظامه، وروي استوثق من الوثوق بالثاء المثلثة. قولهاعليها السلام: (فأنى حرتم...) أنى ظرف مكان بمعنى أين وقد يكون بمعنى كيف، أي أين حرتم وكيف تحيرتم بعد بيان الحال ووضوح سبيل المبدأ والمال، وهذا على تقدير رواية الفعل بالحاء المهملة المكسورة من الحيرة، وروى جرتم ـ بالجيم ـ من الجور، وهو الميل عن القصد والعدول عن الطريق، أي لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم، وبالحاء المهملة المضمومة من الحور بمعنى الرجوع أو النقصان كما في الخبر: (أعوذ بالله من الحور بعد الكور) أي من النقصان بعد الزيادة. و(أسررتم بعد الإعلان) أي أسررتم كلمة الإيمان أي تركتم العمل بها والقيام بمقتضياتها بعد أن أعلنتم بها في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله. و(نكصتم بعد الإقدام) من النكوص بمعنى الرجوع إلى خلف أي رجعتم القهقرى عن الإسلام، أو عن مجاهدة أعداء الله تعالى بعد أن أقدمتم على ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، والجمل الأربعة كلها راجعة إلى معنى واحد. و(نكث) العهد ـ بالفتح ـ نقضه كما مر. و(الأيمان) بفتح الهمزة جمع اليمين وهو القسم، ويستعمل في مطلق العهد والمعاهدة ولعله المراد هنا. والمشهور بين المفسرين أن الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم، وخرجوا مع الأحزاب، وهموا بإخراج الرسول من المدينة، وبدؤوا بنقض العهد وبالقتل، وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا أيمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونوا بني

بكر على خزاعة، وقصدوا إخراج الرسول ﷺ من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، وأتاهم إبليس على صورة الشيخ النجدي وأغرى القوم على قتل النبي ﷺ الى آخر القصة، فهم بدؤوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت أو يوم بدر. والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمانهم في كلامها عليها السلام أما الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض التعرض بوجوب قتال الغاصبين للإمامة، الخائنين في حقها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول ﷺ في وصيته وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم. أو المراد بهم الغاصبون لحق أهل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم أيمانهم نقض ما عهدوا إلى الرسول ﷺ حين بايعوه من الانقياد له في أوامره، والانتهاء عند نواهيه، وأن لا يضمروا له العداوة، فنقضوه ونقضوا ما أمرهم به. والمراد بقصدهم إخراج الرسول عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول، وهو قائم مقامه بأمر الله وأمره ﷺ عن مقام الخلافة، وعلى إبطال أوامره ووصاياه وأهل بيته النازل منزلة إخراجه من مستقره، وحينئذٍ يكون من قبيل الاقتباس، وفي بعض الروايات: (فبؤساً لقوم نكثوا أيمانهم...) وهو دعاء عليهم نظير قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[1]. ونحو ذلك قولها عليها السلام (وقد أرى...) الرؤية هنا بمعنى العلم أو النظر بالعين. و(أخلد) إليه ركن ومال من قولهم: خلد بالمكان خلوداً ـ من باب قعد ـ أقام وكذا أخلد، ومنه قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[3]، وفي حديث ذم الدنيا: (من دان لها وأخلد

(١) هود: ٦٠

(٢) هود: ١٠٧

(٣) الأعراف: ١٧٦

إليها...) ويجيء أخلد أيضاً متعدياً مثل خلد بالتشديد. و(الخفض) بالفتح سعة العيش، والمراد به هنا إما الاستراحة بترك المنازعة مع القوم، أو بالفراغ من التكاليف التي لو كان علي عليه السلام قائماً بالخلافة لأمرهم بها بخلاف أبي بكر لمساهلته في دين الله سبحانه، أو الاستزادة في أكل مال الله ومال رسول الله صلى الله عليه وآله، وغصب فدك والخلافة من آل الله، نظير ما أشار إليه علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية بقوله عليه السلام: (يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع). والمراد بمن هو أحق بالقبض والبسط هو علي أمير المؤمنين عليه السلام، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[1] مع أنه لا خيرية في المفضل عليه، فأفعل حينئذٍ إما وصف بلا تفضيل، أو فيه تفضيل على سبيل الفرض، أو على نظر القوم أو نحو ذلك. و(خلوت) بالشيء انفردت به واجتمعت معه في الخلوة. و(الدعة) الراحة والسكون من ودع كما مرّ، ويجوز كسر الدال وهو الأصل كعدة، والفتح للخفة كما في السعة. و(مجَّ) الشراب من فيه رمى به، وفي الحديث: (فأخذ حسوة من ماء فمجها في بئر ففاضت) أي صبها، وفي العلوية:

يمجُّ منوناً سيفه وسنانه
ويلهب ناراً غمده والأنابيب

و(وعيتم) أي حفظتم من وعى الشيء يعي وعياً أي حفظه، ومنه الوعاء للظرف لأنه يحفظ ما فيه. و(الدسع) كالمنع: الدفع والقيء، وإخراج البعير جرته إلى فيه، يقال: دسعه ـ من باب منع ـ بمعنى دفعه، ودسع البعير بجرته أي دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه. و(ساغ) الشراب يسوغ سوغاً إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوَّغه: شربه

(١) الفرقان: ١٥

بسهولة، ومجُّهم للذي وعوه استعارة عن إخراج الإيمان من قلوبهم الذي حفظوه فيها فطرحوه منها إلى الخارج، أي تركوه وأزالوه بالارتداد، فيكون ذلك إشارة إلى كفرهم وارتدادهم إلى أدبارهم، كما يدل عليه أيضاً قولهاعليها السلام: (فإن تكفروا...). وكما في الخبر أنه ارتد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثة أو أربعة، ويدل عليه الآيات القرآنية أيضاً كما لا يخفى، وقريب من جملة مججتم ما وعيتم في المعنى جملة دسعتم الذي تسوغتم. قيل: وصيغة تكفروا في كلامهاعليها السلام إما من الكفران وترك الشكر ـ كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد أيضاً حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[1] ـ أو من الكفر بالمعنى الأخص. والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس مع أن في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى، أي الله سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته أو محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان القال أو الحال، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2] فلا يضره كفران نعمته، بل إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً من الثقلين بالكفر الأصلي أيضاً فلا يضره تعالى، فإن الله سبحانه لغني حميد، بل ضرر كفرانكم عائد إليكم حيث حرمتم من فضله تعالى، وكذلك مزيد إنعامه وإكرامه وهكذا ضرر كفركم. والحاصل أنكم تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم، ورضيتم ببيعة أبي بكر إما لحب الاستراحة الحاصلة من ترك المجاهدة معه ومن تبعه، أو لعلمكم بأن أمير المؤمنينعليه السلام

(١) إبراهيم: ٧ – ٨

(٢) الإسراء: ٤٤

لا يتهاون ولا يداهن في دين الله، ولا تأخذه لومة لائم في الله، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد مع أعداء الله، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، وهو تقسيم الفيء بينكم على حد سواء، ولا يفضل الرؤساء والأمراء، وإن أبا بكر رجل سلس القياد يداهن في الدين لإرضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله إلّا إليكم. وفي الكشف: (ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فمججتم الذي أوعيتم، ولفظتم الذي سوغتم)، وفي رواية ابن أبي طاهر: (فعجتم عن الدين...). يقال: ركن إليه ـ بفتح الكاف وقد يكسر ـ أي مال إليه وسكن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1]، وقال الجوهري: عجت بالمكان أعوج أي أقمت به وعجت غيري يتعدى ولا يتعدى، وعجت البعير عطفت رأسه بالزمام، والعائج الواقف، وذكر ابن الأعرابي: ما يعوج من شيء أي ما يرجع عنه. قولهاعليها السلام: (ألا وقد قلت ما قلت [على معرفة مني بالخذلة]..) الخذلة ـ بالكسر ـ ترك النصر من خذله خذلانا إذا ترك عونه ونصرته، وتخاذلوا أي خذل بعضهم بعضاً، ومنه الخذلان في مقابل التوفيق، وهو أن يترك الله نصرته الزائدة على أصل اللطف الواجب في حق الجميع في عالم الرحمانية بالرحمة المطلقة الواسعة العامة عن العبد، بأن يتركه على حاله ولا يعاونه بتوجيه أسباب الخير الذي يطلق عليه التوفيق في عالم الرحيمية بالرحمة المقيدة الخاصة. و(المخامرة) المخالطة كما مرّت إليه الإشارة، ومنه الخمر على وجه وكذلك الخميرة. و(الغدر) ضد الوفاء. و(استشعره) أي لبسه متصلاً ببدنه من الشعار ـ بالكسر ـ بمعنى الثوب الملاصق للبدن مشتقاً من الشعرة مقابلاً للدثار

(١) هود: ١١٣

بمعنى الثوب الغير الملاصق له، ويقال: جعل فلان هذا العمل شعاراً ودثاراً لنفسه أي ملازماً له في ظاهره وباطنه أي لازمه وزاوله. و(الفيض) في الأصل كثرة الماء وسيلانه، ويقال: فاض الخبر أي شاع، وفاض صدره بالسر أي باح به وأظهره، ويقال: فاضت نفسه أي خرجت روحه، ومنه الخبر المستفيض أي المنقول بثلاثة طرق وأكثر. والمراد من الفيضة هنا ما أفاضته النفس لعدم تحملها على ضبطه، فالمراد هنا أني أظهرت هذا الذي قلت، وهو المضمر المكنون في نفسي لاستيلاء الهم وغلبة الحزن حتى تتروح نفسي من سورتها، وإلّا فأنا عارفة بأنكم خاذلون لي، وتاركون لنصرتي، وغادرون بي لكون الغدر شيمتكم، وعدم أنس الوفاء بجبلتكم. و(النفث) بالفم شبيه النفخ وهو أقل من التفل، ونفث الراقي ينفث أي نفخ ومنه النفاثات في العقد السواحر، ومنه نفثة المصدور أي تأوه من له وجع الصدر أي من في صدره داء موجع ظاهري أو باطني، وفي العلوي:

هي نفثة المصدور يطفئ بردها
حر الصبابة فاعذلوني أو دعوا

وقد يكون للمغتاظ تنفس عال تسكيناً لحر القلب وإطفاء لنائرة الغضب. و(الخور) بالفتح والتحريك الضعف والفتور، ويقال: خار الحر والرجل يخور خؤوراً ضعف وانكسر. و(القنا) جمع القناة وهي الرمح وقيل: كل عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعل المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة وكتمان النصر، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو. و(البث) النشر والإظهار والبسط، ومنه قوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾[1]، وبمعنى الهم الذي لا يقدر صاحبه على

(١) القارعة: ٤

كتمانه فيبثه أي يفرقه ويظهره كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]. و(تقدمة الحجة) إعلام الرجل قبل وقت الحاجة لئلّا يعتذر بالغفلة. والحاصل أن استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، وإلقاء ما ألقيته إليكم لم يكن رجاء للعون والمظاهرة والنصر والمعاونة، بل هي تسلية للنفس، وتسكيت للغضب، وإتمام للحجة قبل يوم القيامة بإيضاح المحجة، لئلّا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، وبحقيقة الحق جاهلين، أو عنها ساهين أو لها ناسين. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (فدونكموها....) الضمير للخلافة أي فخذوا الخلافة المغصوبة بعد أن أتممت عليكم الحجة. (فاحتقبوها) هو من الحقب ـ بالتحريك ـ وهو حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير، يقال: أحقبت البعير واحتقبته أي شددته به وهيأته للركوب، وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب فقد أحقب أو احتقب، ومنه قيل احتقب فلان الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه وحمله على ظهره، وإسناد الاحتقاب إلى الخلافة تشبيه لها بالناقة. و(الدبر) بالتحريك الجرح في ظهر البعير، أو جرح الدابة مطلقاً. والنقب بالتحريك رقة خف البعير من نقب ـ بكسر العين ـ نقباً، والدبرة والنقبة في الخطبة الشريفة بسكون الباء والقاف إما صفتان أو مصدران بمعنى الفاعل، وهما حالان من ضمير المونث في قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (فدونكموها). و(العار الباقي) عيب لا يكون في معرض الزوال، فإن قدح غصب الخلافة وعار مالاً يزول عنهم لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة. و(وسمته) وسماً وسمة إذا أثرت فيه بسمة وكي كما مرّت إليه الإشارة. و(الشنار) بفتح الشين العيب والعار أيضاً أي أن على هذه الناقة أي الخلافة المغصوبة التي ركبتموها سمة غضب الله تعالى، والعار الأبدي المستلزم

(١) يوسف: ٨٦

للعذاب السرمدي. و﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ المؤججة على الدوام التي تطلع وتشرف على الأفئدة والقلوب، بحيث يبلغها ألمها ويكتنفها عذابها أو يتوسطها، كما يبلغ ظواهر الأبدان وجلودها، وقيل: معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا. وفي الكشف: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي مطبقة من آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته أي لا يكون لهم في النار فرجة ومنفسح، ولا يفتح لهم باب، لا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح. و(بعين الله ما تفعلون) أي في مقابل عين الله أي في مرآه ومحل نظره ومشاهدته ما تفعلون، كناية عن أن الله تعالى يرى ما يفعلون كما يرى أحدهم فعل الآخر الذي يفعله في حضوره، وقيل: أي متلبس بعلم الله يعلم أعمالكم ويطلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصر. وقيل في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1] إن المعنى: تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة، فيمكن أن تكون الفقرة نظيره أيضاً. و(المنقلب) المرجع والمنصرف، وهو صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلبون، أي سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلاباً أيَّ انقلاب. و(أنا ابنة نبي هو نذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو عذاب يوم القيامة أي هو ختم الأنبياء، وليس بعد ذلك إلّا يوم القيامة وبعثه ﷺ من أشراط الساعة، كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2]. وأنا ابنته التي قال في حقها ما قال، فانظروا ماذا تعملون في حقها فيخاصمكم فيها، أو أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله في ظلمكم على العترة، وقد أوصى ما أوصى إليكم، وأتم الحجة البالغة عليكم، فاعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير، وعلى

(١) القمر: ١٤

(٢) القمر: ١ – ٢

مكافاتكم في كل حال قدير ، فاعملوا إنا عاملون أيضاً على نحو ما أمرنا به من الصبر والتحمل على أذى الأمة، وانتظروا لعاقبة الأمر يوم القيامة كما أنا منتظرون لها، والأمر بالعمل للتهديد على ما هو شائع عرفاً.

فَأَجابَها أَبُوبَكْرِ عَبْدُالله بْنُ عُثْمانَ ، فَقالَ: يا ابْنَةَ رَسُولِ الله ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالمُؤْمِنِينَ عَطُوفاً كَرِيماً ، رَؤُوفاً رَحِيماً ، وَعَلَى الْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً وَعِقاباً عَظِيماً ؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أَباكِ دُونَ النِّساءِ ، وَأَخاً لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلاّءِ ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ ، لا يُحِبُّكُمْ إِلّا كُلُّ سَعِيدٍ ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلّا كُلُّ شَقِيٍّ ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ الله صلّى الله عليه و آله الطَّيِّبُونَ ، وَالْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا ، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا ، وَأَنْتِ يا خَيْرَةَ النِّساءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الأَنْبِياءِ-صادِقَةٌ فِي قَوْلِكَ ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ ، وَوَالله ، ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه و آله يَقُولُ: ((نَحْنُ مَعاشِرَ الأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَباً وَلا فِضَّةً وَلا داراً وَلا عِقاراً ، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الأَمْرِ بَعْدَنا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ)). وَقَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الْكُراعِ وَالسِّلاحِ يُقابِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَيُجاهِدُونَ الْكُفّارَ ، وَيُجالِدُونَ الْمَرَدَةَ ثُمَّ الْفُجّارَ. وَذلِكَ بِإِجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَتَفَرَّدْ بِهِ وَحْدِي ، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَهذِهِ حالِي ، وَمالِي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ ، لانَزْوِي عَنْكِ وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي ، فَهَلْ تَرَيْنَ أَنْ أُخالِفَ فِي ذلِكِ أَباكِ صلّى الله عليه و آله؟

■ العلّامة المجلسي:

وأما قول الملعون: والرائد لا يكذب أهله.. فهو مثل استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبي ﷺ، والرائد: من يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، جعل نفسه ـ لاحتماله الخلافة التي هي الرئاسة العامة ـ بمنزلة الرائد للأمة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق. والمجالدة: المضاربة بالسيوف. واستبد فلان بالرأي.. اي انفرد به واستقل. ولا نزول عنك.. أي لا نقبض ولا نصرف. ولا نوضع من فرعك وأصلك.. أي لا نحط درجتك ولا ننكر فضل أصولك وأجدادك وفروعك وأولادك. وترين ـ من الرأي ـ بمعنى الاعتقاد.

■ الأنصاري التبريزي:

قوله: (لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً...) لعله إشارة إلى أنه يلزم عليك أيضاً أن تكوني كأبيك، فيكون هذا الكلام خديعة للناس، وايقاعاً لهم في الالتباس والشبهة أن فدكاً مال المؤمنين حقاً على سبيل الاستحقاق، فلا تتعرضي لحقهم، وكوني على حال الملاطفة بهم والعطوفة معهم كما كان أبوك نبي الرحمة، حيث كان لا يأخذ شيئاً من حقوقهم، ولا يطمع فيما كان لهم. أو أنه تطميع في الحاضرين بأنه إنما يأخذ فدكاً لأجلهم سواء كان حقاً أو باطلاً، وأنه في مقام إصلاح حالهم فيعاونوه على المسألة، ويخرج عن قلوبهم تأثير كلماتها الشافية، ومواعظها الكافية إن أثرت في تلك القلوب القاسية، وعلى أي تقدير لا يخلو الأمر من المكر والخديعة في الحقيقة، وإن كان تصديقاً لقولها فيما مرّ من قولها عليها السلام: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

في ظاهر المرحلة. قوله: (إن عزوناه وجدناه أباك...) جواب ناظر إلى قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ فيما مر: (فإن تعزوه تجدوه أبي...). و(الإلف) بالكسر بمعنى الأليف المألوف، والزوج إلف الزوجة وبالعكس، وروي ابن عمك بدل إلفك. و(الأخلاء) جمع الخليل، وروي الرجال بدل الأخلاء. وقوله: (آثره على كل حميم...) أي اختاره، وهذا ناظر إلى قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (قذف أخاه في لهواتها...). و(الحميم) بمعنى القريب. و(الجسيم) العظيم. وقوله: (لا يحبكم إلّا كل سعيد...) وفي بعض النسخ: (لا يحبكم إلّا سعيد ولا يبغضكم إلّا شقي)، وفي بعضها: (إلا العظيم السعادة وإلّا الردي الولادة). وقوله: (صادقة في قولك) لعله تصديق لها في كونها بنت النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ، ونحو ذلك لا ينافي غصب فدك، أو مطلقاً كما هو ظاهر كلامه، أو لا يكون للكاذبة حافظة. وقوله: (غير مردودة عن حقك) لعل مراده أن لا حق لك في ذلك حتى نردك عن حقك، فيكون من باب السالبة بانتفاء الموضوع، أي نحن لا نظلمك في فدك، أو مراده أن فدكاً حقك ولا نمنعك عن ذلك إلّا لما نبينه لك. (ولا مصدودة عن صدقك) أي غير مصروفة عنه من صده عنه ـ من باب نصر ـ صرفه، لا من صد عنه من باب ضرب بمعنى أعرض عنه، ومع ذلك لا نكذبك فيما تقولين فإنك اشتبهت في المسألة، وظننت صحة الإرث من الأنبياء، وأنت غير مطلعة على حقيقة الأمر، وما سمعناه من الرواية النافية لإرثك. و(والله ما عدوت أمر رسول الله) أي ما تجاوزته. و(لا عملت إلّا باذنه) أي رأيه وقوله. وقوله: (الرائد لا يكذب أهله) قال في النهاية: الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث. وفي القاموس: هو المرسل في طلب الكلاء، يقال: راد يرود روداً ورياداً. ومنه قولهم:

(الحمى رائد الموت) لشدتها على التشبيه أي رسوله الذي يتقدمه، ومنه المراودة للمطالبة وفيها معنى المخادعة، لأن الطالب يتلطف في طلبه بلطف المخادع ويحرص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾(1)، ولا يجعل الرائد إلّا أمين القوم وأعقلهم ومن يراعي مصلحتهم. والرائد لا يكذب أهله مثل أي الأمين لا يخون، استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبي ﷺ، وجعل نفسه لاحتماله الخلافة التي هي الرئاسة العامة بمنزلة الرائد للأمة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق في المرحلة، وهذا أيضاً إيقاع للناس في الالتباس والشبهة. قوله: (وإني اشهد الله...) أي أجعله شاهدا لقولي هذا ونعم الشاهد الكافي هو، أي إن كنت في قولي هذا كاذباً فهو يكافيني ويجازيني، وظاهر قوله اني سمعت رسول الله ﷺ...، انه لم يسمع هذا الحديث إلّا هو نفسه، وإلّا لكان ظاهر الحال والمقام أن يستشهد كل من سمع هذا الحديث أيضاً لو كان هناك سامع آخر. وظاهر الخبر المذكور إلى قوله والنبوة على الظاهر صحيح، وورد ما يقاربه من حيث المعنى واللفظ عن الصادق عليه السلام ممّا دل على أن الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً وإنما يورثون العلم والحكمة، فمن أخذ منه فقد أخذ بحظ وافر وإن العلماء ورثة الأنبياء من هذه الجهة كما ذكره في الأنوار وغيره. وليس معناه إلّا أنه ليس من شأن الأنبياء جمع الزخارف الدنيوية حتى تكون هي لورثته، وإنما شأنهم توريث العلم والحكمة، وهو كذلك ولذا لم يكن الأنبياء طالبين لجمع متاع الدنيا وحطامها، وكانوا يعيشون بالفقر والفاقة والقناعة، وخشونة المأكل والمشرب والملبس. ولا يدل ذلك على أنه إذا كان للأنبياء مال ولو بقدر الكفاية أو أكثر أيضاً لا يكون لورثته، كما أنّا

(1) يوسف: 23

نقول: ليس شأن العلماء أن يطلبوا الدنيا ويجمعوا زخارفها، وإنما شأنهم جمع العلم والحكمة، لم يلزم منه أن ما كان مالاً للعلماء ومملوكا لهم ـ قليلاً كان أو كثيراً ـ إذا ماتوا لم يكن لورثتهم. فالخبر المذكور من باب كلمة حق يراد بها باطل، أي أراد أبو بكر بهذا الخبر إلقاء معنى باطل في قلوب السامعين، ولهذا ألحق به قوله: وما كان لنا من طعمة... وقد مرّت الإشارة إلى معنى الدار. وأما (العقار) بالفتح فقيل: هي العرصة الغير المبنية، وهو المناسب لمقابلة الدار التي هي العرصة المبنية، ويطلق على نحوها الضيعة أيضاً ـ بفتح الضاد ـ إذ لو تركها صاحبها ضاعت أو ضاع. وقيل: الضيعة هي العرصة الغير المبنية والعقار هي المبنية وهو خلاف الظاهر، والظاهر أنّ الضيعة والعقار من باب إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وكل منهما يطلق على ما يطلق عليه الآخر. وقوله: (ما كان لنا من طعمة...) هو زيادة منه كما أشير إليه، ألحقه بأصل الخبر على تقدير صحته ليكون صارفاً له عن المعنى الظاهر العرفي الذي ذكرنا إلى المعنى الذي صرفه إليه، مع أنه يمكن أن يكون المراد من الطعمة ما يكون في أيديهم من بيت المال الذي يأكلون منه بهذه الحيثية ـ كما هو ظاهر الطعمة ـ لا من متن مالهم، إذ لا يقال لأصل مال الرجل إنه طعمة له، وإنما تطلق الطعمة لما كان للشخص بالعرض لا بالإصالة. ثم إن والي الأمر بعد رسول الله ﷺ من كان والياً بأمره وأمر الله سبحانه، لا باجتماع جماعة من الفسقة واللصوص والفجرة، ثم إذا كان لوالي الأمر أن يحكم فيه بحكمه فما منعه أن يحكم في فدك بأن تكون لعترة النبي ﷺ لحفظ حق النبي في ولده وعترته جبراً لخاطرهم، وملاحظة لما سمعوه مراراً من النبي ﷺ: (فاطمة بضعة مني...) وتصديقاً لأمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه النبي ﷺ مرة بعد مرة: (الحق مع علي

وعلي مع الحق، يدور معه حيثما دار) إلى غير ذلك. وسيجيء الكلام في تفصيل كل ذلك من الكلام في سند الحديث ومتنه، من حيث السقم والصحة والصدور والدلالة بعد شرح الخطبة إن شاء الله سبحانه. قوله: (وقد جعلنا ما حاولته) أي ما طالبت به منا وهو فدك وغيرها كما سيأتي، في الكراع والسلاح. (الكراع) ما دون الكعب من الدواب، وما دون الركبة من الإنسان، وجمعه أكرع وأكارع، سمى بها الخيل خاصة ويجوز إرادة مطلق الدواب. و(السلاح) آلة الحرب أي نصرفه في هذه الأشياء التي هي مقدمة القتال والجهاد مع الكفار، وأسباب المجادلة مع المردة الفجار، وفي بعض النسخ المجالدة بدل المجادلة، وهي المضاربة بالسيوف. قوله: (وذلك بإجماع من المسلمين) ظاهره أن منع فدك عن فاطمة عليها السلام، والبناء على صرفها في مقدمات المجاهدة مع الكفار، والمجادلة والمجالدة مع الفجار إنما كان هو بإجماع المسلمين، وانه لم ينفرد به وحده، وأنه لم يستبد أي لم ينفرد أيضاً بما كان الرأي فيه عنده أي لم يفعله هو وحده، بل المسلمون أيضاً بنوا على هذه المقدمة. وظاهر إسناده إلى الرأي مع إجماع المسلمين عدم استناده إلى الرواية المذكورة، وإلّا فكان اللازم أن يستند إليها وحدها، لعدم مدخلية رأيه وإجماع المسلمين على منع الإرث عن أولاد الأنبياء، ورد عمومات القرآن وإطلاقاته في التوارث مطلقاً، ولا بعد في ذلك إذ ليس للكاذبة حافظة، وسيأتي ما يؤيد ذلك حيث إنه يصدقها عليها السلام في مسألة التوارث، ويسند غصب فدك وأخذها منها إلى اتفاق المسلمين على ذلك. ثم في ذكر إجماع المسلمين إيهام لهم أنه لا يفعل شيئاً بدون مصلحتهم وبدون مشاورتهم، ليكون ذلك سبباً لاستقامتهم في إقامة تلك الخلافة الباطلة المعوجة حتى يستقيم له أمر الرئاسة. قوله: (وهذه حالي ومالي...)

إشارة إلى ما كان له في نفسه ممّا ملكته يداه، والمراد عن الحال الحالة الحسنة والشأن ونحو ذلك، فالمراد بها أسبابها فيكون عطف المال عليه من باب عطف الخاص على العام، أو المراد بها الحقوق المقابلة للأموال الخارجية، وهو الظاهر أي هذه حقوقي على الناس وأموالي الموجودة علينا كلها لك، أي مختصة بك أو هي مالك. ولا تُزوى هي عنك - بصيغة المجهول - أي لا تقبض ولا تصرف ولا تدخر دونك، أي لا تمنع أيضاً منك، أي جعلتك متصرفة فيها فتصرفي كيف شئت وأنى شئت لا نضايقك في ذلك، والحال أنك سيدة الأمة والشجرة الطيبة لبنيك الأئمّة عليهم السلام، لا يليق ولا يصح منع مثلك من أن تتصرفي فيها مثل مالك. (ولا يوضع من فرعك وأصلك) أي لا نحط درجتك، ولا ننكر فضل أصولك واجدادك وفروعك وأولادك، وحكمك نافذ في جميع ما ملكته يداي، ومع هذا كله فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك. وهذا كله إيقاع للناس في الشبهة اني لا أمنع فدكاً من جهة دنيوية وإنما هو من جهة حكم الشريعة بذلك، وأنا راض بأن أترك جميع ما أملكه لأجل فاطمة بلا منع ولا مضايقة ولا عداوة بيننا ولا أغراض دنيوية لا أن أرد فدكاً. فانظر إلى الحيل الشيطانية التي أعملها أبو بكر في أثناء الكلمات المذكورة، ثم إلى وقاحته في إنشاء هذه الأكذوبة وبيانها بهذا التفصيل في مجمع العامة والخاصة، ومواجهته بها مع هذه المعصومة المطهرة المحدثة العالمة بالجفر والجامعة، وبما كان وما يكون إلى يوم القيامة وبعد يوم القيامة، ثم إلى تصديقه لها فيما تقول، وإذعانه بكونهم عليهم السلام مسالك الجنة ودلائل الهدى، ومنعهم عمّا ادعوا لأنفسهم ممّا خصه الله ورسوله بهم، مع العلم بصدقهم وتيقن ثبوت حقهم، وليس نحو ذلك من الظالمين ببعيد سيما من مثل هذا الجبار العنيد.

فَقَالَتْ عليها السلام: سُبْحانَ الله! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ عَنْ كتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُوَرَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اْعتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ الله حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ فَبَيَّنَ عزَّ وَجَلَّ فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرايِضِ وَالميراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ في الغابِرينَ، كَلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فَقالَ أَبو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتَهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِيَ وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ. فَالتَفَتَتْ فاطِمَةُ عَلَيْها السَّلام وَقالَتْ: مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ ـ وَاللهِ ـ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَّراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾.

■ العلّامة المجلسي:

قولها صلوات الله عليها: سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور..؟!. الصادف عن الشيء: المعرض عنه. والأثر ـ بالتحريك وبالكسر ـ: أثر القدم. والقفو: الاتباع. والسور ـ بالضم ـ كل مرتفع عال، ومنه سور المدينة، ويكون جمع سورة، وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة، وتجمع على: سور ـ بفتح الواو ـ. وفي العبارة يحتملها، والضمائر المجرورة تعود إلى الله تعالى أو إلى كتابه، والثاني أظهر. والاعتلال: ابداء العلة والاعتذار. والزور: الكذب. وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته.. البغي: الطلب. والغوائل: المهالك والدوهي، أشارت عليها السلام بذلك إلى ما دبروا ـ لعنهم الله ـ في إهلاك النبي ﷺ واستئصال أهل بيته عليهم السلام في العقبتين وغيرهما ممّا أوردناه في هذا الكتاب متفرقا.

أقول: سيأتي الكلام في مواريث الأنبياء في باب المطاعن ـ إن شاء الله تعالى ـ. والتوزيع: التقسيم. والقسط ـ بالكسر ـ الحصة والنصيب. والإزاحة: الإذهاب والإبعاد. والتظني: إعمال الظن، وأصله، التظنن. والغابر: الباقي. وقد يطلق على الماضي. والتسويل: تحسين ما ليس بحسن وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله، وقيل: هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه. فصبر جميل.. أي فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً، وقيل: إنما يكون

الصبر جميلاً إذا قُصد به وجه الله تعالى، وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه. وخطابك - في قول أبي بكر - من المصدر المضاف إلى الفاعل - ومراده بما تقلدوا ما أخذ فدك أو الخلافة.. أي أخذت الخلافة بقول المسلمين واتفاقهم فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها أخذ فدك، للحديث المذكور. والمكابرة: المغالبة. والاستبداد: الاستئثار. والانفراد بالشيء. وقولها صلوات الله عليها: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[2]، ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء به ما أشرتم، وشر ما منه اعتضتم... القيل: بمعنى القول وكذا القال. وقيل: القول في الخير، والقيل والقال في الشر. وقيل: القول مصدر والقيل والقال اسمان له. والإغضاء: إدناء الجفون، واغضى على الشيء أي سكت ورضى به، وروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام في الآية أن المعنى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيقضوا بما عليهم من الحق. وتنكير القلوب لارادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم. والرين: الطبع، والتغطية واصله: الغلبة. والتأويل: التصيير والإرجاع ونقل الشيء عن موضعه، ومنه تأويل الالفاظ.. أي نقل اللفظ عن الظاهر. والإشارة: الأمر بأحسن الوجوه في أمر. وشر - كفر - بمعنى ساء. والاعتياض: أخذ العوض والرضا به، والمعنى ساء ما أخذتم منه عوضاً عمّا تركتم. لتجدن والله محمله ثقيلاً، وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون..

---

(١) محمد: ٢٤

(٢) المطففين: ١٤

المحمل ـ كمجلس ـ مصدر. والغب ـ بالكسر ـ: العاقبة. والوبال ـ في الأصل ـ: الثقل والمكروه، ويراد به في عرف الشرع: عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل: الشديد. والضراء ـ بالفتح والتخفيف ـ: الشجر الملتف ـ كما مرّ ـ يقال: توارى الصيد مني في ضراء. والوراء: يكون بمعنى قدام كما يكون بمعنى خلف وبالأول فسر قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[1] ويحتمل أن تكون الهاء زيدت من النساخ أو الهمزة، فيكون على الأخير بتشديد الراء من قولهم: ورى الشيء تورية.. أي أخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء. وبذا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون..: أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنونه واصلاً إليكم، ولم يكن في حسبانكم. والمبطل: صاحب الباطل من أبطل الرجل إذا أتى بالباطل.

■ الأنصاري التبريزي:

(سبحان الله) أي أسبح الله سبحاناً بمعنى تسبيحاً، حُذف الفعل وأضيف المصدر إلى المفعول. وأصل التسبيح هو التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص والعيوب، وكأنه قيل: أبرئ الله من الأسواء براءة، وهذا ثناء خاص بالنسبة إلى الله سبحانه، ثم يقال: سبَّحتُ تسبيحاً وسبحاناً أي ذكرت الله وأثنيته بهذا الذكر، ثم يطلق على غيره من أنواع الذكر أيضاً. ولفظ سبحان الله إشارة إلى الصفات السلبية من حيث السلب، كما أن الحمد لله إشارة إلى الصفات الثبوتية من حيث الإثبات، ومن باب أن دفع المضرة أولى من جلب المنفعة قدم سبحان الله في الأذكار الواردة غالباً على الحمد لله، كما في التسبيحات الأربعة

(١) الكهف: ٧٩

وغيرها، وهذا يرجح تقديم سبحان الله على الحمدلله بعد التكبيرة في تسبيح الزهراءعليها السلام، وإن روي العكس أيضاً، فتأمل. وفي حديث الدعاء: (سبوح قدوس) يرويان بالضم والفتح، قال في النهاية: والفتح أقيس والضم أكثر استعمالاً، وهو من أبنية المبالغة بمعنى المفعول، ويجوز معنى الفاعل أيضاً فيكون المفعول هو نفسه، وليس في أسماء الله سبحانه على هذا الوزن إلّا هذان الاسمان، وفي غير أسماء الله أيضاً أسماء معدودة ذكروها أهل اللغة. والسبحة ـ بالضم ـ الذكر والدعاء والصلاة، وما يعد به الأذكار والتسبيحات، وسبحة الوجه نوره وضياؤه الذي من رآه قال تعجبا: سبحان الله، وفي حديث آخر: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحان وجهه كل شيء أدركه بصره)، وتطلق سبحان الله على جلال الله وعظمة الله ونحو ذلك، وبالجملة قد يستعمل سبحان الله في مقام الذكر المطلق، وقد يستعمل في مقام الذكر تعجباً، والمراد به في الخطبة التعجب. و(الصادف) عن الشيء المعرض عنه، يقال: صدفه عن الشيء إذا صرفه، وصدفت المرأة أعرضت بوجهها. و(يتبع) من التبع أو من الاتباع، يقال: تبعته تبعاً ـ من باب تبع ـ واتبعته اتباعاً من باب الافتعال بمعنى. و(الأثر) بالتحريك ما بقي من رسم الشيء ومنه الإثر ـ بالكسر ـ لرسم القدم، والأثر يطلق على الخبر، وفي الحديث لكونه رسماً وأثراً باقياً عن صاحبه، فيطلق الآثار على أخبار المعصومينعليهم السلام من هذه الجهة، أو هو من أثرت الحديث ـ من باب قتل ـ نقلته، وحديث مأثور أي منقول مرسوم والاسم منه الأثر، والأثر في الخطبة يحتمل التحريك والكسر أيضاً. و(القفو) الإتباع من قولهم: قفوت أثره ـ من باب قال ـ تبعته، ومنه القافية للمكرر من الحروف في أواخر الأبيات، وقفيت على أثره بفلان تقفية: أتبعته إياه. و(السُوَر) كصرد جمع

سورة القرآن، وأصلها السُور وهو كل مرتفع عال، ومنه سور المدينة ـ بالضم ـ وكل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة ويحتملهما المقام، والضمائر المجرورة للكتاب، ويحتمل ضعيفاً رجوعها إلى الله سبحانه. و(الغدر) خلاف الوفاء كما مرّ، وأخذ فدك وغصب الخلافة وغيرهما ممّا فعله القوم كان غدراً بالنسبة إلى العترة، وهم أضافوا إلى تلك الغدرة الكاملة اعتلالاً أي إبداء العلة والاعتذار بالزور أي الكذب، حيث وضعوا رواية مجعولة مجهولة، واستندوا إليها في غصب فدك، وكذا روايتهم المجعولة في الخلافة حيث أنكروا النص بخلافة علي عليه السلام واستندوا إلى ما رووه من أن الأمر في ذلك إلى الأمة. وهذا أي هذا الذي فعلوه من الغدر بالنسبة إلى عترته بعد وفاته، نظير ما بُغِيَ له ـ بصيغة المجهول ـ أي طلب له من البغي بمعنى الطلب من الغوائل والمهلكات في حال حياته حيث غدروا عليه، وسعوا في هلاكه واستيصال أهل بيته في العقبتين وغيرهما ممّا هو مشهور في الألسنة، مذكور في الكتب مسطور، أي ليس هذا ببعيد من بعض أفراد تلك الأمة الذين شيمتهم الغدر على ما أشعر به قولها عليها السلام: (والغدرة التي استشعرتها قلوبكم). و(الغوائل) جمع الغائلة بمعنى الحادثة المهلكة من غاله يغوله إذا أهلكه، وكل ما اغتال الإنسان وأهلكه فهو غول ـ بالضم ـ. ومنه الغول لما ظنوا أنه يتراءى في البوادي، ويضل أفراد القافلة ويهلكهم في البادية، حتى نقلوا أن تأبط شراً قتل واحداً منها، وقيل أيضاً: إنه يظهر في حوالي البحار والجزائر بقامة طويلة كالنخلة، وهل هو من جنس الحيوان أو الجن أو الشياطين، أو أنها خيالات فاسدة لا أصل لها، كما لا أصل لما ظنوه أو نقلوه من تلك الحكايات المذكورة؟

يحتاج إلى تفصيل لا يليق بالمقام، وفي الحديث: (إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان).

وقال امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقال الشاعر:

إن الذي ضربت بيتاً مهاجرة
بكوفة الجند غالت ودها غول

وبالجملة المراد من الغوائل هنا المهلكات والدواهي. قولهاعليها السلام: (هذا كتاب الله...) أي إن كتاب الله حاكم عادل لا يجور ولا يحيف بل يحكم بالحق والصواب، وهو الناطق بكل حكم، والفاصل المميز لحكم كل شيء لأنه فصل الخطاب، والله تعالى يقول فيه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ...﴾[1] ممّا دل على جريان أحكام الميراث بين الأنبياء وورثتهم بلا فرق في الحكم أي حكم التوارث بينهم وبين الرعية، وسيأتي التفصيل المتعلق بهذه المسألة. و(التوزيع) التقسيم، ووزعه توزيعاً أي قسمه وفرقه، وتوزعوه فيما بينهم أي قسموه، ولعله من وَزَعَهُ يَزَعُه بمعنى كفَّه، فإن التقسيم يوجب كف كل من الشريكين عن التصرف في غير ما اختص به. و(الأقساط) جمع القسط ـ بكسر القاف ـ بمعنى الحصة والنصيب، وأصله القسط بمعنى العدل اللازم لتمييز الحصص والأنصباء، يقال: أقسط إقساطاً أي عدل فهو مقسط، و﴿إِنَّ

(١) مريم: ٦

ﵟاللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَﵞ[1]، والاسم منه القسط - بالكسر -، والظاهر أنّ أصله القسط بمعنى الجور خلاف العدل، وإذا بني من باب الأفعال وجعل الهمزة للإزالة صار بمعنى العدل، ويستعمل بهذه المناسبة في المعاني الكثيرة. و(ما وزعه الله من الأقساط) هو بيان الحصص والأنصباء والفرائض في مقام بيان أحكام التوارث من قوله تعالى: ﵟيُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُﵞ[2] إلى غير ذلك، وفي معناه قولهاعليها السلام: (شرع من الفرائض والميراث). و(الفرائض) جمع الفريضة بمعنى المفروضة أي الحصة المفروضة من الفرض بمعنى التقدير، والمفروض يكون واجباً وغير واجب أيضاً، والغالب استعماله في الواجب لأنه الفرد الأكمل. و(أباح) بالباء الموحدة من الإباحة أي جعل الشيء مباحاً وحلالاً، وأصله من البوح بمعنى السعة، وأباحه أي وسعه، وباحة الدار ساحتها، وفي بعض النسخ: أتاحه - بالتاء المثناة من فوق - بمعنى قدره، ويقال: تاح له الشيء وأتيح له الشيء أي قدر له. و(الذكران) بضم الذال جمع الذكر - بالتحريك - كالذكور. و(الإناث) بالكسر جمع الأنثى خلاف الذكر، ومنه تأنيث الاسم خلاف تذكيره. و(الإزاحة) الإزالة والإذهاب والإبعاد من زاح الشيء يزيح زيحاً أي ذهب وبعد وأزاحه غيره، والمراد من علة المبطلين علتهم التي يتمحلونها لإلقاء الشبهة في أحكام الله الواضحة أي أن الله قدر وبين من حظوظ الورثة تفصيلاً أزال به علة المبطلين أي أبعدها، والحاصل أنه لا تجري الشبهة هنا في واقع الأمر وحقيقة المسألة. و(التظني) هو إعمال الظن، وأصله التظنن وهو

(١) المائدة: ٤٢

(٢) النساء: ١١

كناية عن الشبهة والشبهات كالعطف التفسيري له، و(الشبهة) الاشتباه، ويطلق على ما يوجب الاشتباه أيضاً. وقولهاعليها السلام: (في الغابرين) أي الآتين الباقين من غبر يغبر ـ من باب قتل ـ فهو غابر أي آت، ويطلق الغابر على الباقي والماضي أيضاً فهو من الأضداد، والمراد من الغابرين الآتين بعد النبي صلى الله عليه وآله ، أو بعد نزول الكتاب إلى يوم القيامة، أي لم يبق لأحد شبهة بالمرة في الأحكام إلى يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين. (كلا) زجر وردع أي ليس الأمر كما تقولون أو كما تظنون، أو انتهوا عمّا تعملون فإنه ليس الأمر كما تتوهمون، إذ أنتم تكذبون عمداً وتفترون وتعتمدون فيما تفعلون، بل سولت لكم أنفسكم أمراً هو ما انهمكتم عليه وصبوتم إليه. و(التسويل) تحسين ما ليس بحسن وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله، أو هو تقدير معنى في النفس على الطمع في إتمامه. (فصبر جميل) أي فصبري صبر جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً، والجميل صفة توضيحية، وقيل: إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله سبحانه، وفعل للوجه الذي وجب وهو الصبر الذي يحمد صاحبه ـ ذكره السيد المرتضى ـ، فيكون الوصف احترازياً. (والله المستعان على ما تصفون) أي ما تذكرونه أي من الله نستعين في دفعه ومنعه ونحو ذلك ممّا يناسب المقام. فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله...، وهذا تصديق منه لمسألة توارث الأنبياء، وكون الأمر على ما ذكرتعليها السلام ووصفت. و(معدن) الشيء محل إقامته من عدن بالمكان ـ من باب ضرب وقعد ـ إذا قام به، ومنه: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾(1) لكونها محل الإقامة والخلود، ومنه معدن الذهب والفضة ونحو ذلك، لاستقرار الفلز فيه بلا تغير ولا تحرك، ولا زوال

---

(1) الرعد: 23

ولا تبدل حال في نفسه، أو لكونه محل إقامة الناس فيه لاستخراج الفلز الكائن فيه. و(ركن الدين) أي قوامه فإن الشيء لا يقوم بدون الركن، فقوام الشيء ما يقوم به ركنه. و(عين الحجة) أي حقيقتها وماهيتها أي أنتم حجج الله حقا. (لا أبعد صوابك) أي إن ما تقولين صواب لا خطأ بلا شك ولا مراء. (ولا أنكر خطابك) أي أُقرُّ بما تقولين به وتحكمين عليه من صحة توارث الأنبياء، وإنك وارثة أبيك وميراثه لك، ولكن هؤلاء المسلمون حاضرون بيني وبينك، وشاهدون بما تقولين لي وأقوله لك. هم قلدوني الخلافة التي تقلدتها أي هم جعلوا الخلافة في عنقي كالقلادة ـ بكسر القاف ـ التي تجعل على العنق، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت من فدك والخلافة أي إنهم رأوا ذلك مصلحة، واتفقت آراؤهم على تلك المصلحة التي هي عين المفسدة ففعلت. وهذا إقرار منه بأن أمر الخلافة وأخذ فدك لم يكن من جانب الله سبحانه، ولا باستناد إلى أمر رسول الله ﷺ وقوله وحكمه، ولا على طبق الكتاب والسنة، وإنما كان ما كان من جهة اجتماع هؤلاء بالآراء ومجرد الأهواء، أو مراده انني أخذت الخلافة بقول هؤلاء واتفاقهم، فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها أخذ فدك للرواية المذكورة. و(المكابرة) المغالبة. و(الاستبداد والاستيثار) الانفراد بالشيء أي لم يكن ذلك من باب المغالبة والعلو والمكابرة، بل هو من حيث استحقاقي بذلك شرعاً أو عرفاً، وما كنت أنا مستبداً ومتفرداً أيضاً بهذا الرأي، وإنما فعلت ما فعلت مع اتفاق الجماعة وهم شهود على تلك الحالة والفعالة. فحينئذٍ التفتت عليها السلام إلى الناس والحاضرين وقالت: (معاشر الناس) أي يا معشر الجماعة المسرعة إلى قيل الباطل.... و(القيل) بمعنى القول وكذا القال، وقيل: القول في الخير والقيل والقال في الشر، وقيل: القول مصدر والقيل والقال اسمان

له، وإضافته بيانية من باب إضافة الموصوف إلى الوصف مثل مسجد الجامع، وصلاة الأولى أي القيل الباطل، أو لأمية، والمراد من الباطل حينئذٍ الشخص الباطل أي الباطل فعله وقوله الغير المطابق للحق الواقع، وفي بعض النسخ: (معاشر المسرعة) بحذف الناس، فالموصوف محذوف أي معاشر الجماعة المسرعة. و(المغضية) من الإغضاء بمعنى إدناء الجفون، ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين عليه السلام:

يغضي حياء ويغضى من مهابته
وما يكلم إلّا حين يبتسم

من الغض مصدر قولك: غض طرفه أي خفضه، وغض صوته أي أخفضه، وكل شيء كففته فقد غضضته، والأمر منه في لغة أهل الحجاز اغضض، وفي التنزيل: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾[1] وأهل نجد يقولون: غضَّ طرفك، ويقال: في هذا الأمر غضاضة أي خفض وكسر كناية عن المذلة والمنقصة، فأُبدل الحرف الثاني من المضاعف ياء في المزيد من جهة الاستثقال، وهي قاعدة شائعة. و(الفعل الخاسر) الذي هو سبب خسران صاحبه، وإسناد الخاسر إلى الفعل مجاز كإسناد الربح إلى التجارة في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[2] وإلّا فالرابح والخاسر حقيقة هو الفاعل الكاسب، كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[3] وهم في الآخرة هم الأخسرون، وفي بعض النسخ: الفعل القبيح الخاسر.

قولها عليها السلام: (أفلا تتدبرون القرآن...) هذا اقتباس من الآية الشريفة مع تغيير الغيبة إلى الخطاب بملاحظة مقام المحاورة، روي عن الصادق

(١) لقمان: ١٩

(٢) البقرة: ١٦

(٣) البقرة: ١٢١

والكاظم عليه السلام في الآية: إن المعنى أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق، وهذا المعنى بملاحظة مقتضى المقام في زمان الإمام عليه السلام. وقد ورد منهم عليهم السلام أن معنى القرآن عام لكل ما مضى وما يأتي إلى يوم القيامة وإلّا لنفد القرآن ولم يبق فيه حجة ولا برهان وبيان وتبيان. فيكون المراد: إنهم لو تدبروه لعرفوا ما فيه من الأحكام الأصولية والفروعية وحكموا بها ولو على أنفسهم، ويمكن أن يكون بعضهم تدبروه وعرفوا أحكامه، ولكن لما لم يعملوا على طبق علمهم ومعرفتهم نزلوا منزلة الجاهل الغير المتدبر له، فوبخوا على ترك تدبره من باب تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم عمله بعلمه، كما تقول لمن يعرف أباه ولا يراعي الأدب معه: هذا أبوك، كأنه لا يعلم كونه أباه فتعرفه إياه. وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم، أو التنكير للتحقير أي هذه القلوب الغير المتدبرة للقرآن قلوب منكرة، وأفئدة محقرة مستنكرة. و(الرين) الطبع والتغطية وأصله الغلبة، أطلق على الدنس الغالب على الشيء، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] أي غلب على قلوبهم بسبب كسب الذنوب الرين، وهو الحجاب الكثيف كما يرين الخمر على قلب السكران، وكما ترين النداوة على الزجاجة بستر الصدى فيحصل منه التغطية، أي إن أعمالكم السيئة سترت على قلوبكم حجاب الظلمة وصدى الغفلة، فلا يرى في مرآتها وجه الحق والهداية. وفي الخبر: ما من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، وإذا تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى الخير أبداً، وهو قول الله

(١) المطففين: ١٤

تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]. وفي الخبر عن النبي ﷺ: إني ليران على قلبي، وإني أستغفر الله كل يوم سبعين مرة. وليس المراد في الخبر هو رين المعصية لكون الأنبياء معصومين من كل معصية صغيرة أو كبيرة، سيما نبينا ﷺ فإنه معصوم عن ترك الأولى أيضاً الذي يطلق عليه المعصية بالنسبة إلى أنبياء الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[2] من باب أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، بل للرين المنسوب إلى قلب نبينا ﷺ توجيه وجيه وتفصيل حسن ليس هذا موضع ذكره. «فأخذ بسمعكم وأبصاركم» أي أخذ هذا الرين بسمع قلوبكم وأبصارها لما غلب عليها، والأخذ كناية عن قبضها ومنعها عن فعلها فلا تسمع ولا تبصر، فحينئذٍ لا يكون لهم قلوب يعقلون بها، ولا آذان يسمعون بها، ولا أعين يبصرون بها. أو المراد من السمع والبصر هما الظاهريان، فإن عمل الجوارح الخارجية أيضاً بإعانة القلب، فإذا فسد القلب فسد الجسد كله، فسماع الأذن إنما يكون بنور ساطع من القلب هو قوته وكذا البصر وغير ذلك، فإذا فسد القلب وزال نوره فلا يبقى حينئذٍ منه أثر ويبطل السمع والبصر، ألا ترى أن من غفل قلبه عن التوجه إلى صوت المتكلم لا تسمع أذنه ما يقول، أو إلى صورة شيء لا تبصره عينه. أو أن السمع والبصر منهم وإن لم يكونا مأخوذين في الظاهر لكن لما لم يعملوا بعلمهم، ولم يتأثروا بما سمعوا من تظلمها في حضورهم، وبما رأوه من هذه الحالة الفظيعة الهائلة، فصار من باب التنزيل قلوبهم مرانة، وأسماعهم وأبصارهم مأخوذة، أو كانت هذه الجوارح تطلب منهم بالمرة فلا قلوب لهم ولا أسماع ولا أبصار،

---

(١) المطففين: ١٤

(٢) طه: ١٢١

أي ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾. و(التأول) والتأويل الإرجاع من الأول بمعنى الرجوع من آل إليه الأمر إذا رجع ومنه المآل للمعاد، ويجيء بمعنى النقل أيضاً، والتأويل في الاصطلاح حمل اللفظ على المعنى المرجوح، فكأن اللفظ لا ينصرف إليه بنفسه من جهة النصوصية أو الظهور، بل انصرافه إلى نص معناه أو ظاهره، فيرجع إلى هذا المعنى المرجوع قهراً وينقل من موضعه الأصلي أي عن المعنى الظاهر والمعين إلى المعنى الخفي، فصار مؤولاً. و(لبئس ما تأولتم) أي بئس تأويلكم القرآن واحكام الشريعة وصرفها عن وجوهها. و(شرَّ) على وزن فرَّ بمعنى ساء من الشر نقيض الخير. و(الاعتياض) أخذ العوض والرضاء به أي ساء ما أخذتم به عوضاً عمّا تركتم أي بئس الأمر الباطل الذي أخذتم بعضه عوضاً عمّا فَوَّتُّم من الحق، أي تركتم الحق وأخذتم بدله شيئاً من الباطل، وهو غصب فدك والخلافة أياماً معدودة سريعة فانية، أي لو أخذوا الحق واستمروا به لكان باقياً لهم في الدنيا والبرزخ والآخرة. والمراد من الحق هو علي عليه السلام، أو الإذعان بولايته، أو تسليم فدك أو نحو ذلك، ومن العوض ما قابل هذه الأمور، أو المراد ما أي التأويل بالرأي الذي اعتضيتموه من القرآن أي ظاهر القرآن ومحكمه، حيث إنكم تركتم الظواهر وأخذتم بدلها المعاني المؤولة المرجوحة المأخوذة بمجرد الاشتهاء واستحسان الآراء.

قولها عليها السلام: (لتجدن والله مَحمِلها...) المحمل كمجلس مصدر قولك: حمل الشيء على ظهره يحمله حملاً، ومنه الحِمل ـ بكسر الحاء ـ للمحمول، وثقل حمله كناية عن كثرة أوزاره، قال تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ

أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[1]. و(الغِبّ) بالكسر العاقبة كالمغبة، وأصله فعل شيء يوماً ويوماً لا. و(الوبال) في الأصل الثقل والمكروه، ويراد به في عرف الشرع عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل أي الشديد الثقيل، ومنه الوبل للمطر الشديد وكذا الوابل. و(الضراء) بالفتح والتخفيف الشجر الملتف كما مرّ، يقال: توارى الصيد مني في الضراء. و(الوراء) يكون بمعنى قدام كما يكون بمعنى خلف، وبالأول فسر قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[2]، وروي (ما وراه الضراء)، وحينئذٍ يحتمل أن تكون الهاء زيدت من النساخ، أو أن الهمزة حرفت إلى الهاء فيكون ورا على صحة الهاء بتشديد الراء من قولهم: ورى الشيء تورية أي أخفاه، على ما مر. وعلى أي حال فحاصل المعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء، والمراد من الموصولة حينئذٍ العذاب برزخياً أو أخروياً، والجزاء المترتب على هذا الذي فعلوه، ويمكن تشديد الراء من الضراء على تقدير الهاء بمعنى الضراء المقابل للسراء من الضرر وهو البؤس والشدة، ويكون الضمير للغطاء والضراء بدلا من (ما) أو بياناً له، أو أن ما بمعنى الساحة والفضاء والضمير لـ(ما)، أو أنها زائدة والضمير للغطاء أي بان الضراء وراء الغطاء، فتكون الضراء كناية عن العذاب والجزاء أيضاً. (وبدا لكم من ربكم ـ حينئذٍ ـ ما لم تكونوا تحتسبون) أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنونه واصلاً إليكم ولم يكن في حسبانكم. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أي أصحاب الباطل من أبطل الرجل إذا أتى بالباطل مداوماً له آخذاً له طريقة مستمرة أو مطلقاً، لحصول الخسران على المبطل لا محالة ولو في الجملة.

---

(١) العنكبوت: ١٣

(٢) الكهف: ٧٩

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلى قَبْرِ النَّبِيِّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ و آلِه وَقالَتْ :

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ لَوْ
كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْبُرِ الخَطْبُ
إنّا فَقَدْناكَ فَقْدُ الأَرْضِ وابِلُها
واخْتَلَّ قَومُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَقَدْ نَكِبوا
وَكُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبى وَمَنْزِلَةٌ عِنْدَ
الإلهِ عَلَى الأَدْنَيْنِ مُقْتَرِبُ
أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجْوى صُدورِهِم
لَمّا مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ التُّرَبُ
تَجَهَّمَتْنا رِجالٌ واسْتُخِفَّ بِنا لَمّا
فُقِدْتَ وَكُلُّ الأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَكُنْتَ بَدْراً وَنُوراً يُسْتَضاءُ بِهِ
عَلَيْكَ تُنْزَلُ مِنْ ذي العِزَّةِ الكُتُبِ
وَكانَ جِبْريلُ بِالآياتِ يونِسُنا
فَقَدْ فُقِدْتَ فَكُلُّ الخَيْرِ مُحْتَجِبٌ

فَـلَـيْـتَ قَـبْـلَـكَ كـانَ الـمَـوْتُ صـادَفَـنـا
لِـمـا مَـضَـيْـتَ وَحـالَـتْ دونَـكَ الـكُـتُـبُ
إِنّـا رُزِئْـنـا بِـمـا لَـمْ يُـرْزَ ذُو شَـجَـنِ
مِـنَ الـبَـرِيَّـةِ لا عُـجْـمٌ وَلا عَـرَبُ

■ العلّامة المجلسي:

في الكشف: ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثلة بقول هند ابنة أثاثة.. ثم ذكر الأبيات. وقال في النهاية: الهنبثة واحدة الهنابث وهي الأمور الشداد المختلفة، والهنبثة: الاختلاط في القول والنون زائدة، وذكر فيه: أن فاطمة عليها السلام قالت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله: قد كان بعدك أنباء.. إلى آخر البيتين، الا أنه قال: فاشهدهم ولا تغب. والشهود: الحضور. والخطب ـ بالفتح ـ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال. والوبل: المطر الشديد. ونكب فلان عن الطريق كنصر ـ وفرح ـ أي.. عدل ومال.

وكـل أهـل لـه قـربـى ومـنـزلـة
عند الإلـه على الأدنـيـن مقترب

القربى ـ في الأصل ـ القرابة في الرحم. والمنزلة: المرتبة والدرجة ولا تجمع والأدنين: هم الأقربون، واقترب أي تقارب. وقال في مجمع البيان: في اقترب زيادة مبالغة على قرب، كما أن في اقتدر زيادة مبالغة على قدر. ويمكن تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه على وجوه:

الأول: وهو الأظهر، أن جملة (له قربى) صفة لأهل، والتنوين في (منزلة) للتعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، و(مقترب) خبر لكل، أي ذو القرب الحقيقي، أو عند ذي الأهل، كل أهل كانت له مزية وزيادة على غيره من الأقربين عند الله

تعالى.

والثاني: تعلق الظرفين بقولها: (مقترب)، أي كل أهل له قرب ومنزلة من ذي الأهل، فهو عند الله تعالى مقترب مفضل على سائر الأدنين.

والثالث: تعلق الظرف الأول بـ(المنزلة) والثاني بـ(المقترب)، أي كل أهل اتصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله، فهو مفضل على من هو أبعد منه.

والرابع: أن يكون جملة: (له قربى) خبراً للكل، (ومقترب) خبراً ثانياً، وفي الظرفين يجري الاحتمالات السابقة، والمعنى أن كل أهل نبي من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله، ومفضل على سائر الأقارب عند الأمة.

أبــدت رجــال لنا نــجـوى صدورهم
لما مضيت وحـالـت دونــك الـتُـرَبُ

بدا الأمر بدواً: ظهر، وأبداه أظهره. والنجوى: الاسم من نجوته إذا ساورته، ونجوى صدورهم: ما أضمروه في نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من إظهاره في حياته صلى الله عليه وآله، وفي بعض النسخ: فحوى صدورهم، وفحوى القول: معناه، والمال واحد. وقال الفيروز آبادي: الترب والتراب والتربة.. معروف، وجمع التراب: أتربة وتربان، ولم يسمع لسائرها بجمع، انتهى. فيمكن أن يكون بصيغة المفرد، والتأنيث بتأويل الأرض كما قيل، والأظهر أنه ـ بضم التاء وفتح الراء ـ جمع تربة، قال في مصباح اللغة: التربة: المقبرة، والجمع ترب مثل غرفة وغرف. وحال الشيء بيني وبينك.. أي منعني من الوصول اليك. ودون الشيء: قريب منه، يقال: دون النهر جماعة.. أي قبل أن تصل إليه. والتهجم: الاستقبال بالوجه الكريه والمغتصَب ـ على بناء المفعول ـ المغصوب. والمحتجِب

ـ على بناء الفاعل ـ. وصادفه: وجده ولقيه. والكُثب ـ بضمتين ـ: جمع كثيب وهو التل من الرمل. والرُزء ـ بالضم مهموزاً: المصيبة بفقد الأعزة. ورزئنا ـ على بناء المجهول ـ. والشجن ـ بالتحريك ـ: الحزن. وفي القاموس: العجم ـ بالضم وبالتحريك ـ خلاف العرب.

■ الأنصاري التبريزي:

روي عن زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام قالت: لما اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة فدك والعوالي، وأيست من إجابته لها عدلت إلى قبر أبيها، فألقت نفسها عليه وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتى بلت تربته بدموعها وندبته، ثم قالت في آخر ندبتها: قد كان بعدك أنباء.... وفي الكشف بعد الأبيات: فما رأينا أكثر باك وباكية من هذا اليوم. وفي بعض الروايات كما في الكشف وغيره: ثم عطفت على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فتمثلت بقول هند بنت إثاثة: (قد كان بعدك) إلى آخر البيتين، وبعدهما (أبدت رجال) البيت، ثم قولها عليها السلام: قد كان جبريل...، ونقل بعضهم حينئذٍ في ذيل البيت الأول من هذه الرواية أن هذا الشعر لهند بنت أبان بن عبد المطلب تمثلت به فاطمة عليها السلام. ولا يخفى أن الاختلاف هنا في تقديم بعض الأبيات على بعض وتأخيره عنه، وإنشاد بعضها أو كلها موجود إلى ما شاء الله، ولم ينقل أقل من البيتين أو أكثر مع التقدم أو التأخر، والله يعلم حقيقة الأمر، والظاهر أنّ البيتين الأولين من باب التمثيل والبواقي ممّا أنشأتها الزهراء عليها السلام، والظاهر في ترتيبها أن يكون على النحو الذي ذكرنا. قولها عليها السلام: (قد كان بعدك [أنباء]...) الأنباء جمع النبأ ـ بالتحريك ـ بمعنى الخبر كما أشير إليه فيما مرَّ، وأنه مدرك أحد وجهي تسمية النبي صلى الله عليه وآله بالنبي لأخذه منه بناء على كونه مخبراً عن الله سبحانه، أي عن صفاته وأفعاله وأقواله

التي هي الأحكام الشرعية وغيرها. والمراد من الأنباء في البيت الأقوال المختلفة، والأخبار الغير المؤتلفة، والوقائع الحادثة، مراداً بها غصب الخلافة وفدك ونحو ذلك، والمحاورات والمنازعات المترتبة على ذلك. و(الهنبثة) كزلزلة واحدة الهنابث وهي الأمور الشداد المختلفة، والهنبثة الاختلاط في القول أو مطلق الاختلاط، والنون زائدة. وذكر في النهاية: أن فاطمةعليها السلام قالت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله: قد كان بعدك أنباء... البيتين على نحو ما ذكر في المتن، وآخر البيت الثاني على روايته: فاشهدهم ولا تغب، وفي المجمع كذلك، وفي بعض الروايات بنحو آخر كما سيأتي. والهنبثة كأنها عطف تفسير للأنباء، وهي اسم جنس يجوز جعله تفسيرا للجمع، أو أن المراد من الأنباء هي الأقوال المختلفة أو الأفعال المختلفة، وأصل الهنبثة لا يحصل إلّا بجملتها إذ لا يحصل الاختلاف والاختلاط بقول واحد ولا فعل واحد. و(الشهود) الحضور من شهد يشهد شهودا أي حضر، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل المادة، والضمير راجع إلى تلك الأنباء المفسرة بالهنبثة. و(الخُطَب) كصُرَد جمع الخُطبة ـ بالضم ـ وهي جماعة من الكلام يخاطب بها جملة من الناس أو مطلق الكلام المخاطب به، وتلك الخطب هنا هي الأنباء المختلفة المشار إليها كمكالمة الزهراءعليها السلام مع الجماعة بالمكالمات المختلفة في مجالس متعددة ومواجهتهم بهاعليها السلام بالأجوبة المختلفة. والمقصود أنه لو كنت مشاهداً لتلك الأنباء أي حاضراً في مجلس وجودها وحدوثها لم تكثر هي أي لم تقع ولم تتكثر، بل كان القول حينئذٍ قولك ما كان لأحد أن يردك، ولم يحصل الاختلاط بالأقوال المختلفة، فوضع الظاهر موضع الضمير للضرورة والإشارة إلى الفظاعة، واستحضاراً لتلك الصورة

الهائلة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[1] ونحو ذلك. وقال بعض الأفاضل هنا: إنه الخَطب ـ بالفتح ـ أي الأمر الذي يقع فيه المخاطبة أو الشأن أو الحال كذلك، والجملة الشرطية صفة للأنباء. قولهاعليها السلام: (إنا فقدناك...) الفقد وجدان الشيء غائبا بعد وجوده، يقال: فقدت الشيء ـ من باب ضرب ـ فقداً ـ بالفتح ـ وفقداناً ـ بالكسر والضم ـ عدمته، ومنه قوله تعالى: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾[2] وكذلك الافتقاد، وتفقدته أي طلبته عند غيبته، والفاقد بخصوصه المرأة التي تفقد ولدها أو زوجها، وتفاقد القوم أي تفقد بعضهم بعضاً. و(الوابل) المطر الشديد، وفي الفقرة إشارة إلى شدة الميل إلى المخاطب وغاية الاحتياج إليه. و(الاختلال) من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين الموجبة للانفصام وتشتت النظام أي تفرق أمور قومك، واختلّ بعدك فاشهدهم ولا تغب، أي فكأن المقام مقام أن تشهدهم ولا تغيب عنهم لو أمكن ذلك حتى ينتظم الأمر ولا يتشتت النحر. وفي بعض النسخ: (فاشهدهم فقد نكبوا) من نكَب فلان عن الطريق ـ كنصر وفرح ـ أي عدل ومال، أي قد لزم شهودك وحضورك لأن القوم عن الصراط لناكبون، وعن الجادة لمنحرفون، لتردهم من الغواية إلى طريق الهداية، فالفاء في مقام التعليل لطلب الشهود والحضور، وفي الكشف: (واختل قومك لما غبت وانقلبوا) أي انقلبوا على أعقابهم راجعين إلى حالة الكفر والجاهلية. قولهاعليها السلام: (وكل أهل له...) القربى في الأصل القرابة مطلقاً مصدراً كالرجعى، وقد تطلق على القرابة في الرحم من قرب يقرب من الشيء قرباً ـ من باب شرف ـ إذا دنا منه واقترب وهو ضد البعد، واقترب أي

---

(١) القارعة: ١ – ٢

(٢) يوسف: ٧٢

تقارب، قال في المجمع: في اقترب زيادة مبالغة على قرب، كما أن في اقتدر زيادة مبالغة على قدر. و(القربان) ـ بضم القاف ـ ما يتقرب به إلى الله، ومنه: قربت لله قرباناً، والصلاة قربان كل تقي أي ما يتقرب به إلى الله تعالى، وقربته تقريباً أي أدنيته. وفي الحديث القدسي: (من تقرَّب إلي شبراً تقرّبت إليه ذراعاً) والمراد من قرب العبد من الله القرب المعنوي بسبب الذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان، لأن ذلك من صفات الأجسام والله تعالى عن ذلك تنزه وتقدس، والمراد بقرب الله من العبد في الحقيقة قرب نعمه وألطافه منه وبره وإحسانه، أو عطوفته ورضوانه بالنسبة إليه، وقريب الرجل يطلق في العرف على ذي القرابة في الرحم. و(المنزلة) المرتبة والدرجة ولا تجتمع على ما قال بعضهم، وهي محل النزول من نزل ينزل نزولاً، وتستعمل المنزلة مصدراً أيضاً. و(الأدنى) الأقرب ويطلق على الأبعد أيضاً، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل معنى المادة، والجمع الأدنون رفعا والأدنين نصباً وجراً، والمعنى والله أعلم ان كل أهل إذا كان له قربى ومنزلة في الواقع أو عند الله فهو عند الله على الأدنين أي قربه زائد عنده على سائر الأقربين، أي أن أقارب الرجل صنفان: صنف له قربى ومنزلة باطنية، وصنف ليس كذلك، والصنف الأول أشد قرباً عند الله بالنسبة إلى الصنف الثاني. وجعل قولهاعليها السلام: (عند الله) متعلقاً بقولها (مقترب) واضح، وأما على جعله متعلقاً بالكلام السابق فهو حينئذٍ حال من القربى، بناءً على صحة كون ذي الحال نكرة ولو نادراً أو صفة، وعلى أيهما تعلق يجعل مثله محذوفاً من الآخر من جهة القرينة، أو يقدر في الآخر قولنا في الواقع كما ظهر ممّا مر. أو المعنى كل أهل إذا كانت له قربى ومنزلة رحمية فهو مقترب عند الإله على الأبعدين والأجانبة، وتعلق قولها على الأدنين بمقترب إما باعتبار

معنى الزيادة فيه أو جعل على هنا للضرر أو الاستعلاء. وحاصل المعنى على كل حال ان الأقرب يمنع الأبعد، فيكون المراد أنا أهل بيت لنا قربة ومنزلة في الواقع وعند الله بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنحن أقرب من سائر أقارب النبي صلى الله عليه وآله، ومن الأجانبة بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الله سبحانه، فلابد أن تكون لنا الوراثة والخلافة. وهو تعريض لما فعله القوم ممّا مرّت إليه الإشارة، وأنهم فعلوا خلاف ما قرره الله سبحانه، وحكموا بغير ما أنزل الله سبحانه، وتصحيح تركيب البيت واضح على ما قررناه من المعنى. وذكر الفاضل المجلسي رحمه الله في تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه وجوهاً وهذا لفظه:

الأول ـ وهو الأظهر ـ: إن جملة (له قربى) صفة لأهل، والتنوين في (منزلة) للتعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، و(مقترب) خبر لكل أي ذو القرب الحقيقي أو عند ذي الأهل كل أهل كانت له مزية وزيادة على غيره من الأقربين عند الله.

والثاني: تعلق الظرفين بقولها (مقترب) أي كل أهل له قرب ومنزلة من ذي الأهل، فهو عند الله مقترب مفضل على سائر الأدنين.

والثالث: تعلق الظرف الأول بالمنزلة، والثاني بالمقترب أي كل أهل اتصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله فهو مفضل على من هو أبعد منه.

والرابع: أن يكون جملة (له قربى) خبراً للكل، و(مقترب) خبرا ثانياً، وفي الظرفين تجري الاحتمالات السابقة، والمعنى أن كل أهل نبي من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله، ومفضل على سائر الأقارب عند الأمة، انتهى. وبعض هذه الوجوه قريب من بعض ما ذكرناه. قولها عليها السلام:

(أبدت رجال لنا...) في بعض النسخ (أبدى) وهو أيضاً جائز، ووجهه أن تأنيث الجمع باعتبار الجماعة وهو تأنيث غير حقيقي. و(الإبداء) الإظهار خلاف الإسرار من بدا له الأمر يبدو بدواً أي ظهر، وأبداه أظهره، واشتق منه الابتداء لأول الشيء أو الشروع فيه، لأن أول ما يبدو من الشيء أوله، وبدأ بالشيء ابتدأ به، والبادية والبيداء المفازة والصحراء، وكلها راجعة إلى المعنى الأصلي. و(النجوى) اسم من نجوته إذا ساررته، والأصل من نجا ينجو نجاة إذا تخلص، وقد مرّت إليه الإشارة، ونجوى صدورهم ما أضمروه في نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من إظهاره في حياته. وفي بعض النسخ (فحوى صدورهم) وفحوى القول معناه مطلقاً، هذا بحسب العرف العام واللغة، وفي الاصطلاح يسمى المفهوم الموافق مثل حرمة الضرب المفهومة من حرمة التأفيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[1] بطريق الأولوية بفحوى الخطاب وبلحن الخطاب في مقابل المفهوم المخالف في مثل: إن جاءك زيد فأكرمه، المسمى بدليل الخطاب وتفصيله في الأصول، والمراد هنا مطلق المعنى ومآله مع النجوى واحد. و(المضي) كناية عن الموت. و(حالت) بمعنى صارت حائلة مانعة من حال فلان بيني وبين فلان أي صار فاصلاً بيني وبينه مانعاً لي عن رؤيته أو عن وصوله. و(دونك) هنا في موضع منك وعنك، أو أن دونك هنا بمعنى قريبا منك وقبل الوصول إليك، يقال: دون النهر جماعة أي قبل أن تصل إليه، وقد مرّ معنى دون بوجوه مختلفة. و(الكثب) جمع الكثيب وهو ما اجتمع من الرمل، ويروى التُرب أيضاً وهو الصحيح كما لا يخفى. و(التُرب) بضم التاء وقد تضم الراء أيضاً بالتبع كما في نحو قفل وعسر ويسر وكذا يقرأ في البيت، وهو والتراب والتربة بمعنى، قال في

(١) الإسراء: ٢٣

القاموس: وجمع التراب أتربة وتربان ولم يسمع لسائرها جمع، انتهى. والظاهر أن للتراب غلبة في معنى النكرة، وللترب والتربة في معنى الجنس، ولعل هذا هو الوجه في عدم سماع جمع لهما، واعتبار التأنيث هنا في الترب إما لكونه اسم جنس، أو أنه بمعنى التربة أو باعتبار الأرض، وقيل: الأظهر أنه بضم التاء وفتح الراء جمع تربة كغرفة وغرف، وفي المصباح: إن التربة المقبرة والجمع ترب، وهذا المعنى غير مناسب هنا. وفي بعض النسخ: (لما قضيت) من قضاء النحب كناية عن الموت، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[1] ويقال: قضى فلان أي مات وقد جاء القضاء على معان كثيرة كمعنى الأداء، والحكم، والقول، والحتم، والفعل، والأمر، والعلم، والإعلام، والفراغ، والإتمام، والخلق، والإبرام، وفعل الشيء بعد وقته نحو قضيت ديني أي أديته، ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾[2] أي يحكم به أو يقول. ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾[3] أي حتمناه، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾[4] أي فعلت، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[5] أي أمر، و﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾[6] أي عملها، ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[7] أي أعلمناهم، و﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[8] أي فرغ منه، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى

---

(١) الأحزاب: ٢٣

(٢) غافر: ٢٠

(٣) سبأ: ١٤

(٤) الجمعة: ١٠

(٥) الإسراء: ٢٣

(٦) يوسف: ٦٨

(٧) الإسراء: ٤

(٨) يوسف: ٤١

﴿ٱلْأَجَلَ﴾[1] أي أتمه، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[2] أي خلقهن، وقضيت الأمر أي أبرمته، وقضيت الصلاة أي فعلتها بعد وقتها، ويرجع بعض تلك المعاني إلى بعض بل الجميع إلى معنى واحد. وفي بعض النسخ في موضع المصراع الثاني: (قوم تمنوا فأعطوا كلما طلبوا) والقوم حينئذٍ بدل أو بيان من الرجال، وأعطوا مجهول أي هم كانوا يتمنون موت النبي ﷺ وغصب الوراثة والخلافة، فقد بلغوا ما طلبوا. قولهاعليها السلام: (تجهمتنا رجال...) التجهم الاستقبال بالوجه الكريه من جهمت الرجل - من باب منع - وتجهمته إذا كلحت في وجهه، ورجل جهم الوجه أي كالح الوجه، وجَهُم الرجل - بالضم - جهومة أي صار باسر الوجه، ويجوز تهجمتنا من الهجوم أي تهجمت علينا من هجمت على الشيء وتهجمت عليه أي أتيته بغتة. وفي بعض النسخ: (تهضمتنا) من الهضم، يقال: هضمه وتهضمه أي ظلمه، وفي تفسير علي بن إبراهيم: (فغمصتنا) من غمصت الشيء أي احتقرته، والتضعيف للتشديد والمبالغة، والتنوين في رجال للتحقير أي رجال محقرون. (واستُخِفّ بنا) بصيغة المجهول أي حصل بالنسبة إلينا الإستخفاف من هؤلاء الرجال الذين هم مستحقون لأن يُستخفّ بهم لحقارتهم، والاستخفاف بالشيء جعله خفيفاً أي فرضه كذلك، أي انه خفيف الشأن لا شأن له كناية عن الاستحقار، إذ كل حقير خفيف لا ميزان له عرفاً وعقلاً وشرعاً، والمراد الخفة المعنوية. و(المُغتصَب) على بناء المفعول بمعنى مغصوب، والمراد من كل الإرث الإرث الظاهري وهو الوراثة، والإرث الباطني وهو الخلافة، أي قدرونا شيئاً خفيفاً ولم يجعلوا لنا وزناً، وغصبوا منا ما ورثناه من المال

(١) القصص: ٢٩

(٢) فصلت: ١٢

والخلافة. قولهاعليها السلام: (وكنت بدراً...) أي والحال أنك كنت بدراً ونوراً ـ عطف تفسير ـ يُستضاء به في ظلم الجهالات، وكانت عليك تنزل الكتب من الله آناً فآناً على سبيل الاستمرار في حياتك، وكنت أعلم بأحكام الله، وقررت لنا ما قررت من الوراثة والخلافة بحكم الله، فهم غيروا الكتاب، وبدلوا السنة، وغصبوا منا الوراثة والولاية. و(الكتب) جمع كتاب، والوجه في الجمع أن كل سورة من القرآن أو كل آية منه كأنه كتاب على حدة، أو المراد أحكام الكتب الإلهية مطلقاً، فإن القرآن مشتمل على جميع ما في الكتب السالفة السماوية كما في الأخبار المروية، أو المراد جنس الكتب من باب فلان يركب الخيل، وهو إنما يركب واحدة منها، والمراد أنه يركب من هذا الجنس، ويجوز أن يراد في لام الكتب الجنسية والعهدية مع اعتبار معنى الكمال مثل زيد الرجل أي الرجل الكامل في الرجولية. والمراد من ذي العزة هو الله تعالى، لأن له العزة الكاملة بل حقيقة العزة بل جميع أفراد العزة، ويمكن أن يراد من العزة الصفة الجمالية أو الجلالية أو كلتاهما، وكذا في قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]. قيل: إن الدرهم والدينار مظهر اسمه العزيز وبهما عزة أهل الدنيا، وحَلْفُ إبليس بها إشارة إلى أن إغواءه لهم إنما يكون بالذهب والفضة، فيمكن أن يكون قولهاعليها السلام هنا: (من ذي العزة الكتب) إشارة إلى أن العزة التي صارت أي صار طلبها سبب هلاك القوم وانحرافهم عن الطريقة صاحبها قد أنزل عليك الكتب والأحكام، وبين لك الحلال والحرام، فكان عليهم أن يتبعوك في كل حال ومقام، ولا ينكصوا عن الحق بعد الإقدام. قولهاعليها السلام: (قد كان جبريل بالآيات يونسنا...) جبريل مخفف جبرئيل، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ

(١) ص: ٨٢

عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[1] ويجوز جبرائيل كميكائيل وجبريل كميكيل وجبرال كميكال. و(بالآيات) متعلق بقولها (يونسنا) من الإيناس بمعنى إعطاء الأنس، وإذهاب الوحشة والدهشة، والمراد بالآيات آيات القرآن أي كان يجيء آناً فآناً بالآيات القرآنية على سبيل الوحي إليك، ونحن قد اعتدنا بذلك واستأنسنا به في عمرنا عن سائر الأنام، وأزلنا بذلك عن نفسنا دهشة المصائب والآلام، ووحشة الأوجاع والأسقام، فقد فقدت الآن وانقطع نزول جبرئيل بالآيات. (وكل الخير محتجب) عنا بعدك بلا اختصاص بفوات نزول جبرئيل وإيناسه إيانا بالآيات القرآنية، لأنك كنت معدن كل خير وأصل كل رحمة: (إن ذكر الخير كنتم أوله وآخره وأصله وفرعه). وفي بعض النسخ: (وكان جبريل روح القدس زائرنا) وفي بعضها: (فغبت عنا) بدل فقد فقدت، وفي بعضها: (فغاب عنا) أي جبرئيل بسبب انقطاع الوحي بعدك. قولهاعليها السلام: (ضاقت علي بلاد الله...) زاد هذا البيت المرتضى رحمه الله، والضيق خلاف السعة، ورحبت بمعنى وسعت من الرُحْبِ ـ بالضم ـ بمعنى السعة كما مرَّ. وأرض رحبة أي واسعة، ومرحباً وأهلاً أي أتيت سعةً وأهلاً فاستأنس ولا تستوحش، أو أتيت مكاناً وسيعاً، أو رحب مكانك مرحباً أي وسع سعة، وسعتها كناية عن الاستراحة وعدم المشقة، أو الأمن من الخوف والوحشة وضرر الأعداء والغيلة، وقال تعالى: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾[2] أي لم تجدوا في الأرض موضع فرار تفروا إليه وتستريحوا من الخوف والوحشة. و(سامَهُ خسفاً) يسومه أي أولاه إياه وأراده عليه، والخسف ـ بالفتح ـ الذلة أي

(١) البقرة: ٩٨

(٢) التوبة: ٢٥

تكلفه له. و(السبط) بالكسر ولد الولد جمعه أسباط، والأسباط من بني إسرائيل من أولاد يعقوب كالقبائل من العرب، لكون كل قبيلة من نسل ولد من أولاده، وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[1] فإنما أنث لأنه تعالى أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفرق أسباط، وليس الأسباط بتفسير وتمييز ولكنه بدل، لأن التفسير في مثله لا يكون إلّا مفردا مثل: اثنا عشر درهماً ولا يجوز دراهم. والمراد من السبطين هنا الحسنان عليهما السلام، وسبطاك محذوف النون بالإضافة إلى الكاف نائب فاعل سيم، وخسفاً مفعول به لسيم، أو منصوب بنزع الخافض أي بالخسف، أو مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظه أو لسيم باعتبار التضمين وضمير فيه للخسف. و(النصب) التعب من نصب الرجل ـ بالكسر ـ نصباً كتعب لفظاً ومعنى، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[2] والمراد أن إرادة القوم خسف السبطين وذلتهما أوجبت لنصبي وتعبي لما يدخل عليَّ من الهم والحزن والغم الشديد الحاصل لي من هذه الجهة. قولها عليها السلام: (فليت قبلك كان الموت...) زاد هذا البيت حرمى بن أبي العلاء في روايته، وصادف بمعنى وجد ولقي من صادفه مصادفة، ومنه قولهم: صادفت الضالة أي وجدتها. و(الكثب) بضمتين جمع كثيب، وهو التل من الرمل كناية عن التراب أي تراب القبر، أو كثب الأرض مطلقاً لبعد الفاصلة الظاهرية أيضاً في بعض الأوقات بين الأحياء وقبور الموتى. و(لمّا) إما بالتشديد والمصراع الأول جوابه أي لمّا قضيت تمنينا أن كنا مقبوضين قبلك، ولم نر الدنيا وهي خالية منك، أو بالتخفيف و(ما) مصدرية واللام تعليلية، فيكون المصراع في موضع

(١) الأعراف: ١٦٠

(٢) فاطر: ٣٥

التعليل للتمني السابق الذكر، وروي: (مضيت) هنا بدل قضيت ولا تفاوت في المعنى. قولهاعليها السلام: (إنا رزينا بما لم يرز...) الرزء - بالضم - المصيبة بفقد الأعزة، ويقال: رزأه مالاً كجعله وعمله وبمال أيضاً رزء - بالضم - أي أصاب منه شيئاً، والرزية: المصيبة وأصلها الرزيئة كفعيلة قلبت الهمزة ياء وأدغمت فعيلة بمعنى فاعلة. ورزأته رزية أي أصابته مصيبة، وأصل المادة يشعر عن معنى النقص، ورزئنا هنا على بناء المجهول أي أُصبنا بفقدك، وقولهاعليها السلام: (بما لم يرز به ذو شجن) وهو بالتحريك الحزن، وقولها: (من البلية) بيان لما، وفي بعض النسخ (من البرية) وهو بيان لذي شجن، أو أن مِن تبعيضية. و(العرب) بضم العين وبالتحريك خلاف العجم بالوجهين، وفسر العجم أيضاً بخلاف العرب ومثله كثير في كتب اللغة، كما قالوا في لغة الإناء إنه الظرف وفي الظرف إنه الإناء، وهو مستلزم للدور لتوقف معرفة كل على معرفة الآخر. وبالجملة فالعرب طائفة مخصوصة لها لغة مخصوصة من حيث النوع، وإن اختلفت أشخاص بعض اللغات في تلك اللغة المخصوصة باختلاف الطوائف والفرق، والعجم خلاف العرب، وليست العجم طائفة مخصوصة ولا لها لهجة مخصوصة، بل الفُرس طائفة من العجم، والترك طائفة، والهندي طائفة وهكذا، ولكل طائفة لغة مخصوصة كالعرب، والحاصل أن العجم هو خلاف العرب أي من ليس بعرب مطلقاً. والمقصود أن هذه المصيبة العظمى التي رُزئنا بها لم يرزأ بها أحد من العرب والعجم، فإن مصيبة فوت النبي صلى الله عليه وآله لها صدمة شديدة مخصوصة بالعترة، غير صدمتها العامة الشاملة لكل أهل الإسلام، بل في جميع الذرات الإمكانية والأكوانية في جميع العوالم الإلهية، وفي بعض النسخ: (فقد رزينا) بدل إنا رزينا، وفي بعض النسخ: (فقد رزينا بما لم يرز

أحد). قولهاعليها السلام: (فقد رزينا به محضاً...) المحض صفة بمعنى الخالص كما مرّ، والخليقة الخلق ـ بالضم ـ أي الطبيعة لكون الإنسان مخلوقاً عليها، وهي ناشئة من أصل الطينة الواقعية، فإن الخاتمة على طبق الفاتحة، ومحضاً حال من الضمير المجرور في به لكونه مفعولاً، وخليقته فاعله والضمير للنبي صلى الله عليه وآله. وقولهاعليها السلام: (صافي الضرائب) حال بعد حال سكن الياء للضرورة، بل حذفت بعد السكون أيضاً للضرورة أي صافي الضرائب، والضريبة الطبيعة أيضاً فيكون تأكيداً للحال الأولى نظير التأكيد في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] على ما قيل. و(الأعراق) جمع العرق وهو أصل كل شيء والجمع عروق وأعراق، ومنه عروق الإنسان لأن جسد الإنسان مبني عليها فهي أصل له، ويجوز أن يراد من الأعراق هنا الأصول من الآباء والأجداد والامهات والجدات. و(النسب) بالتحريك اسم مصدر من قولك: نسبت الرجل أنسبه ـ من باب قتل ـ نسباً ونسبة أيضاً، وهو الربط الحاصل من ملاحظة حال الشيء مع شيء آخر، ثم غلب استعماله على ملاحظة أحد مع الآخر بنسبة التولد والقرابة. ويجوز أن يراد من النسب أيضاً الأصول أي الآباء والأجداد مثلاً، ويكون المراد من صفاء الخليقة والضريبة صفاء نفس طويته، ومن صفاءعرقه ونسبه صفاء أصوله، ويمكن أن يراد من صفاء الخليقة صفاء أخلاقه، ومن الضريبة طبيعة نفسه، ومن العِرق أصله، ومن النسب النسبة الملحوظة بين الأصل والفرع، وهذا هو الأولى، أو يراد من صفاء خليقته صفاء طبيعته، ومن صفاء البواقي صفاء أصوله. قولهاعليها السلام: (فأنت خير عباد الله...) هذا كالتفريع على الأوصاف المذكورة في البيت. قولهاعليها السلام: (وأصدق

(١) فاطر: ٣٥

الناس...) أي أن ما ذكر من صفاء الخليقة والطينة وغيرهما يستلزم أن لا يصدر منك الكذب، فأنت حينئذٍ أصدق الناس جداً، إذ رذيلة الكذب من الصفات المذمومة القبيحة في غاية الرداءة لا يليق أن تصدر من مثلك النبي الصافي الخليقة والضريبة، وطيب العرق والأرومة، فكل ما قلته وقررته في أمر الوراثة والخلافة حق لا شبهة فيه وإن كذبك القوم بعدك. و(حيث) مضاف إلى الصدق، ويجوز إضافته إلى المفرد وإن كان الغالب إضافته إلى الجملة، وقد تقرر في الكتب النحوية حقيقة المسألة، فيكون ما نحن فيه نظير قول الشاعر:

أمـــا تـــرى حـيـــث سـهـيـل طـالـعـاً
نجماً يضيء كالشهاب ساطعاً

بجرِّ سهيل ورفعُ الكذب هنا للضرورة في القافية، ويجوز أن يجعل الصدق والكذب مرفوعين على الابتداء والخبر محذوف أي موجودان أو يفرضان أو يذكران، أو نائب فاعل فعل محذوف أي حيث يذكر الصدق والكذب ونحو ذلك. قولهاعليها السلام: (سيعلم المتولي...) المتولي المباشر للشيء مَنْ تولى الأمر بمعنى باشره، وأصله من وَلِيَهُ يَلِيه، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، و(ظلم) مفعوله مضافاً إلى حامة. و(حامة) الرجل ـ بتشديد الميم ـ خاصته وكأنه من الحميم بمعنى القريب، والتخفيف في البيت للضرورة. قال في النهاية: وفي الحديث: (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) حامة الرجل خاصته ومن يقرب منه وهو الحميم أيضاً، انتهى. والبيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. قولهاعليها السلام: (فسوف نبكيك...) التهمال من الهمل كالتكرار، وإن لم

(١) الشعراء: ٢٢٧

يذكر في بعض اللغات بخصوصه إلّا أنه صحيح قياساً سيَّما مع وروده في الاستعمال أيضاً، قال الجوهري: هملت عينه تهمل هملاً وهملاناً أي فاضت، وانهملت مثله، انتهى. وفعله من باب ضرب وقتل، والهمل مصدره ـ بفتح الأول ـ وكذا الهملان بالتحريك، ومنه هملت الماشية أي سرحت ورعت بغير راع، وأهملتها أي أرسلتها، ومنه قولهم: أهملت الأمر بمعنى تركته. و(سكبت) الماء سكباً ـ بالفتح ـ من باب قتل أي صببته، وسكب الماء بنفسه سكوباً وتسكاباً والسكب بمعنى النصب، فالمجرد منه يتعدى ولا يتعدى، وحركت الكاف في البيت للضرورة، ويجوز كونه بالتحريك اسم مصدر أيضاً. وفي تفسير علي بن إبراهيم مكان قوله بتهمال بهمال أي بدمع هطال، وفي بعض الروايات بدل العيون الشؤون جمع الشأن، والشؤون هي مواصل قبائل الرأس وملتقاها ومنها تجيء الدموع. وقال ابن السكيت: الشأنان عرقان ينحدران من الرأس إلى الحاجبين ثم إلى العينين، ولعل أصل العرقين عروق كثيرة متصلة بشؤون الرأس فتتحد العروق من كل طرف عند الحاجب، فيصدق الشأنان باعتبار الانتهاء والشؤون باعتبار الابتداء.

ولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ أشعار كثيرة رثت بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، من جملتها ما نقله في الزهر الزاهر وهو قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ:

قد مات نور العبادِ
قد مات سم الأعادي
قد مات من كان يرجى
للنائبات الشداد
قد مات ركني وحصني
ومن عليه اعتمادي

لـــمـــا ســـمـــعـــت الـــمـــنـــادي
يـــنـــعـــاه طـــــار فـــــــؤادي

ومنها قولها عليها السلام:

مـــاذا عـــلـــى مـــن شـــم تـــربـــة أحـــمـــد
أن لا يشم مـــدى الـــزمـــان غواليا
صُـــبَّـــتْ عـــلـــيَّ مـــصـــائـــب لـــو أنَّـــهـــا
صُـــبَّـــتْ على الأيـــامِ صِـــرْنَ لياليا

إلى غير ذلك، ولعله يأتي ذكر بعضها بعد ذلك.

ثُمَّ انْكَفَأَتْ عليها السلام وأميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَتَوَقَّعُ رُجُوعَها إليْهِ، وَيَتَطَلَّعُ طُلُوعَها عَلَيْهِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِها الدّارُ قالتْ لأميرِ المُؤْمنينَ عليه السلام: يا ابْنَ أَبِي طالِبٍ! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضْتَ قادِمَةَ الأَجْدِلِ، فَخانَكَ رِيشُ الأَعْزَلِ؛ هذا ابْنُ أَبِي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ في خِصامِي، وَالفَيْتُهُ أَلَدَّ في كَلامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَها، وَالمُهاجِرَةُ وَصْلَها، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُونِي طَرْفَها؛ فَلا دافِعَ وَلا مانِعَ، خَرَجْتُ كاظِمَةً، وَعُدْتُ راغِمَةً، أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، إِفْتَرَسْتَ الذِّئابَ، وَافْتَرَشْتَ التُّرابَ، ما كَفَفْتُ قائِلاً، وَلا أَغْنَيْتُ باطِلاً، وَلا خِيارَلِي. لَيْتَنِي مِتُّ قَبلَ هَنِيَّتِي وَدُونَ زَلَّتِي. عَذيرِيَ اللهُ مِنْكَ عادِياً وَمِنْكَ حامِياً. وَيْلايَ في كُلِّ شارِقٍ، ماتَ العَمَدُ، وَوَهَتِ العَضُدُ. شَكْوايَ إِلى أَبِي، وَعَدْوايَ إِلى رَبِّي. اللّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلاً، وَأَحَدُّ بَأْساً وَتَنْكِيلاً. فَقالَ أَميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام: لاوَيْلَ عَلَيْكِ، الوَيْلُ لِشانِئِكِ، نَهْنِهِي عَنْ وَجْدِكِ يا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَما وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ البُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفِيلُكِ مَأْمُونٌ، وَما أَعَدَّ لَكِ أَفْضَلُ مِمّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللهَ، فَقالَتْ: حَسْبِيَ اللهُ، وَأَمْسَكَتْ.

■ **العلّامة المجلسي:**

قوله: ثمّ انّكفأت: أقول وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خط المصنف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها صلوات الله

عليها ما هذا لفظه: وجد بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوي قدس الله روحه أنه لما خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر ـ حين ردها عن فدك ـ استقبلها أمير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنفه، ثم قالت: اشتملت... إلى آخر كلامها عليها السلام. والانكفاء: الرجوع. وتوقعت الشيء واستوقعته.. أي انتظرت وقوعه. وطلعت على القوم: اتيتهم، وتَطَلُّع الطلوع: انتظاره. فلما استقرت بها الدار.. أي سكنت كأنها اضطربت وتحركت بخروجها، أو على سبيل القلب، وهذا شائع، يقال: استقرت نوى القوم واستقرت بهم النوى.. أي اقاموا. اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين.. اشتمل بالثوب.. أي أداره على جسده كله، والشّملة ـ بالفتح ـ كساء يشتمل به، والشِملة ـ بالكسر ـ هيئة الاشتمال، فالشَملة إما مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى: ﴿نَبَاتًا﴾ أو في الكلام حذف وإيصال. وفي رواية السيد: مشيمة الجنين.. وهي محل الولد في الرحم، ولعله أظهر. والجنين: الولد ما دام في البطن. والحُجرة ـ بالضم ـ حظيرة الإبل، ومنه حجرة الدار. والظنين: المتهم، والمعنى اختفيتَ عن الناس كالجنين، وقعدتَ عن طلب الحق، ونزلتَ منزلة الخائف المتهم. وفي رواية السيد: الحُجَزَة ـ بالزاء المعجمة ـ، وفي بعض النسخ: قعدت حجزة الظنين، وقال في النهاية: الحجزة: موضع شدِّ الإزار، ثم قيل للإزار: حجزة للمجاورة، وفي القاموس: الحُجَزة ـ بالضم ـ معقد الإزار.. ومن الفرس مركب مؤخر الصفاق بالحقو، وقال: شدة الحجزة: كناية عن الصبر. نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل. قوادم الطير: مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح، واحدتها قادمة. والأجدل: الصقر. والأعزل: الذي لا سلاح معه. قيل: لعلها صلوات الله عليها شبهت الصقر الذي نقضت قوادمه بمن لا سلاح له، والمعنى تركت طلب الخلافة في

أول الأمر قبل أن يتمكنوا منها ويشيدوا أركانها، وظننت أن الناس لا يرون غيرك أهلاً للخلافة، ولا يقدِّمون عليك أحداً، فكنت كمن يتوقع الطيران من صقور منقوضة القوادم.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد أنك نازلت الأبطال، وخضت الأهوال، ولم تبال بكثرة الرجل حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والأرذال، وسلمت لهم الأمر ولا تنازعهم، وعلى هذا، الأظهر أنه كان في الأصل: خاتك ـ بالتاء المثناة الفوقانية ـ فصحف، قال الجوهري: خات البازي واختات أي انقض.. ليأخذه، وقال الشاعر:

يخوتون أخـرى القوم خـوت الأجـادل

. . . . .

والخائتة: العقاب إذا انقضت فسمعتّ صوت انقضاضها، والخوات.. دوي جناح العقاب.. والخوات ـ بالتشديد ـ الرجل الجري، وفي رواية السيد: نفضت ـ بالفاء ـ وهو يؤيد المعنى الأول. هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحيلة أبي، وبلغة ابني، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألد في كلامي... قحافة ـ بضم القاف وتخفيف المهملة ـ. والابتزاز: الاستلاب، وأخذ الشيء بقهر وغلبة من البَزِّ بمعنى السلب. والنحيلة ـ فعيلة بمعنى مفعول ـ من النحلة ـ بالكسر ـ بمعنى الهبة والعطية عن طيبة نفس من غير مطالبة أو من غير عوض. والبلغة ـ بالضم ـ ما يتبلغ به من العيش ويكتفى به، وفي أكثر النسخ: بليغة ـ بالتصغير ـ فالتصغير في النحيلة أيضاً أنسب. وابني إما بتخفيف الياء فالمراد به الجنس، أو تشديدها على التثنية. وإظهار الشيء: اعلانه. والخصام ـ مصدر ـ كالمخاصمة، ويحتمل أن يكون جمع خصم أي أجهر العداوة أو الكلام لي بين الخصام، والأول أظهر. وألفيته.. أي وجدته. والألد: شديد

الخصومة، وليس فعلاً ماضياً، فان فعله على بناء المجرد، والإضافة في (كلامي) إما من قبيل الإضافة إلى المخاطب أو إلى المتكلم، وفي: للظرفية أو السببية. وفي رواية السيد: هذا بني أبي قحافة.. إلى قوله: لقد أجهد في ظلامتي وألد في خصامتي. قال الجزري: يقال جهد الرجل في الأمر: إذا جد وبالغ فيه، وأجهد دابته: إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. حتى حبستني قَيْلَةُ نصرَها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع.. قَيلة ـ بالفتح ـ اسم أم قديمة لقبيلتي الأنصار، والمراد: بنو قيلة. وفي رواية السيد: حين منعتني الأنصار نصرها.. وموصوف المهاجرة: الطائفة أو نحوها، والمراد بوصلها: عونها. والطرف ـ بالفتح ـ العين. وغضه: خفضه. وفي رواية السيد ـ بعد قولها: ولا مانع ـ: ولا ناصر ولا شافع. خرجت كاظمة وعدت راغمة.. كظم الغيظ: تجرعه والصبرُ عليه. ورغم فلان ـ بالفتح ـ إذا ذل، وعجز عن الانتصاف ممن ظلمه، والظاهر من الخروج: الخروج من البيت وهو لا يناسب كاظمة، إلّا أن يراد بها الامتلاء من الغيظ فإنه من لوازم الكظم، ويحتمل أن يكون المراد الخروج من المسجد المعبر عنه ثانياً بالعود، كما قيل. وفي رواية السيد مكان عدت: رجعت. أضرعت خدك يوم أضعت حدك، افترست الذئاب، وافترشت التراب.. كضرع الرجل ـ مثلثة ـ خضع وذل واضرعه غيره، وإسناد الضراعة إلى الخذلان أظهر إفرادها وضع الخد على التراب، أو لأن الذل يظهر في الوجه. واضاعة الشيء وتضييعه: إهماله وإهلاكه. وحدُّ الرجل ـ بالحاء المهملة ـ: بأسه وبطشه، وفي بعض النسخ بالجيم.. أي تركت اهتمامك وسعيك. وفي رواية السيد: فقد أضعت جدك يوم أضرعت خدك. وفرس الأسد فريسته ـ كضرب ـ وافترسها: دق عنقها، ويستعمل في كل قتل، ويمكن أن

يقرأ بصيغة الغائب، فالذئاب مرفوع، والمعنى: قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض مع أنك أسد الله، والخلافة كانت فريستك حتى افترسها وأخذها الذئب الغاصب لها، ويحتمل أن يكون بصيغة الخطاب.. أي كنت تفترس الذئاب واليوم افترشت التراب، وفي بعض النسخ: الذباب - بالباءين الموحدتين - جمع ذبابة، فيتعين الأول، وفي بعضها: افترست الذئاب وافترستك الذئاب. وفي رواية السيد مكانهما: وتوسدت الوراء كالوزغ ومستك الهناة والنزغ.. والوراء بمعنى خلف. والهناء: الشدة والفتنة. والنزغ: الطعن والفساد. ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً ولا خيار لي، ليتني مت قبل هينتي ودون زلتي. الكف: المنع. والإغناء: الصرف والكف، يقال: أغنِ عني شرك.. أي اصرفه وكفه، وبه فُسِّرَ قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[1]. وفي رواية السيد: ولا أغنيت طائلاً.. وهو أظهر، قال الجوهري: يقال: هذا أمر لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غناء ومزية. فالمراد بالغناء: النفع، ويقال: ما يغني عنك هذا.. أي ما يجديك وما ينفعك. والهينة - بالفتح -: العادة في الرفق والسكون، ويقال: امش على هينتك.. أي على رسلك، أي ليتني مت قبل هذا اليوم الذي لا بد لي من الصبر على ظلمهم، ولا محيص لي عن الرفق. والزلة - بفتح الزاي - كما في النسخ: الاسم من قولك: زللت في طين أو منطق: إذا زلقت، ويكون بمعنى السقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم، ولو كانت الكلمة بالذال المعجمة كان أظهر وأوضح، كما في رواية السيد، فإن فيها: والهفتاه! ليتني مت قبل ذلتي، ودون هينتي، عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً.. العذير: بمعنى العاذر كالسميع، أو بمعنى العذر كالأليم. وقولها: منك.. أي من أجل الاساءة

---

(١) الجاثية: ١٩

إليك وإيذائك. وعذيري الله.. مرفوعان بالابتدائية والخبرية. وعاديا.. إما من قوله: عدوت فلاناً عن الأمر.. أي صرفته عنه، أو من العدوان بمعنى تجاوز الحد، وهو حال من ضمير المخاطب.. أي الله يقيم العذر من قبل في إساءتي إليك حال صرفك المكاره ودفعك الظلم عني، أو حال تجاوزك الحد في القعود عن نصري.. أي عذري في سوء الادب أنك قصرت في إعانتي والذب عني، والحماية عن الرجل: الدفع عنه، ويحتمل أن يكون عذيري منصوباً ـ كما هو الشايع في هذه الكلمة ـ، و(الله) مجروراً بالقسم، يقال: عذيرك من فلان.. أي هات من يعذرك فيه، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام حين نظر إلى ابن ملجم لعنه الله:

عــذيــرك مـــن خــليــلــك مـــن مـــراد

والأول أظهر. ويلاي في كل شارق، مات العمد، ووهت العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي، اللهم أنت أشد قوة وحولاً، وأحد بأساً وتنكيلاً.. قال الجوهري: ويل: كلمة مثل: ويح، إلّا أنها كلمة عذاب يقال: ويله وويلك وويلي، وفي الندبة ويلاه. ولعله جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلم، ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية فيكون مبتدأ والظرف خبره، والمراد به تكرر الويل. وفي رواية السيد: ويلاه في كل شارق، ويلاه في كل غارب، ويلاه! مات العمد وذل العضد.. إلى قولها عليها السلام: اللهم أنت أشد قوة وبطشاً. والشارق: الشمس.. أي عند كل شروق وطلوع صباح كل يوم. قال الجوهري: الشرق: المشرق، والشرق: الشمس، يقال طلع الشرق ولا آتيك ما ذر شارق.. وشرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً ـ أيضاً ـ أي طلعت، وأشرقت أي.. أضاءت. والعمد ـ بالتحريك وبضمتين ـ: جمع العمود، ولعل المراد هنا ما يعتمد عليه في الأمور. والشكوى: الاسم من قولك: شكوتُ فلاناً شكاية. والعدوى:

طلبك إلى والٍ لينتقم لك ممن ظلمك. والحول: القوة والحيلة والدفع والمنع، والكل هنا محتمل. والبأس: العذاب. والتنكيل: العقوبة، وجعل الرجل نكالاً وعبرة لغيرة. الويل لشانئك.. أي العذاب، والشرُّ لمبغضك، والشناءة: البغض. وفي رواية السيد: لمن أحزنك. ونهنهت الرجل عن الشيء فتنهنه.. أي كففته وزجرته فكف. والوجد: الغضب: أي امنع نفسك عن غضبك. وفي بعض النسخ: تنهنهي، وهو أظهر. والصفوة - مثلثة - خلاصة الشيء وخياره. والونى - كَفَتَى - الضعف والفتور والكلال، والفعل - كوقى يقي.. أي ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربي وما تركت ما دخل تحت قدرتي. والبلغة - بالضم - ما يتبلغ به من العيش. والضامن والكفيل للرزق هو الله تعالى، وما أُعدَّ لها هو ثواب الآخرة. والاحتساب: الاعتداد، ويقال لمن ينوي بعمله وجه الله تعالى: احتسبه.. أي اصبري وادخري ثوابه عند الله تعالى. وفي رواية السيد: فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لمن أحزنك، نهنهي عن وجدك يا بنية الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن حظك، ولا أخطأتُ فقد ترين مقدرتي، فان ترزئي حقك فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك ممّا قُطع عنك. فرفعت يدها الكريمة فقالت: رضيتُ وسلمتُ. قال في القاموس: رزأه ماله كجعله وعمله رزأ - بالضم -: أصاب منه شيئاً.

أقول: روى الشيخ كلامها الأخير مع جوابه قريباً ممّا رواه السيد، ولنذكره بسنده:

قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن شاذان، عن محمد بن علي بن المفضل، عن محمد بن علي بن معمر، عن محمد بن الحسين الزيات، عن أحمد بن محمد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن

جعفر بن محمد عليه السلام قال: لما انصرفت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر وأقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام. فقالت له: يا بن أبي طالب! اشتملتَ مشيمة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضتَ قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة قد ابتزني نحيلة أبي وبليغة ابني، والله لقد أجدَّ في ظلامتي، وألدَّ في خصامي، حتى مَنَعَتْني قيلةُ نصرَها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت ـ والله ـ كاظمة، وعدت راغمة، وليتني لاخيار لي، ليتني مت قبل ذلك مت قبل ذلتي! وتُوفِّيتُ قبل منيتي! عَذِيري فيك الله حامياً، ومنك عادياً، ويلاه في كل شارق! ويلاه! مات المعتمد ووهن العضد! شكواي إلى ربي، وعدواي إلى أبي، اللهم أنت أشد قوة.

فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك، بل الويل لشانئك، نهنهي من غربك يا بنت الصفوة وبقية النبوة، فوالله ما ونيت في ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت ترزئين البلغة فرزقك مضمون، ولعيلتك مأمون، وما أُعِدَّ لك خير ممّا قطع عنك، فاحتسبي. فقالت: حسبي الله نعم الوكيل.

ولندفع الإشكال الذي قلما لا يخطر بالبال عند سماع هذا الجواب والسؤال، وهو: أن اعتراض فاطمة عليها السلام على أمير المؤمنين عليه السلام في ترك التعرض للخلافة، وعدم نصرتها، وتخطئته فيهما ـ مع علمها بإمامته، ووجوب اتباعه وعصمته، وأنه لم يفعل شيئاً إلّا بأمره تعالى ووصية الرسول صلى الله عليه وآله ـ ممّا ينافي عمصتها وجلالتها.

فأقول: يمكن أن يجاب عنه: بأن هذه الكلمات صدرت منها عليها السلام لبعض المصالح، ولم تكن واقعاً منكرة لما فعله، بل كانت راضية،

وإنما كان غرضها أن يتبين للناس قبح أعمالهم وشناعة أفعالهم، وأن سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما أتوا به. ومثل هذا كثيراً ما يقع في العادات والمحاورات، كما أن ملكاً يعاتب بعض خواصه في أمر بعض الرعايا، مع علمه ببراءته من جنايتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، وأنه ممّا استوجب به أخص الناس بالملك منه المعاتبة. ونظير ذلك ما فعله موسى عليه السلام - لما رجع إلى قومه غضبان أسفاً - من إلقائه الالواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه - ولم يكن غرضه الإنكار على هارون، بل أراد بذلك أن يعرف القوم عظم جنايتهم، وشدة جرمهم، كما مرّ الكلام فيه.

وأما حمله على أن شدة الغضب والأسف حملتها على ذلك - مع علمها بحقية ما ارتكبه عليه السلام - فلا ينفع في دفع الفساد، وينافي عصمتها وجلالتها التي عجزت عن ارتكابها أحلام العباد.

بقي هاهنا إشكال آخر، وهو: أن طلب الحق والمبالغة فيه وإن لم يكن منافياً للعصمة، لكن زهدها صلوات الله عليها، وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذاتها، وكمال عرفانها ويقينها بفناء الدنيا، وتوجه نفسها القدسية، وانصراف همتها العالية دائماً إلى اللذات المعنوية والدرجات الأخروية، لا تناسب مثل هذا الاهتمام في أمر فدك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين في تحصيله. والجواب عنه من وجهين:

الأول: أن ذلك لم يكن حقاً مخصوصاً لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة في ذلك، ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من

الأئمة الاعلام والأشراف الكرام. نعم لو كان مختصاً بها كان لها تركه والزهد فيه وعدم التأثر من فوته.

الثاني: أن تلك الأمور لم تكن لمحبة فدك وحب الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم وكفرهم ونفاقهم، وهذا كان من أهم أمور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين. ويؤيده أنها صلوات الله عليها صرحت في آخر الكلام حيث قالت: قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة.. وكفى بهذه الخطبة بينة على كفرهم ونفاقهم. ونشيد في ذلك بإيراد رواية بعض المخالفين في ذلك:

١ ـ روى ابن أبي الحديد ـ في سياق أخبار فدك ـ عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري: أن أبا بكر لما سمع خطبة فاطمةعليها السلام في فدك شق عليه مقالتها، فصعد المنبر فقال:

أيها الناس! ما هذه الرعة إلى كل قالة! أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيده ذنبه، مُربٌّ بكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، تستعينون بالضعفة وتستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغي. ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معاشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا وإني لست باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحق ذلك منا.. ثم نزل. فانصرفت فاطمةعليها السلام إلى منزلها. ثم قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب يحيى بن أبي زيد البصري. فقلت له: بمن يعرض؟. فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم أسألك؟.

فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب عليه السلام. قلت: أهذا الكلام كله لعلي عليه السلام؟!. قال: نعم إنه الملك يا بني!. قلت: فما مقالة الأنصار؟. قال: هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليه فنهاهم. فسألته عن غريبه. فقال: ما هذه الرعة ـ بالتخفيف ـ أي: الاستماع والإصغاء. والقالة: القول. وثعالة: اسم للثعلب علم غير مصروف، مثل ذؤالة للذئب. وشهيده ذنبه.. أي: لا شاهد على ما يدعي إلّا بعضه وجزء منه، وأصله مثل، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب، فقال: إنه أكل الشاة التي أعددتها لنفسك، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قَدَّ الشاة، فقبل شهادته وقتل الذئب. ومرب: ملازم، أرب: لازم بالمكان. وكروها جذعة: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعني: الفتنة والهرج. وأم طحال: امرأة بغي في الجاهلية، فضرب بها المثل، يقال: أزنى من أم طحال، انتهى.

أقول: الرعة ـ بالراء ـ كما في نسخ الشرح، بمعنى: الاستماع، لم نجده في كلام اللغويين، ويمكن أن يكون بالدال المهملة بمعنى السكون، ويكون الغلط من النساخ، ويكون تفسير النقيب بياناً لحاصل المعنى.

٢ ـ وروي أيضاً عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن هشام بن محمد، عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إن أم أيمن تشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك. فقال لها: يا بنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه أبيك، ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لان تفتقر عائشة أحب إلي من أن تفتقري، أتراني أعطي الأسود والأحمر حقه وأظلمك حقك وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟! إن هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله

إنما كان من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله، فلما توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه. قالت: والله لا كلمتك أبداً. قال: والله لاهجرتك أبداً. قالت: والله لأدعونَّ الله عليك. قال: والله لأدعونَّ الله لك. فلما حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلي عليها، فدُفنت ليلاً، وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة. ومن رواياتهم الصحيحة الصريحة في أنها صلوات الله عليها استمرت على الغضب حتى ماتت: ما رواه مسلم وأبو داود في صحاحهما، وأورده في جامع الأصول في الفصل الثالث من كتاب المواريث في حرف الفاء، عن عائشة قالت: إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة.

فغضبت فاطمة فهجرته، فلم تزل بذلك حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر إلّا ليالي. وكانت تسأله أن يقسم لها نصيبها ممّا أفاء الله على رسوله من خيبر وفدك، ومن صدقته بالمدينة. فقال أبو بكر: لست بالذي أقسم من ذلك، ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به فيها إلّا عملته، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. ثم فعل ذلك عمر، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، وأمسك خيبر وفدك، وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم. وقال في جامع الأصول: أخرجه مسلم، ولم يُخرج منه البخاري إلّا قوله: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة. ولقلة ما أخرج منه لم تعلم له علامة، وأخرج أبو داود نحو مسلم، انتهى.

تبيين

اعلم أن المخالفين في صحاحهم رووا أخباراً كثيرة: في أن من خالف الإمام، وخرج من طاعته، وفارق الجماعة، ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. روى في جامع الأصول من صحيح مسلم والنسائي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية. وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وروى في جامع الأصول أيضاً عنهما، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من طاعة السلطان شبراً مات ميتة جاهلية. وفي رواية أخرى: فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية.

وروى مسلم في صحيحه وذكره في جمع الأصول أيضاً، عن نافع قال: لما خلعوا يزيد واجتمعوا على ابن مطيع أتاه ابن عمر، فقال عبد الله: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال له عبد الله بن عمر: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. وأما من طرق أصحابنا فالأخبار فيه أكثر من أن تحصى، وستأتي في مظانها.

فنقول: لا أظنك ترتاب بعد ما أسلفناه من الروايات المنقولة من طريق المخالف والمؤالف في أن فاطمة صلوات الله عليها كانت ساخطة عليهم، حاكمة بكفرهم وضلالهم، غير مذعنة بإمامتهم ولا مطيعة لهم، وأنها قد استمرت على تلك الحالة حتى سبقت إلى كرامة الله ورضوانه. فمن قال بإمامة أبي بكر لا محيص له عن القول بأن سيدة نساء العالمين

ومن طهرها الله في كتابه من كل رجس، وقال النبي ﷺ في فضلها ما قال، قد ماتت ميتة جاهلية! وميتة كفر وضلال ونفاق!. ولا أظن ملحداً وزنديقاً رضي بهذا القول الشنيع. ومن الغرائب أن المخالفين لما اضطروا وانسدت عليهم الطرق، لجؤوا إلى منع دوام سخطها عليها السلام على أبي بكر، مع روايتهم تلك الأخبار في كتبهم المعتبرة. وروايتهم: أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر في حياة فاطمة عليها السلام، ولا بايعه أحد من بني هاشم إلّا بعد موتها، وأنه كان لعلي عليه السلام وجه في الناس حياة فاطمة عليها السلام، فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عن علي عليه السلام، فلما رأى ذلك ضرع إلى مصالحة أبي بكر، روى ذلك مسلم في صحيحه، وذكره في جامع الأصول في الباب الثاني من كتاب الخلافة في حرف الخاء. ولا يخفى وهن هذا القول بعد ملاحظة ما تقدم على ذي مسكة.

■ الأنصاري التبريزي:

قال الفاضل المجلسي رحمه الله: وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خط المصنف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها ما هذا لفظه: وجد بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوي ـ قدس الله روحه ـ أنه لما خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر حين ردها عن فدك استقبلها أمير المؤمنين عليه السلام، فجعلت تعنفه ثم قالت: اشتملت... إلى آخر كلامها، انتهى. و(انكفأت) بمعنى رجعت من كفأتُ القوم إذا أرادوا وجهاً فصرفتُهم إلى غيره فانكفؤوا ورجعوا، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة. و(توقعت) الشيء واستوقعته أي انتظرت وقوعه، وأصله بمعنى طلب وقوعه، والطلب يستلزم الانتظار فاستعمل فيه بهذه المناسبة، ولهذا اشعر من معنى الميل والرغبة أيضاً. و(اطلعت) على القوم أي أتيتهم استعارة من طلوع الكوكب ونحوه من الأفق وغيره، وطلعت عن

القوم غبت عنهم، وتطلُّع الطلوع انتظاره، وطلعت الجبل ـ بالكسر ـ علوته، وفي الحديث: (لا يهيدنكم الطالع) أي الفجر الكاذب، واطلعت على باطن أمره أي أشرفت عليه وعلمت به، وهو مأخوذ من معنى طلب العلو الملازم للعلو المستلزم للإشراف. (فلما استقرت بها الدار) أي سكنت بمجيئها كأنها كانت اضطربت وتحركت لخروجها، وهذا على سبيل الكناية فإن السفينة ونحوها في الماء إذا كانت خالية لا شيء فيها كانت متحركة مضطربة لخفتها، فإذا ألقي فيها بعض الأشياء الثقيلة واستقرت فيها استقرت السفينة لثقلها، ثم يكنى عن كون شيء في شيء باستقراره به أي بسببه. أو المراد هنا أن الدار كانت متزلزلة بنفسها أو بأهلها الكائنين فيها، فلما رجعت عليها السلام إليها استقرت بها أي بسبب رجوعها، وقال بعضهم: هو على سبيل القلب أي لما استقرت هي في الدار، كما يقال: إستقرت نوى القوم، واستقرت بهم النوى أي أقاموا. قولها عليها السلام: (اشتملت شملة الجنين...) يقال: اشتمل بالثوب أي أداره على جسده كله من شملهم الأمر ـ من باب علم ـ يشملهم إذا عمهم، ومن باب نصر لغة أيضاً وإن كانت ضعيفة. وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره، وجمع الله شمله أي ما تشتت من أمره، فيكون ظاهراً من الأضداد، ويمكن إرجاعه إلى المعنى الأول كما لا يخفى. والشملة ـ بالفتح ـ والمشملة كساء يشتمل به دون القطيفة، وفسر الشملة أيضاً بمطلق الكساء الذي يشتمل به، والشِّملة ـ بالكسر ـ هيئة الاشتمال فتكون مصدراً نوعياً، وعلى تقديره هنا فيكون إما مفعولاً مطلقاً من غير الباب كقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[1] أو اسم مصدر موضوعاً موضعه، أو أن في الكلام حذفاً وإيصالاً. وفي رواية السيد: (مشيمة

---

(١) آل عمران: ٣٧

الجنين) وهي محل الولد في الرحم، قيل: ولعله أظهر، والجنين الولد في الرحم أي مادام في البطن، فعيل بمعنى مفعول من جنه الليل أو غيره إذا ستره كما مرّ، أطلق عليه لكونه مستوراً في البطن، ويطلق الجنين على المقبور أيضاً. و(الحجرة) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم حظيرة الإبل ونحوه ومنه حجرة الدار، ويقال: احتجرت حجرة أي اتخذتها، والجمع حجر مثل غرفة وغرف وحجرات ـ بضم الجيم ـ، ويحتمل الحجرة ـ بفتح الحاء ـ يقال: حجرة القوم أي ناحية دارهم، وفي المثل: يربض حجرة ويرتعي وسطاً، والجمع حجر وحجرات كتمر وتمرات في تمرة. وأصل المادة من الحجر بمعنى المنع، يقال: حجر عليه القاضي يحجر حجرا إذا منعه من التصرف في ماله، ومنه الحجر ـ بتثليث الحاء ـ للحرام، وإن كان الكسر أفصح وعليه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[1] وبالفتح والكسر حجر الإنسان، كل ذلك يرجع إلى معنى المنع. و(الظنين) المتهم من الظن فعيل بمعنى مفعول أي المظنون في حقه بعض الظنون كناية عن اتهامه، والمعنى اختفيتَ عن الناس كالجنين، وقعدت عن طلب الحق المبين، ونزلت منزلة الخائف إليهم إذا نزل عليه العدو المهم. وفي رواية السيد: (الحجزة) بالحاء المفتوحة والزاء المعجمة مصدراً من قولك: حجزت البعير أحجزه حجزاً أي شددته بالحجاز ـ بكسر الحاء ـ وهو حبل يشد بوسط يدي البعير ثم يخالف فيعقد به رجلاه، ثم يشد طرفاه إلى حقويه ثم يلقى على جانبه شبه المقموط تداوى به دبرته فلا يستطيع له أن يمتنع، وقيل في كيفية شده غير هذا الوجه أيضاً. ويطلق الحجزة ـ بضم الحاء ـ على موضع شد الإزار، يقال: حجزة الإزار أي معقده، ثم يقال للإزار أيضاً حجزة

(١) الفرقان: ٢٢

للمجاورة، ويجعل شدة الحجزة كناية عن الصبر، وكل ذلك من الحجز بمعنى المنع، ومنه الحجاز للبلاد المعروفة سُمّيت بذلك لأنه حجزت بين نجد والغور، والمعنى على هذه الرواية: إنك قعدت محجوزاً ممنوعاً مثل ممنوعية الظنين، ولا يخلو عن تكلف. ويحتمل الجحزة - بكسر الجيم وسكون الحاء وفتحها - أيضاً، وهي مكمن الحيوانات الأرضية أي الحشرات المستورة في المكامن على سبيل الاستعارة، نظير ما وقع في قوله عليه السلام: (لو كان المؤمن في جحر ضب قيض الله له من يؤذيه). و(النقض) نقض البناء والحبل والعهد ونحو ذلك، وهو خلاف الإبرام ونقيض الإحكام، ويطلق على كل شيء محكم وحل كل أمر مبرم، وتَنَقَّضَتِ الأرض عن الكمأة أي تفطرت، وأصل النقض بمعنى التصويت لاشتمال كل نقض على الصوت، ومنه يقال: انقضت العقاب انقضاضاً أي صوتت، وأنشد الأصمعي: (تنقض أيديها نقيض العقبان). والأنقاض والكتيت أصوات صغار الإبل، والقرقرة والهدير أصوات مسان الإبل، وأنقض الحمل ظهره أي أثقله، قال في الصحاح: وأصله الصوت أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1]. و(القادمة) واحدة قوادم الطير أي مقاديم ريشه، وهي عشر في كل جناح قادمة، وأصلها فاعلة من قدم يقدم قدوماً بمناسبة كونها مقدمة، وهي خلاف الخوافي جمع الخافية، وهي صغار الريش المختفية تحت القوادم وخلفها، ويقال: إن الريش الخوافي قوة للقوادم. و(الأجدل) الصقر من الجدل بمعنى القوة والاستحكام منه بمعنى فتل الحبل ونحوه على سبيل الإحكام، كما قال المتنبي في صفة كلب وصفه:

---

(١) الشرح: ٣

يقعي جلوس البدوي المصطلي بأربع مجدولة لم تجدل

سمي الأجدل بذلك لاستحكام أعضائه وقوته بالنسبة إلى الطيور من أمثاله، والمراد من الخيانة هنا عدم الموافاة وعدم الإعانة ونحو ذلك. و(الأعزل) الذي لا سلاح معه كأنه في معزل من معركة القتال، من العزلة بمعنى الانقطاع عن الخلق، وعدم الإنس معهم، وعدم الدخول في جملتهم، ويطلق المعتزل على كل من انقطع من شيء عيناً كان أو معنى، ومنه سمي المعتزلة بذلك لاعتزالهم عن مذهب الأشاعرة الذين هم الطائفة القوية من أهل السنة والجماعة، لما اعتزل شيخهم واصل بن العطاء عن شيخه أبي الحسن الأشعري في المذهب والطريقة، مثل إثبات المنزلة بين المنزلتين، والقول بأن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن، وغير ذلك ممّا فصل في محله. قيل: والمراد بالأعزل هنا هو الصقر الذي نقضت قوادمه، شبهته عليها السلام بمن لا سلاح له، وإن المعنى إنك تركت طلب الخلافة في أول الأمر قبل أن يتمكنوا منها ويشيدوا أركانها، وظننت أن الناس لا يرون غيرك أهلاً للخلافة، ولا يقدمون عليك أحداً، فكنت كمن يتوقع الطيران من صقر منقوضة القوادم فلم يطر، فظهر خلاف ظنه وهو الخيانة. وقيل: المراد من الأعزل هنا أراذل الناس، وإن المعنى على وجه الاحتمال أنك نازعت الأبطال، وخضت الأهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، وفللت حدتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والأرذال، وسلمت لهم الأمر ولم تنازعهم. وإن الأظهر على هذا أن تكون النسخة في الأصل خاتك ـ بالتاء المثناة الفوقانية ـ فصحفت قال الجوهري: خات البازي واختات إلى الطير أي انقض ليأخذه، قال الشاعر: (يخوتون أخرى القوم خوت الأجادل) والخائتة

العقاب إذا انقضت فسمعت صوت انقضاضها، والخوات دوي جناح العقاب، والخوات ـ بالتشديد ـ الرجل الجريء لتصوته وانقضاضه إلى الحرب انقضاض العقاب. وحاصل هذا المعنى أن يقال: إنها عليها السلام شبهت الأعراب أو أهل الجاهلية مثلاً بالأجدل، وأن علياً نقض قوادمه كناية عن قتل وجوه القوم ورؤسائهم وأبطالهم وشجعانهم، وبقي هذا الأجدل أعزل من القوادم ولم يبق له إلّا الريش الخوافي، فهو أي هذا الأجدل الأعزل انقض إلى علي عليه السلام بالخوافي من ريشه فاصطاده وجعله مقهوراً مأخوذاً، وهذا كناية عن غاية إبراز قدرته عليه السلام أولاً، وغاية إخفائها أخيراً، وهذا ممّا يقضى منه العجب، ولعل المراد من الجملة أيضاً التعجب. وفي رواية السيد: نفضت ـ بالفاء ـ من نفضت الثوب والشجر ـ من باب نصر ـ إذا حركته لينتفض، ونفضته ـ بالتشديد ـ للمبالغة، قال في الصحاح: النفض ـ بالتحريك ـ ما تساقط من الورق والثمر، وهو فعل بمعنى المفعول كالقبض بمعنى المقبوض. و(الابتزاز) الاستلاب وأخذ الشيء بقهر وغلبة من البز بمعنى السلب، يقال: بزه يبزه بزّاً أي سلبه، وفي المثل: من عز بز أي من غلب أخذ السلب أو سلب من غلب، ولعل منه البز بمعنى أمتعة البزاز وبمعنى السلاح بمناسبة أن من شأنها السلب. و(النحلة) بكسر النون العطية والهبة أي الإعطاء بلا عوض من النحل ـ بالضم ـ مصدر قولك: نحلته من العطية أنحله نحلا ـ من باب منع ـ أي أعطيته، والنُحْلى العطية على فعلى ـ بالضم ـ، ونحلت المرأة مهرها أي أعطيته من طيب نفس من غير طلبة أو من غير أن تأخذ عوضا، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1] أي هبة، يعني أن المهور هبة من الله تعالى، وفي بعض النسخ: (نحيلة)

---

(١) النساء: ٤

فعيلة بمعنى مفعولة. و(البلغة) بالضم ما يتبلغ به من العيش ويكتفى به، وهو سبب بلوغ العمر إلى الغاية والأجل إلى النهاية، وفي بعض النسخ (بُلَيْغة) بالتصغير، فالتصغير في النحيلة أيضاً أنسب. و(ابني) إما بتخفيف الياء فالمراد به الجنس، أو تشديدها على التثنية. و(أجهد) بمعنى اجتهد مبالغة جهد ـ على ما مرّ ـ وقال الجزري: اجتهد الرجل في الأمر إذا جد وبالغ، وأجهد دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وهذا على نسخة السيد، وفي بعض النسخ: (أجهر) بالراء من الإجهار بمعنى الإعلان من الجهر بمعنى رفع الصوت ونحوه ممّا فيه معنى الإظهار، ومنه رجل جهوري الصوت وجهير الصوت، والفعل منه جهر جهراً ـ من باب شرف ـ أي ارتفع وظهر، أو جهره ـ من باب منعه ـ جهراً أي أظهره ورفعه. ومنه الجوهر على قول بجعله ككوثر لزيادة المبالغة في الوضوح والبريق واللمعان، مثل الكوثر لزيادة المبالغة في كثرة الخير، والوجه الآخر أنه معرب (گوهر) ولا منافاة بين صحة كلا الوجهين لتصادف الأمرين. و(الخصام) مصدر كالمخاصمة ويحتمل أن يكون جمع خصم، وأصل الخصم وإن قيل يستوي فيه الجمع والمؤنث لأنه في الأصل مصدر، لكن من العرب من يثنيه ويجمعه، والأكثر في جمعه خصوم والتثنية في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[1] للنوع لا للشخص. والمراد في الخطبة من الفقرة المذكورة ان ابن أبي قحافة مع ما كان له من الرذالة قد بالغ في الوقاحة، واجتهد في المخاصمة، وأجهر لي العداوة، وأغلظ معي في الكلام بين أولئك الخصام أي المجتمعين من الصحابة عنده في المسجد. و(ألفيته) أي

(١) الحج: ١٩

وجدته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾[1]. و(الألدُّ) هو شديد الخصومة، وليس فعلاً ماضياً فإن فعله على بناء المجرد، يقال: لَدَّهُ يلُدُّهُ ـ من باب نصر وتعب أيضاً ـ بمعنى خصمه، وقيل: هو من باب تعب بمعنى اشتدت خصومته، ومن باب نصر شدد خصومته، والألد هو شديد الخصومة بينها، وقوم لُدّ ـ بضم اللام ـ جمع ألدّ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[2] أي شديد المخاصمة والعداوة بين المسلمين. وقولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (في كلامي) هو إما من قبيل الإضافة إلى المخاطب، أو إلى المتكلم، أو إلى الفاعل أو المفعول، و(في) للظرفية أو السببية، وفي بعض النسخ: (أَجْهَدَ في ظُلامتي، وأَلَدَّ في خصامي). قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (حتى حبستني قَيْلَة نصرها...) حبستني أي حبست عني ومنعت عني نصرها أي لم تنصرني، وقَيْلَة هي اسم أم قديمة لقبيلتي الأنصار، كما مرّ في شرح قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (أيها بني قيلة). والمراد هنا أيضاً بنو قيلة لأن القبيلة تسمى باسم أبيها أو أمها أيضاً كما يقال: بكر وبنو بكر، وأسد وبنو أسد، وتيم وبنو تيم ونحو ذلك، وفي رواية السيد: (حين منعتني الأنصار نصرها). و(المهاجرة) هم المهاجرون وموصوفها محذوف أي الطائفة المهاجرة مثلاً، والمراد بوصلها عونها فإن الإعانة تستلزم المواصلة الظاهرية والباطنية، وبخلافه ترك الإعانة، ولا يخفى اللطف في نفي الوصل عن المهاجرة. و(الطَرْف) بالفتح: العين ـ كما مرّ ـ وغضه خفضه من غض الرجل طرفه وصوته ومن طرفه وصوته غضّاً ـ من باب قتل ـ أي خفض، ومنه قول الشاعر:

---

(١) الصافات: ٦٩

(٢) البقرة: ٢٠٤

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغنُّ غضيض الطرف مكحولُ

ومنه يقال: غضَّ من فلان غضّاً وغضاضة إذا تنقصه، والغضغضة: النقصان، وغض الطرف كناية عن عدم الاعتناء. (فلا دافع ولا مانع) أي موجودين الآن أي ليس الآن أو لم يكن أحد يدفع عني بغي الأعداء ويمنعهم عني ويغنيني في هذه الدعوى، وفي رواية السيد بعد قولهاعليها السلام ولا مانع: ولا ناصر ولا شافع. قولهاعليها السلام: (خرجت كاظمة...) كظم الغيظ تجرعه والصبر عليه كما مر. و(رغم) فلان ورغم أنف فلان رغماً ـ من باب قتل ومن باب تعب ـ لغة أيضاً كناية عن الذل والعجز عن الانتصاف ممن ظلمه ونحو ذلك، كأنه لصق هواناً بالرُغام ـ بالضم ـ وهو التراب، ويتعدى بالألف فيقال: أرغم الله أنفه أي أذله، وفعلته على رغم أنفه ـ بالفتح والضم ـ أي على كره منه، وراغمته: غاضبته، وهذا ترغيم له أي إذلال. والظاهر من الخروج الخروج من البيت إلى المسجد، وهو لا يناسب كاظمة، إلّا أن يراد منه الامتلاء من الغيظ فإنه من لوازم الكظم، أو أن يراد من الكظم عدم زوال الغيظ بما يوجب زواله من التسلط على الأعداء، ويحتمل أن يكون الخروج من المسجد المعبر عنه ثانياً بالعود ـ كما قيل ـ وفي رواية السيد مكان عدت: رجعت. قولهاعليها السلام: (أضرعتَ خدك...) ضرع الرجل ـ مثلثة ـ ضراعة خضع وذل وأضرعه غيره، وفلان ضارع الجسم أي ضعيف نحيف، وتضرع إلى الله أي ابتهل، وإسناد الضراعة إلى الخد لأن أظهر أفرادها وضع الخد على التراب، أو لأن الذل يظهر في الوجه. و(إضاعة) الشيء وتضييعه: إهماله وتركه وإبطاله. و(حد) الرجل قدره وخطره وشأنه، وبمعنى البأس والشدة أيضاً، وبمعنى الحاجز بين الشيئين ومنتهى الشيء

مثل حددت الدار ـ من باب قتل ـ وكذلك حددتها ـ بالتشديد، وفي بعض النسخ بالجيم المكسورة أي تركت اهتمامك وسعيك، أو بالفتح بمعنى الحظ والبخت، وفي رواية السيد: فقد أضعت جدك يوم أضرعت خدك. و(فَرَس) الأسد الشاة ـ من باب ضرب ـ وافترسها أي دق عنقها فهي فريسة ومفترسة أي مدقوقة العنق، ثم تستعمل الفريسة في كل صيد مأخوذ، ويستعمل الفُرْس والافتراس في كل قتل، وقد نُهي عن الفرس في الذبح وهو كسر عظم الرقبة قبل أن يبرد، قال بعضهم: يقال أكل الذئب الشاة ولا يقال افترسها، وأبو فراس كنية الأسد. و(افتراش التراب) أخذه فَرْشاً ـ بكسر الفاء ـ وهو ما يبسط ويجلس عليه، وجمعه الفُرْش ـ بضمتين ـ ككتاب وكتب، والمعنى قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض، وقنعت بالغبراء البسيطة عن البسط والفرش الرفيعة، وتركت الخلافة التي هي فريستك حتى افترسها وأخذها الثعالب والأرانب، وأنت أسد الله الغالب المفترس للذئاب جمع الذئب. وفي بعض النسخ: الذباب ـ بالباءين الموحدتين ـ جمع ذبابة، فيقرأ: افترست ـ مجهولاً ـ أي جعلت فريسة للذباب كناية عن الأراذل والضعفاء الغاصبين للخلافة، وفي بعض النسخ: افترست الذئاب وافترستك الذباب، وفي رواية السيد مكانهما: (وتوسدت الوراء كالوزغ، ومستك الهناة والنزغ). والوراء بمعنى الخلف، والهناة الشدة والفتنة وكل شيء مستنكر من الحالة والفعلة وغيرهما، والنزغ الطعن والفساد، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[1]. و(الكف) المنع، يقال: كفه أذاه أي منعه، ومنه الكف لراحة الإنسان لأنه يمنع بها الأعداء. و(الإغناء) الإجزاء والكفاية من غني الرجل يغنى إذا صار كافياً مجزياً بما في يده فحصل

(١) الأعراف: ٢٠٠

له الاستكفاف عن الغير، وحاصله عدم الحاجة يقال: ما أغنى عنه ماله أي ما كفاه وما أجزأه، والحاصل أنه ما نفعه وما أفداه وأجداه، يقال: ما يغني عنك هذا أي ما يجديك وما ينفعك. و(الطائل) من الطول ـ بالفتح ـ بمعنى العطاء، أطلق عليه لامتداده فإن نفعه دائمي يمتد، ثم أطلق الطائل على العطاء وكل ما يفيد، يقال: هذا أمر لا طائل فيه إذا لم يكن فيه غناء ومزية، ولا أغنيت طائلاً أي ما فعلت شيئاً نافعاً، وفي بعض النسخ: ولا أغنيت باطلاً أي ما كففته ولا دفعته. قولهاعَلَيْهَاٱلسَّلَامُ: (ولا خيار لي...) أي ولا اختيار لي أي لا قوة ولا قدرة لي على دفع الأعداء، أو إنه لا خيار للنساء مع وجود الأزواج فإن أمورهن بأيديهم، أو أن من شأن النساء أن لا يتعرضن لأمثال هذه الأمور وإن التكليف على الرجال بقدر الميسور. و(الهينة) بالفتح العادة في الرفق والسكون، ويقال: امش على هينتك أي على رسلك، أي ليتني مت قبل هذا اليوم الذي لابد له فيه من الصبر على ظلمهم ولا محيص لي عن الرفق كذا قيل. والظاهر كسر الهاء من الهون بمعنى الحقارة أي ليتني مت قبل هذا اليوم الذي أصابتني فيه تلك المهانة، ولم أر هذه الاستكانة والإهانة، يقال: أهانه استخف به من الهون بمعنى الذل والضعف، ومنه شيء هين على فَيْعِل أي سهل. و(الزلة) بفتح الزاء كما في النسخ الاسم من قولك: زللت في طين أو منطق إذا زلقت، ويكون بمعنى السقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم، ودون هنا بمعنى عند، ويمكن أن يكون بالذال المعجمة المكسورة كما في رواية السيدرَحِمَهُٱللَّهُ: والهفتاه ليتني مت قبل ذلتي ودون منيتي. قولهاعَلَيْهَاٱلسَّلَامُ: (عَذِيرِيَ الله...) العذير بمعنى العاذر كالسميع بمعنى السامع، قال نجم الأئمّة: قولهم عذيرك من فلان أي هات من يعذرك لأجل الإساءة إليه أي إنك معذور إن أسأت إليه، ولكن هات من يعذرك

أي قل من يعذرك أي يقبل عذرك في ذلك لعدم علمه بحقيقة الحال، فيكون عذيرك مفعولاً للفعل المحذوف، وعليه يخرج قول علي عليه السلام:

عَذِيْرُكَ من ثقة بالذي
يُنيلك دنياك من طابها

وقوله في ابن ملجم المرادي:

أريد حياته ويريد قتلي
عَذِيرُكَ من خليلِكَ من مرادِ

وهكذا غير ذلك ممّا يكون على هذا التركيب، وقال الجوهري: عذيرك من فلان أي هات من يعذرك منه أي يلومه ولا يلومك، وتفصيل الكلام في ذلك موكول إلى محله. والعذر ما يُدفع به اللوم، والعاذر صاحب العذر وقابل العذر من الأضداد وكذلك العذير، والغالب فيهما هو الثاني كما هو المراد هنا، فيقال: عَذَرْتَ في هذا الأمر - من باب نصر وضرب - أي أتيت بالعذر، وعذرته في هذا الأمر أي قبلت عذره وجعلته معذوراً، و(عذيري) و(الله) هنا مرفوعان بالابتدائية والخبرية أي الله قابل عذري في إساءتي إلى ابن أبي قحافة في هذه المخاطبة المثبتة لكفره بين القوم لو تأملوا في المقالة، وفي انتقامي منه في أيام الرجعة وفي القيامة. و(عادياً) حال أو تمييز من الضمير في منه، من عدا يعدو عليه عدواً وعدواناً ظلم وتجاوز الحد، كما يقال: عداه أي صرفه عنه فهو عاد والجمع العداة كقاض وقضاة. وإما الأعداء والعدى فهما جمع العدو فعولاً بمعنى فاعل، قيل: يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ولعله

(١) الشعراء: ٧٧

بحسب الأصل، وإلّا فقد يثنى ويجمع ويؤنث فيقال: هما عدوان، وهم أعداء، وهي عدوة الله، ويقال: استعديتَ الأمر على الظالم إذا طلبتَ إليه ليعديك على من ظلمك أي ينتقم منه بأعدائه عليك، أي طلبت منه أن يعدو على الظالم لأجل عدوانه عليك، والاسم منه العدوى. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (ومنك حامياً) أي الله يقبل عذري أيضاً في إساءتي إليك، وإيذائي إياك بالمخاطبة الخشنة، والمكالمة الغليظة في حال حمايتك عني، والحماية عن الرجل الدفع عنه. وفي بعض النسخ: عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً أي الله يقبل العذر أو يقيمه من قبلي في إساءتي إليك حال صرفك المكاره ودفعك الظلم عني، أو حال تجاوزك الحد في القعود عن نصري أي عذري في سوء الأدب وأنك قصرت في إعانتي والذب عني، ويحتمل أن يكون عذيري منصوباً كما هو الشائع في هذه الكلمة، و(الله) مجروراً بالقسم ـ كما قيل ـ ويظهر المعنى ممّا ذكر ولعل الأول أظهر. قولهاعَلَيْهَاالسَّلَامُ: (ويلاي في كل شارق...) قال الجوهري: ويل كلمة مثل ويح إلّا أنها كلمة عذاب، يقال: ويله وويلك وويلي، قال الأعشى: (ويلي عليك وويلي منك يا رجل). ويطلق على الشدة والشر ونحوهما، وفي بعض الأخبار: إنه اسم لبئر في جهنم، وليس هذا المعنى بمراد هنا، ويقال في الندبة: ويلاه، ولعله جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلم، ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية مراداً بها تكرير الويل، وهو مبتدأ والظرف خبره، أو الخبر محذوف، أو خبر مبتدأ محذوف. وفي رواية السيد: (ويلاه في كل شارق، ويلاه في كل غارب، ويلاه مات العمد وذل العضد) وفي بعض النسخ: وفات المعتمد. و(الشارق) الشمس كالغارب، والشرق: المشرق والشمس أيضاً، يقال: طلع الشرق ولا آتيك ما ذر شارق، والمشرقان مشرق الصيف والشتاء، وشرقت الشمس تشرق

شروقاً ـ من باب نصر ـ أي طلعت، وأشرقت أي أضاءت. و(العُمُد) بالتحريك وبضمتين جمع العمود عمود البيت الذي به قوامه، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[1] والمراد هنا من العمد من يُعتمَد عليه في الأمور كناية عن النبي ﷺ وبعض الأصحاب والأقرباء مثل حمزة سيد الشهداء وغيره. و(الشكوى) اسم من قولك: شكوت فلاناً شكاية. و(العدوى) طلبك إلى وال لينتقم لك ممن ظلمك كما أشير إليه. و(الحول) القوة والحيلة والدفع والمنع والكل هنا صحيح، ولا حول ولا قوة إلّا بالله أي لا قوة، فالعطف تفسيري للتأكيد أي لا قوة على ترك المعصية وفعل الطاعة إلّا بالله، أو الحول بمعنى المنع كما ورد في الأخبار أي لا منع ولا صرف عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله إلّا بالله. و(الأحدُّ) الأشدُّ حدّاً وقوة وقطعاً. و(البأس) العذاب ويطلق على الشدة في الحرب ونحو ذلك، ويقال: بَؤُسَ الرجل يَبْؤُسُ بُؤْساً ـ من باب شرف ـ إذا كان شديد البأس فهو بئيس أي شجاع، وعذاب بئيس أي شديد، وبَئِسَ الرجل يَبْأَسُ بَأْساً إذا كان شديد الحاجة فهو بائس مسكين، والأَبْؤُس جمع بُؤس من قولهم: يوم بؤس ويوم نعم، والأبؤس أيضاً الداهية، وفي المثل: عسى الغوير أبؤساً. و(التنكيل) العذاب والعقوبة، وجعل الرجل نكالاً وعبرة لغيره، وأصله من النكل ـ بالكسر ـ بمعنى القيد، وتنكيل العبد عقوبته بقطع أنفه أو أذنه أو غيرهما ممّا يشتهر به فيكون عبرة لغيره. و(الشانئ) المبغض من الشناءة كالشناعة بمعنى البغض، وقد شنأته ـ من باب تعب ـ شَنْأً ـ بالتثليث ـ وشنآناً أي أبغضته وعاديته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[2] وفي

(١) الهمزة: ٩

(٢) المائدة: ٢

الخبر: (لا أبا لشانئك)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1] أي مبغضك، وفي بعض النسخ بدل لشانئك: لمن أبغضك. و(نهنهت) الرجل عن الشيء فتنهنه أي كففته وزجرته فكف، وتقول: نهنهت السبع إذا صحت به لتكفه، والمنهنه الذي يكف الغير عن الشيء. و(الوجد) بفتح الواو المراد به هنا الغضب، يقال: وجد عليه إذا غضب، وأصله من الوجدان والمراد وجدان شيء في القلب من الغضب والحزن وغيرهما، فيستعمل في الهوى أيضاً وشدته ولوعته أيضاً أي نهنهي نفسك عن الغضب وامنعيه عنها، وكفيها حتى لا يتطرق إليها، وفي بعض النسخ: (تنهنهي) وهو الأظهر، وفي بعض النسخ: (نهنهي عن عزبك) أي عن شدتك وحدتك. و(الصفوة) بفتح الصاد وقيل مثلثة من الصفاء ـ ممدوداً ـ خلاف الكدر، وصفوة الشيء خالصه والمراد مختاره ومنتخبه، ومحمد ﷺ صفوة الله من خلقه ومصطفاه، ويطلق على كل نبي عموماً وعلى آدم عليه السلام خصوصاً، والمراد هنا محمد ﷺ لأنه الفرد الأكمل، فينصرف الإطلاق إليه سيما مع وجود القرينة. و(البقية) فعيلة من البقاء بمعنى الباقي، والمراد من كونها عليها السلام بقية النبوة بقية النبي ﷺ، والإضافة لامية مفيدة للاختصاص والنسبة بدون معنى التبعيض أو مع لحاظ البعضية أيضاً، فإن النجل بعض من نجله مضافاً إلى قوله ﷺ: فاطمة بضعة مني. و(الونى) كفتى الضعف والفتور والكلال والإعياء ونحو ذلك، والفعل كوقى يقي أي ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربي، وما ضعف ديني وعقيدتي ولو ضعفت في أمري من حيث الظاهر والصورة، فإن نحو هذا الضعف لا يضر في الحقيقة، وليس ذلك محل اللوم والعتاب، وفي بعض النسخ: (فما ونيت عن حظك) والمراد عن

(١) الكوثر: ٣

حقك. قوله عليه السلام: (ولا أخطأت مقدوري...) الإخطاء عن الشيء التجاوز عنه إلى غيره وهو الخطأ عنه مقابل الإصابة، والمقدور هو ما يكون تحت قدرة الإنسان أي ما تبلغه قدرته من الأفعال، ولو تعلق بالأعيان فإن الأفعال هي متعلق القدرة أي ما تركت مادخل تحت قدرتي، أي ليس لي قدرة على دفع هذه الحادثة لما أمرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله من إهمال القوم وتركهم سدى حتى يتميز الخبيث من الطيب، فليس رفع هذا الظلم مقدوراً لي في هذا الآن، بناء على تلك المصلحة التي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالقعود عن طلب الأمر بالغلبة والقهر لأجل تلك المصلحة. و(البلغة) بضم الباء ما يتبلغ به من العيش، وهو قدر الكفاف والعفاف في أمر المعيشة من بلغ يبلغ بلوغاً، وفي بعض النسخ: (فإن ترزئي حقك) من رزأه ماله كجعله وعمله رزءاً أصاب منه شيئاً. و(رزقك مضمون) أي الله تعالى ضامن رزقك كما قال علي عليه السلام في نهج البلاغة: (عياله الخلائق ضمن أرزاقهم، وقدر أقواتهم). وفي الأخبار أيضاً: (لو أن ابن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت). وعن النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: ألا إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.. إلى آخر الرواية، إلى غير ذلك. و(الكفيل) هو الضامن أيضاً أي الذي هو ضامن رزقك وهو الله تعالى مأمون لا يتطرق إلى قوله ووعده احتمال الكذب والخلف فيما وعده وضمنه مع تحقق بقائه، فلا يتطرق إليه سبحانه احتمال الزوال والفناء لأنه الأزلي الأبدي الذي لم يزل ولا يزال، ولا يتطرق إليه تغير الأحوال، وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ

نَطِقُونَ﴾[1]، وفي بعض النسخ: ولعيلتك مأمون أي فقرك، فلا خوف منه عليك ولا على ولدك. و(الإعداد) التهيئة وأخذ الشيء عدة كما مرّ، وما أعدَّ لك أي ما هيَّأ لك أي ما هيأه الله لك في الآخرة من الثواب في دار الجنة، ومن التفضلات في عرصات القيامة من الشفاعة الكبرى لأمَّة أبيك، وشيعة بعلك وذريتك وغيرها في مقابل هذه الذلة الدنيوية، والأحزان المتواردة عليك والمتراكمة إليك، أفضل ممّا قطع عنك في الدنيا، أي قطع الأمة من حقوقك الدنيوية من فدك والعوالى، أو الإرث، أو لذة الرئاسة ولو من جهة خلافة عليعَلَيْهِالسَّلَامُ ونحو ذلك، وفي بعض النسخ: وما عند الله خير لك ممّا قُطع عنك. (فاحتسبي الله) من الاحتساب بمعنى الاعتداد، ويطلق الاحتساب أيضاً على فعل من يُنوى بعمله وجه الله تعالى أي اصبري طلباً لرضاء الله، وادخري ثوابه عند الله، أو توكلي على الله وقولي حسبي الله، فقالتعَلَيْهَاالسَّلَامُ حينئذ: حسبي الله. ويقال: هو في مقام إنشاء التوكل على الله أي الله تعالى محسِّبي وكافئي وهو حسبي ونعم الوكيل أي أعتمد في أموري عليه، فكلما رآه مصلحة في حقي فهو أولى بي من نفسي. وفي بعض النسخ بعد قولها حسبي الله: ونعم الوكيل، وفي بعضها بعد قولهعَلَيْهِالسَّلَامُ فاحتسبي الله: فرفعت يدها الكريمة فقالت: رضيت وسلمت، فأمسكتعَلَيْهَاالسَّلَامُ حينئذٍ عن الكلام وسكتت. فسحقاً سحقاً لابن أبي قحافة، وبعداً بعداً لابن صهاك الحبشية، والعجب كل العجب أن بنت خير النبيين، وسيدة نساء العالمين تخرج من بيتها لطلب حقها الواضح المبين، فلا ينصرها أحد من الأنصار والمهاجرين ولا من سائر المسلمين، وبنت أبي بكر بن أبي قحافة داعي ضيافة عبد الله بن جدعان تخرج إلى قتال أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ، فيجتمع

---

(١) الذاريات: ٢٢ - ٢٣

لنصرها جنود مجندة من الصحابة والتابعين، وعساكر مجتمعة من المردة والشياطين.

في بيان عصمة الزهراء عليها السلام وبيان ما يدل على كونها صلوات الله عليها محقة في دعوى فدك، مع قطع النظر عن عصمتها، وبيان أن فدكاً كانت نحلة لفاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن أبا بكر ظلمها بمنعها، وتوضيح بطلان ما ادعاه أبو بكر من عدم توريث الأنبياء عليهم السلام.

فصل في الكلام على ما يستفاد من أخبار الباب والتنبيه على ما ينتفع به طالب الحق والصواب وهو مشتمل على فوائد:

الأولى: (في بيان عصمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها)

نقول: لا شك في عصمة فاطمة عليها السلام، أما عندنا فللإجماع القطعي المتواتر، والأخبار المتواترة الآتية في أبواب مناقبها عليها السلام، وأما الحجة على المخالفين فبآية التطهير الدالة على عصمتها، وسيأتي إثبات نزول الآية في جماعة كانت داخلة فيهم، ودلالة الآية على العصمة في المجلد التاسع، وبالأخبار المتواترة الدالة على أن إيذاء الرسول وابنته صلوات الله عليهما، وأن الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وسيأتي في أبواب فضائلها صلوات الله عليها، ولنذكر هنا بعض ما رواه المخالفون في ذلك، فمنها:

١ ـ ما رواه البخاري في صحيحه في باب مناقبها عليها السلام عن المسور

بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.

٢ ـ وروى أيضاً في أبواب النكاح عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وهو على المنبر ـ: إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم إلّا أن يريد علي بن أبي طالب عليه السلام أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني، يريبني ما رابها ويؤذيني من آذاها.

٣ ـ وقد روى الخبرين مسلم في صحيحه، وروى مسلم والبخاري أن رسول الله ﷺ قال: إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها.

٤ ـ وروى الترمذي في صحيحه عن ابن الزبير، قال: إن علياعليه السلام ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها. وقد ذكر الروايات المذكورة ابن الاثير في جامع الأصول، مع روايات أخرى تؤيدها.

٥ ـ وروى في المشكاة عن المسور أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني. قال: وفي رواية: يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. ثم قال: متفق عليه. وروى ابن شهر آشوب في المناقب، والسيد في الطرائف، وابن بطريق في العمدة والمستدرك، وعلي بن عيسى في كشف الغمة وغيرهم أخباراً كثيرة في هذا المعنى من أصول المخالفين أوردتها في أبواب فضائلها. ووجه الاستدلال بها على عصمتها صلوات الله عليها أنه إذا كانت فاطمةعليها السلام ممن تقارف الذنوب وترتكبها لجاز إيذاؤها، بل إقامة الحد عليها لو فعلت معصية أو ارتكبت ما يوجب حداً، ولم يكن رضاها رضى الله سبحانه إذا رضيت

بالمعصية، ولا من سرها في معصية سار لله سبحانه ومن أغضبها بمنعها عن ارتكابها مغضباً له جل شأنه.

فإن قيل: لعل المراد من آذاها ظلماً فقد آذاني، ومن سرها في طاعة الله فقد سرني.. وأمثال ذلك، لشيوع التخصيص في العمومات.

قلنا:

أولاً: التخصيص خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلّا بدليل، فمن أراد التخصيص فعليه إقامة الدليل.

وثانياً: ان فاطمة صلوات الله عليها تكون حينئذٍ كسائر المسلمين لم تثبت لها خصوصية ومزية في تلك الإخبار، ولا كان فيها لها تشريف ومدحة، وذلك باطل بوجوه:

الأول: أنه لا معنى حينئذٍ لتفريع كون إيذائها إيذاء الرسول على كونها بضعة منه، كما مرّ فيما صححه البخاري ومسلم من الروايات وغيرها.

الثاني: أن كثيراً من الأخبار السالفة المتضمنة لإنكاره صلى الله عليه وآله على بني هاشم في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب عليه السلام أو إنكاح بنت أبي جهل ليس من المشتركات بين المسلمين، فإن ذلك النكاح كان ممّا أباحه الله سبحانه، بل ممّا رغب فيه وحث عليه لولا كونه إيذاء لسيدة النساء، وقد علل رسول الله صلى الله عليه وآله عدم الإذن كونها بضعة منه يؤذيه ما آذاها ويريبه ما يريبها، فظهر بطلان القول بعموم الحكم لكافة المسلمين.

الثالث: إن القول بذلك يوجب إلقاء كلامه صلى الله عليه وآله وخلوه عن الفائدة، إذ مدلوله حينئذٍ أن بضعته كسائر المسلمين، ولا يقول ذلك من اوتي حظا من الفهم والفطانة، أو اتصف بشيء من الإنصاف والأمانة، وقد أطبق

محدثوهم على إيراد تلك الروايات في باب مناقبها صلوات الله عليها.
فإن قيل: أقصى ما يدل عليه الأخبار هو أن إيذاءها إيذاء للرسول ﷺ، ومن جوز صدور الذنب عنه ﷺ لا يأبى عن إيذائه إذا فعل ما يستحق به الإيذاء. قلنا: بعد ما مرّ من الدلائل على عصمة الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[3]، فالقول بجواز إيذائه ﷺ رد لصريح القرآن، ولا يرضى به أحد من أهل الإيمان.

فإن قيل: إنما دلت الأخبار على عدم جواز إيذائها، وهو إنما ينافي صدور ذنب عنها يمكن للناس الاطلاع عليه حتى يؤذيها نهياً عن المنكر، ولا ينافي صدور معصية عنها خفية فلا يدل على عصمتها مطلقاً.

قلنا: نتمسك في دفع هذا الاحتمال بالاجماع المركب على أن ما جرى في قصة فدك وصدر عنها من الإنكار على أبي بكر، ومجاهرتها بالحكم بكفره وكفر طائفة من الصحابة وفسقهم تصريحاً وتلويحاً، وتظلمها وغضبها على أبي بكر وهجرتها وترك كلامها حتى ماتت لو كانت معصية لكانت من المعاصي الظاهرة التي قد أعلنت بها على رؤوس الأشهاد، وأي ذنب أظهر وأفحش من مثل هذا الرد والإنكار على الخليفة المفترض الطاعة على العالمين بزعمهم، فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم العظمى تحرزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيدة النساء. ونحتج أيضاً في عصمتها صلوات الله عليها بالأخبار

---

(١) التوبة: ٦١
(٢) الأحزاب: ٥٣
(٣) الأحزاب: ٥٧

الدالة على وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام، وعدم جواز التخلف عنهم، وما يقرب من هذا المعنى، ولا ريب في أن ذلك لا يكون ثابتاً لاحد إلّا إذا كان معصوماً، إذ لو كان ممن يصدر عنه الذنوب لما جاز اتباعه عند ارتكابها، بل يجب ردعه ومنعه وإيذاؤه، وإقامة الحد عليه، وإنكاره بالقلب واللسان، وكل ذلك ينافي ما حث عليه الرسول صلى الله عليه وآله وأوصى به الأمة في شأنهم، وسيأتي من الأخبار في ذلك ما يتجاوز حد التواتر، ولنذكر فيها قليلاً ممّا أورده المخالفون في صحاحهم.

٦ ـ روي في جامع الأصول عن الترمذي ممّا رواه في صحيحه عن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع يوم عرفة ـ وهو على ناقته القصوا ـ يخطب فسمعته يقول: إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

٧ ـ وروي ـ أيضاً ـ، عن الترمذي، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما!.

٨ ـ وروي في المشكاة عن أبي ذر أنه قال ـ وهو آخذ بباب الكعبة ـ: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ألا إن مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.

٩ ـ وروي في جامع الأصول والمشكاة من صحيح الترمذي، عن زيد بن أرقم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

١٠ ـ وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وأحمد في مسنده عن

ابن عباس قال: لما نزل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] قالوا: يا رسول الله! من قرابتك الذين وجب علينا مودتهم؟، قال: علي وفاطمة وابناهما....

وسيأتي من الإخبار في ذلك ما يشبعك ويغنيك، وفيما ذكرنا كفاية للمنصف إن لم يكن يكفيك.

الثانية: في بيان ما يدل على كونها صلوات الله عليها محقة في دعوى فدك، مع قطع النظر عن عصمتها

فنقول: لاريب على من له أدنى تتبع في الآثار، وتنزل قليلاً عن درجة التعصب والانكار في أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى فدكاً حقاً لفاطمة عليها السلام، وقد اعترف بذلك جل أهل الخلاف، ورووا أنه عليه السلام شهد لها، ولذلك تراهم يجيبون تارة بعدم قبول شهادة الزوج، وتارة بأن أبا بكر لم يمض شهادة علي عليه السلام وشهادة أم أيمن لقصورها عن نصاب الشهادة، وقد ثبت بالإخبار المتضافرة عند الفريقين أن علياً عليه السلام لا يفارق الحق والحق لا يفارقه، بل يدور معه حيث ما دار، وقد اعترف ابن أبي الحديد بصحة هذا الخبر.

١١ ـ وروى ابن بطريق عن السمعاني في كتاب فضائل الصحابة بإسناده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع الحق والحق مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض.

١٢ ـ وروى ابن شيرويه الديلمي في الفردوس، بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار. وقد روى علي بن عيسى في كشف الغمة، وابن شهر

(١) الشورى: ٢٣

آشوب في المناقب، وابن بطريق في المستدرك والعمدة، والعلامة رحمه الله في كشف الحق.. وغيرهم في غيرها أخبارا كثيرة من كتب المخالفين في ذلك، وسنوردها بأسانيدها في المجلد التاسع.

فهل يشك عاقل في أحقية دعوى كان المدعي فيها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين باتفاق المخالفين والمؤالفين، والشاهد لها أمير المؤمنين الذي قال النبي صلى الله عليه وآله فيه: إن الحق لا يفارقه، وإنه الفاروق بين الحق والباطل، وإن من اتبعه اتبع ومن تركه ترك الحق و.. غير ذلك ممّا سيأتي في أبواب فضائله ومناقبه عليه السلام.

وأما فضائل فاطمة عليها السلام فتأتي الأخبار المتواترة من الجانبين في المجلد التاسع والمجلد العاشر.

١٣ ـ وروي في جامع الأصول من صحيح الترمذي، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون.

١٤ ـ وروى البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود في صحاحهم على ما رواه في جامع الأصول ـ في حديث طويل ـ قال في آخره: قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة! أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء الأمة؟!. وفي رواية أخرى رواها البخاري ومسلم: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟ وأنك أول أهلي لحوقاً بي.

١٥ ـ وروى ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة خديجة عليها السلام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

١٦ ـ وعن ابن عباس: إنهن أفضل نساء أهل الجنة.

١٧ ـ وعن أنس: إنهن خير نساء العالمين.

١٨ ـ وعن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ثم قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

١٩ ـ وروي في ترجمة فاطمة عليها السلام ـ بالإسناد ـ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ : عاد فاطمة رضي الله عنها ـ وهي مريضة ـ فقال لها: كيف تجدينك يا بنية؟ قالت: إني لوجعة، وإني ليزيدني أني ما لي طعام آكله، قال: يا بنية! ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ فقالت: يا أبه! فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، أما والله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة.

٢٠ ـ وقال البخاري في عنوان باب مناقب قرابة الرسول ﷺ أن النبي ﷺ قال: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

٢١ ـ وروى من طريق أصحابنا الكراجكي في كنز الفوائد، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شاذان، عن أبيه، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن محمد بن زياد، عن المفضل بن عمر، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال جدي رسول الله ﷺ : ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقها ويقتلها، ثم قال: يا فاطمة! أبشري فلك عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتشفعين، يا فاطمة! لو أن كل نبي بعثه الله وكل ملك قربة شفعوا في كل مبغض لك غاصب لك ما أخرجه الله من النار أبداً.

الثالثة: في أن فدكاً كانت نحلة لفاطمةعليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن أبا بكر ظلمها بمنعها.

قال أصحابنا رضوان الله عليهم: كانت فدك ممّا أفاء الله على رسوله بعد فتح خيبر، فكانت خاصة له صلى الله عليه وآله إذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وقد وهبها لفاطمة صلوات الله عليها وتصرف فيها وكلاؤها ونوابها، فلما غصب أبو بكر الخلافة انتزعها، فجاءته فاطمةعليها السلام مستعدية فطالبها بالبينة فجاءت بعلي والحسنين صلوات الله عليهم وأم أيمن المشهود لها بالجنة، فرد شهادة أهل البيتعليهم السلام بجر النفع، وشهادة أم أيمن بقصورها عن نصاب الشهادة، ثم ادعتها على وجه الميراث فرد عليها بما مرّ وسيأتي، فغضبت عليه وعلى عمر فهجرتهما، وأوصت بدفنها ليلاً لئلّا يصليا عليها، فأسخطا بذلك ربهما ورسوله واستحقا أليم النكال وشديد الوبال، ثم لما انتهت الامارة إلى عمر بن عبد العزيز ردها على بني فاطمةعليها السلام، ثمَّ انْتَزعها منهم يزيد بن عبد الملك، ثم دفعها السفاح إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالبعليهم السلام، ثم أخذها المنصور، ثم أعادها المهدي، ثم قبضها الهادي، ثم ردها المأمون لما جاءه رسول بني فاطمة فنصب وكيلاً من قبلهم وجلس محاكماً فردها عليهم، وفي ذلك يقول دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا
برد مأمون هاشماً فدكا

ولنبين خطأ أبي بكر في تلك القضية مع وضوحها بوجوه:

أما أن فدكاً كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله فمما لا نزاع فيه، وقد أوردنا من رواياتنا وأخبارنا لمخالفين ما فيه كفاية، ونزيده وضوحاً بما رواه في:

٢٢ ـ جامع الأصول ممّا أخرجه من صحيح أبي داود عن عمر قال: إن أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة قرى عرينة وفدك وكذا وكذا.. ينفق على أهله منها نفقة سنتهم، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله، وتلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(١).

٢٣ ـ وروي أيضاً عن مالك بن أوس قال: كان فيما احتج عمر أن قال: كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا: بنو النضير وخيبر وفدك.. إلى آخر الخبر.

٢٤ ـ وروى ابن أبي الحديد في شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني أبو إسحاق عن الزهري قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسيرهم، ففعل ذلك، فسمع أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبي ﷺ خاصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. قال: وقال أبو بكر: وروى محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعدما قدم المدينة فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة لأنه لم يوجف عليها بخيل

(١) الحشر: ٧

ولا ركاب. قال: وقد روي أنه صالحهم عليها كلها، والله أعلم أي الامرين كان، انتهى. وسيأتي اعتراف عمر بذلك في تنازع علي عليه السلام والعباس. وأما أنه وهبها لفاطمة عليها السلام، فلأنه لا خلاف في أنها صلوات الله عليها ادعت النحلة مع عصمتها الثابتة بالادلة المتقدمة، وشهد له من ثبتت عصمته بالأدلة الماضية والآتية، والمعصوم لا يدعي إلّا الحق، ولا يشهد إلّا بالحق، ويدور الحق معه حيثما دار.

وأما أنها كانت في يدها صلوات الله عليها فلأنها ادعتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله على وجه الاستحقاق، وشهد المعصوم بذلك لها، فإن كانت الهبة قبل الموت تبطل بموت الواهب ـ كما هو المشهور ـ ثبت القبض، وإلّا فلا حاجة إليه في إثبات المدعى، وقد مرّ من الأخبار الدالة على نحلتها، وأنها كانت في يدها عليها السلام ما يزيد على كفاية المنصف، بل يسد طريق إنكار المتعسف. ويدل على أنها كانت في يدها صلوات الله عليها ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف حيث قال: بلى كانت في أيدينا فدك، من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.. وأما أن أبا بكر وعمر أغضبا فاطمة عليها السلام، فقد اتضح بالأخبار المتقدمة. ثم اعلم أنا لم نجد أحداً من المخالفين أنكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، ولا أحداً من الأصحاب طعن على أبي بكر بإنكاره ذلك، إلّا ما تفطن به بعض الأفاضل من الأشارف، مع أنه يظهر من كثير من أخبار المؤالف والمخالف ذلك، وقد تقدم ما رواه ابن أبي الحديد في ذلك عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري وغيرها من الأخبار، ولا يخفى أن ذلك يتضمن إنكار الآية وإجماع المسلمين، إذ القائل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصرف شيئاً من غلة فدك وغيرها من الصفايا في بعض مصالح المسلمين

لم يقل بأنها لم تكن لرسول الله ﷺ ، بل قال: بأنه فعل ذلك على وجه التفضل وابتغاء مرضاة الله تعالى، وظاهر الحال أنه أنكر ذلك دفعاً لصحة النحلة، فكيف كان يسمع الشهود على النحلة مع ادعائه أنها كانت من أموال المسلمين. واعتذر المخالفون من قبل أبي بكر بوجوه سخيفه...

الأول: منع عصمتها صلوات الله عليها، وقد تقدمت الدلائل المثبتة لها.

الثاني: أنه لو سلم عصمتها فليس للحاكم أن يحكم بمجرد دعواها وإن تيقن صدقها. وأجاب أصحابنا بالادلة الدالة على أن الحاكم يحكم بعلمه.

وأيضاً اتفقت الخاصة والعامة على رواية قصة خزيمة بن ثابت وتسميته بذي الشهادتين لما شهد للنبي ﷺ بدعواه، ولو كان المعصوم كغيره لما جاز للنبي ﷺ قبول شاهد واحد والحكم لنفسه، بل كان يجب عليه الترافع إلى غيره.

وقد روى أصحابنا أن أمير المؤمنين عليه السلام خطّأ شريحاً في طلب البينة منه، وقال: إن إمام المسلمين يؤتمن من امورهم على ما هو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادعاه من درع طلحة بغير حكم شريح، والمخالفون حرفوا هذا الخبر وجعلوه حجة لهم. واعتذروا بوجوه أخرى سخيفة لا يخفى على قال ـ بعدما أوردنا في تلك الفصول ـ ضعفها ووهنها، فلا نطيل الكلام بذكرها.

الرابعة: في توضيح بطلان ما ادعاه أبو بكر من عدم توريث الأنبياء عليهم السلام

استدل أصحابنا على بطلان ذلك بآي من القرآن:

الأولى: قوله تعالى مخبرا عن زكرياعَلَيْهِالسَّلَامُ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[1]. قوله تعالى: ﴿وَلِيًّا﴾ أي ولداً يكون أولى بميراثي، وليس المراد بالولي من يقوم مقامه، ولداً كان أو غيره، لقوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[2]. وقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾[3]. والقرآن يفسر بعضه بعضاً. واختلف المفسرون في أن المراد بالميراث العلم أو المال؟. فقال ابن عباس والحسن والضحاك أن المراد به في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي﴾ وقوله سبحانه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[4] ميراث المال، وقال أبو صالح: المراد به في الموضعين ميراث النبوة. وقال السدي ومجاهد والشعبي: المراد به في الأول ميراث المال وفي الثاني ميراث النبوة، وحكي هذا القول عن ابن عباس والحسن والضحاك، وحكي عن مجاهد أنه قال: المراد من الأول العلم ومن الثاني النبوة.

وأما وجه دلالة الآية على المراد، فهو أن لفظ الميراث في اللغة والشريعة والعرف إذا أطلق ولم يقيد لا يفهم منه إلّا الأموال وما في معناها ولا يستعمل في غيرها إلّا مجازاً، وكذا لا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان إلّا من ينتقل إليه أمواله وما يضاهيها دون العلوم وما يشاكلها، ولا يجوز العدول عن ظاهر اللفظ وحقيقته إلّا لدليل، فلو لم يكن في الكلام قرينة توجب حمل اللفظ على أحد المعنيين لكفى

(١) مريم: ٥

(٢) آل عمران: ٣٨

(٣) الأنبياء: ٨٩ – ٩٠

(٤) مريم: ٦

في مطلوبنا، كيف والقرائن الدالة على المقصود موجودة في اللفظ؟!. أما أولاً: فلان زكرياعليه السلام اشترط في وارثه أن يكون رضياً، وإذا حمل الميراث على العلم والنبوة لم يكن لهذا الاشتراط معنى، بل كان لغواً عبثاً، لأنه إذا سأل من يقوم مقامه في العلم والنبوة فقد دخل في سؤاله الرضا وما هو أعظم منه فلا معنى لاشتراطه، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث إلينا نبياً واجعله مكلفاً عاقلاً؟!. وأما ثانياً: فلأن الخوف من بني العم ومن يحذو حذوهم يناسب المال دون النبوة والعلم، وكيف يخاف مثل زكرياعليه السلام من أن يبعث الله تعالى إلى خلقه نبياً يقيمه مقام زكريا ولم يكن أهلاً النبوة والعلم، سواء كان من موالي زكريا أو من غيرهم؟، على أن زكرياعليه السلام كان إنما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته.

فإن قيل: كيف يجوز على مثل زكرياعليه السلام الخوف من أن يرث الموالي ماله؟ وهل هذا إلّا الضن والبخل؟. قلنا: لما علم زكرياعليه السلام من حال الموالي أنهم من أهل الفساد، خاف أن ينفقوا أمواله في المعاصي ويصرفوه في غير الوجوه المحبوبة، مع أن في وراثتهم ماله كان يقوي فسادهم وفجورهم، فكان خوفه خوفاً من قوة الفساق وتمكنهم في سلوك الطرايق المذمومة، وانتهاك محارم الله عزّ وجلّ، وليس مثل ذلك من الشح والبخل. فإن قيل: كما جاز الخوف على المال من هذا الوجه جاز الخوف على وراثتهم العلم لئلّا يفسدوا به الناس ويضلوهم، ولا ريب في أن ظهور آثار العلم فيهم كان من دواعي اتباع الناس إياهم وانقيادهم لهم. قلنا: لا يخلو هذا العلم الذي ذكرتموه من أن يكون هو كتباً علمية وصحفاً حكمية، لأن ذلك قد يسمى علماً مجازاً، أو يكون هو العلم الذي يملأ القلوب وتعيه الصدور، فإن كان الأول، فقد رجع

إلى معنى المال وصح أن الأنبياء عليهم السلام يورثون الأموال، وكان حاصل خوف زكريا عليه السلام أنه خاف من أن ينتفعوا ببعض أمواله نوعاً خاصاً من الانتفاع، فسأل ربه أن يرزقه الولد حذراً من ذلك، وإن كان الثاني، فلا يخلو - أيضاً - من أن يكون هو العلم الذي بعث النبي لنشره وأدائه إلى الخلق، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلق لشريعة ولا يجب اطلاع الأمة عليه كعلم العواقب وما يجري في مستقبل الأوقات.. ونحو ذلك.

والقسم الأول: لا يجوز أن يخاف النبي من وصوله إلى بني عمه - وهم من جملة أمته المبعوث إليهم لان يهديهم ويعلمهم - وكان خوفه من ذلك خوفاً من غرض البعثة.

والقسم الثاني: لا معنى للخوف من أن يرثوه إذ كان أمره بيده، ويقدر على أن يلقيه إليهم، ولو صح الخوف على القسم الأول لجرى ذلك فيه أيضاً، فتأمل. هذا خلاصة ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه في الشافي عند تقرير هذا الدليل، وما أورد عليه من تأخر عنه يندفع بنفس التقدير، كما لا يخفى على الناقد البصير، فلذا لا نسوِّد بإيرادها الطوامير.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]. وجه الدلالة، هو أن المتبادر من قوله تعالى - ورثه -، أنه ورث ماله كما سبق في الآية المتقدمة، فلا يعدل عنه إلّا لدليل. وأجاب قاضي القضاة في المغني: بأن في الآية ما يدل على أن المراد وراثة العلم دون المال، وهو قوله تعالى:

---

(١) النمل: ١٦

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[1] فإنه يدل على أن الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلّا لم يكن لهذا تعلق بالأول.

وقال الرازي في تفسيره: لو قال تعالى: ورث سليمان داود ماله، لم يكن لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[2] معنى، وإذا قلنا ورث مقامه من النبوة والملك حسن ذلك، لان علم منطق الطير يكون داخلاً في جملة ما ورثه، وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] لأن وارث العلم يجمع ذلك ووارث المال لا يجمعه، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[4] يليق أيضاً بما ذكر دون المال الذي يحصل للكامل والناقص، وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده لا يليق إلّا بما ذكرنا، فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنه لا يورث إلّا المال، فأما إذا ورث المال والملك معاً فهذا لا يبطل بالوجوه الذي ذكرنا، بل بظاهر قوله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

وردَّ السيد المرتضى رضي الله عنه في الشافي كلام المغني بأنه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصة، ثم يقول مع ذلك: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[5]، ويشير بـ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[6] إلى العلم والمال جميعاً، فله في الأمرين جميعاً فضل على من لم يكن كذلك، وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[7] يحتمل

(١) النمل: ١٦

(٢) النمل: ١٦

(٣) النمل: ١٦

(٤) النمل: ١٦

(٥) النمل: ١٦

(٦) النمل: ١٦

(٧) النمل: ١٦

المال كما يحتمل العلم فليس بخالص لما ظنه، ولو سلم دلالة الكلام على العلم لما ذكره، فلا يمتنع أن يريد أنه ورث المال بالظاهر، والعلم بهذا النوع من الاستدلال فليس يجب إذا دلت الدلالة في بعض الالفاظ على المجاز أن نقتصر بها عليه، بل يجب أن نحملها على الحقيقة ـ التي هي الأصل ـ إذا لم يمنع من ذلك مانع. وقد ظهر بما ذكره السيد قدس سره بطلان قول الرازي أيضاً، وكان القاضي يزعم أن العطف لو لم يكن للتفسير لم يكن للمعطوف تعلق بما عطف عليه وانقطع نظام الكلام. وما اشتهر من أن التأسيس أولى من التأكيد من الاغلاط المشهورة، وكأن الرازي يذهب إلى أنه لا معنى للعطف إلّا إذا كان المعطوف داخلاً في المعطوف عليه، فعلى أي شيء يعطف حينئذٍ قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]؟ فتدبر. وأما قوله: إن المال يحصل للكامل والناقص، فلو حمل الميراث على المال لم يناسبه قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[2]. فيرد عليه أنه إنما يستقيم إذا كانت الإشارة إلى أول الكلام فقط ـ وهو وراثة المال ـ وبعده ظاهر، ولو كانت الإشارة إلى مجموع الكلام ـ كما هو الظاهر ـ أو إلى أقرب الفقرات ـ أعني قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] ـ لم يبق لهذا الكلام مجال، وكيف لا يليق دخول المال في جملة المشار إليه، وقد من الله تعالى على عباده في غير موضع من كلامه المجيد بما أعطاهم في الدنيا من صنوف الأموال، وأوجب على عباده الشكر عليه، فلا دلالة فيه على عدم إرادة وراثة المال سواء كان من كلام سليمان أو كلام الملك المنان. وقد ظهر بذلك بطلان قوله أخيراً: إن ما ذكره الله

(١) النمل: ١٦

(٢) النمل: ١٦

(٣) النمل: ١٦

تعالى من جنود سليمان لا يليق إلّا بما ذكرنا، بل الأظهر أن حشر الجنود من الجن والإنس والطير قرينة على عدم إرادة الملك من قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1]، فإن تلك الجنود لم تكن لداود حتى يرثها سليمان، بل كانت عطية مبتدأة من اله تعالى لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد أجرى الله تعالى على لسانه أخيراً الاعتراف بأن ما ذكره لا يبطل قول من حمل الآية على وراثة الملك والمال معاً، فإنه يكفينا في إثبات المدعى، وسيأتي الكلام في الحديث الذي تمسك به.

الآية الثالثة: ما يدل على وراثة الأولاد والأقارب، كقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[3]، وقد أجمعت الأمة على عمومها إلّا من أخرجه الدليل، فيجب أن يتمسك بعمومها إلّا إذا قامت دلالة قاطعة، وقد قال سبحانه عقيب آيات الميراث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4]، ولم يقم دليل على خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن حكم الآية، فمن تعدى حدود الله في نبيه يدخله الله النار خالداً فيها وله العذاب المهين. وأجاب المخالفون بأن العمومات مخصصة بما رواه

---

(١) النمل: ١٦

(٢) النساء: ٧

(٣) النساء: ١١

(٤) النساء: ١٣ - ١٤

أبو بكر عن النبي ﷺ من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. قال صاحب المغني: لم يقتصر أبو بكر على رواية حتى استشهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد أو عبد الرحمن بن عوف فشهدوا به، فكان لا يحل لأبي بكر وقد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثاً، وقد أخبر الرسول ﷺ بأنها صدقة وليست بميراث، وأقل ما في الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد، فلو أن شاهدين شهدا في التركة أن فيها حقاً أليس كان يجب أن يصرفه عن الارث؟ فعلمه بما قال الرسول ﷺ مع شهادة غيره أقوى، ولسنا نجعله مدعياً، لأنه لم يدع ذلك لنفسه، وإنما بين أنه ليس بميراث وأنه صدقة، ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص في العبد والقاتل وغيرهما. ويرد عليه أن الاعتماد في تخصيص الآيات إما على سماع أبي بكر ذلك الخبر من رسول الله ﷺ ويجب على الحاكم أن يحكم بعلمه، وإما على شهادة من زعموهم شهوداً على الرواية، أو على مجموع الأمرين، أو على سماعه من حيث الرواية مع انضمام الباقين إليه. فإن كان الأول فيرد عليه وجوه من الإيراد:

الأول: ما ذكره السيد رضي الله عنه في الشافي من أن أبا بكر في حكم المدعي لنفسه والجار إليها نفعاً في حكمه، لأن أبا بكر وسائر المسلمين سوى أهل البيت عليهم السلام تحل لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا منها، وهذه تهمة في الحكم والشهادة. ثم قال رحمه الله: وليس له أن يقول هذا يقتضي أن لا تقبل شهادة شاهدين في تركة فيها صدقة بمثل ما ذكرتم، وذلك لأن الشاهدين إذا شهدا بالصدقة فحظهما منها كحظ صاحب الميراث، بل سائر المسلمين، وليس كذلك حال تركة الرسول ﷺ، لأن كونها صدقة يحرمها على ورثته ويبيحها لسائر المسلمين، انتهى.

ولعل مراده رحمه الله أن لحرمان الورثة في خصوص تلك المادة شواهد

على التهمة، بأن كان غرضهم إضعاف جانب أهل البيت عليهم السلام لئلّا يتمكنوا من المنازعة في الخلافة ولا يميل الناس إليهم لنيل الزخارف الدنيوية، فيكثر أعوانهم وأنصارهم، ويظفروا بإخراج الخلافة والامارة من أيدي المتغلبين، إذ لا يشك أحد ممن نظر في أخبار العامة والخاصة في أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في ذلك الوقت طالباً للخلافة مدعياً لاستحقاقه لها، وانه لم يكن انصراف الأعيان والإشراف عنه وميلهم إلى غيره إلّا لعلمهم بأنه لا يفضل أحداً منهم على ضعفاء المسلمين، وأنه يسوي بينهم في العطاء والتقريب، ولم يكن انصراف سائر الناس عنه إلّا لقلة ذات يده، وكون المال والجاه مع غيره.

والأولى أن يقال في الجواب، انه لم تكن التهمة لاجل أن له حصة في التركة، بل لأنه كان يريد أن يكون تحت يده، ويكون حاكماً فيه يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء. ويؤيده قول أبي بكر ـ فيما رواه في جامع الأصول من سنن أبي داود ـ عن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله إذا أطعم نبياً طعمة فهو للذي يقوم من بعده. ولا ريب في أن ذلك ممّا يتعلق به الأغراض، ويعد من جلب المنافع، ولذا لا تقبل شهادة الوكيل فيما هو وكيل فيه والوصي فيما هو وصي فيه. وقد ذهب قوم إلى عدم جواز الحكم بالعلم مطلقاً، لأنه مظنة التهمة، فكيف إذا قامت القرائن عليه من عداوة ومنازعة وإضعاف جانب و.. نحو ذلك؟. والعجب أن بعضهم في باب النحلة منعوا ـ بعد تسليم عصمة فاطمة عليها السلام ـ جواز الحكم بمجرد الدعوى وعلم الحاكم بصدقها، وجوزوا الحكم بأن التركة صدقة للعلم بالخبر مع معارضته للقرآن، وقيام الدليل على كذبه.

الثاني: أن الخبر معارض للقرآن لدلالة الآية في شأن زكريا عليه السلام

وداود عليه السلام على الوراثة، وليست الآية عامة حتى يخصص بالخبر، فيجب طرح الخبر. لا يقال: إذا كانت الآية خاصة فينبغي تخصيص الخبر بها، وحمله على غير زكريا وداود عليهما السلام. لأنا نقول: الحكم بخروجهما عن حكم الأنبياء مخالف لإجماع الأمة، لانحصارها في الحكم بالإيراث مطلقاً وعدمه مطلقاً، فلا محيص عن الحكم بكذب الخبر وطرحه.

الثالث: أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى الخبر موضوعاً باطلا، وكان عليه السلام لا يرى إلّا الحق والصدق، فلا بد من القول بأن من زعم أنه سمع الخبر كاذب.

أما الأولى: فلما رواه مسلم في صحيحه وأورده في جامع الأصول أيضاً عن مالك بن أوس ـ في رواية طويلة ـ قال: قال عمر لعلي عليه السلام والعباس.. قال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً؟!، والله يعلم إنه لصادق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وولي أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً؟!، والله يعلم إني لصادق بار تابع للحق فوليتها. وعن البخاري في منازعة علي عليه السلام والعباس فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله من بني النضير أنه قال عمر بن الخطاب: فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبضها فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتما حينئذٍ ـ وأقبل على علي عليه السلام والعباس ـ تزعمان أن أبا بكر فيها كذا، والله يعلم أنه فيها صادق بار راشد تابع للحق، وكذلك زاد في حق نفسه قال: والله يعلم إني فيها صادق بارّ راشد تابع للحق.. إلى آخر الخبر.

وقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة من كتاب السقيفة عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري مثله بأسانيد.

وأما المقدمة الثانية، فلما مرّ وسيأتي من الأخبار المتواترة في أن علياً عليه السلام لا يفارق الحق والحق لا يفارقه، بل يدور معه حيث ما دار. ويؤيده روايات السفينة والثقلين وأضرابها.

الرابع: أن فاطمة صلوات الله عليها أنكرت رواية أبي بكر وحكمت بكذبه فيها، ولا يجوز الكذب عليها، فوجب كذب الرواية وراويها. أما المقدمة الأولى، فلما مرّ في خطبتها وغيرها وسيأتي من شكايتها في مرضها وغيرها، وقد رووا في صحاحهم أنها صلوات الله عليها انصرفت من عند أبي بكر ساخطة، وماتت عليه واجدة، وقد اعترف بذلك ابن أبي الحديد.

وأما الثانية، فلما مرّ وسيأتي من عصمتها وجلالتها.

الخامس: أنه لو كانت تركة الرسول صلى الله عليه وآله صدقة، ولم يكن لها صلوات الله عليها حظ فيها لبين النبي صلى الله عليه وآله الحكم لها، إذ التكليف في تحريم أخذها يتعلق بها، ولو بيّنه لها لما طلبتها لعصمتها، ولا يرتاب عاقل في أنه لو كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام إن تركتي صدقة لا تحل لكم، لما خرجت ابنته وبضعته من بيتها مستعدية ساخطة صارخة في معشر المهاجرين والأنصار، تعاتب إمام زمانها بزعمكم، وتنسبه إلى الجور والظلم في غصب تراثها، وتستنصر المهاجرة والأنصار في الوثوب عليه وإثارة الفتنة بين المسلمين، وتهييج الشر، ولم يستقر بعد أمر الإمارة والخلافة، وقد أيقنت بذلك طائفة من المؤمنين أن الخليفة غاصب للخلافة ناصب لأهل الإمامة، فصبوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور وقيام النشور، وكان ذلك من آكد الدواعي إلى شق عصا المسلمين، وافتراق كلمتهم، وتشتت ألفتهم، وقد كانت تلك النيران

يخمدها بيان الحكم لها صلوات الله عليها أو لأمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ، ولعله لا يجسر من أوتي حظاً من الإسلام على القول بأن فاطمة صلوات الله عليها ـ مع علمها بأن ليس لها في التركة بأمر الله نصيب ـ كانت تقدم على مثل ذلك الصنيع، أو كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه مع علمه بحكم الله لم يزجرها عن التظلم والاستعداء، ولم يأمرها بالقعود في بيتها راضية بأمر الله فيها، وكان ينازع العباس بعد موتها ويتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فليت شعري هل كان ذلك الترك والإهمال لعدم الاعتناء بشأن بضعته التي كانت يؤذيه ما آذاها، ويريبه ما رابها؟! أو بأمر زوجها وابن عمه وأخيه المساوي لنفسه ومواسيه بنفسه؟!، أو لقلة المبالاة بتبليغ أحكام الله وأمر أمته؟! وقد أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً للعالمين.

السادس: انا مع قطع النظر عن جميع ما تقدم نحكم قطعاً بأن مدلول هذا الخبر كاذب باطل، ومن أسند إليه هذا الخبر لا يجوز عليه الكذب، فلا بد من القول بكذب من رواه والقطع بأنه وضعه وافتراه.

أما المقدمة الثانية، فغنية عن البيان.

وأما الأولى، فبيانها أنه قد جرت عادة الناس قديماً وحديثاً بالإخبار عن كل ما جرى بخلاف المعهود بين كافة الناس وخرج عن سنن عاداتهم، سيما إذا وقع في كل عصر وزمان، وتوفرت الدواعي إلى نقله وروايته، ومن المعلوم لكل أحد أن جميع الأمم ـ على اختلافهم في مذاهبهم ـ يهتمون بضبط أحوال الأنبياءعَلَيْهِمُ السَّلَامُ وسيرتهم وأحوال أولادهم وما يجري عليهم بعد آبائهم، وضبط خصائصهم وما يتفردون به عن غيرهم، ومن المعلوم أيضاً أن العادة قد جرت من يوم خلق

الله الدنيا وأهلها إلى زمان انقضاء مدتها وفنائها بأن يرث الأقربون من الأولاد وغيرهم أقاربهم وذوي أرحامهم، وينتفعوا بأموالهم وما خلفوه بعد موتهم، ولا شك لأحد في أن عامة الناس عالمهم وجاهلهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم ورعاياهم يرغبون إلى كل ما نسب إلى ذي شرف وفضيلة ويتبركون به، ويحرزه الملوك في خزائنهم، ويوصون به لأحب أهلهم، فكيف بسلاح الأنبياء وثيابهم وأمتعتهم؟ ألا ترى إلى الاعمى إذا أبصر في مشهد من المشاهد المشرفة أو توهمت العامة أنه أبصر اقتطعوا ثيابه، وتبركوا بها، وجعلوها حرزا من كل بلاء.

إذا تمهدت المقدمات فنقول: لو كان ما تركه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله صدقة، لقسمت بين الناس بخلاف المعهود من توارث الآباء والأولاد وسائر الأقارب، ولا يخلو الحال إما أن يكون كل نبي يبين هذا الحكم لورثته بخلاف نبينا صلى الله عليه وآله أو يتركون البيان كما تركه صلى الله عليه وآله ، فجرى على سنة الذين خلوا من قبله من أنبياء الله عليهم السلام ، فإن كان الأول فمع أنه خلاف الظاهر كيف خفي هذا الحكم على جميع أهل الملل والاديان، ولم يسمعه أحد إلّا أبو بكر ومن يحذو حذوه، ولم ينقل أحد أن عصا موسى عليه السلام انتقل على وجه الصدقة إلى فلان، وسيف سليمان عليه السلام صار إلى فلان، وكذا ثياب سائر الأنبياء وأسلحتهم وأدواتهم فرقت بين الناس ولم يكن في ورثة أكثر من مائة ألف نبي قوم ينازعون في ذلك، وإن كان بخلاف حكم الله عزّ وجلّ وقد كان أولاد يعقوب عليهم السلام - مع علو قدرهم - يحسدون على أخيهم ويلقونه في الجب لما رأوه أحبهم إليه أو وقعت تلك المنازعة كثيراً، ولم ينقلها أحد في الملل السابقة وأرباب السير - مع شدة اعتنائهم بضبط أحوال الأنبياء وخصائصهم - وما جرى بعدهم كما تقدم. وإن كان الثاني، فكيف كانت

حال ورثة الأنبياء؟ أكانوا يرضون بذلك ولا ينكرون؟ فكيف صارت ورثة الأنبياء جميعاً يرضون بقول القائمين بالامر مقام الأنبياء ولم يرض [كذا] به سيدة النساء، أو كانت سنة المنازعة جارية في جميع الأمم ولم ينقلها أحد ممن تقدم ولاذكر من أنتقلت تركات الأنبياء إليهم، إن هذا لشيء عجاب!. وأعجب من ذلك أنهم ينازعون في وجود النص على أمير المؤمنين عليه السلام مع كثرة الناقلين له من يوم السقيفة إلى الآن، ووجود الأخبار في صحاحهم، وادعاء الشيعة تواتر ذلك من أول الأمر إلى الآن، ويستندون في ذلك إلى أنه لو كان حقاً لما خفي ذلك لتوفر الدواعي إلى نقله وروايته. فانظر بعين الانصاف أن الدواعي لشهرة أمر خاص ليس الشاهد له إلّا قوم مخصوصون من أهل قرن معين أكثر أم لشهرة أمر قل زمان من الأزمنة من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله عن وقوعه فيه، مع أنه ليس يدعو إلى كتمانه وإخفائه في الأمم السالفة داع، ولم يذكره رجل في كتاب، ولم يسمعه أحد من أهل ملة. ولعمري لا أشك في أن من لزم الإنصاف، وجانب المكابرة والاعتساف، وتأمل في مدلول الخبر، وأمعن النظر، يجزم قطعاً بكذبه وبطلانه. وإن كان القسم الثاني ـ وهو أن يكون اعتماد أبي بكر في تخصيص الآيات بالخبر من حيث رواية الرواة له دون علمه بأنه من كلام الرسول صلى الله عليه وآله لسماعه بإذنه ـ فيرد عليه أيضاً وجوه من النظر:

الأول: أن ما ذكره قاضي القضاة من أنه شهد بصدق الرواية في أيام أبي بكر: عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن باطل غير مذكور في سيرة ورواية من طرقهم وطرق أصحابنا، وإنما المذكور في رواية مالك بن أوس التي رووها في صحاحهم أن عمر بن الخطاب لما تنازع عنده أمير المؤمنين عليه السلام والعباس استشهد نفرا فشهدوا بصدق الرواية،

ولنذكر ألفاظ صحاحهم في رواية مالك بن أوس - على اختلافها - حتى يتضح حقيقة الحال. روى البخاري ومسلم وأخرجه الحميدي وحكاه في جامع الأصول في الفرع الرابع من كتاب الجهاد من حرف الجيم عن مالك أنه قال: أرسل إلي عمر فجئته حين تعالى النهار قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً على رماله متكئاً على وسادة من ادم، فقال لي: يا مال! إنه قد دف أهل أبيات قومك، وقد أمرت فيهم برضخ فخذه، فاقسم بينهم. قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري. قال: خذه يا مالك. قال: فجاء يرفاه، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، ثم جاء، فقال: هل لك في عباس وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما، فقال العباس: يا أمير المؤمنين اقضِ بيني وبين هذا؟ فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين فاقضِ بينهم وارحمهم. قال مالك بن أوس: فخيل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك، فقال عمر: اتئد أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟! قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالا: نعم... إلى آخر الخبر.

ثم حكى في جامع الأصول عن البخاري ومسلم أنه قال عمر لعلي عليه السلام: قال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: لا نورث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً... وتزعمان أنه فيها كذا..؟ كما نقلنا سابقاً. وحكى في جامع الأصول عن أبي داود أنه قال أبو البختري: سمعت حديثا من رجل فأعجبني، فقلت: اكتبه لي، فاتى به مكتوبا مدبرا: دخل العباس وعلي على عمر - وعنده طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد -

وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال: كل مال النبي صدقة إلّا ما أطعمه أهله أو كساهم، إنا لا نورث؟! قالوا: بلى...

توضيح:

قوله: مفضياً إلى رماله.. أي ملقياً نفسه على الرمال لا حاجز بينهما. ورمال السرير ـ بالكسر ـ: ما رمل أي نسج ـ جمع رمل ـ بمعنى مرمول

كالخلق بمعنى المخلوق، والمراد به أن السرير كان قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير. والوسادة: المخدة. ودف أهل أبيات.. أي دخلوا المصر، يقال: دف دافة من العرب. والرضخ ـ بالضاد والخاء المعجمتين ـ: العطاء القليل. ويرفأ ـ بالراء الفاء والهمزة، على صيغة المضارع كيمنع ـ علم، مولى عمر بن الخطاب. واتئد: أمر من التؤدة أي التأني والتثبت. ومدبراً أي مسنداً، وألفاظ باقي الأصول مذكورة في جامع الأصول. ولا يذهب على ذي فطنة أن شهادة الأربعة التي تضمنتها الرواية الأولى والثانية على اختلافهما لم يكن من حيث الرواية والسماع عن الرسول ﷺ ، بل لثبوت الرواية عندهم بقول أبي بكر، بقرينة أن عمر ناشد علياً عليه السلام والعباس: أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث مالاً تركناه صدقة؟ فقالا: نعم، وذلك لأنه لا يقدر أحد في ذلك الزمان على تكذيب تلك الرواية، وقد قال عمر في آخر الرواية: رأيتماه ـ يعني أبا بكر ـ كاذباً آثماً غادراً خائناً.. وكذا في حق نفسه. والعجب أن القاضي لم يجعل علياً عليه السلام والعباس شاهدين على الرواية مع تصديقهما كما صدق الباقون، بل جميع الصحابة، لأنهم

يشهدون بصدقهما. وقال ابن أبي الحديد ـ بعد حكاية كلام السيد رضي الله عنه ـ في أن الاستشهاد كان في خلافة عمر دون أبي بكر، وأن معول المخالفين على إمساك الأمة عن النكير على أبي بكر دون الاستشهاد، ما هذا لفظه ـ: قلت: صدق المرتضى رحمه الله فيما قال، أما عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث فلم يرو الخبر إلّا أبو بكر وحده، وقيل إنه رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان، وأما المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة فقد شهدوا بالخبر في خلافة عمر، وقد تقدم ذكر ذلك. وقال ـ في الموضع المتقدم الذي أشار إليه وهو الفصل الذي ذكر فيه روايات أبي البختري على ما رواه أحمد بن عبد العزيز الجوهري، بإسناده عنه ـ قال: جاء علي والعباس إلى عمر وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: أنشدكم الله! أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كل مال نبي فهو صدقة إلّا ما أطعمه أهله، إنا لا نورث؟! فقالوا: نعم، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتصدق به ويقسم فضله، ثم توفي فوليه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتما تقولان: إنه كان بذلك خاطئاً؟ وكان بذلك ظالماً؟ وما كان بذلك إلّا راشداً، ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لكما: إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الذي عهد فيه، فقلتما: نعم، وجئتماني الآن تختصمان، يقول هذا: أريد نصيبي من ابن أخي، ويقول هذا: أريد نصيبي من امرأتي! والله لا أقضي بينكما إلّا بذلك. قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا مشكل، لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدثين، حتى أن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابي الواحد. وقال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم،

واحتجوا عليه بقول الصحابة رواية أبي بكر وحده، قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، حتى أن بعض أصحاب أبي بكر تكلف لذلك جواباً، فقال: قد روي أن أبا بكر يوم حاج فاطمةعليها السلام، قال: أنشد الله امرءاً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا شيئاً؟ فروى مالك بن أوس بن الحدثان، أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الحديث ينطق بأنه استشهد عمر طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر؟! ما نُقل أن أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمةعليها السلام وأبي بكر روى من هذا شيئاً، انتهى. فظهر أن قول هذا القاضي ليس إلّا شهادة زور، ولو كان لِمَا ذكرُهُ من استشهاد أبي بكر مستندٌ لأشار إليه كما هو الدأب في مقام الاحتجاج. وأما هذه الرواية التي رواها ابن أبي الحديد، فمع أنها لا تدل على الاستشهاد في خلافة أبي بكر فلا تخلو من تحريف، لما عرفت من أن لفظ رواية أبي البختري ـ على ما رواه أبو داود، وحكاه في جامع الأصول ـ: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كل مال النبي صدقة، لا: أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كما رواه الجوهري ـ على أنه لا يقوم فيما تفردوا به من الأخبار حجة علينا، وإنما الاحتجاج بالمتفق عليه، أو ما اعترف به الخصم، والاستشهاد على الرواية لم يثبت عندنا لا في أيام أبي بكر ولا في زمن عمر. ثم أورد السيدرحمه الله على كلام صاحب المغني: بأنّا لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة، لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى، لأن المعلوم لا يُخَصّ إلّا بمعلوم.. قال: على أنه لو سلم لهم أن الخبر الواحد يعمل به في الشرع لاحتاجوا إلى دليل مستأنف، على أنه يقبل في تخصيص القرآن،

لأن ما دل على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع، كما لا يتناول جواز النسخ به.

وتحقيق هاتين المسألتين من وظيفة أصول الفقه.

والثاني: ان رواة الخبر كانوا متهمين في الرواية بجلب النفع من حيث حل الصدقة عليهم ـ كما تقدم في القسم الأول ـ وما أجاب به شارح كشف الحق من الفرق بين الرواية والشهادة، وأن التهمة إنما تضر في الشهادة دون الرواية، فسخيف جداً، ولم يقل أحد بهذا الفرق غيره.

الثالث والرابع: ما تقدم في الإيراد الثالث والرابع من القسم الأول.

والخامس: ما تقدم من وجوب البيان للورثة.

السادس: ما تقدم في السادس.

وأما القسم الثالث: وهو أن يكون مناط الحكم على علم أبي بكر مع شهادة النفر، وكذلك الرابع، وهو أن يكون الاعتماد على روايته معهم، فقد ظهر بطلانهما ممّا سبق، فإن المجموع وإن كان أقوى من كل واحد من الجزءين إلّا أنه لا يدفع التهمة ولا مناقضة الآيات الخاصة ولا باقي الوجوه السابقة. وقد ظهر بما تقدم أن الجواب عن قول أبي علي: أتعلمون كذب أبي بكر أم تجوزون صدقه؟ وقد علم أنه لا شيء يعلم به كذبه قطعاً، فلا بد من تجويز كونه صادقاً ـ كما حكاه في المغني ـ: هو إنا نعلم كذبه قطعاً، والدليل عليه ما تقدم من الوجوه الستة المفصلة وإن تخصيص الآيات بهذا الخبر ليس من قبيل تخصيصها في القاتل والعبد كما ذكره قاضي القضاة، إذ مناط الثاني روايات معلومة الصدق، والأول خبر معلوم الكذب، وقد سبق في خطبة فاطمة صلوات الله عليها استدلالها بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ

ٱللَّهِ﴾(١)، وبثلاث من الآيات السابقة، وهو يدل مجملاً على بطلان ما فصلوه من الاجوبة. ثم إن بعض الأصحاب حمل الرواية على وجه لا يدل على ما فهم منها الجمهور، وهو أن يكون ما تركنا صدقة مفعولاً ثانياً للفعل أعني نورث، سواء كان بفتح الراء على صيغة المجهول من قولهم: ورثت أبي شيئاً، أو بكسرها من قولهم: أورثه الشيء أبوه، وأما بتشديد الراء، فالظاهر أنه لحن، فإن التواريث إدخال أحد في المال على الورثة ـ كما ذكره الجوهري ـ وهو لا يناسب شيئاً من المحامل، ويكون صدقة منصوبا على أن يكون مفعولاً لتركنا، والأعراب لا تضبط في أكثر الروايات، ويجوز أن يكون النبي ﷺ وقف على الصدقة فتوهم أبو بكر أنه بالرفع، وحينئذٍ يدل على أن ما جعلوه صدقة في حال حياتهم لا ينتقل بموتهم إلى الورثة، أي ما نووا فيه الصدقة من غير أن يخرجوه من أيديهم لا يناله الورثة حتى يكون للحكم اختصاص بالأنبياء عليهم السلام، ولا يدل على حرمان الورثة ممّا تركوه مطلقاً، والحق أنه لا يخلو عن بعد، ولا حاجة لنا إليه لما سبق، وأما الناصرون لأبي بكر فلم يرضوا به وحكموا ببطلانه، وإن كان لهم فيه التخلص عن القول بكذب أبي بكر، فهو إصلاح لم يرض به أحد المتخاصمين، ولا يجري في بعض رواياتهم.

واعلم: أن بعض المخالفين استدلوا على صحة الرواية وما حكم به أبو بكر بترك الأمة النكير عليه، وقد ذكر السيد الأجلّ رضي الله عنه في الشافي كلامهم ذلك على وجه السؤال وأجاب عنه بقوله: فإن قيل: إذا كان أبو بكر قد حكم بخطأ في دفع فاطمة عليها السلام من الميراث واحتج بخبر لا حجة فيه فما بال الأمة أقرته على هذا الحكم، ولم تنكر عليه؟! وفي

(١) الأنفال: ٧٥

رضاها وإمساكها دليل على صوابه.

قلنا: قد مضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلّا في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا، وبيَّنّا في الكلام على إمامة أبي بكر هذا الموضع بياناً شافياً.

وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب العباسية عن هذا السؤال جواباً جيد المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها، قال: وقد زعم ناس أن الدليل على صدق خبرهما - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما، ثم قال: فيقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلا على صدقهما ليكونن ترك النكير على المتظلمين منهما والمحتجبين عليهما والمطالبين لهما بدليل دليلاً على صدق دعواهم، واستحسان مقالتهم، لا سيما وقد طالت المشاحات، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكيمة، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام حتى إنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر، وقد كانت قالت له حين أتته طالبة بحقها، ومحتجة برهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا مت؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما بالنا لا نرث النبي ﷺ؟! فلما منعها ميراثها، وبخسها حقها، واعتل عليها، ولج في أمرها، وعاينت التهضم، وأيست من النزوع، ووجدت مس الضعف وقلة الناصر، قالت، والله لأدعون الله عليك. قال: والله لأدعونَّ الله لك. قالت: والله لا أكلمك أبداً. قال: والله لا أهجرك أبداً. فإن يكن ترك النكير علي أبي بكر دليلاً على صواب منعه، إن في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذاء، وأن

تقول هجراً، أو تجور عادلاً، أو تقطع واصلاً، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور، واستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم. وإن قالوا: كيف يظن ظلمها والتعدي عليها! وكلما ازدادت فاطمة عليها السلام عليه غلظة ازداد لها لينا ورقة، حيث تقول: والله لا أكلمك أبدا! فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثم تقول: والله لأدعونَّ الله عليك، فيقول: والله لأدعونَّ الله لك. ثم يحتمل هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والرفعة، وما يجب لها من التنويه والهيبة، ثم لم يمنعه ذلك أن قال - معتذراً أو متقرّباً، كلام المعظم لحقها، المكبر لقيامها، والصائن لوجهها، والمتحنن عليها -: ما أحد أعزَّ عليَّ منك فقراً، ولا أحب إلي منك غنى، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة!. قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريبا وللخصومة معتادا أن يظهر كلام المظلوم وذلة المنتصف، وجدة الوامق، ومقة المحق، وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة، ودلالة واضحة؟! وقد زعمتم أن عمر قال على منبره: متعتان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: متعة النساء ومتعة الحج، أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما، فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطأه في معناه، ولا تعجب منه ولا استفهمه!.

وكيف تقضون بترك النكير؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: الأئمة من قريش، ثم قال في مكانه: لو كان سالم حيا ما يخالجني فيه شك، حين أظهر الشك في استحقاق كل واحد من

الستة الذين جعلهم شورى، وسالم عبد لامرأة من الأنصار وهي أعتقته، وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قريش قوله منكر ولا قابل إنسان بين قوليه، ولا تعجب منه، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وثواب عمله، فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والإطلاق، فليس بحجة تشفي، ولا دليل يغني. قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما، وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خلعهما، والخروج عليهما، وهم الذين وثبوا على عثمان في أيسر من جحد التنزيل، ورد النصوص، ولو كانوا كما يقولون ويصفون ما كان سبيل الأمة فيهما إلّا كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعز نفراً، وأشرف رهطاً، وأكثر عدداً وثروة، وأقوى عدة.

قلنا: إنهما لم يجحدا التنزيل، ولم ينكر المنصوص، ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا رواية، وتحدثا بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا يمتنع في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه من علته مثل علتهما فيه، ولعل بعضهم كان يرى التصديق للرجل إذا كان عدلاً في رهطه، مأموناً في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرب عليه غدرة، فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن وتعديل الشاهد، ولأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج، والذي يقطع بشهادته على الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قل النكير، وتواكل الناس، واشتبه الأمر، فصار لا يتخلص إلى معرفة حق ذلك من باطله، إلّا العالم المتقدم، والمؤيد المرشد، ولأنه لم يكن لعثمان في صدور العوام، وفي قلوب السفلة والطغام ما كان لهما من الهيبة والمحبة، ولانهما كانا أقل استئثاراً بالفئ، وأقل تفكها بمال الله

منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم، ولا يستأثر بخراجهم، ولم يعطل ثغورهم، ولأن الذي صنع أبو بكر من منع العترة حظها، والعمومة ميراثها، قد كان موافقاً لجلة قريش، ولكبراء العرب، ولأن عثمان أيضاً كان مضعوفاً في نفسه، مستخفاً بقدره، لا يمنع ضيماً، ولا يقمع عدواً، ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف والتشنيع والنكير، لأمور لو أتى عمر أضعافها، وبلغ أقصاها، لما اجترؤوا على اغتيابه فضلاً عن مبادأته، والاغراء به ومواجهته، كما أغلظ عينية بن حصين له، فقال له: أما إنه لو كان عمر لقمعك ومنعك؟ فقال عيينة: إن عمر كان خيراً لي منك، أرهبني فأبقاني. ثم قال: والعجب أنا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب استناداً، وأوضح رجالاً، وأحسن اتصالاً، حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي ﷺ نسخوا الكتاب، وخصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما رووه، وأكذبوا ناقليه، وذلك إن كل إنسان منهم إنما يجري إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه.. هذا آخر كلام الجاحظ.

ثم قال السيد رضي الله عنه: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير، وقوله: كما لم ينكروا على أبي بكر، فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السلام ولا غيرها من المطالبين بالميراث كالأزواج وغيرهن معارضة صحيحة، وذلك أن نكير أبي بكر لذلك ودفعه والاحتجاج عليه يكفيهم ويغنيهم عن تكلف نكير، ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره.

قلنا: أول ما يبطل هذا السؤال أن أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد احتجاجها بالخبر من التظلم والتألم، والتعنيف والتبكيت، وقولها

ـ على ما روي ـ: والله لأدعونَّ الله عليك...، ولا كلمنك أبداً، و... ما جرى هذا المجرى، فقد كان يجب أن ينكره غيره، فمن المنكر الغضب على المنصف. وبعد، فإن كان إنكار أبي بكر مقنعاً أو مغنياً عن إنكار غيره من المسلمين، فإنكار فاطمةعليها السلام حكمه، ومقامها على التظلم منه يغني عن نكير غيرها، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

الخامسة: قال ابن أبي الحديد: اعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمةعليها السلام أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إياه أيضاً، وهو سهم ذي القربى. روى أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أنس: أن فاطمةعليها السلام لما أتت أبا بكر فقالت: قد علمت الذي حرم علينا أهل البيتعليهم السلام من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى! ثم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(1) الآية، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي ووالد ولدك السمع والطاعة لكتاب الله، ولحق رسوله صلى الله عليه وآله وحق قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخمس مسلم إليكم كاملاً؟ قالت: أملك هو لك ولأقربائك؟! قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين. قالت: ليس هذا بحكم الله تعالى؟! فقال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك في هذا عهداً صدقتك وسلمته كله إليك والى أهلك. قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعهد إلي في ذلك بشيء، إلّا أني سمعته يقول لما أنزلت هذه الآية: أبشروا آل محمد فقد

(1) الأنفال: ٤١

جاءكم الغنى!. قال أبو بكر: لم يبلغ من هذه الآية أن أسلم إليكم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهما فاسأليهم عن ذلك وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم؟ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قال لها أبو بكر، فتعجبت فاطمةعليها السلام من ذلك وتظنت أنهما قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه. ثم قال: قال أحمد بن عبد العزيز: حدثنا أبو زيد ـ بإسناده إلى عروة ـ قال: أرادت فاطمةعليها السلام أبا بكر على فدك وسهم ذي القربى، فأبى عليها وجعلهما في مال الله تعالى. ثم روى عن الحسن بن عليعليه السلام: أن أبا بكر منع فاطمةعليها السلام وبني هاشم سهم ذي القربى وجعلها في سبيل الله في السلاح والكراع. ثم روى بإسناده عن محمد بن إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن عليعليه السلام قلت: أرأيت علياًعليه السلام حين ولي العراق وما ولي من أمر الناس، كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر وعمر. قلت: كيف؟ ولم؟ وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلّا عن رأيه. فقلت: فما منعه؟ قال: يكره أن يدعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر. انتهى ما أخرجه ابن أبي الحديد من كتاب أحمد بن عبد العزيز. وروى في جامع الأصول من سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غير أنه لم يكن يعطي منه قربى رسول الله صلى الله عليه وآله كما يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منه. وروى مثله بسند آخر عن جبير بن مطعم. ثم قال: وفي أخرى له والنسائي: لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وآله سهم

ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب. ثم قال: وأخرج النسائي أيضاً بنحو من هذه الروايات من طرق متعددة بتغيير بعض ألفاظها واتفاق المعنى. وروى أيضاً عن أبي داود بإسناده عن يزيد بن هرمز أن ابن الزبير أرسل إلى ابن العباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن يراه؟ فقال له: لقربى رسول الله صلى الله عليه وآله، قسمه رسول الله لهم وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضا رأيناه دون حقنا ورددناه عليه وأبينا أن نقبله. وروى مثله عن النسائي أيضاً، وقال: وفي أخرى له مثل أبي داود، وفيه: وكان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم، ويقضي عن غارمهم، ويعطي فقيرهم، وأبى أن يزيدهم على ذلك. وروى العياشي في تفسيره رواية ابن عباس ورويناه في موضع آخر. وروى أيضاً عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام قال: قد فرض الله الخمس نصيباً لآل محمد عليهم السلام فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة، وقد قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]. والأخبار من طريق أهل البيت عليهم السلام في ذلك أكثر من أن تحصى، وسيأتي بعضها في أبواب الخمس والأنفال إن شاء الله تعالى. فإذا اطلعت على ما نقلناه من الأخبار من صحاحهم نقول: لا ريب في دلالة الآية على اختصاص ذي القربى بسهم خاص سواء كان هو سدس الخمس ـ كما ذهب إليه أبو العالية وأصحابنا ورووه عن أئمتنا عليهم السلام ـ، وهو الظاهر من الآية ـ كما اعترف به البيضاوي وغيره ـ، أو خمس الخمس لاتحاد سهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله، وذكر الله للتعظيم كما زعم ابن عباس وقتادة وعطاء، أو ربع الخمس والارباع الثلاثة الباقية للثلاثة الأخيرة كما زعمه الشافعي، وسواء كان المراد بذي القربى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعده الإمام

(١) المائدة: ٤٧

من أهل البيت عليهم السلام - كما ذهب إليه أكثر أصحابنا - أو جميع بني هاشم كما ذهب إليه بعضهم. وعلى ما ذهب إليه الأكثر بكون دعوى فاطمة عليها السلام نيابة عن أمير المؤمنين عليه السلام تقية، أو كان المراد بني هاشم وبني المطلب كما زعمه الشافعي، أو آل علي وعقيل وآل عباس وولد الحارث بن عبد المطلب كما قال أبو حنيفة. وعلى أي حال، فلا ريب أيضاً في أن الظاهر من الآية تساوي الستة في السهم، ولم يختلف الفقهاء في أن إطلاق الوصية والأقوال لجماعة معدودين يقتضي التسوية لتساوي النسبة، ولم يشترط الله عز وجل في ذي القربى فقراً أو مسكنة بل قرنه بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله للدلالة على عدم الاشتراط، وقد احتج بهذا الوجه الرضا عليه السلام على علماء العامة في حديث طويل بيَّن فيه فضل العترة الطاهرة، وسيأتي في محله. وأما التقييد اجتهاداً فمع بطلان الاجتهاد الغير المستند إلى حجة فعل النبي صلى الله عليه وآله يدفع التقييد، لدلالة خبر جبير وغيره على أنه لم يعطهم ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيهم، وقد قال أبو بكر في رواية أنس: لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، فما زعمه أبو بكر من عدم دلالة الآية على أن السهم مسلم لذي القربى ووجوب صرف الفاضل من السهم عن حاجتهم في مصالح المسلمين مخالف للآية والأخبار المتفق على صحتها، وقد قال سبحانه في آخر الآية: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[1]. واعترف الفخر الرازي في تفسيره بأن من لم يحكم بهذه القسمة فقد خرج عن الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]،

(١) الأنفال: ٤١

(٢) المائدة: ٤٥

وقال: ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1]، وقال: ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]، فاستحق بما صنع ما يستحقه الراد على الله وعلى رسوله ﷺ.

السادسة: ما دلت عليه الروايات السالفة وما سيأتي في باب شهادة فاطمة عليها السلام من أنها أوصت أن تدفن سرًّا، وأن لا يصلي عليها أبو بكر وعمر لغضبها عليهما في منع فدك وغيره من أعظم الطعون عليهما. وأجاب عنه قاضي القضاة في المغني بأنه قد روي أن أبا بكر هو الذي صلى على فاطمة عليها السلام وكبّر أربعاً، وهذا أحد ما استدل به كثير من الفقهاء في التكبير على الميت، ولا يصح أنها دفنت ليلاً، وإن صح ذلك فقد دفن رسول الله ﷺ ليلاً، وعمر دفن ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل، فما في هذا ممّا يطعن به، بل الأقرب في النساء أن دفنهن ليلاً أستر وأولى بالسنة.

وردَّ عليه السيد الأجلُّ في الشافي: بأن ما ادعيت من أن أبا بكر هو الذي صلى على فاطمة عليها السلام وكبر أربعاً، وأن كثيراً من الفقهاء يستدلون به في التكبير على الميت فهو شيء ما سمع إلّا منك، وإن كنت تلقيته عن غيرك فممن يجري مجراك في العصبية، وإلّا فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أن أمير المؤمنين عليه السلام صلى على فاطمة عليها السلام إلّا رواية شاذة نادرة وردت بأن العباس صلى عليها. روى الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: سألت ابن العباس: متى دفنت فاطمة عليها السلام؟

قال: دفناها بليل بعد هدأة.

---

(١) المائدة: ٤٧

(٢) المائدة: ٤٥

قال: قلت: فمن صلى عليها؟

قال: علي عليه السلام.

وروى الطبري، عن الحرث بن أبي أسامة، عن المدايني، عن أبي زكريا العجلاني أن فاطمة عليها السلام عمل لها نعش قبل وفاتها، فنظرت وقالت: سترتموني ستركم الله، قال أبو جعفر محمد بن جرير: والثبت في ذلك أنها زينب، لأن فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً ولم يحضرها إلّا العباس وعلي والمقداد والزبير. وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه عن الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير: أن عائشة أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وعليها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي عليه السلام ليلاً، وصلى عليها علي بن أبي طالب عليه السلام. وذكر في كتابه هذا أن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام دفنوها ليلاً وغيبوا قبرها. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن الحسن بن محمد: أن فاطمة عليها السلام دفنت ليلا. وروى عبد الله بن أبي شيبة، عن يحيى بن سعيد العطار، عن معمر، عن الزهري مثل ذلك.

وقال البلاذري في تاريخه أن فاطمة عليها السلام لم تر متبسمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها.

والأمر في هذا أوضح وأظهر من أن يطنب في الاستشهاد عليه وذكر الروايات فيه.

فأما قوله: ولا يصح أنها دفنت ليلاً، وإن صح فقد دفن فلان وفلان ليلاً.. فقد بينا أن دفنها ليلاً في الصحة كالشمس الطالعة، وان منكر ذلك كدافع المشاهدات، ولم نجعل دفنها ليلاً بمجرده هو الحجة فيقال: فقد

دفن فلان وفلان ليلاً، بل مع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالمتواتر أنهاعليها السلام أوصت بأن تدفن ليلاً حتى لا يصلي عليها الرجلان، وصرحت بذلك، وعهدت فيه عهدا بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلما طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنينعليه السلام في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجة إليه، فكلمها أمير المؤمنينعليه السلام في ذلك وألح عليها فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلمهما، فلما خرجا قالت لامير المؤمنينعليه السلام: قد صنعت ما أردت؟ قال: نعم. قالت: فهل أنت صانع ما آمرك؟ قال: نعم. قالت: فإني أنشدك الله أن لا يصليا على جنازتي، ولا يقوما على قبري.

وروي أنهعليه السلام عمى على قبرها ورش أربعين قبراً في البقيع ولم يرش على قبرها حتى لا يهتديا إليه، وأنهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وإحضارهما للصلاة عليها، فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدم عليه وتأخر عنه لم يكن فيه حجة. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وممّا يدلّ من صحاح أخبارهم على دفنها ليلاً، وأن أبا بكر لم يصلِّ عليها، وعلى غضبها عليه وهجرتها إياه، ما رواه مسلم في صحيحه وأورده في جامع الأصول في الباب الثاني من كتاب الخلافة والإمارة من حرف الخاء عن عائشة ـ في حديث طويل بعد ذكر مطالبة فاطمةعليها السلام أبا بكر في ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وفدك، وسهمه من خيبر ـ قالت: فهجرته فاطمةعليها السلام فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها عليعليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، قالت: فكانت لعلي وجوه من الناس في حياة فاطمة فلما توفيت فاطمةعليها السلام انصرفت وجوه الناس عن عليعليه السلام،

ومكثت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر ثم توفيت. وروى ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن هشام بن محمد عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إن أم أيمن تشهد لي أن رسول الله ﷺ أعطاني فدك. فقال: يا بنت رسول الله! والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من رسول الله ﷺ أبيك ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لئن تفتقر عائشة أحب إلي من أن تفتقري، أتراني أعطي الأسود والأحمر حقه وأظلمك حقك وأنت بنت رسول الله ﷺ! إن هذا المال لم يكن للنبي ﷺ وليته كما كان يليه! قالت: والله لا كلمتك أبدا!. قال: والله لا هجرتك أبداً. قالت: والله لأدعونَّ الله عليك. قال: والله لأدعونَّ الله لك. فلما حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلي عليها، فدفنت ليلاً، وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها ﷺ اثنتان وسبعون ليلة. ومما يؤيد إخفاء دفنها جهالة قبرها والاختلاف فيه بين الناس إلى يومنا هذا، ولو كان بمحضر من الناس لما اشتبه على الخلق ولا اختُلف فيه.

السابعة: ممّا يرد من الطعون على أبي بكر في تلك الواقعة أنه مكّن أزواج النبي ﷺ من التصرف في حجراتهن بغير خلاف، ولم يحكم فيها بأنها صدقة، وذلك يناقض ما منعه في أمر فدك وميراث الرسول ﷺ ، فإن انتقالها إليهن إما على جهة الارث أو النحلة، والأول مناقض لروايته في الميراث، والثاني يحتاج إلى الثبوت ببينة ونحوها، ولم يطالبهن بشيء منها كما طالب فاطمة عليها السلام في دعواها، وهذا من أعظم الشواهد لمن له أدنى بصيرة، على أنه لم يفعل ما فعل إلّا عداوة لأهل بيت الرسالة، ولم يقل ما قال إلّا افتراء على الله وعلى رسوله. ولنكتف بما ذكرنا، فإن بسط الكلام في تلك المباحث ممّا يوجب كثرة

حجم الكتاب وتعسر تحصيله على الطلاب.

فانظر أيها العاقل المنصف بعين البصيرة! فيما اشتملت عليه تلك الأخبار الكثيرة التي أوردوها في كتبهم المعتبرة عندهم من حكم سيدة النساء صلوات الله عليها - مع عصمتها وطهارتها - باغتصابهم للخلافة وأنهم أتباع الشيطان، وأنه ظهر فيهم حسيكة النفاق، وأنهم أرادوا إطفاء نور الدين، وإهماد سنن سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين، وأنهم آذوا أهل بيته وأضمروا لهم العداوة.. وغير ذلك ممّا اشتملت عليه الخطبة الجليلة..!. فهل يبقى بعد ذلك شك في بطلان خلافة أبي بكر ونفاقه ونفاق أتباعه؟!. ثم إنهاعليها السلام حكمت بظلم أبي بكر في منعها الميراث صريحاً بقولهاعليها السلام: لقد جئت شيئاً فرياً، ودعت الأنصار إلى قتاله، فثبت جواز قتله، ولو كان إماماً لم يجز قتله. ثمَّ إنَّظر إلى هذا المنافق كيف شبه أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأخا سيد المرسلين وزوجه الطاهرة: بثعالة شهيده ذنبه، وجعله مرباً لكل فتنة، ثم إلى موت فاطمة صلوات الله عليها ساخطة على أبي بكر مغضبة عليه منكرة لإمامته، والى إنكار أبي بكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله مع كونه مخالفاً للآية والإجماع وأخبارهم، والى أنه انتزع فدك من يد وكلاء فاطمة وطلب منها الشهود، مع أنها لم تكن مدعية، فحكم بغير حكم الله وحكم الرسول صلى الله عليه وآله وصار بذلك من الكافرين بنص القرآن، والى طلب الشاهد من المعصومة ورد شهادة المعصومين الذين أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل، وقال فيهم النبي صلى الله عليه وآله ما قال، ومنعها الميراث خلافا لحكم الكتاب، وافترائه على الرسول صلى الله عليه وآله بما شهد الكتاب والسنة بكذبه، فتبوأ مقعده من النار، وظلمه عليها صلوات الله عليها في منع سهم ذي القربى خلافاً لله تعالى، ومناقضته لما رواه حيث مكن الازواج من

التصرف في الحجر وغيرها ممّا يستنبط من فحاوي ما ذكر من الأخبار، ولا يخفى طريق استنباطها على أولي الأبصار.

تمَّت على يد أقل العباد القليل البضاعة الكثير الإضاعة الفقير إلى الله الغني، السيد باقر السيد صادق السيد كاظم، الكيشوان الموسوي، مجاوراً لعقيلة الهاشميين بطلة كربلاء السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام في سوريا، يوم السبت لأحد عشر ليلة خلت من شهر شعبان المعظم من شهور عام ألف وأربعمائة وثمانية وعشرين من مهاجر النبي صلى الله عليه وآله الموافق للخامس والعشرين من آب من شهور عام ألفين وسبعة للميلاد، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين إلى يوم الدين.

المحتويات

الإهداء ٧
المقدمة ٩
أسانيد الخطبة ١٣
شرح الخطبة المباركة ١٧
لَمّا أجْمَعَ أبوبكر ١٨
مَنْعِ فاطمةَ عليها السلام فَدَكَ ٢٠
وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها ٢١
واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها ٢٢
وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها ٢٤
تَطأ ذُيُولَها ٢٧
ما تَخرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله ٢٨
حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر ٣٠
فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ ٣٦
الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ ٤٤

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ٦٤

كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، ٩٦

وَأَشْهَدُ أَنَّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ........................ ١٢٠

فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أَدْيانِها، ١٤٤

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ........................ ١٦٦

أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ. ١٩٣

بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ........................ ٢٢٠

وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ........................ ٢٥٥

ثُمَّ قالت: أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ........................ ٢٨٠

وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ ٣٠٤

مَكْدُوداً في ذاتِ اللهِ........................ ٣٢٤

هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ ٣٤٢

وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ ألاّ ارْثَ لَنا، ٣٥٥

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الأَنْصارِ ٣٦٦

أَيْهاً بَني قَيْلَةَ! ٣٨٦

فَأَجابَها أَبُوبَكْرٍ عَبْدُاللهِ ٤١٣

فَقالَتْ عليها السلام: سُبْحانَ اللهِ! ٤٢٠

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلى قَبْرِ النَّبِيِّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَقالَتْ:........................ ٤٣٥

ثُمَّ انْكَفَأَتْ عليها السلام ٤٥٤

في بيان عصمة الزهراء........................ ٤٨٥